TIGHT BINDING BOOK

دار الكتب المصرية

احيـاء الآداب العربيـة

مسالك الأبصار

فى

ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمرى

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكى باشا

الجزء الأول

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م

كلمة صغيرة

عن

موسوعات كبيرة

كلمة صغيرة

عن

موسوعات كبيرة

هذا كتاب "مسالك الأبصار" لابن فضل الله العمرى !

وهو قد لا يحتاج الى التعريف به ولا بمؤلفه . فقد آستفاد منه فى القرون الوسطى كل أكابر العلماء فى الشرق : من عرب وفُرس وتُرك .

حتى إذا ما رحل العلم عن بلادنا وآستقر بأرض أوروبة، تنبه المستشرقون اليه فاستقوا من بحره الطامى، مثل "كاترمير" الفرنسى، و "أمارى" الطليانى . فكان لهما القدح المعلّى والراية البيضاء فى استخراج كنوز المعارف من هـذا المعدن الغنىّ السخىّ الكريم . وأما غيرهم من المستشرقين الذين حذَوْا حذوهم فهم كثيرون .

مع كل ذلك، بقى المصريون — الى هـذا اليوم — محرومين وحدهم من بضاعة أجدادهم ، إلى أن وفقنى الله لردّها اليهم بعد أن بذلتُ ما بذلتُ فى هذا السبيل من التعب والعناء فيما لا يقلّ عن ربع قرن من الزمان .

اهتديت الى مكامنه فى دور الكتب بأمهات العواصم فى ديار أوروبة وفى خزائن المخطوطات بالقسطنطينية العظمى .

لكن الجزء الأوّل منه بقى فى حكم المفقود . فان نسخته التى بخزانة آيا صوفيا ليست بذاك .

ولقد تداركتنى العناية، فعثرت بطريق الصدفة على كتاب مدشوت فى الأضابير المبعثرة بين الأوراق المنتثرة فى أسافل الخزانات بسراى طوپ قپو بالقسطنطينية . وكان هذا الكتاب بعنوان "مرآة الكائنات" .

تصفحته قليلا ، وإذا به هو الضالة المنشودة !

ومما جعلنى أغتبط كل الاغتباط بهذه اللقية أن رجلا من أهل العلم قرأ هـذا الجزء على المؤلف ، وأن المؤلف كتب بخطه عليه بعض التصحيحات وأضاف اليه زيادات كتبها بيده فى ورقات "طيارات" .

نبهتُ رشاد بك أمين تلك الخزانة فى سنة ١٩١٠ الى هذه الدرة اليتيمة ، وطلبت إليه إعادة العنوان الى أصله ، و إضافة الولد المفقود الى أهله . ففعل .

وحينئذ أسرعتُ فأخذتُ بالفتوغرافية صورة الكتاب بأكمله (مع النسخة الأخرى من الجزء الأوّل التى بآيا صوفيا) وأحضرتُ الكل الى القاهرة . وهو محفوظ بدار الكتب المصرية . وليس يوجد فى أى قطر آخر بالمشارق والمغارب نسخة كاملة مثل التى أعدتُها لمصر . وقد كان عند أجدادنا من هذا الكتاب ما لا يقل عن العشرين نسخة كاملة ، طوحت بها أيدى الزمان الى هنا والى هنا . و بقى وادى النيل محروما من هذه الثمرة المصرية التى كانت تتناولها الأيدى وتؤتى أكلها فى كل حين .

وقد عُنيتُ كل العناية ، و بذلتُ غاية الجهد فى تحقيق هذا الجزء الأوّل ، وسافرت الى فلسطين فى صيف العام الماضى لتطبيق ما أورده المؤلف عن "المسجد الأقصى" من البيانات الفنية المعمارية والاصطلاحات الهندسية البنائية التى لم يجر بها قلم كاتب قط ، لا من العرب ولا من العجم ، لا قديما ولا حديثا .

أبرزتُه على هذا المثال الذى أرجو أن ينال قبولا عند العارفين من أهل العلم .

وأملى فى الله كبير أن يمدّنى بالتيسير لإكماله على هذا النحو من الخدمة التى أخذتها على عاتقى ، للقيام بالعمل الجليل الذى أبتهل اليه تعالى فى تكليله بالنجاح ، وهو :

"إحيـاء الآداب العربيـة"

وسأتولى فى أحد الأجزاء التالية التعريف بهذه الموسوعات الاسلاميـة المصرية الكبرى ، بعد أن أنتهى من آستخبار المؤلف نفسه عن نفسه ، ومن آستكمال المواد التى ما زلت أجمعها من بطون الدفاتر ومختلف المصادر .

وسأضيف اليـه رواميز فتوغرافيه يتمثل فيهـا خط المؤلف ، وخطوط الناسخين لكتابه الذى كان أكبر ينبوع للقلقشندى فى "صبح الأعشى" .

وأتمم ذلك كله بمعجم لغوى للألفاظ الاصطلاحية ونحوها مما أصبح فى حيز المجهول عندنا ، وأضحينا فى أشـد الحاجة لتجديده للتعبير عما لا نجد له مقابلا فيما تدعو اليه أسباب الحضارة الحاضرة وما ظهر فيها من مبتكرات القرائح والعقول ما

أحمد زكى باشا

الجيزة ، فى ربيع سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م



الجزء الأوّل، من كتاب مسالك الأبصار

فى ممالك الأمصار

فهرست المضامين

صفحة

الباب الأول

فى مقدار الأرض وحالها ، وفيه [ستة] فصول

الفصل الأول — فى كيفية الأرض ومقدارها :

صفحة

صفحة

الآثار البينة فى أقطار الأرض

صفحة

صفحة

(وصف الحرم المقدسى ومزاراته الى سنة ٧٤٣ هـ — تصنيف خاص بهلأحمد بن أمين الملك)

وصف فنيّ عربيّ للبناء على الطراز العربيّ :

صفحة

صفحة

صفحة

البيوت المعظمة عند الأمم :

صفحة

صفحة

بالشـام :

بين الحجاز والشام :

باليمن :

بفارس :

بمصـــر :

صفحة

صفحة

صفحة

ديارات الحيرة :

ديارات الشام وفلسطين :

صفحة

صفحة

الحانات :

حانات الحجاز :

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢)

الحمد لله خالق الأرض ومَن عليها، ومُبدئ الخلق منها ومُعيدهم إليها.

وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ له، شهادةً تحفظ مالديْها.

وأشهد أن محمّدا سيدنا عبدُه ورسولُه الذى فُتِحَ به لأُمَّته من خلفها و بين يَدَيْها.

صلّى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، صلاةً تَفيض علىٰ المشارق والمغارب من جانبَيْها.

٥ وسلَّم تسليما كثيرا!

أما بعدُ، فلمّا كانت النفوس لا يُصلحها إلا التنقُّل من حال إلىٰ حال، والتوقُّل علىٰ شُرُفات الشدّ والارتحال، للاطِّلاع علىٰ الغرائب، والاستطلاع للعجائب، وقد قال تعالىٰ: "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ"، وقال: "هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا"، وقال تعالىٰ: "أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٠ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ"، وقال تعالىٰ: "ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ".

ولقد ذكر النبيّ، صلى الله عليه وسلم، خطبة قُسّ بن ساعدة بعُكاظَ، وفيها قوله: "إنّ فى السماء لخَبَرًا، وإنّ فى الأرض لعِبَرًا".

ولقد طالعتُ الكتب الموضوعة فى أحوال الأقاليم وما فيها ، فلم أجد مَن قنّن
(٣) أحوالها ، ومَثَّل فى الأفهام صُوَرَها ، لأنّ غالب تلك الكتب لا تتضمّن سوىٰ الأخبار القديمة ، وأحوال الملوك السالفة ، والأمم البائدة ، وبعض مُصطلحات ذَهَبَتْ بذهاب أهلها ، ولم يبق فى مجرّد ذكرها عظيم فائدة ، ولا كبير أمر . وخير القول أصدقه ، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم . ٥

خطة المؤلف

فٱستخرتُ الله تعالىٰ فى إثبات نُبذة دالَّة علىٰ المقصود فى ذكر الأرض وما فيها ومَن فيها : الأظهرَ فالأظهر ، والأشهرَ فالأشهر ؛ وما لم أجد بُدّا من ذكره فى ذلك ومثله ، وحالة كل مملكة ، وما هى عليه ، هى وأهلها فى وقتنا هذا ، مما ضمّه نِطاق تلك المملكة ، وٱجتمع عليه طرفا تلك الدائرة . لأُقرب إلىٰ الأفهام البعيدة غالبَ ما هى عليه أمُّ كلّ مملكة من المُصْطَلَح والمعاملات ، وما يوجد فيها غالبا : ليُبصر أهل كلّ ١٠ قطرٍ القطرَ الآخر ، وبيَّنته بالتصوير : ليُعرَف كيف هو ، كأنه قُدَّامَ عيونهم بالمشاهدة والعِيان . مما ٱعتمدتُ فى ذلك علىٰ تحقيق معرفتى له ، فيما رأيتُه بالمشاهدة ؛ وفيما لم أره بالنقل مِمّن يعرِف أحوال المملكة المنقول عنه أخبارها ، مما رآه بعينه أو سمعه من الثقات بأُذُنه .

تدقيق المؤلف فى النقل

ولم أنقل إلا عن أعيان الثقات ، من ذوى التدقيق فى النظر ، والتحقيق للرواية . ١٥

وٱستكثرت ما أمكننى من السؤال عن كلّ مملكة ، لآمَنَ من تغفُّل الغفلاء ، وتخيُّل الجهالات الضالَّة ، وتحريف الأفهام الفاسدة .

الإشارة إلىٰ مضمون الكتاب

فإن نقلتُ عن بعض الكتب المصنَّفة فى هذا الشأن ، فهو من الموثوق به فيما لا بدّ منه : كتقسيم الأقاليم ، وما فيها من أقوال القدماء ، وٱختلاف آراء الحكماء ، إلىٰ غير

ذلك من غرائب وعجائب، وأخبار ملل ودول، وذكر مشاهير أعلام، وتاريخ سنين وشهور وأيام. مما هو مَسْرَح أمل، ومَطْمَح ذي عمل، لأُجَمِّلَ به كلامي، وأكمِّل به نقصي، وأتمِّم به بهجة النظر، ورونق الصفحات: كالطراز في الثوب، والخال في الخد. لا لأكثِّر به سواد السطور، وأكبِّر به حجم الكتاب. ولم أقتصر بذكر الأقاليم، عند ذكري الممالك، مقصدَ الجغرافيا، كالأول والثاني والثالث، ولا بما تطلق عليه المُسَمَّيات، كالعِراق وخُراسان وأَذَرْبِيجان[1].

بل أذكر ما اشتمل عليه مملكة كلِّ سلطانٍ، جملةً لا تفصيلا، على ما هي عليه المدينة التي هي قاعدة المُلك: كقرشي والسَّراى من قسمَيْ تُوران وتَوْرِيز[2] من إيران؛ أو ما لا بدّ من ذكره معها، والغالب في تلك المملكة من أوضاعها، والأكثر من مصطلح أهلها.

ولا أعني ذوي الممالك الصِّغار، إذا كانوا في مملكة سلطان قاهرٍ عليهم، آمرٍ فيهم: إذ هم جزء من كلٍّ. بل الذكر لكلِّ سلطان يستحقّ اسم السلطنة: لاتساع ممالك وأعمال، وكثرة جنود وأموال؛ ويتغطّى بذيله مَن لعلَّه يكون في مملكته من ذوي الممالك الصِّغار: كصاحب حَمَاة مع صاحب مصر، وصاحب مارِدِين مع صاحب إيران. اللّهمّ إلا أن تكون تلك المملكة مُفرَدَة لملك أوملوك، وليس عليهم سلطان يجمعهم حكمه، ويمضي فيهم أمره: كملوك الجيل، وملوك جبال البربر، وما يجري هذا المَجْرىٰ، ويسري كوكبه هذا المَسْرىٰ.

---

(١) هكذا ضبطه البكري في "معجم ما استعجم". والنسبة إليها أذريّ.

(٢) هي المدينة المسماة في الأشهر باسم تبريز. (بفتح التاء وبكسرها) وهي قاعدة أذربيجان. (قاموس).

ولم آلُ جُهدًا فى تصحيح ما كتبتُه بحسب الطاقة، من غير آستيعاب ولا تطويل. ولم أُعَرِّج إلىٰ ملوك الكفّار ركابى، ولا أرسيتُ بجزائر البحر سفنى، ولا أسهرتُ فى الظلمات عينى، ولا أتعبتُ فى المحفورة يدى. إلا ما ألممتُ منه إلمامة الطيف المُسَمّر، ونغبتُ منه نُغْبة الطائر الحَذِر.[1] لأنّ غالب ما يقال (والله أعلم) أسماءٌ لا يُعرف لها حقيقة، ومجاهل لا تُوصِّل إليها طريق. ٥

اقتصاره على ممالك الإسلام. ولم أقصد فى المعمورة سوىٰ الممالك العظيمة، ولا خرجتُ فى جهاتها عن الطرق المستقيمة: اكتفاءً بالحقّ الواضح، والصدق الظاهر، مما آتّصلتْ بنا حقيقة أخباره، وصحّت عندنا جليّة أحواله.

(٥) وقنعت بما بلّغه مُلك هذه الأُمّة، وتمّت بكلمة الإسلام علىٰ أهله النعمة. ولم أتجاوز حدّها، ولا مشيتُ خَطوة بعدها، إلا ما جَرّه سياق الكلام، أو طارح به شُجون الحديث: مما آندرج فى أثناء ذلك، أو آضْطَرّت إليه معرجات السالك، أو آقتضاه سبب، أو دخل مع غيره فى ذمّة حَسَب. ١٠

وإن كان فى العمر فُسحة، وفى الجسم صحّة، وللهمّة نشاط، وللنفس آنبساط، (وما ذلك علىٰ الله بعزيز، ولا من عوائد ألطافه الخفية بعجيب)، لأُذَيِّلَنّ بممالك الكفّار هذا التصنيف، وأجىءُ بدارسه المُعْلَم وخلفه من سيّئهم رديف. ١٥

لٰكنّى لم آتِ فى هذا الكتاب بذكر ممالكهم (علىٰ آتساع بلادها) إلا عَرَضا، ولا سطّرتُ من تفصيلها إلا جُمَلا: توفيرا للمادّة، وتيسيرا للجادّة، ولأ تمتع برونق الأنوار، ولا أشُوبَ بسواد الليل بياض النهار.

(١) آنتغب حسْوُ الطائر للماء، ولا يقال شربه.

علىٰ أنّى ربما ذكرتُ فى مكانٍ ماقاربه من بلاد الكفّار، وذكرته للمجاورة رجاءَ أن يؤخذ بشفعة الجِوَار.

شدة احترامه فى نقل العجائب

ولم أذكر عجيبة حتّى فحصت عنها، ولا غريبة حتّى ذكرتُ الناقل، لتكون عهدتها عليه، وتبرّأتُ منها. وقد يقع الإنكار لأكثر الحقائق من الناس: لنقصان العقول. ٥ لأن الذى يعرف الجائز والمستحيل، يعلم أن كل مقدور بالإضافة إلىٰ قدرة الله تعالىٰ قليل. وقد وصف الله تعالىٰ الجُهّال بعدم العقل، فقال: "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ". وقد أودع الله من عجائب المصنوعات، فى الأرض والسّماوات، كما قال تعالىٰ: "وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ". وقد أرانا من عظيم قدرته، وبدائع صنعه، ماجلا الشك، وأوضح الحقّ. ١٠ فما ذا بعد الحقّ إلا الضلال؟

سبب ابتدائه بالمشرق

وأوّل ماأبدأ بالمشرق، لأن منه يصبح نُوّار الأنوار، وتجرى أنهار النهار. إلىٰ أن أختمه بنهاية المغرب، إلىٰ البحر المحيط. لأنه الغاية، وإليه النهاية. إلا فيما لم أجد بُدًّا من الابتداء به من المغرب إلىٰ المشرق: كتخريج الأقاليم، لابتداء الأطوال من الجزائر الخالدات بالبحر الغربىّ، أو ما هذا حكمه، أو وقع عليه قسمه.

تعبه فى خدمة الكتاب

١٥ وقطعتُ فيه عمر الأيّام والليالى، وأثبتُّ فيه بالأقلام أخبار العوالى. وشُغِلتُ به الحينَ بعد الحين، واشتغلت ولم أسمع قول اللّاحين. وحَرِصت عليه حِرْص الضّنين، وخَلَصتُ إليه بعد أن أجريتُ ورائى السنين.

تنويه بسلطان الناصر

وشرعتُ فيه فى أيام مَن مَاسَا بإحسانه، وأمّننا فى سلطانه: سيّدنا ومولانا، ومالك رقابنا، السلطان ابن السلطان، السيّد الكبير الملك **النـاصر**، العالم العادل المجاهد ٢٠ المرابط المثاغر، المؤيّد المظفّر المنصور، ناصر الدنيا والدين. سلطان الإسلام

والمسلمين، سيّد الملوك والسلاطين، وارث المُلك، ملك العرب والعجم والترك، نائب الله فى أرضه، القائم بسنّته وفرضه، ملك البحْرَين، خادم الحرَمَيْن، حامى القبلتَيْن، مبايع الخليفتَيْن، بهلوان جهان، إسكندر الزمان، ناشر عَلَم العدل والإحسان، مُمَلّك أصحاب المنابر والأسرّة والتخوت والتيجان، جامع ذيول الأقطار، مُبيد البُغاة والطُّغاة والكفّار، هازم الروم والفِرِنج(1) والكُرج(2) والأرمن والتتار، سلطان البسيطه، مثبّت أركان المحيطه، إمام المتّقين، ولىّ أمور المؤمنين، متعهّد حجّ بيت الله الحرام وزيارة سيّد المرسلين، أبى المعالى **محمد** بن مولانا السلطان الكبير الشهيد أبى المظفر **قلاوون**، سيّد ملوك الأرض على الإجماع، المخصوص بمُلك أشرف البقاع.

سل عنْه وٱنطِق بِهِ وٱنْظُرْ إلَيْهِ تَجِد ملْءَ المَسامِعِ والأَفْواهِ والمُقَـلِ!

فأدام الله أيامه، وأدار على مَفارق النجوم أعلامه!

وسمّيتـــه:

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار

وعلى الله أعتمد، ومنه أستمدّ، وإياه أسأل التوفيق والإعانة، وأبرأ من الحوْل والقوّة إلّا به، وهو حسبى ونعم الوكيل!

وفهرست ما تضمّنه وجُملته قسمان:

القسم الأوّل ــ فى الأرض.

القسم الثانى ــ فى سكان الأرض.

---

(1) نقل العرب إلى لغتهم ٱسم الجيل المعروف بـ Francs فقولهم الإفرنجة بزيادة ألف فى أوّله لتسهيل النطق بالسكون وبفتح الراء والجيم. ونبه صاحب القاموس على أنه معرّب إفرنك، ونبه على أن القياس كسر الراء. ثم حذف الكُتّاب حرف الألف من الأوّل وقالوا: فرنج بكسر الفاء والراء. وأصله للدلالة على أهل فرنسا التى يسميها العرب فرنجة وفِرنجة. ثم شاع ٱستعماله للدلالة على أهل أوربّة قاطبة، ماعدا الروم.

(2) هم أهل البلاد المعروفة عند الإفرنج بٱسم Géorgie.

القسم الأوّل من الكتاب

فى ذكر الأرض وما اشتملت عليه برًّا و بحرًا .

وهو نوعان :

النوع الأوّل — فى ذكر المسالك .

٥ النوع الثانى — فى ذكر الممالك .

أمّا النوع الأوّل المشتمل على المسالك ففيه أبواب :

الباب الأوّل — فى مقدار الأرض وحالها .

وفيه فصول :

الفصل الأوّل — فى كيفيّة الأرض ومقدارها .

١٠ الفصل الثانى — فى أسمائها وصفاتها .

الفصل الثالث — فى أسماء التراب وصفاته .

الفصل الرابع — فى الغُبَار وصفاته .

الفصل الخامس — فى أسماء الرمال وصفاتها .

الفصل السادس — فى أحوال الأرض .

١٥ (و يستطرد فى ذلك ذكر الجبال ، والأنهار ، والبُحَيْرات ، والمساجد الثلاثة ، وما يندرج معها ، وذكر جُمَل من الآثار القديمة) .

الباب الثانى — فى ذكر الأقاليم السبعة.

وفيه فصول:

الفصل الأول — فى تقسيم الأقاليم.

الفصل الثانى — فيما وقع فى الأقاليم من المدن، والجزائر العامرة، برًّا و بحرا، ونصويرها بأشكالها.

(و يتّصل بذلك كلام خُلْوٌ فى أمر مشاهير ممالك عُبّاد الصليب، فى البرّ دون البحر.)

الفصل الثالث — فى ذكر أطوال النهار فى كل إقليم.

الباب الثالث — فى البحار وما يتعلّق بها.

وفيه فصول:

الفصل الأول — فى ذكر البحار.

الفصل الثانى — فى ذكر الرياح، وصورة القُنْبَاص.[1]

الفصل الثالث — فى ذكر نبذه من العجائب، برًّا و بحرًا.

الباب الرابع — فى القبلة والأدلّة عليها.

وفيه فصول:

الفصل الأول — فى أقوال الفقهاء.

الفصل الثانى — فى الأستدلال عليها بالنجوم.

الفصل الثالث — فى الأستدلال عليها بالرياح.

الفصل الرابع — فى الأستدلال عليها بالجبال.

الفصل الخامس — فى الأستدلال عليها بالأنهار.

الفصل السادس — فى قبلة كلّ أرض.

(١) هذه الكلمة معرّبة عن لفظة Compas الإفرنجية. وشرح المؤلف لها واف وافر فى أول الجزء الثانى. فراجعه هناك.

وخاتمة الباب فصلٌ جامع يشتمل على ذكر تداخل الشهور، والكواكب الثابتة، والسيّارة، وصورة الأفلاك، والقول في الخسوف والكسوف، وما يستطرد في ذلك، ويندرج معه: لاستخراج القبلة، وما اندرج في ذلك.

٥ ونسميته استطرادًا لتعلق بعضه ببعض.

الباب الخامس — في ذكر الطرق.

وفيه فصلان:

الفصل الأول — في تعاريج الطريق.

الفصل الثاني — في سواء الطريق.

١٠ النوع الثاني — في ذكر الممالك.

وهو خمسة عشر بابا:

الباب الأول — في مملكة الهند والسند.

الباب الثاني — في ممالك بيت جنكزخان.

وفيه فصول:

١٥ الفصل الأول — في الكلام عليها جُمليًّا.

الفصل الثاني — في مملكة القان الكبير، صاحب التخت. وهو صاحب الصين والخَطا[1].

الفصل الثالث — في التُّورانيّين. وهم فرقتان:

الفرقة الأولى — فيما وراء النهر،

٢٠ الفرقة الثانية — في خُوارَزم والقَبْجَاق.

الفصل الرابع — في الإيرانيّين.

---

(١) الخطا (بفتح الخاء) هي بلاد الصين الشمالية.

الباب الثالث — فى مملكة الجيل.

وفيه فصول :

الفصل الاول — فى يومن .

الفصل الثانى — فى تُوليم[(١)].

الفصل الثالث — فى كَسْكَر .

الفصل الرابع — فى رَشَفْت .

الباب الرابع — فى مملكة الجبال.

وفيه فصول :

الفصل الاول — فى الأكراد .

الفصل الثانى — فى اللُّـــر[(٢)].

الفصل الثالث — فى الشُول.

الفصل الرابع — فى شكاره .

الباب الخامس — فى مملكة الأتراك بالروم.

وفيه ستة عشر فصلا :

الفصل الأول — فى مملكة كرميان .

الفصل الثانى — فى مملكة طنغرلو .

الفصل الثالث — فى مملكة توازا .

الفصل الرابع — فى مملكة عِيدلى .

الفصل الخامس — فى مملكة كصطمونيّة .

---

(١) الذى فى أبى الفدا أنها بفتح اللام و بغير ياء .

(٢) أورد أبو الفدا هذا الاسم فى تقويمه بالإشباع هكذا : اللُور .

القسم الثانى من الكتاب

فى سكان الأرض من طوائف الأمم .

وهو أنواع :

النوع الأوّل — فى الإنصاف بين المشرق والمغرب .

وهذا النوع له شَبَهان : شَبَهٌ بالقسم الأوّل بحسب موضوعه ، وما آندرج معه ، وتعلق بذيل المفاخرة بين الجانبين من النبات والمعدن ؛ وله شَبَهٌ بهذا القسم بحسب ما آندرج فيه من ذكر طوائف العلماء ، الذين هم أعيان الناس ، وذكر سائر الحيوان . (١١)
إلا أن هذا الشَّبَه أقوىٰ ، لأن المقصود من المكان ساكنه . فألحقناه بهذا القسم .

النوع الثانى — فى الكلام علىٰ الديانات : وهى ست نحل ، وأربع ملل .

النوع الثالث — فى الكلام علىٰ طوائف المتديّنين .

النوع الرابع — فى ذكر التاريخ .

وفيه بابان :

الباب الأوّل — فى ذكر الدُّوَل التى كانت قبل الإسلام .

الباب الثانى — فى ذكر الدُّوَل الكائنة فى الإسلام .

ومن حيثُ عَيَّنا التبويب، وبَيَّنا الترتيب، نشرع فى ذكرها بابًا بابًا إلىٰ آنتهاء الأبواب، ونوعًا نوعًا إلىٰ آنقضاء الكتاب.

ابتهال المؤلف إلىٰ الله

والله المؤمَّل فى عمرٍ يُوَفّى بتمامه، ويُوَفِّر الموادّ علىٰ مَدَد أقسامه، مع ما هو أبقىٰ من الابتهال إلىٰ الله فيما هو أهمّ: من التفويض إليه، والابتهاج بما لديه، مما يُوَقّى المُهَجَات، ويُرَقّى الدرجات، فى الدنيا والآخرة. إنه ولىّ ذلك والقادر عليه، والمُقَدِّر له والهادى إليه! ٥

رجاء إلىٰ القراء

والرغبة إلىٰ من وقف علىٰ هذا الكتاب، ووقع منه نظره علىٰ خطإٍ أو صواب، أن يصفح عما جنح فيه القلم إلىٰ الزَّلَل، وتخطّى إليه الفكر من الخَطَل، ويَبْسُطَ العذر لمن لم يَجُب البلاد، ولم يَجُل فى الآفاق، ولم يُتْهِم فى تِهامة ولا أعرق فى عِراق؛ ولا خطب الدَّأماء، ولا خبط الظَّلماء، ولا آقتحم لُجَج البرّ والبحر، ولا تعدّى مصر ١٠ والشام والحجاز، ولا فارق ممالكَ كان هو وأسلافه فيها تحت قَيْد العُلَق والشواغل، لِمَا كان يتقلّده منهم آبنٌ عن أبيه، وأخٌ عن أخيه، من أعباء الدول وأُمور الممالك، وأثقال الفكر والمهمات، وشَغْل الأسماع والأبصار، مما يستغرق بعضه الأوقات، ويقطع عن الأسباب، حتّى عن لفظةِ سؤالٍ، ولحظة كتاب، إلىٰ أن وهبنى الله فراغا أَلَّفت فيه هذا الكتاب. ١٥

(١٢)

وهذا أوانُ سرد ما آشتمل عليه كل قسم من الأبواب.

ولا حولَ ولاقوّةَ إلا بالله العلىّ العظيم، وأستغفر الله إن الله غفور رحيم!

القسم الأول من الكتاب

في ذكر الأرض وما آشتملت عليه برًّا وبحرًا

وهو نوعان

النوع الأوّل
فى ذكر المسالك وفيه أبواب

الباب الأوّل
فى مقدار الأرض وحالها وفيه [ستة] فصول

الفصل الأوّل
فى كيفية الأرض ومقدارها

كريّة الارض والبرهان عليها

الذى نبدأ به، بعون الله وقدرته، فى القول فى هذا الفصل، ما قام عليه البرهان، وهو أن العالَم كُرِىٌّ . ويدلّ عليه المشاهدة بالعِيان، لمن رعى الشمس من مطلعها إلىٰ مغيبها؛ وكذلك النجومَ من مشارقها إلىٰ مغاربها: لأنها تطلع حتّى تتوسّط السماء هويًّا، ثم تنحطّ حتّى تغيب عن العين كذلك. فتقطع نصف دائرة. فعُلم بالضرورة أنها تقطع فى الغيبوبة عن العين نصفَ دائرةٍ، نظيرَ ما قطعت فى الظهور، ليكمُل تمامُ الدائرة.

والذى تلخّص من أقوال أهل العلم والنظر فى الهيئة : أن العالَم كُرَةٌ ، والأرض مركزها، والماء محيطٌ بها لا يفارقها، إلا ما انكشف.

(١٣) استقرار الأرض

فالأرض فى جوف الماء، والماء فى جوف الهواء، والهواء فى جوف الفَلَك : كالمُحّة فى جوف البيضة فى القشر.

و وضعُها وضعٌ متوسِّط . والهواء إما جاذبٌ لها إلىٰ جهة الفلك أو دافعٌ عنه .

وذهب بعضهم إلىٰ أنها مستقرّةٌ بالوضع : فالأرض فى فلك المـاء، وفلك المـاء فى فلك الهواء، وفلك الهواء فى فلك النار (وهو الأثير) ، وفلك النار فى فلك القمر، وفلك القمر فى فلك عُطارِد ، وفلك عُطارِد فى فلك الزُّهَرَة ، وفلك الزُّهَرَة فى فلك الشمس ، وفلك الشمس فى فلك المرّيخ ، وفلك المرّيخ فى فلك المُشـتَرِى، وفلك المُشتَرِى فى فلك زُحَل، وفلك زُحَل فى فلك البروج (وهو المُكَوْكَب)، وفلك البروج فى الفلك الأطلَس. ٥

ماهو العرش والكرسىّ فى رأى فلاسفة الإسلام

والمكوكب فى رأى فلاسفة الإسلام أنه المعبَّر عنه عند أهل الشريعة الشريفة بالكرسىّ، وأن الأطلس هو المعبَّر عنه عندهم بالعرش.

حركات الأفلاك وتقسيم الأقاليم

وحركات الأفلاك الثمانيـة من فلك القمر إلىٰ الفلك المكوكب، من الغرب إلىٰ الشرق. و يُرىٰ هذا بالمشاهدة فى طلوع القمر . ١٠

ولهذا كان تخريج الأقاليم من الغرب إلىٰ الشرق بالمتابعة.

الفلك الأطلس وحركته، وعنده ينتهى الإدراك البشرىّ

فأما التاسع، الأطلس، فحركته من الشرق إلىٰ الغرب. وبحركته تتحرّك. كما يتحرّك راكب السفينة بحركة السفينة.

وقد تكلّمت الفلاسفة علىٰ مُقعَّر الأطلس، ولم يتكلموا علىٰ محدَّبه. وغاية ما قالوا: إنّ بعد التاسع لاخلا ولا ملا. و إلىٰهما انتهىٰ علمهم وانقطع نظرهم. والله أعلم بغيبه! ١٥

نظرية فى الكواكب الثابتة والمتحركة والبرهنة عليها

قلت: وزعموا أنّ فى الثـامن كلّ الكواكب إلّا السبعة.

قالوا : والبرهان علىٰ أنها فى الثامن ، أنّ حركاتِ هـذه الكواكب السـتة أسرعُ من حركات سائر الكواكب . والكوكب لا يتحرّك إلا بحركة فلكه . ولا يمكن أن

يكون فى التاسع لأنه سريع الحركة، يدور فى كل يوم وليلة بالتقريب دورة واحدة. فإذ لم يكن فى أحد السبعة ولا فى التاسع، لم يبق إلا أن يكون فى الثامن.

تشكك ابن سينا فى محل وجود الثوابت

علىٰ أن ٱبن سينا قد قال فى الشفاء: "لم يَبِنْ لنا بيانا واضحا أن الكواكب الثابتة فى كُرَة واحدة أو كُرَات منطوٍ بعضُها علىٰ بعضٍ، إلا بإقناعات. وعسىٰ أن يكون ذلك واضحا لغيرى". ٥

تشبيه العالَم، لتقريبه إلى الأفهام

وقد شبّه بعضهم العالَمَ، فقال: "بطيخة فى بركة ماء. فالبِزْرُ المُدُنُ، و بيوتُ البزر العمرانُ، والبطيخة مجموعُ الأرض، والمـاءُ البحرُ المحيط، ومقعَّرُ البركة الهواءُ، ودائرُها الخارج الفلكُ".

اعتراض المؤلف علىٰ هذا التشبيه

قلت: وهذا التشبيه ليس بشئ.

نظرية الشريف الإدريسىّ فى ٱستقرار الأرض فى جوف الفلك

١٠ وقال الشريف الإدريسىّ فى كتاب رُجَّار (١) (وٱسم هذا الكتاب: "نزهة المشتاق فى ٱختراق الآفاق" صنَّفه للملك رُجَّار صاحب صِقَلِّيَة، وكان فرنجيا مُحِباًّ للعلم وأهله من كل ملة). والذى قاله: "الأرض مستقِرَّةٌ فى جوف الفلك، وذلك لسرعة حركة الفلك. و جميع المخلوقات علىٰ ظهرها. والنسيمُ جاذبٌ لما فى أبدانهم من الخفّة، والأرضُ جاذبةٌ لما فى أبدانهم من الثِّقَل، بمنزلة المغنيطس الذى يجذب الحديدَ إليه. فالأرض مقسومة بقسمين، بينهما خط الٱستواء. وهو من المشرق إلىٰ المغرب. ١٥ وهذا هو طول الأرض. وهو أكبر خط فى الأرض، كما أن مِنْطَقَةَ فلك البروج أكبرُ خطٍّ فى الفلك".

(١٤)

---

(١) هو Roger وٱسمه الطليانى المنقول عنه اللفظ العربى Ruggiero.

تقديره لأبعاد الأرض على رأى الهنود، وعلى رأى هرمس

قال: "وٱستدارة الفلك فى موضع خطِّ الأستواء ثلثمائةٍ وستون درجة. والدرجة خمسة وعشرون فرسخا . والفرسخ آثنا عشر ألف ذراع . والذراع أربعةٌ وعشرون إصبعا. والإصبع ستُّ حبَّاتِ شعيرٍ، مصفوفة، ملصَقةٌ بطونُ بعضها لظهور بعض".

تكون بهذه النسبة إحاطة الأرض مائةَ ألف ألف ذراع وآثنين وثلاثين ألف ألف ذراع. وهى من الفراسخ أحد عشر ألف فرسخ. قال الشريف: "وهذا بحساب أهل الهند . وأما هرمس فإنه قدّر إحاطة الأرض، وجعل لكل جزءٍ مائة ميل. فتكون ستةً وثلاثين ألف ميل. وتكون من الفراسخ آثنى عشر ألف فرسخ".

مناقشة المؤلف هذين التقديرين

قلتُ: فالتفاوت بين الحسابين ألف فرسخ، زائدة فى حساب هرمس على حساب أهل الهند. وذلك نصف السُّدس.

تقدير الحكيم إردسْتناس

وقد زعم مَرْحان الفيلسوف أن إرَدُسْناس[(1)] الحكيم قال إنها مائتا ألف وخمسون

(١) الظاهر أن هذين الأسمين محرّفان .

فالغالب أن الأوّل هو مرقيان (Marcianus). وربما يكون بعض المترجمين الاوّلين كتبوه "مرجيان" تبعا لقاعدة التعريب التى تقضى بقلب حرف C أو G أو K إلى (ق، ك، ج) كما قالوا أَلِكْسَنْدروس فى Alexandrus (وأنظر مهارس الطبرى)، ثم حرّف النساخون "مرجيان" إلى "مرحان".

أما الأسم الثانى فكان الخطب فيه أسهل، لأنه محرف عن "إرَتُسْتَناس" [Eratosthène] ثم "إردُسْتناس" ثم "إردُسْناس". ولا غرابة فى ذلك، فإن العرب كثيرا ما يقلبون التاء دالًا كما قالوا "دُدّ" عند تعريبهم لفظة "تُت" بمعنى الصنم (وأنظر تاج العروس). وكما قالوا "زردق" و "زردك" فى تعريب لفظة فارسية هى "زرتك" ومعناها عصير العصفر. (أنظر آبن البيطار، وأنظر تكملة المعجمات العربية للعلامة دوزى)

هذا و"مرقيان" هو من جغرافيّى الروم فى القرن الرابع بعد الميلاد. وقد كتب سياحة بحرية حول الأرض (Périple du monde).

وأما الثانى وهو إرَتُسْتَناس أو إرَتُسْتَناس فقد وُلد سنة ٢٧٦ وتوفى سنة ١٩٦ قبل الميلاد . أصله من المستعمرة اليونانية التى كانت ببلاد برقة [Cyrénaïque] ثم آشتهر فى بلاط الملك بطليموس الثالث المعروف =

ألفا أشتياديوات. وأشتياديو[1] هو ثُمن ميل، عنه أربعمائة ذراع عندهم. فذلك احد وثلاثون ألف ميل ومائتا ميل وخمسون[2] ميلا.

تقدير بطليموس

وقد ذكر صاحب المَجِسْطي أنّ دَوْر كرة الأرض أربعةٌ وعشرون ألف ميل وثلاثون ميلا، وأن قطرها وعمقها سبعة آلاف ميل وستمائة ميل وثلاثون ميلا.

تقدير ابن الشاطر الدمشقي

قال فريد زمانه، علاء الدين أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن محمد الأنصاريّ، عُرف بابن الشاطِر: "الأَوْلىٰ أن يُقسم دور كرة الأرض علىٰ ثلاثة وسُبْع لأنه نسبه قطر كل دائرة إلىٰ محيطها. وهو أصحّ. وعلىٰ هذا فيكون الدور أربعةً وعشرين ألف ميل، ويكون القُطْرُ سبعةَ آلاف وستمائة وستا وثلاثين ميلا وثلث خمس مجبورا.

تقدير صاحب الكائم (١٥)

قلتُ: وذكر صاحب كتاب الكائم أن طول الأرض ظاهرا وباطنا، وبرًّا وبحرا، معمورا وغير معمور، أربعةٌ وعشرون ألف ميل. قال: "وهي التي تقطعها الشمس بين نهارها وليلها".

ما صنعه المأمون العباسيّ لتحقيق أبعاد الأرض

وذكر أبو عُبَيْد البكريّ في كتاب المسالك والممالك أن حُبَيْشًا المنجّم ذكر عن خالد بن عبد الله أنه أخذ ارتفاع القطب لعبد الله المأمون ببريّة ديار ربيعة وهي

= باسم إفرجيت [Ptolomée Evergète] مدينة الإسكندرية، لأن هذا الملك دعاه منذ سنة ٢٢٦ ق م لتولّي إدارة المكتبة النفيسة التي كانت بالاسكندرية. وبقي الرجل في هذه الوظيفة إلىٰ أن كُفّ بصره في آخر عمره، فانقطع عن الطعام حتّى وافاه الحِمام. كان عالما بالفلك والهندسة، ينظم القريض ويتعاطىٰ الفلسفة. وهو الذي قاس بمدينة أسوان محيط الأرض، برصده للشمس في بئر هناك. وقد قال إنه ٢٥٢٠٠٠ إستادة [Stade]. فيكون ابن فضل الله قد جبر الكسور.

(١) في الأصل: "اشتيادبو". وواضح أنها محرّفة عن "اشتاديو" تعريبا لكلمة Stadion اليونانية التي نقلها الفرنسيون إلىٰ Stade. ونحن في هذه الايام نقلنا عنهم اللفظ اليوناني فنقول "إستاده". "والإشتاديو" يساوي ثُمن ميل، والميل يساوي ٤٠٠ ذراع، كما قاله ابن فضل الله.

(٢) في الأصل: "وثلاثون". [وقد صححتُ الرقم علىٰ ما يقتضيه الحساب].

برية شيحان المقاربة لسَنجار. فوجد مقدار درجةٍ من الفلك ستةً وخمسين ميلا من الأرض. فضرب العدد فى ثلثمائة وستين، التى هى جملة درج الفلك بمجموعه، فانتهىٰ ذلك إلىٰ أربعة وعشرين ألف ميل ومائة ميل وستين ميلا. قال: "فهو دور كرة الأرض المحيطة بالبرّ والبحر".

استنتاج المؤلف

فقطرُها علىٰ هذا ستةُ آلاف ميل وأربعمائة ميل وأربعة وعشرون ميلا ونصف ميل ونصف عُشر ميل، بالتقريب. ٥

قال: "والمعمورُ نصفُ هذا المحيط، من خط الاستواء إلىٰ الشمال. ومنها العمران فى الشمال يؤول فى بِرِطانية[1]. فيكون ذلك تقدير الربع".

استدلال ابن الشاطر الدمشقى

قال ابن الشاطر: "إنَّ واجبَ الحساب، علىٰ ماذُكر، عشرون الف ميل ومائة وستون ميلا، و إنّ القطر يكون ستة آلاف وأربعمائة ميل وأربعة عشر ميلا ونصف ميل مجبورا". ١٠

مقدار الدرجة حسب المأمون وغيره

قلتُ: والذى حُرر فى زمن المأمون، لكل درجة، ستةٌ وخمسون ميلا وثُلثا ميل. وبعض الذين[2] حرروا ذلك رأوا أنه ستةٌ وخمسون ميلا، لاغير.

ترجيح المؤلف لنتيجة المأمون واعتماده عليها فى هذا الكتاب

ولعل الأوّل أقربُ: لأنّه قد يكون هذا الكسر أُهمِل فى القياس. وعلىٰ الأوّل الأكثرُ، وعليه عملُنا فى هذا الكتاب. وسيأتى فى ذكر سواء الطريق إيضاحه، إن شاء الله! فى مكانه. ولم نعمَل علىٰ ما حُرر للمأمون دون ما حرّره القدماءُ، إلّا لأنّه أقربُ إلينا وأشبهُ بنا. ١٥

(١) أى بريطانيا العظمى La Grande Bretagne.

(٢) فى الاصل: الذى.

الفرسخ والميل والذراع على حساب المأمون وهو المعتمد عليه فى هذا الكتاب

وكلّ فرسخ ثلاثةُ أميال، والميل أربعةُ آلاف ذراع مأمونىٍّ. فالدرجة تسعة عشر فرسخا إلا تُسع فرسخ. وهو الذى عليه عَمَل هذا الكتاب.

(١٦)

طول الفرسخ القديم وطول البريد

وأمّا علىٰ رأى القدماء، فتكون كلُّ درجة آثنين وعشرين فرسخا وتُسْعَى فرسخ.

وأمّا البريد، فكلُّ أربعة فراسخَ بريدٌ.

إختلاف الآراء فى تقدير العمران

٥ وأمّا العمران من الأرض، فقال البكرىّ: تقديرُ الرُّبع. وقد ذكرنا ماقاله آنفا. وقال آخرون: الرُّبع. وقال آخرون: الثُّلث. وقال بعضهم: إن العمران من الأرض ما بين الثُّلث إلىٰ الرُّبع، أقلّ من الثُّلث وأكثر من الرُّبع.

تحرير قطب الدين الشيرازىّ لمقدار العمران

وقال شيخنا، فريد الدهر، ووارث العلم والحكمة، شمس الدين، أبو الثناء محمود آبن أبى القاسم الأصفهانىّ، أطال الله مدّته! إنَّ العلّامة قطب الدين الشيرازىّ قال

١٠ له إنه حرّر دور المعمورة من الأرض. فكان آثنى عشر ألف ميل مجبورةً، قطرُها أربعة آلاف ميل مجبورةً، فتكون ألف فرسخ وثلثمائة فرسخ مجبورةً.

نقد آبن الشاطر لطريقة الشيرازىّ

قال آبن الشاطر: "وفى الذى ذكره الشيرازىّ ما لم يُفهم معناه. فإن كان أراد به مابين أوّل المعمور وآخره، فهو غير موافقٍ ولا يُطلق عليه محيطٌ. وإن كان أراد بالقُطر مابين خطّ الأستواء ونهاية المعمور فى جهة الشمال، فهذا لا يقال له قُطرٌ ولا يفى

١٥ المعمور بمقدار ماذكره. ولا نسبة لما ذكر أنّه ذَرْعُ القُطر إلىٰ ماذكر أنّه دور المعمورة نسبة قطر الدائرة إلىٰ محيطها". وقال: "وإذا فرضنا مبدأ العمارة خط الأستواء بخمسة عشر جزءًا إلىٰ حدود خمسين جزءًا وثلث فى الجهة الشمالية كان نسبه المعمور

إلىٰ ناقى بسط كرة الأرض تقارب الثُّمن ونصفَ السُّـدس. وإذا نسب ......[(١)] إلىٰ حدود ستة وستين جزءا كان نسـبة المعمور إلىٰ باقى ......[(١)] يقارب الربع . لأن ماوراء......[(١)] من الخراب بقارب ماقبل ......[(١)] من المعمور . ولا يكون أكثر......[(١)]"

رأى الإدريسىّ فى أسباب العمارة فيما بين القطبين

وقال الشريف : إن بين خط الآستواء وبين كل واحد من القطبين ، الجنوبىّ والشمالىّ ، تسعين درجة . وآسـتدارتُها عرضا مثـلُ ذلك . إلّا أنّ العمارة فى الأرض ٥ بعد خط الآستواء أربعٌ وستون درجة ، والباقى من الأرض خلاء ، لاعمـارة فيه ، لشـدّة البرد والجمود . والخَلْق بجملته علىٰ الرُّبع الشمالىّ من الأرض . والرُّبع الجنوبىّ الذى هو فوق خط الآستواء غير مسكون ولا معمور ، لشدّة الحرّ به ، وممرِّ الشمس (وهى أسفل فلكها) علىٰ سَمْته . فجفّت مياهه وعُدم حيوانه ونباته ، لعدم الرطوبة".

نقد المؤلف هذه النظرية ورهنه

قلتُ : وفيما ذكره الشريف فى الآنتهاء إلىٰ أربع وستين درجة فقط ، وإن كان ١٠ الصحيحَ ، نظرٌ . فإنها فى صوره لوح الرسم[(٢)] تتناهىٰ إلىٰ أكثر من ذلك ، وتستكمل من خط الآستواء إلىٰ نهاية الشمال سبعين درجة ، سوىٰ ماهو خارج عن خط الأقاليم ، جنوبا وشمالا ، علىٰ مانذكره فى مكانه . وإنمـا غالب الجنوب والشمال لاعمارة فيه : إذ لا يمكن سَكَنه .

(١٧)

ومن تأمّل وضع العالَم فى لوح الرسم ، رأى ذلك بالعِيان : خُـلُوّ ما تحت ١٥ القطبين ، الجنوبىّ والشمالىّ . والخـالى تحت الجنوبىّ أكثرُ بمـا لا يقاس . وهٰكذا فى الجغرافيا وَضعهُ .

---

(١) إنمحت الكتابة فى هذا الموضع من الأصل ، سطور المجلد على الهامش .

(٢) هو المعروف الآن بالخريطة الجغرافية .

وقد ذكر ابو عُبيد مبلَغ طول النهار في الأقاليم السبعة ، حتّى انتهى إلى الإقليم السابع . ثم قال : "وأما ما وراء هذا إلى آخر المعمور ، فإنه يبتدئ من المشرق من بلاد البُرْغَر وأرض الترك إلى اللان ، ثم يمرّ على البُرْجان والصّقالبة ، وينتهي إلى بحر المغرب ، وهو خارج عن الأقاليم السبعة" . انتهى كلام البكريّ . وسيأتي (إنْ شاء الله ٥ تعالى) مبسوطا في موضعه .

الشمال أكثر عمارة من الجنوب

وإنّما ذكرناه هنا للاستدلال على أنّ الشمال أكثرُ عمارة من الجنوب . لأنّنا وجدْنا وراء الإقليم السابع عمارةً ممتدّة . وليس كذلك فيما وراء الإقليم الأوّل . اللهمّ إلّا ما هو في قسم المشرق ، وراء خط الاستواء ، من الجزائر الممتدّة في البحر ، آخذةً إلى المحيط ، أو ما هو في حكمها بالصين .

١٠ فأمّا قسم المغرب ، فإنّا لم نجد وراء الأوّل فيما يأخذ إلى جهة الجنوب عَرضًا ، وإلى البحر المحيط في نهاية المغرب طولاً ، عمارةً ، بل ولا على خطه المستقيم ، بل ولا وجدْنا العمارة به إلّا ما هو داخلُ خطِّ الإقليم الأوّل إلى الإقليم الثاني .

وسنذكر ما وجدْناه من العمارة في كلّ منهما على ما نبيّنه .

العمارة في الجنوب بقسم المشرق (جزائر البحر الهندى وبلاد الصين) (١٨)

فأمّا ما وقع من العمارة في قسم المشرق ، من وراء خط الاستواء الذى هو أوّل ١٥ الإقليم الأوّل ، فنقول : إنّ صاحب الجغرافيا صوّر ، فيما هو خارج عن خط الاستواء من مركز دائرة الأرض المسماة عند أهل هذا الشأن قبّة أرِينَ ، جُزُرا عامرة مسكونة في البحر الهنديّ ، من وراء سَرَنْديب في الجنوب ، وهي متصلة بها . وتقدير هذه الجُزُر في العرض ، عرضُ إقليم واحد ونصف إقليم تقريبا ، خلف الإقليم الأوّل ، زائدا على الأقاليم السبعة في جنوب القسم الشرقيّ . وعرضُ هذا المقدّر بإقليم واحد

ونصف إقليم من حيثُ يأخذ من قبّــة أَرِينَ علىٰ خط الاســتواء العرضىّ جنوبا محضا، ثلاثةُ أقسام: كل قسم مقدّر بنصف إقليم.

عرضُ أولهــا، وهو المــارّ مع خط الاستواء فى خارجه ممتدّا علىٰ جانب الإقليم الأوّل فى غالب النصف الشرقىّ من قُبَّة أرِينَ إلىٰ جزيرة الجوهر فى البحر المحيط، خمسُ درجات. وقد عَلَّم عليه فى لوح الرسم ه . ٥

وعرض ثانيها، وهو الذى يليه، عشرُ درجات، لآرتفاع رأس الحَمَل والميزان. وقد عَلَّم عليه فى لوح الرسم ى .

وعرض ثالثها، وهو الذى يليه، خمسَ عشرةَ درجة. وقد عَلَّم عليه فى لوح الرسم يه .

وذَكَر بها من الجُزُر العامرة: فلاى؛ وجزيرة القَمَر، وذكر أنّ طولها أربعة أشهر؛ ومنها سَرَنْدِيب، داخلَ خط الاستواء فى الإقليم الأوّل مماسَّةً له حيث هو من الطول من قُبَّة أرِينَ مائةٌ(1) وخمس وستون درجة. وقد عَلَّم عليه فى لوح الرسم قسه . ١٠

كلُّ ذلك بحساب الجُمَّل.

وذَكَر فى هذه الجزيرة، ممّـا هو وراء خط الاستواء، مدنا. منها: حمران؛ ودهمى؛ ودافور؛ وديمى؛ وعمـا؛ ونحزلانى؛ وتمكاد؛ ومريانا؛ وتيــاو؛ وموضع قدم آدم، عليــه السلام (جنوبىّ سَرَنْدِيب، من وراء خط الاســتواء)؛ وفزدرّا؛ وسونيه؛ وكبامًا؛ وعيمى؛ ومحلاى؛ وملاى؛ وسمردى، يليهما جبل الذهب والحديد، قال إنهما به كبر؛ وأنونا؛ ومعلا؛ وقنصورا؛ واسفيل. ثم جزيرة تعرف بالموجة، أمّ جزائر الصين. ثم جزيرة القشمير. ثم جزائر الواق واق؛ وجزيرة الدجّال إلىٰ جزيرة الجوهر، فى البحر المحيط. ١٥ (١٩)

(1) فى الأصل فكه والحساب يأباه. ٢٠

وصوّر، فى البرّ المتّصل من جهة الصين ، برزخًا بين البحرين الهندىّ ، حيث انعطف شرقىّ جزيرة الموجة أمّ جزائر الصين إلى الشمال ، و بين البحر المحيط . وذلك البرزخ من ثلاثة أبحر : فى الشرق ، المحيط ؛ وفى الجوف البحر الهندىّ حيث خرج ؛ و فى الغرب ، حيث انعطف . و بقى الشمال مكشوفا ، متّصلٌ به هذا البرزخ بالصين .
٥ وذَكَر فيه عدّةً من المدن .

وأوّل مانبدأ بما تغلغل إلى الجوب ، بعيدا عن خط الاستواء ، حيث هو من الطول فى الجغرافيا مائةٌ وخمس وستون درجة وقد علّم عليه فى لوح الرسم قسه ومائةٌ وسبعون درجة وقد علّم عليه فى لوح الرسم قع .

وأوّلها مدينة حميسه ، ومدينة قيطفون ، ومدينة شرما ، ومدينة سرسه ، ومدينة قلا ،
١٠ ومدينة خانفُو (وهى الخنسا على فُرْضة من البحر الهندىّ خرجت هناك فى الصين ولم تمتدّ) مسامتة لجزيرة الياقوت فى المحيط . وقد سمّاها الشريف بجزيرة بسياره . وليست فى لوح الرسم بجزيرة ، ولكن كالجزيرة .

كلٌّ هذا خارج عن خط الاستواء .

(٢٠) عدم العمارة فى الجنوب من جهة الغرب

وما وراء خط الاستواء (فى القسم الغربىّ من قُبّة أرِينَ إلى البحر المحيط الغربىّ ،
١٥ مسامتٌ الجزائرَ الخالدات ، فى جميع العرض إلى منتهى الجنوب) لا حظٌّ له فى العمارة .

العمارة وراء الإقليم السابع

وأما ماوقع من العمارة وراء الإقليم السابع (ممّا ليس فى حساب السبعة الأقاليم ، وهو الذى أشار إليه أبو عُبَيْد ، حين ذكر مبلغ طول النهار فى الأقاليم السبعة ، وقد نبهنا عليه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى مبسوطا فى موضعه ، وتقديره فى العرض نصف

إقليم، ممتدًا على جانب الإقليم السابع من اوّل المشرق إلى نهاية المغرب، وسكانه على ما نبيّنه) فأوّله من جهة الشرق قطعةٌ معمورة بيأجوج ومأجوج، فيما هو داخلٌ السدّ، وبلاد سيسبان (وهى آخذةٌ عرضا من هذا الجزء المقدّر بنصف إقليم وراء الإقليم السابع حتّى تقطعه، ثم تقطع الإقليم السابع جميعه، ثم بعض السادس)؛

بلاد الروسية والبحر

٥ وبلادالروسيّة الثانية (وكلّها خارجة عن الإقليم السابع فى الجزء الذى يليه)، وبلاد أنكرية فى هذا الجزء، داخلةً إلى الإقليم السابع.

وعرض هذا الجزء خمسٌ وسبعون درجة. وقد علّم عليه فى لوح الرسم عه .

وفى بلوغ العمارة هذا الحدّ وتجاوز اربع وستين درجةً، نظرٌ.

قالوا: فأمّا الروسيّة، فعامرة آهلة. وكذلك الأنكرية. وأما بلاد سيسبان، فقد

١٠ كانت عامرة آهلة مسكونة، ثم خَربت من قديم، لإغارات يأجوج ومأجوج عليهم.

نيل السودان المعروف الآن بنهر النيجر

ومن تأمّل لوح الرسم، رأى ذلك مُمثّلا لعينه فى الإقليم السابع، ورأى خط الإقليم الأوّل خاليا فى القسم الغربىّ، والمعمورَ من داخله على فرقتَى النيل: الفِرقة الآخذه على بلاد السودان من الشرق إلى الغرب حتّى يصب فى البحر المحيط، والفِرقة

نيل مصر

الآخذة على عربىّ الحَبَشة إلى شرقىّ النُّوبَة إلى مصر حتّى يصبَّ فى البحر الشامىّ.

(٢١)

السبب فى عمارة ماوراء خط الاستواء من القسم الشرقىّ، وعدمها فى القسم العربىّ

١٥ فعلِمنا أن سبب عمارة ماوراء خط الاستواء من الجُزُر فى القسم الشرقىّ، وما هو فى حكمها، لاكتناف البحر الهندىّ لها، فرطّب هواءها، وأنبط ماءها، وأزال جفاف أرضها. فنبت بها النبات، وسكن الحيوان. ولم يقع فى قَسم القِسم العربىّ، وراء خط الاستواء، بحرٌ يؤثّر فيه هذا التأثير. فبقى على كيفيّة طبعه من اليُبْس والجفاف، لا يُمكن به نباتُ نباتٍ ولا حياة حيوان.

سبب العمارة فيما وراء الإقليم السابع

ووجدنا ما هو وراء خط الإقليم السابع، قد أمكنت عمارته بالنبات والحيوان بكيفيّة طبعه، لا بسبب آخر من خارج.

لماذا كان الشمال أعمر من الجنوب

فظهر حينئذ أنّ الشمالَ أوفقُ لِمزاج الحيوان. فكان أعمرَ من الجنوب، لشدّة حر الجنوب علىٰ ما بيّناه . وهو موافق لرأى الشريف.

رأى الإدريسى فى ذلك

٥ قال الشريف : " لا يكون الحيوان والنبات أبدا، إلّا حيث تكون المياه والرطوبات".

رأى البكرى الاندلسىّ

وقال البكرىّ : "وركّب الله علىٰ الأرض جِرمَ الشمس. لعلمه بالحكمة التى ينبغى أن يكون عليها تركيبُ العالَم فى فلك أخرج مركزَه عن مركز الأرض بدرجتين ونصف من دَرَج فلك البروج . فلذلك آختلفت حركة الشمس . فمحا مِزاجَ جوهرِ الهواءِ ١٠ المحيط بالناحية الجنوبيّـه ، فكان الجزءُ المعمورُ فى الناحية الشماليّـة . إذ كان كلّ حيوان، بطبعه، أحمل للبرد منه للحرّ . ألا ترىٰ أنه يتولّد فى المـاء من الحيوان ما لا يُحصىٰ كثرةً ، وكذلك من النبات، ولا يكون فى النار منه شئٌ، إلّا الشاذُّ النادر. إن صح ذلك فيه . كما زعموا أنه يتكوّن فى أفران الزجّاجين ضربٌ من سامّ أبرصَ، وقد سماه أرسطو بالسُّرْفُوت وهى حُمْر الألوان، إذا خرجت عن النار، هلكتْ.

(٣٣)

١٥ فوجب لهذه العلّة أنْ يكون آسم الأقاليم السبعة وتحديدها فى الجزء الشمالىّ من الأرض، كما ترىٰ فى لوح الدائرة[1] .

جملة المعمور علىٰ رأى بطليموس والشيرازىّ، وتوفيق المؤلف بينهما

وقد ذكر صاحب جغرافيا أنّ جملة المعمورة أربعة آلاف ميل وخمسمائة ميل وثلاثون ميلا . وهـذا أزيد مما حرّره الشـيرازىّ بخمسمائة ميل وثلاثين ميلا . ولعلّ

(١) لوح الدائرة هو الخريطة الجامعة التى نسميها الآن مابموند تعريبا للفظة فرنسية Mappemonde .

هذه الزيادة هي بمعمور ما هو وراء خط الاستواء في القسم الشرقي ؛ وما هو خارج الإقليم السابع مارٌّ معه . فإنّ الشيرازيّ، والله أعلم، لم يحرّر إلّا معمور الأقاليم السبعة خاصّةً، وصاحبُ جغرافيا ذكر المعمور كلّه . فكان هذا التفاوت كلُّه .

احتراز المؤلف

قلتُ : ولا أدّعي أنّ ما هو خارج عن الإقليم السابع متوغِّلٌ في الشمال، خارجٌ خروجا مباينا كلّيًّا . ولكنّه خروجٌ مماسٌّ مجاورٌ، حُكمُه حُكمُ ما هو على الخط . إذ لو كان خروجا مباينا، لكان إقليما ثامنا، وليس كذلك . إذ لا يمكن وجود نبات ولا حيوان لإفراط البرد والجمود، كما لا يمكن لإفراط الحرّ واليُبْس .

تشبيه الأرض بجسد آدميّ

والحكماء تشبِّه الأرض بجسد آدميّ : التراب لحمُه، والمياهُ دمُه، والحجارةُ عظمُه، والرياحُ أنفاسُه، والبخاراتُ فَضَلاتُه، ورأسُه الصينُ، ووجهُه الهندُ، وجيدُه ما وراءَ النهرِ، وصدرُه خُراسانُ وما يليها، وقلبُه العِراقُ، ويداه الجنوبُ والشمالُ، وبطنُه الشامُ، وسُرّتُه جزيرةُ العرب، وعَجُزاه مِصرُ والقُسطنطينيّةُ، وفَخِذاه إفريقيّةُ وروميّةُ، ورِجْلاه برُّ العِدْوَة والأندَلُسُ .

عدم رضا المؤلف بهذا التشبيه

وليس هذا التشبيه بشيء .

الأرض غير صادقة الاستدارة

قال الشريف : "ومع كون الأرض كرةً، هي غير صادقة الاستدارة . منها منخفض ومرتفع . ولهذا قيل فيما انكشف إنّه تضاريس . والبحر محيط بنصف الأرض إحاطةً متّصلة، دائرٌ بها كالمِنطَقة . لا يظهر منها إلّا نصفها، وهو ما دارت عليه الشمس في قوس النهار . مثل بيضة مُغرَّقة في ماء انكشف منها ما انكشف، وانغمر ما انغمر ."

(٢٣)

وقد تقدّم هذا التمثيل .

تخيل علماء الاسلام لوجود أمريكا قبل اكتشافها بقرن ونصف

وقال شيخنا، فريد الدهر، أبو الثناء محمود بن أبى القاسم الأَصفهانى، أمتع الله به!
" لا أمنعُ أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا،
منكشفا من الجهة الأخرى . وإذا لم أمنع أن يكون منكشفا من تلك
الجهة، لا أمنعُ أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ماعندنا،
٥ أو من أنواع وأجناس أخرى[(١)] ".

والذى ظهر لنا من ذلك عقلًا ونقلًا، ذكرناه. وبالله التوفيق!

---

(١) للاصفهانىّ (وهو بمصر) فضل السبق على كرستوف كولومب (وهو بالأندلس) لأنه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن . وللاصفهانىّ فضلٌ أكبر على مكتشف أمريكا : لأنه تخيَّل وجودها بقوّة الفطنة والاستدلال، وأمّا كولومب فتخيّل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب. توفى أبو الثناء
١٠ فى سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨م). وأما كولومب فقد اجتهد فى إقناع فرديناند و إيزابلا صاحبى الأندلس بصدق نظريته فى سنة ١٤٩٢ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ).

الفصـــل الثانى

فى أسمـاء الأرض وصـــفاتها

أسماء الأرض وصفتها من حيث الطبيعة

قال الثعالبىّ، فى فقه اللغة :

" إذا آتسعت الأرض، ولم يتخلّلها شجرٌ أو خَمَر، فهى الفضاء، والبَرَاز، والبَرَاح، ثم الصحْراء، والعَرَاء، ثم الرَّهاء والجَهْراء.

فإذا كانت مستوية مع الآتّساع، فهى : الخَبْت، والجَـدَد، ثم الصَّحْصَح، والصَّرْدَح، ثم الفاع، والقرقر، ثم القَرِق[1]، والصَّفْصَف.

فإذا كانت مع الآستواء والآتّساع، بعيدَة الأكناف والأطراف، فهى، السَّهب والخَرْق[2]، ثم السَّبْسَب والسَّمْلَق[3].

فإذا كانت مع الآتّساع والآستواء، والبُعد، لا ماءَ فيها، فهى : الفَلاَة والمَهْمَه، ثم التَّنُوفَة والقِيعاء، ثم النَّفْنَف والصَّرْمَاء.

فإذا كانت مع هذه الصفات، لا يُهتدىَ فيها لطريقٍ، فهى : النَّهْمَاء.

فإذا كانت تُضلّ سالكها، فهى : المُضِلَّة، والمَتِيهَة[4].

---

(١) أورد اليسوعيون هـذا اللفظ بالفاء فى آخره فى طبعتهم هذا الكتاب (ص ٢٩١) وعبارة القاموس (فى مادة قرق) تؤيد رواية آبن فضل الله. وهو بفتح الراء وكسرها.

(٢) أورد آبن فضل الله هـذه اللفظة بالحاء المهملة. وصوابها بالخاء المعجمة كما فى طبعة اليسوعيين وكما يشهد به القاموس.

(٣) فى طبعة اليسوعيين : والمَلق بعد السملق.

(٤) المتيهة كمعيشة وتضم الميم مع كسر التاء، وتفتح الميم مع فتح الياء. وقد آختار المؤلف القول الاول واختار اليسوعيون القول الثانى.

فإذا لم يكن بها أعلامٌ ولا معالِمُ[1]، فهي : المَجْهَل، والهَوْجَل.

(٢٤)

فإذا لم يكن بها أثرٌ، فهي : الغُفْل.

فإذا كانت قَفْراء، فهي : القِيّ،

فإذا كانت تُبِيد سالكَها، فهي : البَيْدَاء. (والمفازة كناية عنها).

٥ فإذا لم يكن بها شيءٌ من النبْت، فهي : المَرْت والمَليع.

فإذا لم يكن فيها شيءٌ، فهي : المَرات[2] والسُّبْرُوت والبَلْقَع.

فإذا كانت الأرض غليظة صُلْبة، فهي : الجَبُوب، ثم الجَلَد، ثم العَزاز، ثم الصَّيداء، ثم الجُدْجُد[3].

فإذا كانت صُلْبة[4] يابسة من غير حصًى، فهي : الكَلَد، ثم الجَعْجاع.

١٠ فإذا كانت غليظة ذات حجارة ورمل، فهي : البُرقة، والأَبْرَق.

فإذا كانت ذات حصًى، فهي : المَحْصاة[5] والمَحْصِيَة[6].

(١) في طبعة اليسوعيين لها أعلام ومعالم.

(٢) هكذا في الأصل . والذي في طبعة اليسوعيين : "المَرَوْرَاة". وهي الصحيحة وقد أوردها في القاموس : في مادة (م ر و).

١٥ (٣) في الأصل : الجدجد (بمهملتين). ولعل الإهمال إهمال من الناسخ.

(٤) في طبعة اليسوعيين بفتح الصاد. وهو غلط مطبعيّ.

(٥) في طبعة اليسوعيين : "المُحَصَّاة" والقاموس يؤيّد الضبط الذي اختاره ابن فضل الله.

(٦) في طبعة اليسوعيين : "المُحَصَّبة". والأرجح أن تكون الكلمة بالياء لأن الاشتقاق من الحصى. وإذا اخترنا الباء بدل الياء وجب أن نقول المَحْصَبة كما في القاموس.

فإذا كانت كثيرة الحصى، فهى : الأمْعز والمَعْزاء.

وإذا آشتملت عليها كلّها حجارة سُودٌ، فهى : آلحَرّة واللّابَة.

فإذا كانت ذات حجارة كأنّها السكاكين، فهى : الحَزيز[1].

فإذا كانت الأرض مطمئِنّة، فهى : الجَوْف، والغائط، ثم الهَجْل، والهَضْم[2].

فإذا كانت مرتفعة، فهى : النَّجْد والنَّشْز.

فإذا جمعت الأرض الآرتفـاع والصـلابة والغِلَظ، فهى : المَتْن، والصَّمْد، ثم القُفّ، والفَدْفَد، والقَرْقَر[3].

فإذا كان آرتفاعها مع[4] آتّساع، فهى : اليَفَاع.

فإذا كان طولهـا فى السماء مثلَ البيت وعرضُ ظهرها نحو عشرةِ أذرع، فهى : التل، وأطول وأعرض منها : الرَّبْوَة، والرابيـة، والأكَمـة، ثم الزَّبْيَـة وهى التى

---

(١) لم أجد فى القـاموس معنًى للحزيز ولعل آشتقاقه من الحز أى القطع، بدلالة وجود الحجارة التى كالسكاكين. وقد وردت هذه اللفظة فى طبعة اليسوعيين بالحاء المهملة. ومعنى الحزيز كما فى القاموس، المكان الغليظ المنقاد. وهو لا يدلّ على المراد هنا. فليحرر.

(٢) فى الأصـل بالصاد المهملة. وصوابه بالضاد المعجمة كما فى القاموس. وقد ورد على صحته فى طبعة اليسوعيين.

(٣) فى طبعة اليسوعيين : القَرْدَد. وكلا اللفظين لا يدلّ بطريق الحصر على المعنى الذى أراده الثعالبىّ. قال فى القـاموس : "القردد ما آرتفع من الأرض". وقال : "القرقر الأرض المطمئنة الليّنة . . . . والقاع الأملس".

(٤) فى الاصل من.

لا يعلوها الماء .(وبها ضرب المثل، في قولهم : بلغ السيل الزُّبىٰ)[1] ؛ ثم النَّجْوَة (وهي المكان الذي تظنّ أنّه نجا بك)[2] ؛ ثم الصَّمّان ،(وهي الأرض الغليظة دون الجبل) .

فإذا ٱرتفعت عن موضع السيل وٱنحدرت عن غِلَظ الجبل، فهي : الخَيْف .

فإذا كانت الأرض ليِّنة، سَهْلة، من غير رمل، فهي : الرَّقاق (والبَرْث)[3] ؛ ثم المَيْثاء والدَّمِثة[4] .

فإذا كانت طيِّبة التُّربة، كريمة المنبِت، بعيدةَ الأحساء والنزوز، فهي : العَذاة[5] .

فإذا كانت مَخِيلَةَ النبت والخير[6]، فهي : الأرِيضة .

فإذا كانت طاهرةً، لاشجرَ فيها ولا شئ يخلط بها، فهي : القَرَاح، والقِرْواح .

فإذا كانت مهيّأةً للزراعة، فهي : الحَقْل، والمَشارَة، والدَّبْرَة .

[فإذا لم تُهَيَّأ للزراعة، فهي : بُورٌ][7] .

(١) جملة وبها ضرب الخ وردت هنا . ولم ترد في طبعة اليسوعيين .

(٢) في طبعة اليسوعيين : بحاؤك . ونجا مقصور لامهموز . ورواية آس فصل الله أوجه .

(٣) وردت في طبعة اليسوعيين بالتاء المثناة . ورواية آس فصل الله أفصل ويؤيدها القاموس . وإذا كان اللفظ بالتاء فالذي ورد منه هو البريت على وزن سكيت بمعنىٰ المستوى من الأرض . ولم يرد لفظ البرت في القاموس . وعلىٰ كل حال فمادة ب ر ت لاتعلق لها بالمعنىٰ الذي قصده الثعالبي .

(٤) في طبعة اليسوعيين : الدَّمْثة .

(٥) « « : بعيدة عن الإحساء .

(٦) « « : مخيلة للنبت .

(٧) الزيادة من طبعة اليسوعيين .

فإذا لم يكن يصيبها المطر فهى[1] : الفَـلّ والجُرُز[2].

فإذا كانت غير ممطورة، وهى بين أرضَيْن ممطورتين، فهى : الخَطِيطَة .

فإذا كانت ذات ندًى ووَخامة، فهى : الغمِقَةُ .

فإذا كانت ذات سباخ، فهى : السَّبَخَة[3].

فإذا كانت ذات وباء، فهى : الوَبِيئة والوبِئَـة [علىٰ مثال فَعِيلة وفَعِلة][4].   ٥

فإذا كانت كثيرة الشَّجَر، فهى : الشَّجْراء والشَّجِرة .

فإذا كانت ذات حَيّات، فهى : المُحَوّاة[5].

فإذا كانت ذات سباع أو ذئاب، فهى : المُسبِعة والمُذْئِبَة[6].

---

(١) فى طبعة اليسوعيين : فإذا لم يصبها المطر.

(٢) فى الأصل : الجراز. ولم يرد فى القـاموس سوىٰ : جُرُز وجُرْز وجَرْز وجَرَز ومجروزة للأرض لم يصبها مطر والجمع أجراز . ولو قال ابن فضل الله أجراز لصح .   ١٠

(٣) فى الاصل : السلخة .

(٤) الزيادة فى طبعة اليسوعيين .

(٥) هكذا ضبطه فى طبعة اليسوعيين .

(٦) وضبطه فى طبعة اليسوعيين : المَسْبَعَة والمَذْأَبَة . والذى ضبطه ابن فضل الله أوجه .   ١٥

الفصل الثالث

في أسماء التراب وصفاته

أسماء التراب وصفاته من حيث اللغة

تراب وجه الأرض يقال له البَوْغَاء.

والدَّقْعاء، التراب الرِّخْو الرقيق الذى كأنه ذَرِيرةٌ.

٥ الثرىٰ، التراب النَّدِىّ [وهو كل تراب لايصير طينا لازما إذا بُلّ] (١).

المور، التراب الذى تمور به الريح.

الهَبَاء، التراب الذى تُطيِّره الريح، فتراه علىٰ وجوه الناس وجلودهم وثيابهم.

[يلزق لزوقا (عن ابن شُمَيْل)] (١).

[الهابى، الذى دقّ وارتفع (عن الكسائىّ)] (١).

١٠ السافِياء، التراب الذى يذهب فى الأرض مع الريح.

النَّبِيثَة، التراب الذى يخرج من البئر عند حفرها.

الراهِطاء والدَّامَّاء، التراب الذى يُخرجه اليَربوع من جحره ويَجْمَعه.

الجُرثومة، التراب الذى تجمعه النمل عند قَرْيتها.

العَفاءُ، التراب الذى يُعَفِّى الآثار. وكذلك العفر.

١٥ الرَّغام، التراب المختلط بالرمل (٢).

---

(١) الزيادة من طبعة اليسوعيين.

(٢) من أوّل الفصل إلىٰ هنا منقول عن الفصل الرابع من الباب ٤٦ من فقه اللغة.

السِّماد، التراب الذى يُسَمَّد به النبات . فإذا كان مع السِّرقين، فهو الدَّمال.

وإذا كان الطين حُرًّا يابسا، فهو : الصَّلْصال.

(٢٦)

فإذا كان مطبوخا، فهو: الفَخَّار.

وإذا كان عَلِكا لاصقًا، فهو: اللَّازِبُ.

فإذا غيّره الماء وأفسده، فهو: الحَمَأ. ٥

(وقد نطق القرآن بهذه الأسماء الأربعة.)

فإذا كان رَطْبا، فهو: الثَّأْطة والثُّرْمُطَة [والطَّثْرَة] [1].

وإذا كان رقيقا، فهو: الرِّدَاغ.

فإذا كان تَرْتَطِم فيه الدوابّ [2]، فهو : الوَحْل . وأشدّ منه، الرَّدَغة والرَّزَغة وأشدّ منهما [3] الوَرْطة : تقع فيها الغَنَم فلا تَقْدِر علىٰ التخلُّص منها. (ثم صارت مثلا لكل شدّة يقع فيها الإنسان). ١٠

فإذا كان حُرًّا طَيِّبا عَلِكا، وفيه خُضرة، فهو [4] : الغَضْراء.

فإذا كان مخلوطا بالتبن، فهو : السَّيَاع.

فإذا جعل بين اللَّبِن، فهو : المِلَاط [5].

(١) الزيادة من طبعة اليسوعيين. ١٥

(٢) أورد اليسوعيون هاتين الكلمتين بسكون الدال فى الأولىٰ (وهو جائز) وبسكون الزاى فى الثانية ولم يقل به القاموس فإنه نص فقط علىٰ الفتحتين فى (ر ز ع).

(٣) فى الأصل : منها . وقد اخترنا رواية اليسوعيين لأنها أصوب.

(٤) فى طبعة اليسوعيين : "وهى" . ولعلها سبق قلم.

(٥) من أوّل هذه الصفحة إلىٰ هنا منقول عن الفصل السادس من الباب ٢٦ من فقه اللغة. ٢٠

الفصل الرابع [1]

في اسماء الغبار وصفاته

أسماء الغبار وصفاته من حيث اللغة

النَّقع والعَكُوب، الغبار الذي يثور من حوافر الخَيْل وأخفاف الإبل.

العَجاجَة [2]، الغُبار الذي تثيره الريح.

الرَّهَج والقَسْطَل، غُبار الحرب.

الخَيْضَعَة، غبار المعركة.

العِثْيَر، غبار الأقدام.

المَنِين، ما تقطّع منه.

(١) هذا الفصل منقول عن الفصل الخامس من الباب ٢٦ من فقه اللغة.

(٢) في طبعة اليسوعيين العجاج.

الفصل الخامس

فى أسماء الرمال وصفاتها

(ما آسترقّ)[1] من الرمل، يقال له : العدّاب[2].

الحَبْل، ما آستطال[3] منه.

اللَّبَب، ما آنحدر منه.

الحِقْف، ما آعْوَجّ منه.

الدِّعْص، ما آستدار منه.

العَقَدَة، ما تعقّد منه.

العَقَنْقَل، ما تراكم [وتراكب][4] منه.

السِّقْط، ما جَعَل ينقطع ويتّصل منه.

التُّهْمُورَة، ما أشرف منه.

التَّيْهور[5]، ما آطمأنّ منه.

الشَّقِيقة، ما آنقطع وغَلُظ منه.

(١) فى الأصل : ما آستطال. والذى نقلناه عن فقه اللغة يؤيده القاموس.

(٢) فى الأصل : العذاب، وهو غلط.

(٣) فى طبعة اليسوعيين : آستدقّ. والقاموس يؤيد رواية أصل الله.

(٤) الزيادة من طبعة اليسوعيين.

(٥) جارينا طبعة اليسوعيين وإن كان التيهور معناه ما آنهار من الرمل وما آطمأن من الارض والذى فى الأصل التهيورة.

الكَثِيب[1] والنَّقا، ما احدَوْدَب وانهال منه.

العاقِر، مالا يُنبت شيئًا منه.

الهِدَمْلة[2]، ما كثر شجره منه.

الأَوْعس، ما سهُل ولَانَ منه.

٥ الرِّعام، مالان منه، وليس بالذى يسيل من اليَد.

الهَيَام، مالا يُمسك أن يُمسك منه باليد، للينه[3].

الدَّكادك[4]، ما التَبَد بالأرض منه.

العانِك، ما تعقّد منه، حتى لا تقدر البعير على المسير فيه[5].

والكثير من الرمل، يقال له: العَقَنْقَل.

١٠ فإذا نَقَص، فهو: كثيب.

فإذا نقص منه[6]، فهو: عَوْكل.



فإذا نقص منه[6]، فهو: سِقْط.

(١) فى الاصل: الكثيف. وهى سبق قلم.

(٢) فى طبعة اليسوعيين: الهَرَمَلة. وهو غلط.

١٥ (٣) فى طبعة اليسوعيين أى يسيل من اليد للينه. وهو تحريف ظاهر، و رواية ابن فضل الله متماسكة مع كل ماقبلها، ولذلك كانت أحسن سكا.

(٤) اختار ابن فضل الله صيغة الجمع. والذى فى طبعة اليسوعيين. الدكداك بصيغة المفرد (انظر القاموس).

(٥) إلى هنا منقول عن الفصل التاسع من الباب ٢٦ من فقه اللغة.

(٦) فى طبعة اليسوعيين: منه.

فإذا نقص منه[1]، فهو: عَدَاب[2]؛

فإذا نقص منه[1]، فهو: لَبَب[3].

وقال صاحب الغريب: "إذا كانت الرملة مجتمعة، فهى: العَوْكَلَة؛ فإذا آنبسطت وطالت، فهى: الكثيب؛ فإذا آنتقل الكثيب من موضـع إلىٰ آخر بالرياح، وبقى منه شئ رقيق، فهو: اللَّبَب؛ فإن نقص، فهو: العَدَاب[2]." ٥

والله أعلم.

---

(١) فى طبعة اليسوعيين: عنه.

(٢) فى الأصل بالذال المعجمة وهو خطأ.

(٣) الىٰ هنا منقول عن الفصل العاشر من الباب المذكور.

الفصـــل السادس

في أحوال الأرض

هذا فصل قصـدنا إفراده، لنزيده وضوحا، ونسد كره جملة وتفصيلا. ونستطرد في ذلك ذكر الجبال، والأنهار، والبحيرات، والمساجد الثلاثة، وما ينـدرج معها،
٥ وذكر جُمَل من الآثار القديمة.

فنقول، وبالله التوفيق:

الارتباط بين الكائنات الحية وبين الأرض

إنّه لمّا كانت الأرض وما عليهـا من المركبات من الطبائع الأربع، وهي: التراب، والمـاء، والنار، والهواء، نظرنا إلى تلك المركبات، فوجدنا ماغلب عليـه عنصر الهواء (كالطير) فكان في الهواء مقرّه، وما غلب عليه عنصر المـاء (كالسمك) فكان
١٠ في المـاء مقرّه. ووجدنا الطير، وإنْ طلب مركزه المركّب منـه أكثرُ أجزائه وهو الهواء، والسمَكَ وإنْ طلب مركزه المركّب منه أكثر أجزائه وهو الماء، لم نجد واحدًا منهما ولا شيئًا من الحيوان مطلقا يطلب النار ويُمـاسّها[(١)]، إلّا السَّمَنْدَر وهو نادر. ووجدناه يطلب الأرض ويُمَاسّها كالطير إذا حطّ إلى الأرض، والحوتِ إذا أوى بيته. فعلِمْنا حينئذٍ أنّهما من لوازم الأرض.

تمام ارتباط الإنسان بالأرض

(٢٨)

١٥ فبالأَوْلى أن يكون من لوازمها، ماغلب على عنصره الترابُ، كالإنسان. ويدلّ على هـذا قوله تعالى: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى".

(١) في الاصل: ولا يماسها. والظاهر أن زيادة (لا) سبق قلم.

فغلّب حكمها علىٰ بقيّة العناصر، فى خلق الإنسان، فقال: " مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ " إشارة إلىٰ التراب، وجعلها البداية والنهاية، قال: " مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وفِيهَا نُعِيدُكُمْ ". ثُمَّ أكّد لها التغليب علىٰ بقيّة العناصر الثلاثة التى لاتقوم المركّبات إلّا بها، بقوله: " وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرَى " . فجعل منها النشأة الأُولىٰ فى أوّل الخلق، والثانية فى المعاد، وما بينهما، وهو : الموت. ٥

السمندر والنار — فإن اعترض معترضٌ بالسمندر وأنه يأوى النار، قلنا : هذا شاذٌّ نادر. والشاذُّ النادر لا حُكْمَ له.

الأرض أمّ البشر — وإذ قد ثبت أنّ التراب فى تركيب الإنسان أكثر، علمنا أنها مركزه: منها الميلاد، وإليها المَعَاد.

١٠ فعلمنا ضرورةً أنّ الأرض أمُّ البشر، اخرجهم من بطونها، فكانوا كالولدان لها. وقوتُ المولود، ثدىُ الأُمِّ، وهو : ما أخرجَتْ لنا من نباتها.

فعُلِم حينئذٍ أنّ نوع الإنسان من لوازمها، يطلب مركزه منها : لما فيه من ثِقَل المركب بها. ألا ترىٰ أن النار ولو عكست، أبَتْ إلّا طلب العُلُوّ: تطلب مركزها؛ والقربة المنفوخة التى قُسِرتْ بقاسِرٍ إذا أُطلِقت، طَلَبَ الهواءُ المملوءة به العلوَّ: تطلب مركزه. والماءَ لايجرى إلّا من العالى إلىٰ المنخفض من الأرض يطلب مركزه. وكذلك التراب، حيثُ رميتَ به الجوّ، ينحطُّ إلىٰ الأرض: يطلب مركزه. ١٥

فهٰكذا الإنسان : لا يطلب إلّا مركزه، وهو التراب : إذ كان أكثر أجزائه من التراب: وإلىٰ هذا أشار الشريف بقوله: "والنسيم جاذبٌ لِمَا فى أبدانهم من الخفّة، والأرض جاذبةٌ لِمَا فى أبدانهم من الثِّقَل". وقد ذكرناه آنفا .

(٣٩) ولهذا لم يُقدِّروا فى المركّبات وجودَ الاعتدال الكامل المتساوى فى أجزاء التركيب: إذ لو كانت كذلك، لجذبتها العناصرُ الأربعة، جذبا متساويا. فلم يكن له مركزٌ خاصٌّ. وذلك محالٌ.

قلة النار فى الحيوان، ولماذا كانت العذاب الموعود به

وأقلُّ أجزاء العناصر فى الحيوان غالبا، النار. ثم يتفاوت الحيوان فى ذلك. ولهذا لا تقوىٰ [الحيوانات] علىٰ النار قُوَّتَها علىٰ الماء والتراب والهواء. ثُمَّ بتفاوتِ الحيوان فى ذلك، مَالَ كُلٌّ إلىٰ ما غلب علىٰ تركيبه. ولا يهاب الحيوان شيئًا يقتحمه، كما يهاب اقتحام النار. ولهذا كانت النارُ العذابَ الموعودَ به: لمنافرة ما بينها وبين الحيوان، لقِلَّة موجودها به فى جزء التركيب، كما أشرنا إليه. والله يفعل ما يشاء لا رادّ لأمره، ولا مُعَقِّب لحكمه.

الإنسان أرضىٌّ ترابىٌّ، وأسباب معاشه من الأرض

فلمّا كان الإنسان، بما غلب علىٰ تركيبه، أرضيا ترابيا، من الأرض مبدؤه، وإليها معاده، ثُمَّ منها عوده، كما قال تعالىٰ: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى" اضْطُرَّ إلىٰ مركزه، واحتاج إلىٰ الاضطراب فى أرجاء الأرض، للكسب: إمّا للصيد، وهو أول رُتَب المعاش، أو الزراعة، وهى ثانى رتب المعاش، أو التجارة، وهى ثالث رتب المعاش، علىٰ ما يأتى بيانه. فلم يكن له غنًى عن معرفة جهات الأرض، ليمتدّ فيها لأسباب معاشه، فيما ذكرناه أو غير ذلك، مما يتفرّع منه أو يترتّب عليه.

الإنسان مجبول على طلب البقاء

زعموا أنه لو وقع إنسان إلىٰ بَرِّيَّة يَهْماءَ[1]، لا ساكن بها، لم تكن له دأبٌ إلّا طلب سبب البقاء، بما يصيد منه ليأكل؛ فإذا أكل، طلب ما هو أزيد سببا، فزرع،

(١) الفلاة لا يُهتدىٰ فيها.

وإذا زرع، طلب ما هو أزيد سببا، فتاجر. ثم تفرع معاشه، وتشعّبت أسبابه، فاحتاج حينئذٍ إلى معرفة أجزاء الأرض وعوالمها، ليعرف أين كسبه، ومن أين معاشه. ولا يمكنه أن يقصد أرضا فى برٍّ ولا بحر، إلا بأعلام دالّة عليها، كالنجوم (٣٠) اللائحة، والجبال الماثلة، والأنهار الجارية، والأهوية الهابّة. وليس هذا موضع ذكرها. لكنا نذكرها، إن شاء الله تعالى، عند ذكر معرفة القبلة فى كل أرض. ٥

أحوال الأرض على الإجمال

وإنّما نذكر ههنا ما هو لائق به، وهو ما هو جُمْلِىٌّ من أحوال فى الأرض لازمة لها، من تعضياتها المشهورة فى جميع الأقطار: كالجبال العظيمة، والأنهار المتبحّرة، لأنّ بمواقع تلك الجبال الشهيرة، والأنهار المعروفة، تعرف موقع كل جهة من الأرض.

البحار والسبب فى إفراد الكلام عليها

فأما البحار، فإنا قد أفردناها بذاتها. وسيأتى ذكرها فى موضعه. ولمْ نذكرها هنا مع الأرض، كما نذكر الجبال والأنهار. لأنّ الجبال والأنهار من عالَم الأرض. وأمّا ١٠ البحار، فإنها عالَمٌ آخرُ، أكبر من عالَم الأرض، بما لا نسبةَ بينهما. فوجب إفرادها بذاتها، إذ كانت كشيء آخر.

كلمة عن الجبال

ونحن نُقدِّم الجبال على الأنهار، لأنها أعلى أعلاما، وأثبت فى مواضعها مُقاما، وأكثرها على حالها، لا تتغيّر دواما.

نظرية فى تصلها ظاهرا أو باطنا

والذى نقول الآن: إنّ الجبال كلّها متشعّبةٌ من الجبل المستدير بغالب معمور ١٥ الأرض. وهو المسمىّ بجبل قاف، وهو أمّ الجبال. كلّها تتشعب منه. فتتصل فى موضع، وتنقطع فى آخر. وهو كالدائرة، لا يعرف له أوّل على التحقيق. إذ كانت الحلْقة المستديرة، لا تُعرَف طَرَفاها. وإن لم تكن استدارته استدارةً كُرِيّة، ولكنّها استدارةُ إحاطة، أو كالإحاطة.

فلمّا لم نقف له على أوّل على التحقيق، قدّرنا له أوّلاً، وهو: كَتِف السدّ الجنوبىّ. ويُديرُه بالمعمور. يتّصل فى موضع اتّصاله، وينقطع فى موضع انقطاعه، إلى كَتِف السدّ الشمالىّ: حيث الفُرْجة التى ساوى الإسكندر ذو القرنين فيها، كما قال تعالى "بين الصَّدَفَيْن" وأقام السدّ وعمل الباب، على ماهو مرسوم فى لوح الرسم. (٣١)

ماهو جبل قاف عند جغرافيى المسلمين، هو أم الجبال

٥ ومجموع هذا الجبل ــ متصله ومنقطعه فى كل مكان، شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ــ هو جبل قاف. وهذا هو المستفيض على الألسنة، الطائر بين العالم، بما يعبر به عند كلٍّ منهم، على ما تقتضيه اختلاف الألسنة واللغات.

وقد زعم بعضهم أن أمهات الجبال جبلان: خَرَجَ أحدهما من لَدُنِ البحر المحيط فى المغرب، وأخذ جنوبا، وخرج الآخر من لَدُنِ البحر الرومىّ، وأخذ شمالا، حتّى ١٠ تلاقيا عند السدّ. وسَمَّوُا الجنوبىَّ قاف، وسَمَّوُا الشمالىَّ جبل قَاقُونَا. والأظهر ــ والله أعلم ــ أنّه جبل واحد محيط بغالب بسيط المعمور، لا كما هو البحر، محيط بجميع كرة الأرض، وأنّه هو الذى تصدق عليه التسمية بجبل قاف فى كل قطر ومكان، ولا يُعرف فى الجنوب إلّا بهذه التسمية، ويُعرف فى الشمال بجبل قاقونا. وبهذا تزول شبهة من ظنّ أنّ كلًّا منهما غير الآخر. والله أعلم.

ماهو الجبل المحيط وكيف سيره

١٥ والذى نقول، وبالله التوفيق! إنّ هذا الجبل المحيط بغالب المعمور مبدؤه من كتف السدّ آخذا من وراء صنم الخطا المحجوج إليه، إلى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين، آخذًا على غربىّ صين الصين، ثُمَّ ينعطف على جنوبيّه مستقيماً فى نهاية الشرق، على جانب البحر المحيط، مع الفُرْجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندىّ الداخله، ثم ينقطع عند مُخْرَج البحر الهندىّ المحيط مع خطّ الاستواء، حيثُ الطولُ مائة

وسبعون درجة(عَلَّم عليها فى لوح الرسم قع بحساب الجُمَّل)، ثم يتَّصل من شُعبة البحر الهندىّ المُلاقى لشُعبة المحيط الخارجة علىٰ بحر الظلمات من المشرق، بجنوب كثير من وراء مُخْرَج البحر الهندىّ فى الجنوب ؛ وتبقىٰ الظلمات بين هاتين الشُّعبتين : شُعبة المحيط الجائيـة علىٰ جنوب الظلمات شرقا بغرب، وشُـعبة البحر الهنـدىّ الجائية[1] علىٰ الظلمات شرقا بغرب، حتى تتلاقىٰ الشُعبتان عند مُخْرَج هـذا الجبل، كتفصيل السراويل . ثم ينفرج رأس البحرين المتلاقيين شُعبتَيْن علىٰ مبدإ الجبـل، ويبقىٰ الجبل بينهما كأنّه خارج من نفس الماء، ومبدأ هذا الجبل قه هنا وراء قبّة أرِين، عن شرقهـا . وبُعده منها خمس عشرة درجة . وقد عَلَّم صاحب جغرافيا قُبالة مبدإ هذا الجبل فى القسم الشرقىّ طولا . وذلك بعد أنِ انتهت درجات القسم الغربىّ عند قبّة أرِين إلىٰ سبعين درجة، عَلَّم عليها فى لوح الرسم ص فكان هذا المقدار له . وهو تفاوت ما بين العددين.

ويقال لهذا الجبل فى أوّله : المُجَرَّد. ثُمَّ يمتـدُّ حتّى ينتهى فى القسم الغربىّ إلىٰ طول خمس وستين درجة من أوّل المغرب. وقد علَّم عليها فى لوح الرسم سه .

وهناك يتشعّب من الجبـل المذكور جبل القمر[2]، وينصبُّ منه النيل . ويقـال إنّ به أحجارا برّاقة كالفضة البيضاء، تتلألأ، تسمّى ضَحِكة الباهت : كلّ من نظرها، ضحك والتصق بها، حتّى يموت . وتسمى مغناطيس الناس . قال صاحب جغرافيا، وقد ذكره أرسطو فى كتاب الأحجار.

---

(١) فى الأصل : ومخرج.

(٢) ضبطه بعض أهل الجغرافيا بفتح القاف والميم . والثقات منهم علىٰ أنه بضم القاف وسكون الميم (أنظر تقويم البلدان طبع باريس صفحة ٦٤).

وتتشعّب منه شُعَب تسمّى آسيفى . يقال إنه مسكون، وإن اهله كالوحش . والله أعلم بصحة ذلك .

ثُمَّ ينفرج منه فُرجة، ويمرّ منه شُعَب إلىٰ نهاية المغرب فى البحر المحيط، تسمّى جبل وحشيّة : به سباعٌ لها قرونٌ طوال، لا تُطاق .

٥ وينعطف دون تلك الفرجه من جبل قاف شُعَبٌ . منها شُعبتان إلىٰ خط الأسواء تكتنفان مجرىٰ النيل، من الشرق والغرب .

(٣٣) الجبلان المكتنفان نهر النيل عند منبعه

فالشرقىّ، يُعرف بجبل قاقولى، وينقطع عند خط الأسواء .

والغربىّ، يعرف بأدمدمه . تجرى عليه نيل السودان . المسمّى فى جغرافيا بحر الدمادم . وينقطع تلقاء محالات الحبشه، ابين مدينتى سمغره وجيمى .

١٠ ووراء هذه الشُعبة، تمتدّ شُعبة منه، هى الأمّ من الموضع المعروف منه الجبل بآسيفى المقدَّم الذكر إلىٰ خط الأسنواء، حيثُ هو الطول هناك عشرون درجة . وقد علَّم عليها فى لوح الرسم ك .

ويُعرف هناك بجبل كرسفانة . وبه هناك وحوش ضارية . ثم ينتهى إلىٰ البحر المحيط وينقطع دونه بفُرجه معروجه . وذلك وراء التكرور، عند مدينة قلنبو . ووراء

١٥ هذا الجبل هناك سودان، يقال لهم تمتم(١)، ياكلون الناس . وستأتى جملة من أخبارهم فى موضعها، إن شاء الله!

ثُمَّ تتّصل الأُمّ من شاطئ البحر الشامىّ فى شماله، شرقىّ رومة الكبرىٰ، مسامتا للشُّعبة المسماة أدمدمة المنقطعة بين سمغرة وجيمى لا تكاد تخطيها، حيثُ الطول خمس

(١) هكذا فى الأصل . ولعلها نمنم . (وأعتبر لفظة Niam Niam الافرنكية) .

وثلاثون درجة علامتها فى لوح الرسم له . ويقع منشأ اتّصال هـذه الأُمّ فى رسم خط العروض على ن . رسّمها فى لوح الرسم . وكذلك تقع شُعبتها آخذا فى الجنوب إلى الخط المُعَلَّم عليه الأطوال فى لوح الرسم ، عند أخذها ما بين سردانية و بلنسية على ن .

وتناهى وصلة هـذه الأُمّ إلى البحر المحيط فى نهاية الشمال ، قُبالة جزيرة بِرطانية ، وتبقى سوسـنة داخل الجبل . ثم تمتدّ هذه الأُمّ بعد انقطاع لطيف وتنعطف مع انعطاف خرجة البحر المحيط فى الغرب بشمال على الصقلب المسماة بحر الأنقليشين[1] ممتدًا إلى غاية المشرق . ويسمّى هنالك بجبل قاقونا . وتبقى وراءه البحرة الجامدة لشدّة البرد . ثم ينعطف من الشمال المُشَرِّق جنوبا بتعريب إلى كَتِف السدّ الشمالىّ . فتتلاقى هنالك الطرفان . و بينهما فى الفُرجة المنفرجة ، ساوى الإسكندرُ بين الصَّدَفَيْن .

ونحن نذكر هنا ما فى لوح الرسم من الجبال ، ونقسمه على أربعة أقسام ، تتجزأ بها المعمورة طولا وعرضا .

فى العرض ممّا وراء خط الاستواء من المعمور المقدَّر عرضه بإقليم ونصف إقليم ممّا أُخِذ له عرضٌ لارتفاع الحَمَل والميزان وهو جزء مقدَّر بنصف إقليم فيكون ذلك تَتِمّة لقدر إقليمين من وراء خط الاستواء حيثُ انتهى أخذُ العرض هناك ممّا ابتُدئ من قبّة أرِين جنوبا عشرين درجة ، وقد عَلَّم عليها فى لوح الرسم ك إلى حيث نهاية المعمور وراء الروسيّة الثانية ، خارج الإقليم السابع فى الجزء المقدَّر بنصف إقليم مارّا مع الإقليم السابع من أوّل المشرق إلى آخر المغرب حيث انتهى

(١) الانقليشين تعريب لفظة English بصيغة الجمع العربىّ ومعناه : بحر الانكليز .

أخذُ العرض هناك إلىٰ خمس وسبعين درجة علىٰ ماقدمنا ذكره، وقد عَلَّم عليه فى لوح الرسم عه قاطعا فى الطول علىٰ خطٍّ مستقيم من المشرق إلىٰ المغرب يقع وسطه علىٰ خط العروض فى جزء أخذ عرضه علىٰ خمس وثلاثين درجة وهو ما بين خُوز وعَبّادان. وقد عَلَّم عليــه فى لوح الرسم له . ووقع هذا الخط فى المشرق آخذا علىٰ جنوب الســدّ[1]، مارّا علىٰ جنوب كرمان إلىٰ أن ينتهى إلىٰ البحر الشامىّ حيث مُخرَج الخليج القُسطنطينى منه ما بين قبرس و رودس إلىٰ آخر المغرب. وموقع هــذا الخط علىٰ وسط الأقاليم الســبعة المقسَّمة. فيكون علىٰ خط نصف الإقليم الرابع مقسومة عليه الأقاليم السبعة نصفين علىٰ جانبين. وموقع هذا الخط الوسط منها. ٥ (٣٥)

(وأما جبال مكة والمدينــة، فإنّا نذكرهــا بعد الأرباع، مفردة بذاتها، لتتوفّر عليها المــادة بإفرادها.) ١٠

(١) فى الأصل السند.

فالربع الأوّل

حال الربع الاول

من هذه الأرباع المقسومة الآن،هو الربع الشرقىّ الآخذ إلىٰ الجنوب.

جزيرة القمر

وبه من الجبال فى جزيرة القُمْر العُظمىٰ من المعمور الخارج عن خط الاستواء:

جبل قدم آدم

جبلٌ يعرف بجبل قدم آدم. يقال إنّ آدم (عليه السلام) أُهبِط عليه. وهو جنوبىّ جزيرة سَرَنْديب.

٥

ووراءه جبلٌ كأنّه باء محذوفة الذيل (بـ). ذكر صاحب جغرافيا فى لوح الرسم أنّ أهله سود يأكلون الناس. تقع حدفة ذيله علىٰ خط الاستواء، علىٰ جزء يقع طوله مائة درجة وخمس درجات. وقد علّم عليه فى لوح الرسم (١) قه من حساب الحُمَّل.

ووراءه ثلاثة جبالٍ مقطعة، صغارا، يتلو بعضها بعضا. أوّلها جبلٌ، شرقىّ هذا الجبل عند قائمته الأولىٰ المشبهة برأس باء مُتَلَوٍّ(٢) كتلوّى الأرقم [ى]. فى سفحه مدينة عَلَما، ويليه من شرقيّه الثانى وهو جبلٌ آخذ علىٰ مدينتى ملاى وسمردى. ذَكَر صاحب جغرافيا أن الذهب والحديد به كثيران، ويليه من شرقيّه، الثالث، وهو: جبلٌ هو أصغر الثلاثة، غربىّ مدينة مَعْلا.

١٠

حبل الديلم

ثُمّ ما هو داخل تحت خط الاستواء جبلٌ كثير الشهرة، وهو المشهور فى أواخره بجبل الديْلَم. ومنشؤه من البحر الهندىّ غربىّ المنيبار. يأخذ ممتدًّا إلىٰ الشمال

١٥

(٣٦)

---

(١) العدد يدل على أنها : قه

(٢) فى الأصل: باء.

على ورابٍ . فى ذيله الغربىّ كابُلُ . ثُمّ يخرج إلى قسم هذا الربع الآخذ إلى الشمال ، ويقع هناك على أصفهان ، وتنتهى شُعبته على منبع نهر مكران ، المادّ إلى السند . وعليه من ذلك الميل فى شرقيّه ، المُحمّديّة . ذكرناها هنا علامةً لهذا الجبل . وإذ قد ذكرنا هذا الجبل بمجموعه هنا ، لم يبق حاجة إلى ذكره فى قسم هذا الربع .

٥ ومن ذلك جبلٌ آخذ على مستقيم هذا الخط الواقع وَسْط الأقاليم السبعة المُخْرَجة هذه الأرباع عليه . ويمتدُّ هذا الجبل مُشرِّقا على تَلَوٍّ فى أوله ، مارًّا ، إلى مسامتة باب الصين على جنوبيّه . وهناك يتّصل بالأُمّ . وتمتدُّ منه شعبة آخذة فى الجنوب إلى البحر الهندىّ ممّا وراء المعبر ، مدينة ازهونة . وذلك جميعه خارج عن الأمّ ، منقولا من لوح الرسم .

والربع الثانى

حال الربع الثانى

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الغربىّ الآخذ إلىٰ الجنوب .

به من الجبال تحت الأُمِّ الخارجة من شعبتَىِ البحر المشبهة بتفصيل السراويل المقدّمة الذكر، ثلاثةُ جبالٍ :

٥ (الأوّل) منها وهو الشرقىّ جبلٌ آخذ عن الأُمّ علىٰ جانب فرجة بينهما، ممتدّا إلىٰ خط الاستواء حتّى وقع عليه وينقطع عنده. وتقع مدينة لفمرانه فى ذيله علىٰ شرقيه، وبوشه فى ذيله علىٰ غربيه .

ويليه (الثانى) علىٰ غربيه وهو جبلٌ آخذ إلىٰ مدينة سويه، وينقطع هناك.

ويليه (الثالث) علىٰ غربيه وهو جبلٌ يعرف بجبل حاقولى . ذكر صاحب

١٠ جغرافيا فى لوح الرسم أنه معروف عند المسافرين . يأخذ علىٰ شرقىّ النيل حتى ينتهى إلىٰ مدينه ورقونه حيث آخر خرجة البحر الهندىّ . وقد نبهنا علىٰ ذكر هذا الجبل ، عند وصفنا للأمّ المذكورة، وأشرنا إلىٰ أن مخرج الأمّ يقع قبالته من شمالىّ البحر الشامىّ ، علىٰ ما تقدم ذكره .

(٣٧)

وعن يسرته جبلٌ آخذ علىٰ شرقىّ النوبة .

١٥ ومن ذلك جبلٌ يقع منه جنوبا مع تغريب كثير كأنه "لا" معلقة بالخط المغربىّ [لا] .

ومن ذلك جبلٌ آخر منقطع ما بين حاخة وجيمى .

ومن ذلك دونهما جبلان آخران أحدهما يأخذ علىٰ الواحات والآخر يأخذ وراءه غربىّ بحيرة نافرن، وشرقىّ بحيرة كوكورة .

ومن ذلك وراءه في غربيه جبلٌ كأنه رأس صاد بالخط المغربيّ [ ] وسطه بطحاء سهلة، لا وصول إليها من كل جهة، إلا بعد صعود الجبل والنزول إليها جانبه الداخل. يجرى منه النهر الواصل إلى القيروان المنتهى إلى البحر الشاميّ.

الجبل اللـاع

ويليه جبلٌ يعرف باللّـاع كأنه فردة صولجان. عليه حصن الملح وجَزُولة. وتنصبُّ منه أنهارٌ إلى المحيط. ٥

ومن ذلك جبلٌ يأخذ بين فاس وسجلماسة وينصبّ منه نهر بين أَسَفِى والمزمّة حتى يصب في البحر المحيط، شرقىّ طنجة.

ومن ذلك جبلٌ منقطع ينشأ في أواخر خط الآستواء غربا، حيث الطول من الغرب خمس عشرة درجة، عَلَّم عليها في لوح الرسم يه من حساب الجُمَّل. ويأخذ جنوبا إلى البحر المحيط. ١٠

ومن ذلك جبلانِ يعرفان بجبل كرسقانة وجبل وحشية. وقد تقدّم ذكرهما. وذلك كله خارج عن الأُمّ، منقول من لوح الرسم.

والربع الثالث

الغربيّ الآخذ إلى الشمال

(٣٨) جبال الربع الثالث ، وهى جبال الأندلس

به من الجبال جبلٌ آخر فى جزيرة الأندلس، فى جنوبيها من البحر الشامىّ من إشبيلية إلى بَطَلْيَوْس، وانصبَّ منه نهران : أخذ أحدهما على إشبيلية مارًّا بينها وبين مالقة حتّى صبَّ فى البحر الشامىّ ، والثانى منهما أخذ على إلبيرة وصبّ فى البحر المحيط .

وفى شرقيّه جبلٌ آخذ من قورة إلى وادى آش ، عليه هيكل الزُّهَرَة، وانصبّ منه نهر مرّ على وادى آش وأخذ شرقىّ غَرْناطة إلى قُرْطُبه ، وصبّ فى البحر الشامىّ .

وفى شرقيه جبلٌ خرج من البحر المحيط ، من شمالٍ مغرّبا وأخذ مارًّا فى الأندلس إلى بَلَنْسِيَة وانتهى إلى البحر الشامىّ .

وهذه الجبال كلها وراء وصلة الأُمّ الخارجة على شرقىّ رومه الكبرىٰ .

ولولا مَخرَج الأُمّ هنا ، لمَا امتنع سبيل الأندلس فى البرّ إلى بلاد القُسطنطينية الكبرىٰ والألان والأص والصقلب ، ولوصل منه إلى جميع الأرض ، شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، من غير بحر حائل ولا لُجٍّ مانع . فلمّا لم يبق للأندلس سبيل إلّا من البحر ، بقيت كأنّها داخلة هذا الجبل المحيط بالمعمور ، وإن كان موقعه وراءه من غربيّه .

ذكرنا هذا هنا لمنتصبه ، إذ لم يمكن السكوت عنه .

ثم نعود إلىٰ تتمّـة الجبال الواقعة فى هذا الربع الثالث .

فمن ذلك جبلٌ يأخذ علىٰ بحر بُنْطُس(١) المتّصل بالبحر الشامىّ ، من شرقىّ هِرَقْلة ويمتدّ إلىٰ أنطاكِيَة وحَلَب ويمتـدّ فى الشام علىٰ شمـالىّ بعلبك ودمشق . ويحصر هذا الجبلُ البحر الشامىّ آخذًا معه إلىٰ الجنوب ، علىٰ فرجة بينهما تلك الفُرجة هى ٥ موقع مدائن الروم وهى المسماة الآن ببلاد الروم ، مثل : قُونية وقيصرية وأنطاكية .

ومن ذلك جبلٌ يمتـدّ علىٰ مارِدين وشَهْرَزُور وأخلاط . ينقطع ويتصل بجبل أَذَرْبِيجَان . وتنصبّ منه أنهار كبيرة : منها ما يصبّ فى البحر الشامىّ ، ومنها ما يصبّ فى بحر بنطس(١) ، ومنها ما يصبّ فى البحر المنـدىّ ، ومنها ما يصبّ فى البحيرة البلّاعة المقاربة للسّدّ . ويتصل هذا عن فرجات بجبل طبرستان المـارّ بين أذربيجان وغزنة . ١٠ وكذلك يتّصـل به جبل طوس الآخذ بينها وبين جرجان ، حيث يخرج خَطُّ أَخْذِ العروض .

ومن ذلك جبلان منقطعان ، وراء بحر بنطس(١) ، من شماله بشرق . آخذان علىٰ بحيرة الجارس عن شرقها وغربيّها .

وذلك كله خارج عن الأمّ ، منقولا من لوح الرسم .

١٥ (١) فى الأصل "نيطش" وكذا هو فى تقويم البلدان لأبى الفداء . ولكنا اعتمدنا ضبط ياقوت .

والربع الرابع

حال الربع الرابع

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الربع الآخذ إلى الشمال، وبه تمامها .

به من الجبال، جبلٌ منقطع ما بين بلاد السند وبين نوار . وشمالىّ القموج[1] يجرى نهر مُكْران[2] حيث يقطع مدى الصحراء على ذيله ويخرج هناك .

ومن ذلك جبلٌ تنزل به غُزْغُر النار[3] . به باب الصين .

ومن ذلك جبالٌ الخطا المحيطة بها على باش بالق ، وآل بالق ، وخان بالق .

ومن ذلك جبلٌ منقطع، كأنه صليبٌ ذَهَبَ أحدُ شُعَبه . ومدينة طَمَارِ فى ذيله المغرب . وشعبته الخارجة تقع بلاد الياش[4] فى ذيلها .

ومن ذلك جبلٌ منقطع مُتَلَوٍ كالأرقم، من غربىّ بلاد أسحرب إلى نهاية العمارة فى الشمال . ومنه ينصب فرع نهر جيحون .

ومن ذلك جبلٌ فى صحراء القفجاق، آخذ على منعطف النهر المتّصل بالبحيرة الجامدة من شدّة البرد .

(١) أظن كثيرا أن الميم وقعت فى هذا الاسم بدلا من النون بطريق السهو . فهذا المكان مشهور باسم قِنّوج ويسمى عند الفرنسيين Canoge .

(٢) سماه أبو الفداء نهر مهران وكذلك المؤلف فيما يأتى من هذا الجزء وهو المشهور بنهر السند وعند الفرنسيين Indus .

(٣) لعلها : التتار .

(٤) لعلها : شاش .

(٤٠)

ومن ذلك جبلٌ منقطع ينصبُّ منه فرعٌ إلىٰ نهر إتيل[1] فى شرقىّ صحارى القبجاق آخذا بشرق مدينة أوتنا . وو راءها عبدة الشياطين، علىٰ مارسم صاحب جغرافيا فى لوح الرسم .

ومن ذلك شعبة آخذة من الأمّ إلىٰ جنوبٍ مُغَرّب ، ينصبُّ منه ماءٌ إلىٰ النهر المنتهى إلىٰ البحيرة الجامدة . ٥

ثم إنا نذكر هنا مارأينا إفراده فى هذا المكان، ليكون أوضح لبيانه، وأدلّ علىٰ مكانه . وهو الجبل الممتدّ علىٰ الشام، وجبالٌ شهيرة بجزيرة العرب .

(١) هو المعروف الآن فى الجغرافيا الحديثة بنهر فولجا Volga . ومعنىٰ اتيل بفتح الالف أو بكسرها النهر فى لغة الأتراك . وهو ببلاد الروسيا ، وأكبر أنهار أوربة .

جبال الشام واتصالاتها

فأما الجبل الممتدّ على الشام

فإن أوله بالمشرق من الصين من البحر المحيط . فيقطع بلاد التتر على معادنها إلى أن يأتى فرغانة إلى جبال البُتم الممتدّ بها نهر السُّغْد إلى أن يصل الجبلُ إلى جيحون فينقطع، ويمضى فى وسطه بين شعبتين منه، وكأنه قُطِع ثُمَّ [وصِلَ] فى وسطه . ويستمرّ الجبل إلى الجُوزجان ويأخذ على الطَّالَقان إلى أعمال مَرْوِ الرُّوذ إلى طُوس . فتكون جميع مدن طوس فيه . ويتّصل به جبال أصبهان وشيراز إلى أن يصل إلى البحر الهندىّ . وينعطف هـذا الجبل ويمتدّ إلى شَهْرَزُور وإلى سُهْرَوَرد . فيمُرُّ على جباله بسائر دِجْلَة . ثم يتّصل بجبل الجُودىّ، مَوْقِف سفينة نوح (عليه السلام) . ولا يزال هذا الجبل مستمرًّا من أعمال آمِد ومَيّافارِقين حتّى يمرّ بثغور حَلَب . ويُسمّى هناك جبل اللُّكّام . ويستمرّ جبل اللُّكّام إلى أن يَعدّى الثغور فيُسمّى بهذا حتّى يجاوز حِمْص فيُسمّى لُبْنان . ثم يمتدّ على الشام حتّى ينتهى إلى بحر القُلْزُم من جهة، ويتّصل من الجهة الأخرى ويُسمّى المُقَطَّم . ثم يتشعّب وتتّصل أواخر شعبه بنهاية المغرب .

ونحن وإن كنّا قد ذكرنا هذا الجبل، كلّيَّهُ وجزئيَّهُ، مما تقدّم على ما اقتضاه الإيضاح فى مَوضعه على ما صُوِّرَ فى لوح الرسم فى أماكنه ولكنّا أردنا هنا اتصالَ لُحْمته ليعرفَ كيف هو بأسمائه فيما يمرّ عليه فى الأرض من شرقها إلى مغربها .

فأمّا جبال مكّة

حبل عرفات

فاعظمها وأحمها بالتقديم وإن تَعُـدَّ عن مكه مكانا جبل عرفات ، موقف الحجيج الأعظم ،وركن الحج الأكبر .

حبل أبى قبيس

ومنها جبل أبى قُبَيْسٍ ولونه أدكن إلى البياض قليلا وإنما قيل له أبو قُبَيْسٍ

٥ لأن الحجر الأسود اقتُبس منه وقيل هو اسم رجل من مذحج كان يُكَنّى أبا قبيس عُرِفَ به لأنه أوّلُ مَن بنى فيه . كذا قال الزمخشرىّ : وقال أبو القاسم السُّهَيْلِىّ : عرف برجل من جُرْهُم كان قد وَشَى بين عمرو بن مضاض ، وبين ابنة عمه مَيَّه فندرت أن لا تكلمه ، وكان شديد الكَلَف بها ، فحلف ليقتلن قُبَيْسًا ، فهرب منه فى الجبل المعروف به ، وانقطع خبره ، فإمّا مات ، وإمّا تردّى ، فسُمِّىَ الجبل أبا قبيس . وقال ابن عباس : هو أوّل جبل

١٠ وُضع على الأرض . رواه أبو عروبه وأبو بكر بن أبى شيبه . وقال الزمخشرىّ : كان يسمّى فى الجاهلية الأمينَ ، لأن الركن كان مستودَعا فيه ، عام الطوفان . وفى أعلاه منار إبراهيم عليه السلام . وقد جاء فى بعض الآثار أن ذلك المنار على الموضع الذى نادى منه إبراهيمُ الخليلُ عليه الصلاة والسلام بحجّ بيت الله الحرام . والأكثرُ أنه نادى من أعلى المقام . وفى أصله الصفا . ومنه يُصعد إليه من ناحية المسجد . ويُصعد إليه

١٥ أيضا من شِعْب أجياد الصغير . وأبو قبيس أحد الأخْشَبين . وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام . وهو بإزاء الركن الأسود من الكعبة .

جبل الخَنْدَمَة

وجبـل الخندمة[1] وهو على أبى قبيس من ناحيه المشرق . وهو جبـل أحمر محجّر . فيه صخرة كبيرة شديدة البياض كأنها معلّقة ، تشبـه الإنسان إذا نظرت إليها

(١) فى الأصل "الحندمة" بالمهملة ، ولكن ياقوت والقاموس ذكراه فى باب الخاء المعجمة .

من بعيد. نبدو من المسجد من باب السَّهميِّين الصغير. وفى هذا الجبل تحصَّن اهل مكة، إذ أحاط بهم القرامطة وقلعوا الحجر الأسود وأخذوا الشمسة وجميع ما كان فى الكعبة، إلىٰ أن ردّه الله إلىٰ موضعه، علىٰ يد ولد الذى قلعه. وتحت هذا الجبل شِعب علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه).

الجبل الابيض

والجبل الأبيض. الذى علىٰ الأبطح إلىٰ باب المعلى يسمى عاضرة. ٥

(٤٢)

والجبل الآخر. علىٰ الحجون ووجهه إلىٰ قُعَيقِعان، علىٰ قبر عبد الله بن الزبير.

الأخاشب والجباجب

والأخاشب والجباجب. جبال مكة. وفيه الثَّنية، وهى العقبة. وعند أصله بقيع مكة. ومن هذا الجبل إلىٰ الجبل الأبيض بنىٰ المقتدرُ السورَ، وجعل له بابا من حديد وهو المعروف بباب مِنًى، وشِعب المُحَصَّب.

جبل قعيقعان

وجبل قُعَيقِعَان. وهو يقابل أبا قُبَيْس من ناحية الشمال. وهو جبل أخضر يقابل من الكعبة مابين الركن العراقىّ والميزاب. وهو حدّ أخشبَىْ مكة. ١٠

جبل أجياد

وجبل أجياد. إنما سمى بأجياد لأنّ الله تعالىٰ لما أذن لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد من البيت، أعطىٰ كل واحد منهما كنزا من كنوزه. فأوحىٰ الله إلىٰ إسماعيل: "إنى معطيك كنزا من كنوزى، لم أُعطه لأحد قبلك. فاْخرج فنادِ بالكنز، يأْتِكَ".

قال فخرج إسماعيل -ومايدرى ذلك الكنزَ ولا يدرى كيف الدعاءُ به- حتّى أتىٰ أجياد. ١٥ فألهم الله إسماعيل الدعاء بالخيل: "يا خيل الله، أجيبى!" فلم يبق فى بلاد العرب كلها فرس إلا أتاه وذلَّله الله له، وأمكنه من نواصيها. قال ابن عباس: فلذلك سمِّى ذلك الموضع بأجياد. وكانت الخيل قبل ذلك كسائر الوحوش. فقال شاعر قصير يرتجز[1] بذلك:

(١) لعله: يفتخر.

أبونا الذى لم تُركبِ الخيلُ قبله ، * ولم يَدْرِ حلْق قلّهُ كيف تُرْكَبُ!

حل آبن عمران

وجبل آبن عمران ، وهو الجبل الأسود الذى بين أبى قُبَيْس وأجياد . وهو خلفها . يظهر على بعدٍ كأنه بينهما . يقابل من الكعبة الشقّ اليمانىّ .

فهذه الجبال المحيطة بالمسجد الحرام .

حل البكاء

٥ ثم فى العطف فى آخر ذى طوى فى طريق التنعيم جبل البُكاء . وقربه على يسار المار إلى التنعيم ، الحجرُ الذى قعد عنده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مستريحا عند إقباله من العُمرة ، فلان[1] فيه موضعُ رأسه ، حتى آستند إليه . وهو مشهور بقعد الناس عنده ، عند آنصرافهم من العُمرة ، وعند جبل البكاء تحته مما يلى الغرب .

(٤٣)

سقايات مكة

قال الفاكهىّ : وبمكة فى فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى منار مسجد ١٠ التنعيم وجميعه نحو من مائة سقاية ، وفى أصله مما يلى الشمال مياه[2] ، وكانت قد بها بساتين . والوادى أسفل منها فى المحجّة . كل ذلك على يمين المار إلى التنعيم .

حلا شامة وطفيل

وشامة وطُفَيْل ، تحت الثَّنِيَّة السفلى غربىّ ذى طُوى .

حل ثبير

ومن ناحية الشرق فى طريق مِنًى جبل ثَبير ، وهو جبل عظيم مرتفع أسود كثير الحجارة فى عَطف وادى إبراهيم (عليه السلام) من يسار المار إلى مِنى .

١٥ قال السهيلىّ : "عرف برجل من هُذَيْل . مات فدفن به فعرف به الجبل" . وقال الزمخشرىّ : "ثبيران جبلان مفترقان تصب بينهما أُفاعِيَةُ ، وهى واد يصب من مِنى ، يقال لأحدهما ثبير غَيْنا وللآخر ثبير الأعرج ."

جبل حراء

ثم جبل حِرَاء ، وهو على يسار المار إلى مِنى أيضا . وهو الجبل الذى كان

---

(١) لعله حين .

٢٠ (٢) هكذا فى الأصل .

حُبِّب إلىٰ رسول الله، صلى الله عليه وسلم الخلوةُ فيه، حتّى أتاه الوحيُ. وليس فيه غارٌ، إنما كان فيه موضع منهل شبيه بالحوض فى أصل صخرة عظيمة فى أعلىٰ الجبل.

جبل ثور

وجبل ثور ليس فى جبال مكة أعلىٰ منه ولا أوعر. وهو خلف مكة علىٰ طريق مكة. يسمّى ثور أطحل. والغار فى جانب منه، فى أعلاه دون الثنية قليلا. وفيه نزل جبريل علىٰ النبىّ، صلى الله عليه وسلم والغار الذى آختفى فيه عليه السلام مع أبى بكر صخرة واحدة مصمته، ومدخلها ضيق طوله خمسة أشبار إلا ثلثا ٥

غار حراء

وعرضه فى أوسع مكان فيه، شبرٌ وأربع أصابع. وصفة الغار أنه مستطيل من ناحيه الغرب إلىٰ الشرق، وليس بغائص إلىٰ أسفل. طوله ثلاثة وعشرون شبرا، وعرضه تسعه أشبار إلا ثلثا. وله بابٌ ثان فى آخره، من ناحيه الشرق. وهو الذى فتحه جبريل عليه السلام حين ضربه بجناحه إلىٰ الصخرة، فآنفتح هنالك باب طوله ستة أشبار وعرضه أربعة. ومنه خرج عليه السلام، يوم خرج إلىٰ المدينه. ١٠

جبال المدينة المنورة

وأما جبالُ المدينَة الشريفة علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فأشهرها

جبل أُحد

جبل أُحد وهو جبل أحمر أعلاه دَكْدكٌ. بينه و بين المدينة ميل وأفسح قليلا. فى شمالى المدينة. وفيه قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: "أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّهُ". وفى الحديث أنه يكون يوم القيامة أحدَ ركنَى باب الجنة. ويعضده قوله صلى الله ١٥

جبل سلع

عليه وسلم. "المرء مع من أحب". كذا قال السُّهَيْلىّ. وجبل سَلْع. وهما

جبل ثور وجبل عير

أشهر الجبال هناك. وجبل ثور وغلط فيه بعضهم. وجبل عير والحرم ما بينه وبين أُحد.

فهذه هى جميع الجبال الشهيرة، والأعلام الظاهرة فى جميع المعمورة وما قاربها . لم نخلّ منها إلا بما لعلّ صاحب جغرافيا لم يُصَوِّره فى لوح الرسم؛ وإن كان، فهو القليل . وفيما ذكرناه كفاية .



الأنهار المعروفة

٥ وأما الأنهار المعروفة فنحن نذكر هنا ما فى لوح الرسم من الأنهار ونقسمه على اربعة أقسام نتحزّى بها المعموره طولا وعرضا، كما ذكرناه فيما تقدم قبل ذكر الجبال. وبالله التوفيق !

—·—

فالربع الأوّل

أنهار الربع الأوّل

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الشرقيّ الآخذ إلىٰ الجنوب . وبه من الأنهار ما يُذكر .

من ذلك فى جزيرة القمر العظمىٰ ثلاثة أنهار :

شرقيُّها آخذٌ من قطورا ومعلا . ٥

ويليه ثانيها فى غربيّه ينصبّ من جبل قدم آدم علىٰ مدينة سبابا ، ويأخذ مارّا إلىٰ مدينة قزدرا . ويجر هناك بحيرة فى جنوبيها مدينة كياما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس .

ويليها ثالثها فى غربيّه ، ويخرج من الجبل المشبه بياء محذوفة الذيل [ى] . يُطَوِّق بمدينة دَهْمَى ، فتبقىٰ مدينة دهمى بينه وبين البحر الهندىّ فى جزيرة بينهما . ١٠ يكون هو محيطا بها شرقا وجنوبا وغربا . فتكون لذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندى . وتقع مدينة فورانة فى غربيه حين(١) يصب فى البحر الهندىّ .

ومن ذلك نهر ينصب من جبل قاف عند وصلة الأُمّ فى شعبتى البحر المشبه بتفصيل السراويل . وينصب فى الشعبة الجنوبية من تلك الشعبتين علىٰ مَدًى غير بعيد . وذلك جميعه غير منقول من لوح الرسم . ١٥

---

(١) لعله : "حيث" . [والكلمة التى فى الاصل ربما يصح التعبير بها .]

والربع الثانى

أنهار الربع الثانى

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الغربىّ الآخذ إلى الجنوب.

وبه نهر ينصب من جبل قاف، مارّا فى الشمال إلى خط الاستواء حتى ينصب فى البحر الهندىّ شرقىّ قبة أرين.

٥ ومن ذلك نهر ينصب من الجبل المارّ على غربىّ مدينة لقمرانبة حتى ينصب عند خط الاستواء فى البحر الهندىّ.

وصف نهر النيل

ومن ذلك نهر النيل. وهو النهر الأعظم الذى لا يعدله فى عظيم نفعه شىء: لعظم ما عليه من البلاد وطوله فى الأمم. وهو ينصبّ من جبل القُمر. وقد قدّمنا عند ذكر الجبال طرفا فيه، وإن كان لا مقال بوقبه، لأنه إحدى الكُبَر، وأولى العبر بآية

١٠ من آيات الله فى أرضه، وعجيبة لمن تأمل من خلقه. ساقه الله تعالى إلى مصر وأحيا به بلدةً ميتا وسقاه أمة عظمى[1]. وإن لم تكن هى المنفردة بنفعه، فإنها كالمتفردة به: لعظيم منفعتها منه وعميم مصلحتها به. يجىء إليها أحوجَ ما كانت إلى مجيئه، وينصرف أحوجَ ما كانت إلى انصرافه. وذلك تقدير العزيز العليم. ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾.

كلمتان للقاضى الفاضل

١٥ وفيه يقول القاضى الفاضل: "النيل المصرىّ الذى يكسو الفضاءَ ثوبا فِضّيًّا، ويُذْكِى فى الأرض ماؤه سراجا من النور مُضِيًّا، ويتدافع تيّاره دافعا فى صدر الجَدْب بيد الخِصْب، وتُرضع أُمّهات خلجانه المزارعَ، فتأتى أبناؤها بالعصف والأَبّ". وفيه

(١) لعل الاوجه: أحيا به بلدا ميتا وسقى به أمة عطشى.

يقول أيضا : "وأما النيل فقد امتدّت أصابعه، وتكسرت بالموج أضالعه، ولا يُعرَف الآن بمصر قاطبة نهر سواه، ولا مَن يُرجىٰ ويُخاف إلا إياه" .

أصول النيل

(٤٦)

ونحن نذكر كيف هو، فنقول والله أعلم : إن النيل ينصبّ عشرة أنهار من جبل القُمر المتقدّم الذكر . كل خمسة أنهار من شُعبة . ثم تتبحّر تلك العشرة الأنهار في بحيرتين : كل خمسة أنهار تبحر بحيرةً بذاتها . ثم يخرج من البحيرة الشرقية منها بحرٌ لطيف يأخذ شرقا علىٰ جبل قاقولى، و يمتدّ إلىٰ مدن هناك، ثم يصب في البحر الهندىّ . ثم يخرج من تينك البحيرتين ستة أنهار . من كل بحيرة ثلاثة أنهار . ثم تجتمع تلك الستة الأنهار في بحيرة متشعبة .

وصول آخر سلاطين بنى عبد المؤمن إلىٰ منبع النيل

حدّثنى أقضىٰ القضاة شرف الدين أبو الروح عيسىٰ الزواوىّ، أن الأمير أبا دبوس ابن أبي العلىٰ أبي دبوس ووالده آخر سلاطين برّ العدوة من بنى عبد المؤمن حدّثه أنه وصل إلىٰ هذه البحيرة، في أيام هربه من بنى عبد الحق، ملوك بنى مرين القائمين الآن .

وصف البحيرة التى يخرج منها النيل

رجعنا الىٰ ذكر مجتمع تلك الأنهار الستة فى تلك البحيرة و بعضهم يسميها : البطيحة . فنقول .

وفى تلك البطيحة تضريسةُ جبلٍ : يُفْرَق بها الماء نصفين .

ذراعا النيل عند منبعه

يخرج النصف الواحد من غربىّ البحيرة . وهذا النصف هو المعروف بنيل السودان[(١)] . و يستقلّ نهرا يسمّى بحر الدمادم . يأخذ مُغرّبا ما بين سمغرة وغانة ، علىٰ جنوبىّ سمغرة وشمالىّ غانة . ثم ينعطف هناك منه فرقةٌ ترجع جنوبا إلىٰ غانة، ثم تمرّ علىٰ مدينة برنسة، و يأخذ تحت جبل فى جنوبيها خارج عن خط الأستواء إلىٰ رُقيلة .

(١) هو المعروف فى الجغرافية الحديثة بنهر النيجر Le Niger .

ثم يتبحر فى بحيرة هناك . وتستمر الفرقة الثانيــة مغرّبة إلىٰ بلاد مالّى والتكرور حتّٰى تنصب فى البحر المحيط، شمـالىّ مدينة قَلَنْبُو .

ويخرج النصف الآخر متشاملا آخذا علىٰ الشمال إلىٰ شرقىّ مدينــة جِيمِى . ثم يتشعب منه هناك شُعبة تأخذ شرقا إلىٰ مدينة سَحَرْتة . ثم ترجع جنوبا . ثم تعطف شرقا بجنوب إلىٰ مدينة سَحَرْتة . ثم إلىٰ مدينة مركة، منتهيا فى العود هناك إلىٰ خط الأستواء حيث الطول خمسٌ وســتون درجة عَلّم عليها فى لوح الرسم سه . ويبحّر بحـــيرة هناك . (٤٧)

مرور النيل فى بلاد السودان

ويستمر عمود النيل من قُبالة تلك الشُعبة شرقىّ مدينة شيمى متشاملا آخذا علىٰ أطراف بلاد الحبش . ثم ينشامل علىٰ بلاد الســودان إلىٰ دُنقــلة ، حتّٰى يرمى علىٰ الجنادل إلىٰ أسوان إلىٰ قُوص، منحدرا يشــقّ بلاد الصعيد شقًّا ، حتى يقابل قرية تعرف بدَرْوة سَربام[1] . وقد تعرف الآن بدروة الشريف : نسبةً إلىٰ الشريف آبن ثعلب، الثائر فى الأيام الظاهرية الركنية بالصعيد، لمُقامه بها .

بحر يوسف بمصر

ويتشعب منه فى غربيه شُعبة تسمّٰى المَنْهىٰ. تستقل نهرا يصل إلىٰ الفَيُّوم. يقال إن يوسف (عليه الســلام) آحتفره أيام تولّيه لأمور ملك مصر . وهو يعرف إلىٰ الآن ببحر يوسف . وهو نهر لا ينقطع جريانه فى وقتٍ من أوقات الســنة، بخلاف بقية ما يتشعب بالديار المصرية من خُلْجان النيل . فيسقى الفيوم عامة، سقيا دائمـا لا ينقطع . ثم يُبحِّر فاضل مائه فى بحيرة هناك .

مشاهدة المؤلف فى بحر يوســف

ومن العجب ـ وهو مما رأيته بعينى ـ أنه ينقطع ماؤه من فُوّهَتِه أوانَ آنقطاع المياه من خُلْجان الديار المصرية ، ويـنـدّٰى دون فُوَّهَتِــه ، ثم يكون له بلل دون المكان

(١) هى بهذا الضبط فى معجم البلدان لياقوت وتسمى الآن دروط الشريف (أو بياء قبل الراء) . وهو تصحيف جرىٰ علىٰ ألسنة العامة وآستعاص .

المـدّى، ثم يجرى جريا ضـعيفا دون مكان البلل، ثم يسـتقل نهرا جاريا لا ينقطع إلا بالسـفن . و يتشعب منـه أنهارٌ، وتنقسم قسما تعمّ الفيوم لسـقى قُرَاه ومزارعه و بساتينه وعامّة أماكنه .

عمود النيل فى الصعيد

ثم نعود إلىٰ ذكر عمود النيل الممتدّ : فنقول .

٥ إنه من دَنْونه سَرْبام حيث ينشعب المَنْهىٰ يستمر فى بقية الصـعيد، يشقه شقا إلىٰ مدينة الفسطاط (وهى التى يسميها الآن عامة أهل مصر بمصر)[(١)] حتى يتعدّاها .

(٤٨)

ثم يتفرق فرقين : تأخذ إحداهما علىٰ دمياط، والأخرىٰ علىٰ رشيد. وعندهما انتهاء النيل، ويصب فى البحر الشامىّ .

ومن مـبدإ هبوطه من أسـوان مارّا فى الصعيد إلىٰ أن تصب فرقتاه فى البحر ١٠ الشامىّ، تقسم منه البحار والأنهار، وتنشعب منه الخُلُجُ والمساقى . تجرى فى زيادته، وتنقطع فى نقصه .

كلام مغربىّ أقام بالسودان ٣٥ سنة وأخبر المؤلف عن أصل النيل

وحدثنى الشيخ الثبت سـعيد الدُّكَّالِىُّ (وهو ممن أقام بمـالّى خمسا وثلاثين سـنة، مصطرا فى بلادها، مجتمعا بأهلها)، قال : " المستفيضُ ببلاد السودان أن النيل فى أصـله يحدر من جبالٍ سودٍ تَبَانُ علىٰ بُعد كأن عليها الغمائم . ثم يتفرق ١٥ نهرين . يصب أحدهما فى البحر المحيط إلىٰ جهة بحر الظلمة الجنوبى[(٢)]، والآخر يصل إلىٰ مصر حتى يصب فى البحر الشامىّ ".

توغل هذا العالم فى الأسفار لمعرفة منبع النيل

قال الشيخ سعيد الدُّكَّالِىُّ . "ولقد توغّلتُ فى أسفارى فى الجنوب مع النيل. ورأيتُه متفرّقا علىٰ سبعة أنهر، تدخل فى صحراء منقطعة، ثم تجتمع تلك الأنهر السبعة،

(١) واسمها الآن مصر القديمة، ومصر العتيقة .

٢٠ (٢) هو نهر النيجر الذى سبق الكلام عليه فى صفحة ٦٨ وحاشيتها .

وتخرج من تلك الصحراء نهرا واحدا مجتمعا . كلا الروٌيتين فى بلاد السودان . ولم أره لما آجتمع بالصحراء لأننا لم ندخلها ، إذ لم يكن بنا حاجة إلىٰ الدخول إليها".

اختلاف الأقوال فى أصل النيل

قلتُ : والأقوال فى أوّل مَجْرىٰ النيل كثيرة . ذكر فيها المسعودىّ وغيره مالافائدة فيه . والشائع علىٰ ألسنة الناس أنّ أحدًا ماوقف علىٰ أوّله بالمشاهدة . وجعل كل واحد منهم سببا لعدم الوقوف علىٰ حقيقة أوّله .

٥

فقال بعضهم : إنه آنتهىٰ أُناسٌ وصعدوا الجبل فرأوا وراءه بحرا عجَّاجا ، ماؤه أسود كالليل ، يشقه نهر أبيض كالنهار ، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله ، ويتشعب علىٰ قبة هرمس المبنية هناك . وزعموا أنه[1] هرمس الهرامسة ، وهو المسمى بالمثلث بالحكمة[2] . ويزعم بعضهم أنه إدريس عليه السلام . بلغ ذلك الموضع وبنىٰ به قبة . قالوا : وسمى بالمثلث ، لآجتماع الثلاثة له : النبوة ، والحكمة ، والمُلْك .

(٤٩)

١٠

وقال بعضهم : إن أناسا صعدوا الجبل ، وبقى كلما تقدّم منهم واحدٌ ، ضحك وصفّق بيديه وألقىٰ روحه إلىٰ ماوراء الجبل . فخاف البقية أن يصيبهم مثل ذلك ، فرجعوا .

وزعم بعضهم : أن أولئك إنما رأوا حجر الباهت . فبقىَ كل من رآه منهم ، ضحك وتقدّم إليه وآلتصق به ، حتّٰى مات .

١٥

روايات عن بحث ملوك مصر الأقدمين عن أصل النيل

وسيأتى إن شاء الله ماذكره صاحب الجغرافيا عن أرسطو فى خاصيّة هذا الحجر . وقال بعضهم : إن ملِكا من ملوك مصر الأُوَل جهّز أناسا للوقوف علىٰ أوّله .

(١) فى الاصل : أن .

(٢) Triomegiste

فانتهوا إلىٰ جبال من نحاس، لمـا طلعت عليها الشمس وانعكست عليهم أشـعتها، أحرقت غالبهم فرجع البقية .

وقال بعضهم : إنهم انتهوا إلىٰ جبال برّاقة لمـاعة كالبلّور . فلما انعكست عليهم أشعّة الشمس الواقعة عليها، أحرقتهم .

وقال بعضهم ــ وهو الصحيح ــ والله أعلم : إنه لتوغّل منبعه فى الخراب المنقطع من وراء خط الأستواء، تعذر السلوك إليه : لبعد المسافة وشدّة الحرّ .

فان قال قائل : فمـا منع قدماء الملوك، مع ولعهم بمعرفة أحوال البـلاد وحقائق ماهى عليه، أن يجهزوا من يقف علىٰ حقيقة أوّله؟ قلنا له : وأىّ فائدة تفى بركوب هـذا المهلك فى أرض لاينبت بها نبـاتٌ ولا يعيش حيوانٌ، ولا يعرف مقدار مايستعدّ له المسافر، ولا مايستظهر به الظهر[1] .

رأى المؤلف فى أن هذه الأقوال مبنية على النظريات العلمية لا على المشاهده

وإنمـا غالب مايقال فى هـذا (والله أعلم) ممـا أظهره نظر العـلم لانظر العيان . والله من ورائهم محيط .

(٥٠) بقية أنهار الربع الثانى

وإذ فرغنا من الكلام فى النيل، فلنذكر بقية الأنهار الشهيرة الواقعة فى هذا الربع الثـانى . فنقول :

---

(١) ممـا يجب ذكره فى هذا المقام أن سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين الأيوبى كان يشتهى أن يعرف أصل النيل . فرسم بشراء عبيد صغار زنوج وما شاكلهم، حلب لم يستعربوا . وسلمهم لصيادى السمك والبحارة ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك وأن يكون قوتهم من السمك لاغير . فاذا مهروا فى ذلك تصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها و يأتوه بخبر النيل . (انظر مطالع البدور فى منازل السرور، ج ٢ ص ٧٤ و ٧٥) [والظاهر أن هـذا المشروع لم يتم نظرا للاضطرابات التى كانت حاصلة فى مصر فى ذلك الوقت أوّلا بهجوم الصليبيين وثانيا بانقراض السلالة الأيوبية . وهذا المشروع قد تم بفضل اسماعيل خديو مصر الكبير فى هذا العهد الجديد .]

ومن ذلك نهران ينصبان من الجبل المشبّه برأس صاد بالخط المغربىّ [ص].

يأخذ أحدهما مشرّقا ويستدير في بحيرة بين كوكورة المذكورة وبين محالان جاى، شمالىّ كوكورة وجنوبىّ محالان جاى . ثم يخرج مشرّقا إلىٰ بحيرة أخرىٰ يتبحّر بها غربىّ مدينة زَافُون. ثم يخرج متشاملا شمالا بغرب، علىٰ غربىّ أرض الملح السوّاخة.

٥ ثم تتشعّب منه شعبة تأخذ جنوبا إلىٰ مدينة أُوْذَغَسْت[1] وتستمر سائرة نهرا مادّا إلىٰ مدينة فاس. فيصبّ في البحر الشامىّ.

وثانيهما ينصب آخذا إلىٰ الشمال علىٰ مدينة القيروان إلىٰ أن ينصب في البحر الشامىّ.

ومن ذلك نهر يخرج من الجبل الفاصل بين فاس وسجلماسة مارّا بين أَسَمِى

١٠ والمزمة حتّى يصبّ في البحر الشامىّ، شرقىّ طنجه.

ومن ذلك أنهار ثلاثة تنصب من الجبل المشبه بفردة صولجان: تجرى من جنوب سجلماسة، واحدًا بعد واحد. وتصبّ[2] الثلاثة مفرقة في البحر المحيط.

ومن ذلك نهر ينصبّ من الجبل المشبه بتعيقة لا معلقة بالخط المغربىّ [لا] وراء خط الاستواء. يصب في المحيط . وقد تقدّم ذكر بعض هذه الأنهار، في ضمن ذكر الجبال. وذلك جميعه منقول من خط الرسم.

---

(١) كذا في ياقوت أوذغست مضبوطا بالعبارة، وكذا في تقويم البلدان الا أنه نص على إهمال الدال. وفي الأصل اودعش ولعله تصحيف من الناسخ.

(٢) في الأصل: "وتصير"

والربع الثالث

أنهار الربع الثالث

من هذه الأرباع المقسومة وهو الغربيّ الآخذ إلى الشمال، به ما يذكر من الأنهار:

نهر إشبيلية أو الوادى الكبير

فمن ذلك، مما هو بجزيرة الأندلس نهر إشبيليّة، ينصبّ من الجبل الفاصل بينها وبين قُرْطُبَة، وينصب فى البحر الشاميّ. وهو من أحسن الأنهار وأجلّها، محفوف بالبساتين والدور والقصور. ومضت فيه ـ أيامَ مُلك المسلمين لها ـ أوقاتُ مسرّة ولهْو.
وحكى الفتح بن خاقان، قال: "ركب عبدالجليل بن وَهْبون، وأبو الحسن غلام البكرىّ من إشبيليّة فى ليلة أظلمَ من قلب الكافر، وأشدّ سوادا من طرف الظبْى النافر؛ ومعهما غلامٌ وضيءٌ قد أطلعَ وجهُهُ البدرَ ليلةَ تَمامه، على غصن بانٍ من قَوَامه؛ وبين أيديهم شمعتان قد أزْرَتا بنجوم السماء، ومزّقتا رداء الظلماء، وموّهتا بذهب نورهما لُجَين الماء. فقال عبد الجليل ارتجالا[1]:

كأنما الشمعتان إذ سمتا * خدًّا غلامٍ محسّن الغَيَد.
وفى حَشا النهر من شُعاعهما * طريق نار الهوى إلى كبدى.

وقال غلام البكرى[2]:

أَحْبِبْ بمنظر ليلة ليلاءِ * تُجْنَى[3] بها اللذاتُ فوق الماءِ.
فى زورق يُزهى بغرّة أغيدٍ * يختال مثلَ البانة الغَيْناءِ

(١) هذه السجعات يظهر أنها من صنعة ابن فضل الله. وإلا فالذى فى "قلائد العقيان" (ص٢٤٢ و٢٤٣) وفى "نفح الطيب" (ج ١ ص ٣٥ ؛ من طبعة أوربّة) يخالفها، وهما متخالفان أيضا فى بعض الألفاظ.

(٢) هنا سجعات أغفلها مؤلفنا.

(٣) فى النفح: تُجْنَى.

قَرَنَتْ يداه الشمعتين بوجهه * كالبدر بين النَّسر والجَوْزاءِ.

وٱلْتَاحَ فوق الماء ضوءٌ منهما (١) * كالبرق يخفق في غمام سماءِ.

قلتُ: ومن هذا النهر أُخِذت إشبيلّية، فقال بعضهم "لَسَبَ (٢) إشبيلّية عقربُها، وساورها أرقمها". يريد بالعقرب شَرَفَها (٣) المطلّ، وهو عقربيّ الشكل، وبالأرقم نهرها. قالوا: وهو من العجائب.

وحكىٰ آبن ظافر، قال: "ركب (٤) [الأُستاذ] (٥) أبو محمد بن صارة [مع أصحاب له] (٦) في نهر إشبيلّية في عَشِيّة سال أصيلها (٧) علىٰ لُجَيْن الماء عِقبانا، وطارت زوارقها (٨) في سماء اللهو (٩) عِقْبانا (١٠)، وأبدىٰ نسيمها من الأمواج [والدارات سُرَرا وأعكانا، في زورق يجول جَوَلان الطِرف، ويسودّ آسوداد الطَرف] (١١). فقال بديهاً:

تأمَّلْ حالنا والجوُّ طلْقٌ * محياه، وقد طَفَل المَساءُ.

وقد جالت بنا عَذراء حُبْلىٰ * تجاذَبَ مِرطَها ريحٌ رُخاءُ.

بنهرٍ كالسَّجَنْجل كوثريّ * تُعبِّس وجهها فيه السماءُ.

---

(١) في القلائد وفي النفح: تحت.

(٢) لسب: بمعنى لدغ.

(٣) هو المعروف الآن عند أهل اسبانيا باسم Aljarafe.

(٤) أوردها صاحب نفح الطيب عن البدائع برواية قريبة جدًا من رواية آبن فضل الله (ج ٢ ص ٢١٥)

(٥ و ٦) الزيادة من "بدائع البدائه".

(٧) في البدائع: سأل أصلها. وهو غلط مطبعيّ. [وردت بالصحيح في نفح الطيب].

(٨) في آبن فضل الله: جواريها [وقد استحسنتُ رواية نفح الطيب].

(٩) في النفح: النهر. [وقد استحسنتُ هنا رواية البدائع وآبن فضل الله].

(١٠) في البدائع: وطارت زوارقها في سماء الماء عقبانا. ورواية آبن فضل الله أفضل.

(١١) الزيادة عن البدائع والنفح.

ولما وقف عليها ٱبن خفاجة ، ٱستحسنها وٱستظرفها وٱستطابها . فقال يعارضها ، علىٰ وزنها ورويّها وطريقها :

ألَا ياحبّذا ضحِكُ الحُميّا * بحانتها ، وقد عبَس المَساءُ !
وأدهمُ من جياد الماء نهد (١) * تنازع جَبْلَهُ ريحٌ رُخَاءُ !
إذا بدتِ الكواكبُ فيه غَرْقىٰ * رأيتَ الأرض تجذبها السماءُ . (٢)

٥

نهر سرقسطة

ونهر سَرَقُسْطة . وهو نهر جليل كبير منسع الجوانب .

وذكر ٱبن خاقان (٣) أنّ المستعين بن هود ركب هذا النهر يوما لتفقد بعض معاقله ، المنتظمة بجيد ساحله . وهو نهر غزِر (٤) ماؤه وراق ، وأزرىٰ (٥) علىٰ نيل مصر (٦) ودِجلةِ العراق (٧) . قد ٱكتنفته البساتين من جانبيه ، وألقت طلالها عليه ، فما تكاد عين الشمس تنظر إليه (٨) . هذا علىٰ ٱتساع عرصه ، وبُعد سطح مائه وأرضه (٩) . وقد توسّط زورقه

١٠

---

(١) فى البدائع وٱبن فضل الله : الليل . [وقد ٱستحسنتُ رواية نفح الطيب] .

(٢) فى النفح : تحسدها .

(٣) يشير إلىٰ قلائد العقيان (ص ١٨٥ ، ١٨٦) . والحكاية بنصها وفصها فى بدائع البدائه (ص ٢١٤) . وٱنظر نفح الطيب طبع بولاق (ج ١ ص ٤٢٥ ، ج ٢ ص ١٨١) . ولكن السجعات التى فى القلائد هى مخالفة بالكلية للتى أوردها ٱبن فضل الله عن البدائع ، والتى نقلها أيضا صاحب نفح الطيب . وٱنظر نفح الطيب ، طبع أوروبة (ج ١ ص ٣٠٥ ، ج ٢ ص ٨١٨) .

١٥

(٤) فى البدائع وفى النفح . رق . [وهى أرق] .

(٥) فى النفح : وزرىٰ .

(٦) فى الأصل : على نهر نيل مصر .

(٧) فى البدائع : ودجلة والعراق . [والواو الثانية زائدة بالطبع فى أثناء الطبع] .

٢٠

(٨) فى البدائع : أن تنظر . [ورواية ٱبن فضل الله أفضل ، ومثلها فى النفح] .

(٩) فى البدائع : وبعد سطح الماء من أرضه . [وهذه الرواية أحسن وأمتن . وفى النفح : وبعد سطح مائه من أرضه] .

زوارقَ حاشيته توسط البدر للهاله، وأحاطت به إحاطة الطُّفاوة بالغزاله. وقد أعدّوا من مكايد الصيد ما آستخرج ذخائر الماء، وأخاف [حتّى] حوت السماء. وأهلّةُ الهالات طالعة من الموج[1] في سحاب، وقانصة من بنات الماء كلّ طائرة كالشهاب. فلا ترىٰ إلا صيودا كصيد[2] الصوارم، وقدود اللهاذم، ومعاصم الأبكار النواعم. فقال الوزير أبو الفضل بن حسداى[3]، والطرب قد آستهواه، وبديع ذلك المرأىٰ قد آسترق هواه، وآرتجل :

لله يوم أنيــقٌ واضحُ الغُــرَرِ * مُفَضَّضٌ مُذْهَبُ الآصالِ والبُكَرِ!
كأنّمـا الدهر لمَّـا ساء، أعتَبنا * فيه بعُتْبىٰ وأبدىٰ صفح معتذِرِ.
نسير في زورق حفّ السَّفينُ به * من جانبيه بمنظوم ومنتـثِرِ.
مدّ الشـراع به نشرًا علىٰ مَلِكٍ * بذّ الأوائل في أيّامـــه الأُخَرِ.
هو الإمام الهمام المستعين حوىٰ * علياء مُؤْتَمَنٍ في هَدْيِ مقتدِرِ.
تحوي السفينة منـــه آيةً عجبا * بحرٌ تجمّع حتّى صار في نَهَـرِ.
تُثار من قعره النينانُ[4] مُصْعِدَةً * صيدا كما ظفر الغوّاص بالدررِ.
وللنُّـــدامىٰ به عَبٌّ ومُرْتَشَفٌ * كالراح[5] تعذب في وِرد وفي صَدَرِ.
والشرب في ودّ مولًى خُلقه زَهَرٌ * يذكو، وغرّته[6] أبهىٰ من القمـرِ.

(١) في آبن فضل الله وفي النفح : الموج .
(٢) في النفح : كقصد .
(٣) في البدائع : حداى . وهو غلط مطبعيّ .
(٤) في نفح الطيب شرح لطيف واف علىٰ هذا الجمع (ح ٢ ص ١٨١ ، ١٨٢).
(٥) في الأصل : كالريق، وكذلك في النفح، وفي القلائد . [وآعتمدت رواية البدائع] .
(٦) في البدائع وفي آبن فضل الله : وبهجته . [وآعتمدت رواية القلائد والنفح].

بقية أنهار الأندلس

ومن ذلك نهرٌ ثان ينصبّ من ذلك الجبل أيضا . ينزل على مدينة إلبيرة، وينصبّ إلى المحيط .

(٥١) ومن ذلك نهران ينصبان من الجبل الفاصل بين طُلَيْطلَة ووادى آش، المبنيّ بسفحه الجنوبيّ قبة الزُّهَرَة . يأخذ الأوّل منهما جنوبا إلى قُرطبة، وينصب فى البحر الرومىّ . ويأخذ الثانى شمالا بين بَطَلْيُوس وقُورةَ، ويصب فى البحر المحيط . ٥

أنهار أخرى

ومن ذلك نهر ينصبّ وراء خليج البنادقة، من وصلة الأمّ الخارجة من البحر الشامىّ، شرقىَّ رومية الكبرى . يأخذ من هذا النهر غربا بشمال على مدينة لَبطيرة شمالىَّ فَرَنْسِيَة . ويصبّ فى البحر المحيط .

ومن ذلك نهر يصبّ من الجبل المحيط، حيث يسمّى بجبل قاقونا آخذا شرقىّ مدينة سوسية إلى مدينة قسطنطينية العظمى . ويصب فى البحر الرومىّ عندها . ١٠

ومن ذلك نهر يصبّ من الجبل المحيط المذكور، شرقىَّ هذا المصبّ، آخذا على بلاد الصقلب، مارًّا شرقىَّ بلاد الجركس والماجار إلى أن ينتهى إلى مدينة قِرِم ويصب فى بحر بنطُس[(١)]

أنهار آسيا

ومن ذلك نهر يصبّ من جبال هَمَدان وخلاط من شمالىّ ماردين، آخذا على شمالىّ مَلَطْيَه، حتى يسقى بين مدينتى نهر وقرمى . ويصبّ فى البحر الشامىّ . ١٥

ومن ذلك نهر جيحان . يخرج من بلاد الروم تحت حصن المُنَقَّب . يأخذ ما بين عين زَربا وكَفَربيّا، ثم يمتدّ إلى المَصِّيصَة ويصبّ فى البحر الشامىّ .

(١) فى ياقوت ضبطه بضم الطاء بالعبارة ونص على إهمال السين . وفى الأصل : نطش . وهو تحريف من النساخ شاع فى كثير من كتب العرب . وقد سبق التنبيه على ذلك فى حاشية صفحة ٥٧ . وسنجرى على التسمية المعتمدة فى بقية الكتاب . لأن هذا الاسم مأخوذ عن اللغات الافرنجية وهو المعروف عندهم باسم Pontus واسمه الجغرافى عند الفرنسيين Pont-Euxin . ٢٠

ومن ذلك نهر سَيْحَان . يخرج من شمالِيِّه ويمر علىٰ أَذَنَة[1] . ثم يصب فى البحر الشامىّ .

ومن ذلك فى نهاية الشمال عشرة أنهار : منها آثنان ينصبّان من الجبل الأمّ المذكورة، وثمانية تنصب من الجبلين المكتنفين شرقا وغربا لبحيرة جَارْس، ينزل من كل واحد منهما أربعة أنهار . تنصب هذه العشرة الأنهار فى هذه البحيرة المذكورة.

ومن ذلك أربعة أنهار تنصبّ من جبال الديلم: ينزل الأوّل غربىّ أَرَّجان، ويليه الثانى ينزل من شرقيّه، ويليه الثالث ينزل من شرقىّ المسن، ويليه الرابع ينزل من سابور. وتصب الأربعة فى البحر الهندىّ .

نهر دجلة

ومن ذلك نهر دِجْلَة . يصبّ من جبال شهرزور وآمد . و يمتدّ بين آمد ومَيَّافارِقين إلىٰ الموصل . ثم يمدّها الزابان: الزاب الأكبر والزاب الأصغر. وهما نهران كبيران. ثم تأخذ إلىٰ تكريت غربىّ ديار بنى شَيْبَان (تامَرَّى وعُكْبَرا والدادان) إلىٰ بغداد . ثم يتشعّب ما بين بغداذ والمداين، جنوبىّ بغداذ وشمالىّ المداين شعبةٌ منه، تأخذ منه شرقا محضا . هو المسمّى بالنهروان . ثم يمُدّ عمود دجلة مستقيما علىٰ الجنوب، ثم يتشعب منه بين النعمانية وجبل جَرْجَرَايَا جنوبىّ النعمانية، وشرقىّ جبل جرجرايا شعبةٌ أخرى، تأخذ شرقا محضا، تمرّ بين حُلوان وبَعْقُوبا . ثم يَمُدّ عمود دجلة إلىٰ واسط . فإذا عدّاها إلىٰ سوادها، لاقاه الفُرَات[2] هناك . و يجتمع الكلّ إليه نهرا واحدا، يمدّ إلىٰ المفتح . و يتشعب منه نهر مَعْقِل[3]، وهو النهر المشهور . و ينصب بعضه إلىٰ بطائح البَصرة .

(١) هى المدينة التى يسميها الترك الآن : أطَنَة، منعا للأختلاط فى الكتابة بينها و بين أدرنه .

(٢) فى الاصل : لاقته .

(٣) الذى يقال فيه : إذا جاء نهر الله، بطل نهر معقل .

ويستدير باقيه بالمِرْبَد والأُبُلَّة شرقىّ البصرة. ثم يمدّ عمود دجلة مستقيما على الجنوب. ثم تتشعب منه شعبة أخرى صغيرة، تجىء على جنب الأُبُلَّة فتشق أرضها عرضًا، وتلاقى الشعبة المستديرة بها. ثم يمدّ عمود دجلة آخذا جنوبا إلى عَبَّادانَ. ويصب هناك فى البحر الهندىّ.

نهر الفرات (٥٣) ٥ ومن ذلك نهر الفرات. يصبّ من جبال الروم ويأخذ على ملطيّة، إلى سُمَيْساط، إلى الرَّقّة، إلى قرقيسيا، إلى الرحبة، إلى الداليــة، إلى عانَةَ، إلى هيت، إلى الأنبار. ثم تتشعب منه أنهار: منها نهر عيسى، ونهر صرصر، ونهر المَلِك، ونهر صورا، ونهر الصَّراة، وهو المشهور، وإياه عنى الشاعر فى شعره، بقوله:

أَوَ ما وجدتم فى الصَّراة ملوحةً * مما أُرقرق فى الفُرات دموعى؟

١٠ ثم يمتدّ عمود الفرات ويمرّ ما بين القصر وبين الكوفة على بابل. ويستـديرمنه شِعْبٌ بخانِقِين، وتكون هى جزيرة بوسطه. ويصب ذلك الشعب من تحت حانِقِين فى بطائح الكوفة. ثم يأخذ عمود الفرات فوق حانِقِينَ من حيث آستدار ذلك الشعب عليها مائلا على الجنوب مشرِّفا. ثم يتشعب منه شُعَب أُخر إلى بطائح البصرة. وينعطف عمود الفرات آخذا شرقا بشمال على وِرابِ قليل إلى سواد واسط. ويلاقى هناك دجلة. ١٥ ويجتمع عمودهما هناك نهرا واحدا، حتى يصبّ غربىّ عَبَّادان، فى البحر الهندىّ.

نهر الساجور ومن ذلك نهر الساجور. يصبُّ من جبال الروم آخذا شرقا حتّى يُحاذى مَنْبِج. ثم يصب فى الفرات. ويتشعب منه شعبٌ، لولاها لم يُذْكر الساجور. وهو نهر يسمّى نهر قويق قُوَيْق، يمدّ من مغار به إلى أن ينزل حلب. ويسقى الأرض والمزارع. ويتناهى إلى شرقىّ قِنَّسرين. ويبحِّر هناك بحيرات لطيفة. وإنما ذكرناه لشهرة نهر قُوَيْق. ولهذا ٢٠ علمناه بالأحمر.

النهر العاصي

ومن ذلك نهر يعرف بالعاصي. يصبّ من وراء نهر بعلبك، من منابع شتّى في وطاءة أرض. قلتُ من قرية تعرف باللبوة ومغارة الراهب. ثم يأخذ شمالا مارّا حتّى يقارب غربيّ حمص، فيصبّ هناك في بحيرة متوسطة في الاتساع. ثم يخرج مهاويًا غربيّ حمص إلى حماه إلى شيزر إلى أَفَامِيَة. فيصب في بحيرة بها. ثم يخرج فيشق في جبال تعرف هناك الآن بجبال الغرب، إلى ديركوش، إلى بلد يعرف بالإقليم، ثم ينزل العَمْقا إلى أنطاكية إلى السويدية. ويصب في البحر الشاميّ، حيث ينعطف هناك. وقد سمّينا بعض هذه الأسماء بما يعرف بها الآن.

(٥٤)

٥

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الممتدّ على الشام شرقيّ طرابلس المستجدّة البناء[١]، حيث يسمّى الجبل هناك بلُبنان. يجرى من قرية تعرف الآن برشعين، فيدخل تحت قناطر معقودة جدّدها الابرنس[٢] حين غلبت الفرنج على طرابلس، فعُرفت به. فيشق المدينة المستجدّة[١] ويصب في البحر الشاميّ.

١٠

نهر بَرَدَى

ومن ذلك نهر بَرَدَا[٣]. ويخرج من عين في صحراء الزَّبَدانيّ بين بعلبك وبين دمشق. ثم يمدّه نهر يخرج من الجبل الممتدّ على الشام من مكان يعرف الآن بالفيجه[٤] تحت حصن عزّتا ويمدّ إلى دمشق. وينقسمُ قبلها وبعدها أنهارا، يعمّ دورها وبساتينها، ويسقى بعض قراها ومزارعها، ثم يحدر فاضل مائه شماليّ الغوطة في بحيرة هناك.

١٥

(١) إشارة إلى ما فعله السلطان قلاوون حين أخذها من الفرنج فإنه هدمها. ثم بنى المدينة الجديدة الباقية إلى الآن بعيدة عن مكان الأولى التي كانت واقعة على البحر مباشرة.

(٢) Le Prince.

(٣) المشهور كتابته بالياء: بردى. وهو نهر دمشق المشهور

(٤) وهذا الاسم باق إلى الآن. ويعرف المكان في عصرنا بعين الفيجة. وقد جرّوا منه الماء في أنابيب إلى مدينة دمشق

٢٠

الأُرْدُنّ

ومن ذلك نهر الأُرْدُنّ . (١)

ولا يسمّى بهذا الاسم إلا حيث خرج من بحيرة طَبَرِيّة . ويسمّى الآن الشريعة . ويشق وادى كنعان شقًّا فى الطول حتّى ينتهى إلى بحيرة زُغَر (وهى سَدُوم ، دار قوم لوط ، وتعرف الآن بالمُنْتِنة)، والوادى بالغور . وله فى كل مكان اسمٌ بحسب مايضاف إليه من مشاهير القرى التى فيه . ٥

وأصل هذا النهر من مرج عيون والهرماس . وكلاهما تحت الشقيف وتل القاضى والملّاحة، وهى عين بعيدة العمق جدًا، ونهر بانياس .

وتسمّى هذه الأمواه كلها : الشريعة الشمالية . وترمى تحت جسر يعقوب وتجتمع فى بحيرة طبرية . ثم تمدّ فتتلاقى هى والشريعة القبلية بقرية تعرف بالبقارية، ويأتيان جسر الصنّبرة إلى الجسر العادلى، وهو تحت عَقَبة فِيق، فربَ الدير الأسود، ثم يأتى جسر شامه المقارب لقرية المجامع . وتمدّ فيلاقيها نهر الزرقاء، دون دامية . ثم تمدّ فترمى فى البحيرة المنتنة . ١٠

وسنذكر أصل الشريعة الشمالية . وهو من دير الهُرَيْر والجولان واليرموك ووادى الأشعرى والفوّار والمدّان، مع ما ينضاف إلى ذلك من ينابيع . ويتحصّل من البلاد المرتفعة . ويجتمع تحت حمّة جَدَر . وهى تحت فِيق، وعليها قبوٌ معقود ببناء خشن طويل . وبه أحواض . يقال إن كل حوض لعلة من العلل يبرئها ، بإذن الله، إذا استحمّ منه العليل بها . قالوا : ولم تزل على هذا حتّى أتى بعض قدماء الحكماء فهدم القبوَ والأحواض وجمع الماء كله إلى مجرًى واحد، إلا فرعين تركهما : أحدهما لمن به ريحٌ، والثانى لمن به جَرَبٌ . والماء الغَمْر لسائر الأسقام . وماء هذه الحمّة عذبٌ . وآثار الأبنية باقية . ١٥

---

(١) فى الأصل بياض مقدار خمسة سطور . وضع المؤلف بدلها تخريجة مضافة على صحائف الكتاب وهى عبارة عن الكلام التالى .

(٥٥)

الربع الرابع

أنهار الربع الرابع

من هذه الارباع المقسومة، وهو الشرقيّ الآخذ إلىٰ الشمال، و به مايذكر من الأنهار:

فمن ذلك نهران يصبان من الجبل المشبّه بصليبٍ ذَهَبَ أحدُ شعبه.

ينصبّ أحدهما من جنوبيّ هذا الجبل واقعا شرقيّ مدينة طغان الواقعة فى شمال

٥ هذا الجبل بغرب. يمرّ بين طغان وتركستان مغرّبا، حتّىٰ يصب فى بحيرة خِلاط.

والنهر الثانى منهما ينصبّ من شرقيّ هذا النهر الأوّل وعلىٰ سمته. يمتدّ بنهر، ثم يتشعّب علىٰ شُعبتين: الشعبة الجنوبية منهما تأخذ شمالىّ مدينة طغورا مشرّقا علىٰ قصر الدّهّال المقارب لبلاد كنغد، ثم ينعطف آخذا إلىٰ الجنوب يشق بلاد الهند حتّىٰ يصب فى البحر الهندىّ، شرقيّ كوام. والشعبة الثانية منهما تأتى جنوبيّ

١٠ الأرض المحفوره، علىٰ ماقيل، حتّىٰ نصب فى البحيرة البلّاعة.

نهر أثيل

ومن ذلك نهر أَثِيل (١). وهو المركب عليه مدينة السراى. ومخرجه من عين تنبع فى ذيل جبل قاقُونَا، ثم يقتبل الجنوب آخذا بغرب فى صحارىٰ القبجاق علىٰ شمالىّ معادن الفضة، حتّىٰ يصبّ فى بحر طبرستان.

ومن ذلك نهران ببلاد الخطا، نازلان من الجبل الغربيّ من جبال المحيط بها.

١٥ تأخذ الشمالىّ منهما مشرِّقا ويُجِرُّ جنوبيّ خان بالق. ثم يمتدّ مشرِّقا بجنوب حتّىٰ ينتهى إلىٰ المالق (٢) والآخر ينتهى إلىٰ باش بالق. وينتهى عندها.

---

(١) أُنظر حاشية ١ ص ٥٩.

(٢) سبق ورود هذا الاسم: المالق، بغير وصل

ومن ذلك نهرٌ ينصب من الجبل الواقع فيه باب الصين . ينزل على قراقرم ويأخذ مشرّقا على بلاد الهياطلة (١) حتّى يصبّ فى بحيرة السودان هناك.

ومن ذلك نهر ينصبّ منَ الجبل الممتدّ من وراء العوج . ينزل من شرقيه على مدينة قلنبر. ويحر فى بحيرة هناك.

(٥٦)

نهر الطيب — ومن ذلك نهر يسمّى نهر الطيب . يخرج من قشمير السفلى.

ومن ذلك نهر ينزل من الجبل، شمالىّ السُّد حتّى يصبّ فى بلاد عبدة الشياطين، فى بحيرة هناك، تسمّى بحيرة الشياطين .

نهر جيحون — ومن ذلك نهر جيحون . ينزل من جبل قاقونا. وتمدّه أنهار من جبال تمدّه فيمتدّ حتّى يخرج من هذا الربع إلى الربع الغربىّ القسيم له . فيصب فى بحر طبرستان .

نهر سيحون — ومن ذلك نهر سيحون . الآخذ على بلاد فرغانة و يمدّه نهر الشاش ويخرج إلى حائط عبد الله بن حميد (٢) حتّى يصب فى بحر طبرستان .

نهر السغد — ومن ذلك نهر السُّغد . ينصب من جبال البُتْم، وينتهى إلى بُخَارا، ويحر فى بحيرة هنـاك .

نهر مكران — ومن ذلك نهر مَكْران . ينصبّ من جبل الدَّيلم فيمتدّ آخذا على مدينة المحمَّديَّة . على كرمان إلى بلاد السند.

نهر عماس — ومن ذلك نهر عمـاس . فى بلاد الترك.

---

(١) Les Huns.

(٢) أى بستان .

ومن ذلك الأنهار العشرة . الآخذة منها خمسة تجرى من شعبة منقطعة من الجبل المحيط متصلة بالبحر المحيط، وتمده أنهار من جبال النوشادر الواقعة شرقىّ الصين حتّى يصب فى نهر حمدان، ثم يمتدّ الجميع نهرا واحدا حتّى يصب فى المحيط.

نهر حمدان الأعظم بالصين

ومن ذلك نهر حمدان الأعظم . وهو ينزل من جبال أرمو به وبانوس على مدينة اطراغا، ويبحّر هناك. ثم يمدّ مشرقا إلىٰ مدينة لوقر. وينعطف فى الصين حتّى تلاقيه هناك الأنهار العشرة، أعنى المتقدّمة الذكر، دون خط الأستواء فى أوائل الإقليم الأوّل . يقال إنه يصبّ به نهر كل المنصب من الصين الداخل . ويمتدّ الجميع نهرا واحدا موعلا فى الفرجة الداخلة فى الصين من البحر المحيط والبحر الهندىّ، إلىٰ وراء خط الأستواء . ثم يصبّ هناك فى البحر المحيط.

(٥٧)

نهر الكر ونهر الرس

ومن ذلك نهران: أحدهما نهر الكُر(١) والآخر نهر الرَّس . يصبان من جبل الديلم يسمّى جبل قالبولا. ويجىء الكر علىٰ تفليس. ويلاقى الرّس نهر ينزل من سبلان بين ترزند و وزنان، ثم يصب الكر جنوبىّ شروان. ويصب الرس غربيّه. كلاهما يصبان فى بحيرة طبرستان.

نهر قره صو

ومن ذلك نهر يسمّى الآن قراصو(٢). وهو اسم باللغة التركية أى الماء الأسود يأتى من شروان وشَمَاخِى ويسكب فى بحر طبرستان.

نهر أرس

ومن ذلك نهر آخر يسمى أرس . يأتى علىٰ شرقىّ المكان المسمى الآن صحراء بيلسوان. ويصب فى بحر طبرستان .

(١) فى الأصل : أحدهما علىٰ نهر .

(٢) فى الأصل : قراتوا [وهو تحريف ظاهر.]

ومن ذلك ـ على ماقيل ـ نهران ينزلان من الجبل المحيط ويسقيان بلاد يأجوج ومأجوج . ينزل أحدهما جنوبى السدّ ، والآخر من شماليه . وهكذا صوّره صاحب جغرافيا فى لوح الرسم .

فهـــذه هى جميع الأنهار المشتهرة فى جميع المعمورة وما قاربها . ولم نُخلّ منها إلا بمـا لعلّ صاحب جغرافيا لم يصوّره فى لوح الرسم . وإن كان ، فهو القليل . وفيما ذكرناه كفاية .

البحيرات المشـــــهورة

البحيرات المشهوره

ثم نحن نذكر ما فى معمورة الأرض من البحيرات المشهورة . ونحن نقسمها على نصفين : نصفا شرقيا ونصفا غربيا.

فالنصف الأول هو الشرقىّ فيه ما يذكر من البحيرات :

٥ فمن ذلك بحيرة كيماما . بجزيرة القُمر الخارجة عن خط الأستواء . وهى عذبة.

ومن ذلك بحيرة اطراغا بالصين.وهى عذبة.

ومن ذلك بحيرة سَرَنْك بالهند . وهى عذبة.

ومن ذلك بحيرة السوكران ببلاد الهياطلة،شرقى قراقوم بشمال. وهى عدبة.

ومن ذلك بحيرة بخارا .وهى عدبة.

١٠ ومن ذلك بحيرة خوارزم.وهى ملح.

(٥٨)

ومن ذلك بحيرة تهامة . يصب بها نهر اتكش فى بلاد الترك.

ومن ذلك بحيرة زَرَه ببلاد سجستان . وهى ملح.

ودلك على مانقل فى لوح الرسم.

والنصف الثانى وهو الغربىّ،به من البحيرات مايذكر :

١٥ فمن ذلك بحيرات النيل الثلاثة.

البحيرتان اللتان يخرج منهما النيل

اعلاها بحيرتان،حيث تنصب فى أوله،ثم البحيرة الكبرى التى دونهما ونسميها البطيحة.

بحيرة الفيوم وهى غير التى فى أرض مصر

ثم بحيرة الفيوم (١) ذكرناها هنا لأنها من النيل من الفرع الآخذ من نيل السودان خلف بلاد غانة. وهى عذبة.

بحيرة الفيوم بمصر

ثم بحيرة الفيوم ذكرناها هنا لأنها من النيل أيضا . وهى عذبة. ولم ننبه على أن هاتين البحيرتين عذبتان مع كونهما من النيل إلا لنُعلِم أن أرضهما لم تغير ماءهما ولا أفسدت طعمهما . ٥

بحيرات أخرى

ومن ذلك بحيرة زاقون. يجرى بها النهر المنصب من الجبل المشبه بتعيقة (٢) لا بالخط المغربى.

ومن ذلك بحيرة بين قصر عيسى و بين كوكورة، وبحيرة بين كوكورة ومجالات جاى.

ومن ذلك بحيرتان عند تزرت من بلاد إفريقية : إحداهما ملح، والأخرى عذبة. تجرى العذبة فى الشتاء ستة أشهر، وتسكب فى البحيرة الملح فلا يعذب ماؤها ثم ١٠ تنقطع . وتجرى البحيرة الملح ستة أشهر أخرى تمام السنة، وتسكب فى العذبة فلا تملح . وبها أنواع من الحيتان يخرج كل شهر من الشهور العربيه نوعٌ منها. فإذا فرغ الشهر، ذهب ذلك وجاء غيره، ثم لا يوجد من نوع الحوت الذى كان فى الشهر الماضى شئ ألبتة إلى مدة ذلك الشهر من السنة الآتية. وحكى لى ذلك المغاربة. فسبحان من بيده الأمر كله! ١٥

(٩٥ ب)

ومن ذلك بحيرتان بأقصى المغرب : إحداهما على مقربة من قصر ابن عبد الكريم فى غابة الأنساع . بوسطها جزيرة دورها مقدار ثمانية عشر ميلا وتسمى بأبى

(١) يشير إلى بحيرة فى بلاد السودان المعروف الآن بنهر النيجر . ويكون الفيوم حينئذ اسما لموضع غير المشهور بديار مصر .

(٢) فى الأصل هنا . شعريقة لام . وقد آثرت الاصطلاح الذى كرره المؤلف فيما سبق . ٢٠

سُلهام . تمدّها أودية تنحـدر من جبال غمارة . وفي تلك الجزيرة يأوِي عرب ذلك الموضع بذخائرهم ورِعْي بهائمهم .

والأخرى بأزغان شمـالىّ مكاسة . تمدّها أنهار تحـدر من جبال أزرو جنوبىّ مكاسة . وليس لمياههما منفد .

ومن ذلك بحيرة ابزو . وهي ملح .

ومن ذلك بحيرة الإسكندرية . وهي ملح .

ومن ذلك بحيره تنس (١) . وهي ملح .

ومن ذلك بحيره جارش . بالشمال وهي عذبة .

بحيرة طبرية وحماماتها

ومن ذلك بحيرة طبرية . وهي عذبة .

(وبها الحَمَّة المعروفة بحمام طبرية . وللناس فيها أكاذيب . وهي صورة تنور مثل سور الكاس تكون سعته نحو عشرة أذرع تقريبا . يخرج منه ماء يدير مجرى رحًى . مهما وضع فيه احترق لإفراط حرارته . قد استخرج منه جدول في عرض الجبل يمتدّ نحو ألف ذراع تقريبا ، لتقلّ بُعد المدى حرارتُه . ثم يأتي بيتين مسقوفين — وسقوفهما بالحجر — أحدهما لاستحمام الرجال والآخر لاستحمام النساء والحمة ماؤها مملوح مكبرت) .

بحيرات أخرى

ومن ذلك بحيرة زُغَر . وهي المخسوف بها ، وهي المنتنة .

ومن ذلك بحيره دمشق . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة حمص . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة أفامية . وهي عذبة .

ومن ذلك بحيرة أنطاكية . وهي عذبة ، وتعرف ببحيرة يَغْرا . وهي متوسطة المقدار .

ومن ذلك بطائح العراق : اثنتان بالبصرة ، وواحدة بالكوفة . الجملة ثلاث بحيرات عذبة .

(١) لعله يريد : تنيس ، التي كانت بها المدينة المشهورة بالقرب من دمياط .

ومن ذلك بحيرة خِلاَط . وهى ملح.

ومن ذلك بحيرة أيودان . وهى ملح.

وذلك منقول من لوح الرسم، أو محقق بالسؤال، وإن حصل فى بعضه إخلال. وفيما أتينا به غنًى عما سواه . وبعض الشئ فى هذا الباب آستدراك، إذ المراد بذلك ما يستدلّ علىٰ الأرض بأعلامها الظاهرة. وفى الدليل الواحد كفاية. ٥

رمل الهبير

وإذ آنتهينا إلىٰ هنا نذكر رمل الهَبِير. لأنه مما هو ممتدّ فى الأرض. فكان من أعلامها المشهورة المشهودة فى الآفاق.

قال صاحب كتاب "معرفة أشكال الأرض": "وأما الرمل الهبير، فطوله من وراء جبلى طيّئ إلىٰ أن يتصل مشرقا بالبحر. ويمضى من وراء جبلى طيّئ إلىٰ أرض مصر، ثم إلىٰ بلد النوبة. ويمتد إلىٰ البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر. ومنه عرق ١٠ يضرب من القادسية إلىٰ البحرين. فيعبر البحرين، فيمرّ علىٰ مشارق خوزستان وفارس إلىٰ أن يرد إلىٰ سجستان . ويمرّ مشرّقا إلىٰ مرو آخذا علىٰ جيحون فى بريّة خوارزم. ويأخذ فى بلاد الخَرْلَخِيّة [1] إلىٰ بلد الصين والبحر المحيط فى جهة المشرق. وهو علىٰ ما وصفتُه وسقتُه من المحيط بالمشرق إلىٰ المحيط بالمغرب. وفيه منه جبالٌ عظام لا تُتَوَقّل ولا تُرتقىٰ. وبعضه فى أرض سهلة ينتقل من مكان إلىٰ مكان. ومنه ١٥ أصفر ليّن اللمس، وأحمر قانئ، وأزرق سماوىّ، وأسود حالك، وأكحل مُشْبَع كالنيل [2]، وأبيض كالثلج . وبعضه يحكى الغبار نعومةً، وبعضه خشن جريش اللمس.

ونحن نبيّن كلّ شئ بحسب ما يمكننا من الطاقة والآجتهاد. وفوق كل ذى علم عليم!

---

(١) نسبة إلىٰ خَرْلَخ صنف من الترك وقد يتصحف هذا الاسم إلىٰ الخزلجية والخرلجية وغير ذلك والصواب ما هنا.

(٢) أى نبات النيلج المعروف فى مصر بآسم النيلة. [Indigo]. ٢٠

الآثار البينة فى أقطار الأرض

الآثار المعظمة

ثم إنا نحن نعقب ذلك بذكر جمل من الآثار البيّنة فى أقطار الأرض ماجرت مجرى الأعلام، وقامت فى الاستدلال مقام ماقدّمنا ذكره من الجبال والأنهار والرمل والبحيرات. وسنذكرها مبيّنة. وبالله التوفيق![1]

(٦١)
المساجد الثلاثة

٥ فنبدأ بذكر المساجد الثلاثة : المسجد الحرام، ومسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى.

وهى التى تُشدّ إليها الرحال، وتُجدّ إليها الركائبُ التّرحال، تَسرى إليها سُرىَ السحائب فى المَحال، وتسمو والكواكب غَرْقى سُمُوَّ حَباب الماء حالا على حال.

روى ابو سعيد الخُدرىّ عن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) انه قال: لا تُشدّ الرحال
١٠ إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام[2]، ومسجدى، ومسجد بيت المقدس. رواه الإمام أحمد.

ويُتبَع كلّ مسجد منها بما تعلق بذيل أستاره، وتألّق بإشراق نوره وإسفاره، مما ضمّه نطاق سوره، وأفيض عليه رداء سوره، إلى غير ذلك من آثار، ومواطن تُحدّ الدموعُ فيها النثار.

١٥ واوّل مانبدأ به :

---

(١) ترك المؤلف هنا بياضا قدره خمسة سطور.

(٢) هكذا فى الأصل على الإضافة لاعلى الوصفية، كما هى العادة وما هو الأشهر.

ذكر الكعبة

البيت الحرام وفضائله ومدلولاته

البيت الحرام. أوّل بيت وُضع للناس، ورُفع علىٰ قديم الأساس. بُنى مثالا للبيت المعمور، ودُعِى إليه كل مأمور. وأذّن إبراهيم (صلوات الله عليه) إليه بالحجّ، ودعا إليه الناس فأتَوْه من كل فجّ. حجّته الملائكة قبل آدم، وجاءته وعهدُه ماتقادم. ويقال إنه لم يبق نبىّ حتى حجّه. ويعدّ عدة أنبياء دُفنوا فى الحِجر منه. ولم تزل شعائره مكرّمه، ومشاعره محترمه. عُظِّم فى الجاهليّة والإسلام، وحُرِّم من حيثُ بُنِيَتْ الأعلام. ﴿ ومَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوى القُلُوبِ﴾. وهو البيت المحجوج المحجوب، والمقصود بالزياره قصدَ الوجوب. وبه الحجر الأسود الذى هو يمين الله فى أرضه، والشاهد لمن حجّ وقبّله بأداء فرضه. سماءُ الدعاء، وحَرَمُ تحريم الدماء. يأمن به الحَمَام ساكنا، وَمَنْ دَخَلَه كان آمنا.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إبْرَاهِيمَ ومَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.

وعن أبى ذرّ الغفارىّ. قال: قلتُ يارسول الله: أىُّ مسجد وضع فى الأرض؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أىٌّ؟ قال: المسجد الأقصىٰ. قلتُ: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة. رواه البخارىّ. وأبو عروبة وزاد: وأينما أدركتك الصلاة فهو مسجد.

(٦٣) قال ابن جرير الطبرىّ: اختلف أهل التأويل فى قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ فقال بعضهم: تأويله "إن أوّل بيت وُضع للناس يُعبَد الله فيه مباركا وهدًى للعالَمين لَلّذى ببكّة". قالوا: وليس هو أوّل بيت وضع فى الأرض. لأنه

قد كان قبله بيوت كثيرة. ثم أسندَ هذا القول عن عليّ بن أبي طالب والحسن ومَطَرٍ وسعيد (وأظنه ٱبن جُبير) ثم قال : وقال آخرون بل هو أوّل بيت وضع للناس . وٱختلف هؤلاء فى صفة وضعه أوّلَ. فقال بعضهم: خلقه قبل الأرض، ثم دُحيت الأرض من تحته . وأُسند هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص. قال : خلق الله البيت قبل الأرض بألفَىْ سنة، وكان عرشه علىٰ الماء علىٰ زَبَدة بيضاء، فدُحيت الأرض من تحته . ونحوه عن مجاهد وقَتادة والسُّدّيّ. وقال آخرون: موضع الكعبة موضع أوّل بيت وضعه الله فى الأرض. وأُسند عن قتادة، قال: ذُكر لنا أن البيت هبط مع آدم. وحين أُهبِطَ قال الله : أُهبِطُ معك بيتى يُطاف به كما يُطاف حول عرشى. فطاف حوله آدم ومَن كان بعده من المؤْمنين. حتّىٰ إذا كان زمن الطوفان، رفعه الله وطهّره من أن يصيبه عقوبه أهل الأرض. فصار معمورا فى السماء. ثم إن إبراهيم تتبع منه أثرا بعد ذلك، فبناه علىٰ أساس قديم كان قبله. وقوله تعالىٰ ﴿لَلَّذى ببكّة ﴾ يعنى للبيتُ الذى ببكّة. قال الزمخشرىّ: وهو علَمَ للبلد الحرام. ومكّة وبكّة لغتان . وقيل: مكّة البلدُ، وبكّة موضعُ المسجد. وقيل : بكّة موضعُ البيت، ومكّة ماحوله. وقيل: بكّة البيتُ والمسجدُ، ومكّة الحرمُ كلُّه.

وقال عطاء بن أبى رباح: وُجّه آدم إلىٰ بكّة حين ٱستوحش. وشكىٰ ذلك إلىٰ الله (عز وجل) فى دعائه. فلما ٱنتهىٰ إلىٰ بكّة، أنزل الله تعالىٰ ياقوتة من ياقوت الجنة. فكانت علىٰ موضع البيت الآن . فلم يزل يطوف به حتّىٰ أنزل الله الطوفان، فرُفعت تلك الياقوتة. حتّىٰ بعث الله عزّ وجلّ إبراهيم فبناه. فذلك قوله تعالىٰ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ رواه أبوعمرو به.



وروىٰ أبو الوليد الأزرقىّ بسنده عن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب،

قال : إن الله (تبارك وتعالىٰ) بعث ملائكة، فقال ٱبنوا لى بناءً فى الأرض تِمثالَ البيت وقدْرَه. وأمر الله مَن فى الأرض من خلقه أن يطوفوا به، كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور. قال: وكان هذا قبل خلق آدم، عليه السلام. والله أعلم!

وقيل إن آدم أوّل مَن بناها. وقيل شيث بن آدم . وكانت قبل بنائه خيمةً من ياقوتة حمراء، يطوف بها آدم. ٥

وروىٰ سعيد بن أبى عَرُوبة عن قَتَادة ، قال : ذُكر لنا أن قواعد البيت من حِراء، وذُكر لنا أن البيت من خمسة أجبل : حِراء ولُبنان والجُودىّ وطور سينا وطورزَيْتا.

وقال ٱبن جُرَيْج : بُنى أساس البيت من خمسة أجبل . (فذكر مثله).

١٠ وحكىٰ السُّهَيْلىّ أن الملائكة كانت تأتى إبراهيم عليه السلام بالحجارة. وقيل رُفعت الكعبة فى الطوفان وأودع الحجر الأسود أبا قُبَيس . وبقى موضعها ربوةً، حجها هود وصالح. ويقال إن يَعرُب قال لهود: ألا نبنيه؟ قال إنما يبنيه نبىٌّ يتخذه الله خليلا. ولما بناه إبراهيم دلّته عليه السكينة. وكانت تنزل عليه كالحَجَفة.

بناء إبراهيم الكعبة

وقال الأزرقىّ: لما بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة، جعل طُولَ بنائها فى السماء ١٥ تسعة أذرع. وطولها فى الأرض ثلاثين ذراعا، وعرضها فى الأرض ٱثنين وعشرين ذراعا. وكانت غير مسقوفة. ثم بنتها قريش فى الجاهلية. فزادت فى طولها فى السماء تسعة أذرع . فصار ٱرتفاعها فى الهواء ثمانية عشر ذراعا . ونقصوا من طولها فى الأرض ستة أذرع وشبرا، تركوها فى الحِجْر.

هدمها وتجديدها أيام ٱبن الزبير

ولم تزل كذلك حتّى كان زمن عبد الله بن الزبير . فهدمها وبناها علىٰ قواعد ٢٠ إبراهيم، وزاد ٱرتفاعها فى الهواء تسعة أذرع . فصار ٱرتفاعها سبعة وعشرين ذراعا.

(٦٤) بناء الحجاج لها

ثم بناها الحجّاج بن يوسف الثّقفىّ، فلم يغير ٱرتفاعها . ونقص الحِجر وأعاده كما كان فى الجاهلية.

تواريخ بنائها

وٱعلم أن الكعبة بُنِيت فى الدهر خمس مرات:

على يد الملائكة

إحداهنّ، بناء الملائكة أو آدم أو شيث، على ما تقدّم .

على يد إبراهيم

٥ الثانية بناء إبراهيم.

على يد قريش

الثالثة بناء قريش. والسبب فى ذلك أن الكعبة ٱستهدَمت، فكانت فوق القامة . فأرادوا تعليتها . وكان بابها لاصقا بالأرض فى عهد إبراهيم وعهد جُرْهُم إلى أن بنتها قريش . فقال أبو حذيفة بن المغيرة : ياقوم! ٱرفعوا باب الكعبة، حتّى لايدخلها أحد إلا بسُلَّم ! فإنه لايدخلها حينئذ إلا من أردتم. فإن جاء أحد ١٠ ممن تكرهونه رميتم به فسقط وصار نكالا لمن يراه . فَرفعتْ بابها، وجَعلتْ لها سقفا، ولم يكن لها سقف. وزادت ٱرتفاعها ، كما تقدّم . وكان عمر النبىّ (صلى الله عليه وسلم) إذ ذاك خمسا وعشرين سنة، وقيل خمسا وثلاثين. فحضر البناء وكان ينقل الحجارة معهم، كما ثبت فى الصحيح . وتنافست قريش فيمن يضع الحجر الأسود موضعه من الركن. ثم رضوا بأن يضعه النبىّ، صلى الله عليه وسلم.

على يد ٱبن الزبير

١٥ الرابعة بناء عبدالله بن الزبير. والسبب فى ذلك، على ما ذكر السهيلىّ، أن ٱمرأة أرادت أن تُجمّر الكعبة، فطارت شررة من المجمرة فى أستارها. فٱحترقت. وقيل طارت شررة من أبى قبيس، فوقعت فى أستار الكعبة، فٱحترقت . فشاور ٱبن الزبير مَن حضره فى هدمها. فهابوا ذلك، وقالوا : نرى أن نُصلَح ما وهى منها ولا تُهدَم. فقال: لو أن

بيت أحدكم آحترق لم يرض له إلا بأكمل إصلاح، ولا يكمُلُ إصلاحُها إلا بهدمها. فهدمها حتّى أنتهى إلىٰ قواعد إبراهيم. فأمرهم أن يزيدوا فى الحفر. فحرّكوا حجرا منها، فرأوْا تحته نارا وهَوْلًا أفزعهم. فبنَوْا علىٰ القواعد.

وفى الخبر أنه سترها وقت حفر القواعد. فطاف الناس بتلك الستارة. ولم تخل من طائفٍ. حتى لقد ذُكر أن يومَ قتل آبن الزبير، آشتدّ الحرب وشُغِل الناس حينئذ، فلم يُرَ طائف يطوف بها إلا الجَمَلُ. وتم بناءها وألصق بابها بالأرض. وعمل لها خَلْفًا أى بابا من ورائها وأدخل الحِجْر فيها . وذلك لأن خالته عائشــة (رضى الله عنها) حدّثته أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ألم تَرَىْ أن قومَكِ قصرت بهم النفقة حين بَنَوُا الكعبة، فآقتصروا علىٰ قواعد إبراهيم. ثم قالَ : لولا حدْثان قومك بالجاهلية، لهدمتُها وجعلتُ لهـا خَلْفًا وألصقتُ بابها بالأرض وأدخلتُ فيها الحِجْر . فقال آبن الزبير: فليس بنا عجز عن النفقة . فبناها علىٰ مقتضىٰ حديث عائشة .

وحكىٰ أبو الوليد الأزرقىّ أنه لمـا عزم علىٰ هدمها . خرج أهل مكة إلىٰ منًى. فأقاموا بها ثلاثا . خوفا أن ينزل عليهم عذابٌ لهدمها. وأمر آبن الزبير بهدمها . فمـا اجترأ علىٰ ذلك أحدٌ . فعلاها بنفسه وأخذ المِعْوَل وجعل يهدمها و يرمى أحجارها . فلما رأَوْا أنه لا يصيبه شيء، صــعدوا وهدموا. فلما تمّ بناؤها، خلّقها مِن داخلها وخارجها، من أعلاها إلىٰ أســفلها، وكساها القَبَاطِىّ . وقال : مَن كانت لى عليه طاعة، فليخرجْ فليعتمرْ من التنعيم ، ومَن قدر أن ينحر بَدَنَةً فليفعلْ ، ومَن لم يقدر فليذبح شاة، ومَن لم يقدر عليها فليتصدّق بوسعه . وخرج آبن الزبير ماشيا ، وخرج الناس مشاة . فآعتمروا من التنعيم، شكرًا لله تعـالىٰ . فلم يُرَ يومٌ أكثر عتيقا وبَدَنَةً محورة وشاةً مذبوحة وصدقةً من ذلك اليوم . ونحر آبن الزبير مائةَ بَدَنة.

قال السُّهَيْليّ: ولما قام عبدالملك بن مرْوان فى الخلافة، قال: لسنا من تخليط أبى خُبَيب بشئ (يعنى عبد الله بن الزبير) . فهدمها وأعادها علىٰ ما كانت عليه فى عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا فى آرتفاعها. ثم جاءه الحارث بن أبى ربيعة المخزومىّ ومعه رجل آخر، فحدّثاه عن عائشة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالحديث المتقدّم، فندم وجعل ينكت بمِخْصَرَة فى يده الأرضَ، ويقول: "وَدِدْتُ أنى تركت أبا خُبَيْب، وما تحمّل من ذلك". (٦٦)

على يد الحجاج

وتولّى البناء ــ فى زمن عبدالملك بن مروان ــ الحجاجُ بن يوسف الثقفىّ. وهو البناء الخامس الموجود الآن.

والذى هدمه الحجاج هو الزيادة وحدها. وأعاد الركنين، وسدّ الباب الذى فتحه ١٠ آبن الزبير. وسدُّه بيّنٌ إلىٰ الآن . وجعل فى الحِجْر من البيت دون ستة أذرع. وعلامة ذلك فى داخل الحجر لَوْحانِ من مرمرٍ منقوشان متقابلان فى الجانبين . وصار عرض وجهها، وهو الذى فيه الباب، أربعة وعشرين ذراعا.

وقيل إن الكعبة بنيت مرتين أخريين، غير الخمس.

بناء العمالقة

إحداهما بناء العمالقة بعد إبراهيم،

بناء جرهم

١٥ والثانية بناء جُرْهم بعد العمالقة.

ترميم الكعبة

قال السهيلىّ : إنما كان ذلك إصلاحا لما وَهىٰ منه. لأن السيل كان قد صدعَ حائطه. وكانت الكعبة بعد إبراهيم (عليه السلام) مع العمالقة وجُرْهُم إلىٰ أن آنقرضوا. وخلفتهم فيها قريش بعد آستيلائهم علىٰ الحرم: لكثرتهم بعد القِلّة، وعزهم بعد الذِّلة. وكان أوّلَ من جدّد بناءها، بعد إبراهيم، قُصَىٌّ بن كلاب . وسقَفها بخشب الدَّوْم ٢٠ وجريد النخل.

وروىٰ الطبرانىّ عن أبى سعيد الخُدرىّ ــ مرفوعا ــ أن أوّل من جدّد الكعبة بعد كلاب بن مُرّة، قُصَىّ .

أغلاق الكعبة وتحليتها بالذهب فى الجاهلية

وحكىٰ السُّهَيْلىّ أن أوّل مَن ٱتخذ للكعبة غَلَقًا تُبَّعٌ . ثم ضرب لها عبد المطلب بابا من حديد، وهى الأسياف القَلْعية التى كانت مع الغَزَالَيْنِ الذهب . وهو ما ٱستخرجه عبد المطلب من بئر زمزم، لما ٱحتفرها بعد ماطمّها الحارث بن مُضَاض، لما أخرج الله جرهُمَ من مكة بسبب إحداثهـم فى الحَرَم وٱستخفافهم بالحُرَم وبَغْى بعضهم علىٰ بعض . فتغور ماء زمزم . وعمد الحارث إلىٰ ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غَزَالان من ذهب وأسياف قَلْعية ، كان ساسان أهداها إلىٰ الكعبة ، وقيـل سابور . وجاء تحت الليـل ودفن ذلك فى زمزم ، وعفّى عليهـا . ولم تزل دارسـةً حتّى حفرها عبد المطلب وٱستخرج ذلك كما هو مذكور فى موضعه .

وٱتخذ عبد المطلب من الغزالين المذكورين حليـه للكعبه . فهو أوّل ذهب حُلِّيَت به الكعبة .

تحلية الكعبة بالذهب فى الإسلام

(٦٧)

فلما جاء الإسلام وآلت الخلافة إلىٰ الوليد بن عبد الملك، بعث إلىٰ واليـه علىٰ مكة خالد بن عبد الله القَسْرىّ بسـتة وثلاثين ألف دينار . فضرب منها علىٰ باب الكعبة صفائح الذهب، وعلىٰ الميزاب، وعلىٰ الأساطين التى فى جوفها، وعلىٰ الأركان . وهو أوّل من ذهّب البيت فى الإسلام .

وذكر السُّهَيْلىّ أن الذى عمله الوليد هو ما كان من مائدة سليمان بنِ داود (عليهما السلام) من ذهب وفضة، حُمل إليه من طُلَيْطُلَة، من جزيرة الأندلس . وكانت لهـا أطواق من زبرجد وياقوت، وكانت قد ٱحْتُملت علىٰ بغلٍ قوىّ، فتفسّخ تحتها .

ثم لما آلت الخلافة إلىٰ الأمين، رُفع إليه أن الذهب الذى عمله الوليد قد رَقّ. فأرسل إلىٰ عامله علىٰ ضواحى مكة، سالم بن الجراح، بثمانية عشر ألف دينار ليضربها صفائح علىٰ باب الكعبة. فقُلع ما كان علىٰ الباب من الصفائح وزيد عليها ثمانية عشر ألف دينار. وضَرَب الصفائح والمسامير وحَلْقَتِى الباب والعتبة. فالذى ٥ كان عليه من الذهب ثلاثة وثلاثون ألف مثقال.

تجديد باب الكعبة فى زمن الناصر محمد ابن قلاوون

قلتُ: ثم جُدّد الباب الشريف فى الأيام الزاهرة الملكية الناصرية سقىٰ الله عهدها. عُمِل بمصر مُصَفَّحًا بالفضة. وأنا كتبتُ نسخة ما كُتب عليه. وجُهِّز به بَرْش بُغا الناصرىّ.

ترخيم الكعبة فى أيام الوليد

قال الأزرقىّ: وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأبيض والأخضر والأحمر ١٠ فى جوفها، فوزَّر به جُدْرانها، وفرشها بالرخام. فجميع ما فى الكعبة من الرخام هو من عمل الوليد، وهو أول من فرشها بالرخام وأزَّر به جدرانها.

ترخيم المظفر يوسف بن رسول

قلتُ: ثم قلِّع غالب ذلك. وغالب ترخيمها وما فيها الآن من آثار المظفر يوسف بن عمر بن رسول، صاحب اليمن. واسمه فى الرخام داخل الكعبة، حيث يُصلِّى المُصلِّى، بين العمودين تُجاه وجهه فى الجدار المتصل بالركن اليمانىّ.

١٥ واختلف أهل السِّيَر فى أول من كسا الكعبة الديباج.

كسوة الكعبة فى الجاهلية والإسلام

(٦٨)

فقال ابن إسحق: هو الحجاج بن يوسف. وقال ابن بكّار: هو عبد الله بن الزبير. وقال الماوردىّ: أول من كساها الديباج خالد بن جعفر بن كلاب. أخذ لطيمة تحمل البز وأخذ فيها أنماطا، فعلقها علىٰ الكعبة. وذكر جماعة ـ منهم الدارَقُطنىّ ـ أن نُتَيْلة بنت جناب أمَّ العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلّت العباس صغيرا. ٢٠ فنذرت إن وجدته أن تكسوَ الكعبةَ الديباجَ.

وحكى الأزرقى أن معاوية كسا الكعبةَ الديباجَ. قال: وكانت تُكسَى يوم عاشوراء. ثم إن معاوية كساها مرتين.

فعله المأمون

ثم كساها المأمون ثلاث مرات. فكان يكسوها الديباجَ الأحمر يوم التروية، والقَبَاطىَّ يوم هلال رجب، والديباجَ الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان.

وهـذا الأبيض ابتدأه المأمون سنة ست ومائتين حين قالوا له: الديباج الأحمر ٥ يتخرّق قبل الكسوة الثانية. فسأل عن أحسن ماتكون فيه الكعبة. فقالوا: الديباج الأبيض. ففعله.

كسوتها فى أيام المؤلف

قلتُ: وهى الآن تُكسَى فى العام مرةً واحدةً فى وقت الموسم. وتحمل إليها الكسوة من الخِزانة السلطانية بالديار المصرية، صحبةَ الركب. فيتولّى ذلك أُمراءُ الركب. ويحضرون بأنفسهم فتُكسَى، ويأخذ الأشراف وبنو شيبة الكسوةَ العتيقةَ و يقتسمونها، ١٠ و يأخذون فى كل قطعة منها أوفر الأعواض. وتحمل إلى سائر البلاد للبركة.

كسوة اليمن فى أيام المؤلف

وعهدى بصاحب اليمن يبعث إليها كسوة، فتلبس تحت الكسوة المصرية. وهما سوداوان من الحرير الأسود، بكتابة بيضاء، فيها آيات جاءت فى القرآن فى ذكر الكعبة.

ما رآه المؤلف على سطح الكعبة ومباشرته لكسوتها بيده

ولـما حججتُ سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، صعدتُ أنا وأمراء الركب المصرى ١٥ لتلبيس الكعبة الشريفة، حتّى كنّا على سطحها. فرأيتُـه مبلّطا بالمرمر والرخام الأبيض. ومن جوانبه جُدُرٌ قصارٌ فيها حِلَقٌ لمرابط الستور، تُجَرّ فيها الكسوة بحبال، ثم تُربط فى تلك الحِلَق.

وأنا أحمدُ الله، إذ بيـدى توليتُ خلع الكسوة العتيقة عنها وتلبيسها الكسوة الجـديدة. ٢٠

(٦٩)

هدية سلطان مصر لملك العرب

وحُملت الكسوة العتيقة فى تلك السنة إلى السلطان بمصر، لتُجَهَّز إلى السلطان أبى الحسن المَرِينىّ مع مايُجَهَّز عوضَ هدية بعثها فى هذه السنة، صحبة مريمَ زوجة أبيه وعريف السُّوَيْدِىّ وجماعة من أكابر دولته. وعُوِّض بنو شيبة والأشراف عنها من بيت المال بمصر.

غسل الكعبة

٥ والعادة جارية أن تغسل الكعبة المعظمة بماء زمزم فى السابع والعشرين من ذى القعدة، وتُشَمَّر ستورها. وتُلَبَّس يومَ الأضحى، وتغسل بماء الورد عند عود الركب من مِنًى، أوانَ مُنصَرَفهم.

غسل المؤلف للكعبة

وكلُّ ذلك حضرتُه فى هذه السنة وتوليتُه بيدى. ولله الحمد!

وأما أوّل مَن كسا الكعبة مطلقا

التابعة وكسوة الكعبة

١٠ حكى الأزرقىّ عن ابن جُرَيج أن تُبَّعًا أوّلُ مَن كسا الكعبة كسوة كاملة. أُرِىَ فى المنام أنْ يكسوها. فكساها الأنطاعَ. ثم أُرِىَ أن يكسوها الوصائلَ. فكساها. وهى ثيابُ حِبَرةٍ من عَصْب.

ثم كساها الناس بعده فى الجاهلية.

قال السهيلىّ: ويُروى أن تُبَّعًا لما كساها المُسُوح والأنطاع، انتفض البيتُ. فزال

١٥ ذلك عنه حين كساها الخَصَف. وهى ثياب غلاظ. فلما كساها المُلَاءَ والوصائلَ (وهى ثياب موصلة من ثياب اليمن واحدتها وصيلة)، قبلته. ذكره قاسم فى "الدلائل".

كسوة النبىّ والراشدين

وروى الأزرقىّ بأسانيد متفرقة، أن النبىّ (صلى الله عليه وسلم) كسا الكعبة. ثم كساها أبو بكر. وكساها عمر من بيت المال القَبَاطِىَّ. وكساها عثمان، ومعاوية، وعبدالله بن الزبير، ومَن بعدهم.

قول تبع عند كسوة الكعبة

وقال تُبَّع لما كسا البيتَ.

وكَسَوْنا البيتَ الّذِى حرَّم اللّــه مُلَاءً مُعَضَّدا وبُرُودا.

فأقَمْنا به من الشهر عَشْرًا * وجعلنا لِبَابِه إقْلِيدا .

ونَحَرْنا بالشِّعبِ سِتَّةَ ألْفٍ . فترى الناس نحوَهنّ وُرُودا.

ثُمَّ سِرْنا عنه نؤُمُّ سُهَيْلا . فرفَعْنا لِواءَنا مَعْقُودا . ٥

وأما صفة الكعبة

(٧٠)

وصف الكعبة وذرعها

فاعلم أن الكعبةَ، البيتَ الحرامَ، مُرَبَّعةُ البنيان فى وسط المسجد. ارتفاعها من الأرض سبعة وعشرون ذراعا؛ وعرض الجدار، وجْهتُها الآن، أربعة وعشرون ذراعا، وهو الذى فيه بابها؛ وعرض مؤخرها مثل ذلك؛ وعرض جدارها الذى يلى اليمن — وهو فيما بين الركن اليمانىّ والركن العراقىّ، وهو الذى فيه الحجر الأسود — عشرون ذراعا. وإلى وسط هذا الجدار كان يصلى النبىّ (صلى الله عليه وسلم) قبل هجرته إلى المدينة. وعرض جدارها الذى يلى الشام، وهو الذى فيما بين الركن الشامىّ والركن الغربىّ، أحد وعشرون ذراعا؛ وميزاب الكعبة على وسطه يسكب فى الحجر. ومن أصل هذا الجدار الى أقصى الجدار ستة عشر ذراعا. ١٠

وعرض باب الحِجر الشامىّ خمسة أذرع إلا شئ يسير[1]؛ وعرض بابه الغربىّ ستة أذرع إلا شئ يسير[1]، وجدار الحِجر مدوّر من بابه الشامىّ إلى بابه الغربىّ، كالطيلسان. وعرضه ذراع؛ وارتفاعه من الأرض أربعة أشبار. ١٥

(١) كذا فى الأصل.

الحجر الأسود

والحجر الأسود، فى الركن العراقىّ المقابل لزمزم . وهو [علىٰ] سبعة أشبار من الأرض.

باب الكعبة

وباب الكعبة علىٰ أربعة أذرع من الأرض، وعلوّه ستة أذرع، وعرضه أربعة أذرع .

الملتزم

٥ وما بين الباب والحَجَر الأسود أربعة أذرع . ويسمى ذلك الموضع المُلْتَزَم: لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين فَرَغ من طوافه ٱلتزمه ودعا فيه، ثم ٱلتفت فرأىٰ عمر، فقال: "هاهنا تُسكَب العَبَرات".

موضع الخلوق ومقام إبراهيم

ومن الباب إلىٰ مُصَلَّى آدم (عليه السلام) حين فرغ من طوافه وأنزل الله عليه التوبة، وهو موضع الخلوق، ومن إزار الكعبة، أرجُحُ من سبعة أذرع. وكان هناك

١٠ موضع مقام إبراهيم (صلى الله عليه وسلم) .

(٧١)

وصلى النبىّ (صلى الله عليه وسلم) عنده حين فرغ من طوافه ركعتين، وأنزل الله تعالىٰ عليه : "وٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" . ثم نقله (صلى الله عليه وسلم) إلىٰ الموضع الذى هو فيه الآن . وذلك علىٰ عشرين ذراعا من الكعبة: لئلا ينقطع الطواف بالمصلين خلفه، أو تترك الناس الصلاة خلفه لأجل الطواف حين كثر

١٥ الناس، وليدور الصف حول الكعبة، و يُرىٰ الإمام من وجهه. ثم حمله السيل فى أيام عمر وأخرجه من المسجد . فأمر عمر بردّه إلىٰ موضعه الذى وضعه فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وبَيْن موضع الخلوق ــ وهو مصلَّى آدم عليه السلام ــ و بين الركن الشامىّ ثمانية أذرع.

ومن الركن الشامىّ إلىٰ اللوح المرمر المنقوش فى الحِجر الذى بنىٰ هناك آبنُ الزبير ركنَ البيت (وهو علىٰ قواعد إبراهيم عليه السلام) تسعةُ أذرع .

الحطيم

وفيما بين الحِجْر إلىٰ مقام إبراهيم خمسة وعشرون ذراعا ويسمّى ذلك الحطيم . لأنه يحطم الذنوب أى يسقطها ؛ وقيل لأنه حُطِم من البيت ؛ وقيل لأن من حلف هناك كاذبا آنحطم دينه ودنياه . ٥

وما بين الركن العراقىّ (وهو الذى فيه الحَجَر الأسود) إلىٰ مصلى النبىّ (صلى الله عليه وسلم) قبل هجرته إلىٰ المدينة ، عشرة أذرع . وكان يستقبل بيت المقدس ، ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس . ولهذا لم يَبِنْ توجُّهه إلىٰ بيت المقدس إلا لما هاجر إلىٰ المدينة .

١٠ وبين الركن اليمانىّ وبين الباب المسدود فى ظهر الكعبة أربعة أذرع . ويسمّى ذلك الموضع المستجار من الذنوب . وعَرْض الباب خمسة أذرع ، وآرتفاعه سبعة أذرع . وبينه وبين الركن الغربىّ ثلاثة عشر ذراعا .

المستجار

وبين الركن الغربىّ وآخر قواعد إبراهيم ــ وهناك اللوح المرمر المنقوش ــ أزيدُ من سبعة أذرع . وإلىٰ هناك بنىٰ آبن الزبير .

١٥ وقد قدمنا أن آرتفاع الكعبة فى الهوآء سبعة وعشرون ذراعا .

واما صفة المسجد الحرام المحيط بالكعبة (٧٢)

فنقول : قد ذكر الأزرقىّ والماوردىّ والسُّهَيْلىّ وغيرهم ، وفى كلام بعضهم زيادة علىٰ بعض :

وصف المسجد الحرام

كان المسجد الحرام ، أعنى المحيط بالكعبة فِناءً لها وفضاء للطائفين . ولم يكن له علىٰ عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبى بكر جدارٌ يحيط به . فضيق الناس علىٰ الكعبة وألصقوا دورهم بها . وكانت الدور مُحْدِقة بالكعبة . و بين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية .

عمر بن الخطاب ينزع الملكية لتوسيع المسجد

فلما آستُخلف عمر ، وكثر الناس ، قال : "لا بدّ لبيت الله من فِناء! وإنكم دخلتم عليه ولم يدخل عليكم" . فوسع المسجد وآشترىٰ تلك الدور وهدمها و زادها فى المسجد .

وآتخذ للمسجد جدارا قصيرا ، دون القامة . وكانت القناديل توضع عليه . وكان عمر أوّل من آتخذ الجدار للمسجد الحرام .

عثمان بن عفان يقتدى به

ثم لما آستُخْلِف عثمان ، آبتاع منازل ووسعه بها . و بنىٰ الأروقة للمسجد ، فيما ذكر الأزرقىّ والماوَرْدِىّ وغيرهما .

ابن الزبير يقتدى بهما

ثم إن آبن الزبير زاد فى المسجد زيادة كثيرة . وآشترىٰ دورا ، من جملتها بعض دار الأزرقى ، اشترىٰ ذلك البعض ببضعة عشر الف دينار . وجعل فيها عُمُدا من الرُّخام .

تعمير عبد الملك ابن مروان للمسجد

ثم عمره عبد الملك بن مروان ، ولم يزد فيه ، لكن رفع جداره ، وجلب إليه السوارى فى البحر إلىٰ جُدّة ، وسقفه بالساج . وعمّره عمارة حسنة .

توسيع الوليد له

ثم وسع آبنه الوليد وحمل إليه أعمدة الحجارة والرُّخام .

زيادة المنصور العباسي، وأعمدة الرخام

ثم زاد فيه المنصور، وجعل فيه أعمدة الرخام.

زيادتا المهدي

وزاد فيه المهدي مرتين: إحداهما سنة ستين ومائة، والثانية سنة سبع وستين ومائة وفيها تُوُفِّى المهدي.

واستقر بناؤه إلى الآن.

رواق المسجد الحرام وسقفاه

وأما الرواق فنقول: إن له سقفين، أحدهما فوق الآخر، وبينهما فرجةٌ قدر الذراعين، أو نحوهما. ٥

فأما الأعلى منه، فسطوحه فرش مسقف بالدَّوْم اليماني.(١)

(٧٣)

وأما الأسفل منهما، فهو مسقوفٌ بالساج، مزخرفٌ بالذهب.

أساطينه

وعدد أساطينه (وذلك من الرخام والحجر الأبيض، سوى ما جُدِّد في دار النَّدْوة وسوق الحنطة) أربعمائةٍ وأربعٌ وثمانون أسطوانة. بين كل أسطوانتين ستة أذرع: منها في الجانب الشرقي الذي يلي المسعى مائة أسطوانة وثلاث أساطين؛ وفي الجانب الشمالي مما يلي الصفا مائة أسطوانة وإحدى وأربعون أسطوانة؛ وفي الجانب الغربي مائة أسطوانة وخمس أساطين؛ وفي الجانب الشامي الذي فيه دار الندوة مائة وخمس وثلاثون أسطوانة. ١٠

شراء النبي لأسطوانة بوزنها ذهبا

وفي وسط هذا الشق أو نحوه الذي يلي المسجد ساريةٌ خمس أساطين: ذُكر أنها كانت ليهودية فسامها النبي (صلى الله عليه وسلم) فيها، فأبت بيعها إلا بوزنها ذهبا، ففعل النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك، فوُضعت في ميزان، ووضع مثقال واحد فرجح المثقال ببركة رسول الله (صلى الله عليه وسلم). ١٥

(١) كذا بالأصل. ولعله منهما.

ومنها علىٰ باب المسجد ٱثنتان وعشرون، ومن ناحية المسجد ستٌّ، ومن ناحية الوادى والصفا عشرٌ، ومن ناحية بنى جُمَح أربعٌ، ومن ناحية دار الندوة ٱثنتان.

وفى دار الندوة سوىٰ ماذكرناه سبع وستون أُسطوانة بالحجارة مبيَّضة، وطول كلّ أُسطوانة منها عشرة أذرع، وتدويرها ثلاثة أذرع، وذَرْع مابين كلّ أُسطوانتين ستةُ ٥ أذرع ونصفٌ.

حنايا المسجد الحرام

وعدد طاقاته وهى الحَنَايا المعقودة علىٰ الأساطين أربعمائة طاق وثمان وتسعون طاقا، سوىٰ ما فى دار الندوة.

مساحته

وذَرْع المسجد الحرام من باب بنى جُمَح إلىٰ باب العباس، الذى عند العَلَم الأخضر، و يعرف بباب بنى هاشم، أربعمائة ذراع وأربعة أذرع، وعَرْضه مابين دار الندوه إلىٰ ١٠ باب الصفا ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع.

وذَرْع مابين وسط جدار الكعبة الشرقىّ (١) الذى يلى المسعىٰ مائتا ذراع وثلاثة عشر ذراعا، ومن وسط جدار الكعبة الغربىّ إلىٰ جدار المسجد الغربىّ الذى يلى بنى جُمَح مائة ذراع وتسعه وتسعون ذراعا، ومن وسط جدار الكعبة الجنوبىّ إلىٰ جدار المسجد الذى يلى الوادى مائة ذراع وأحد وأربعون ذراعا، ومن وسط جدار الكعبة ١٥ الشمالىّ الذى يلى الحِجر إلىٰ جدار المسجد الذى يلى دار الندوه مائة ذراع وتسعه وثلاثون ذراعا، ومن ركن الكعبة العراقىّ و يقال له الشامىّ إلىٰ المَنَارة التى تلى المَرْوه مائتا ذراع وأربعة وستون ذراعا، ومن ركن الكعبة الشامىّ و يقال له الغربىّ إلىٰ المنارة التى تلى باب بنى سهم (وهو باب العُمْرة) مائتا ذراع وثمانية عشر ذراعا، ومن الركن

(١) يظهر أن هنا سقطا . وأصل الكلام "ودرع مابين وسط جدار الكعبة الشرقى إلى جدار المسجد ٢٠ الشرقى" الخ كما يتضح ذلك من نظائره بعد .

اليمانىّ إلى المنارة التى تلى أجيادَ الكبرى وبين الحزَوَّرة مائتا ذراع وثمـانية أذرع؛ ومن الركن الأسود إلى المنارة مسـتمرةً تَلى المسعى والوادى من ناحية الصفا مائتا دراع وثمـانية وعشرون ذراعا .

ارتفاعه فى السماء

وآرتفاع جداره فى السماء مما يلى المسعى ثمانية عشر ذراعا،ومما يلى الوادى والصفا آثنان وعشرون ذراعا، وممـا يلى بنى جُمَح آثنان وعشرون ذراعا،ومما يلى دار الندوة سبعة عشر ذراعا ونصف. ٥

شرفاته

وعدد شُرُفاته من داخله وخارجه ، أربعمائة وخمس وتسـعون شُرَّافة. هـذا من خارجه .

وعددها من داخله اربعمائة وثمـان وتسعون شُرَّافة.

بجميعها ألف شُرَّافة إلا سبع شُرَّافات. ١٠

المسجد قد يراد به الكعبة كلها

وآعلم أن المسجد الحرام يطلق و يراد به عينُ الكعبه ، كما فى قوله تعالى : " فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ". إذ لم يقل أحد من المسلمين بالآكتفاء بالتوجه إلى استقبال المسجد المحيط بالكعبه . وهـذا هو أصل حقيقة اللفظ، وهو المعنىّ بقوله تعالى: " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ "و بقوله (صلى الله عليه وسلم) لمـا سأله ابو ذر عن أوّلِ مَسجدٍ وُضِعَ أَوَّلَ ، قال : المَسجدُ الحرامُ. ١٥

(٧٥)

المسجد الحرام قد يراد به المسجد المحيط بالكعبة فقط

وقد يطلَق المسجدالحرام و يراد به المسجدالمحيط بالكعبة. وهو الغالب فى الآستعمال على وجه التغليب المجازىّ ،كما فى قوله (صلى الله عليه وسلم) : " صلاةٌ فى مسجدى هـذا خيرٌ من ألْفِ صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجدَ الحرامَ. " وقوله تعالى : " سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . " على قول مَن روى انه كان نائمـا فى المسجد المحيط بالكعبة . ٢٠

المسجد الحرام قد يراد به مكة أو الحرم بأكمله

وقد يُطلق المسجدُ الحرامُ ويراد به مكةُ أو الحرم بكماله، علىٰ قول مَن يقول إن المراد بالمسجد الحرام مكةُ. لأنه (صلى الله عليه وسلم) كان نائما فى بيت أمّ هانئ لما أُسْرِى به، وكما فى قوله تعالىٰ "ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ." علىٰ قول مَن يقول إن المراد الحرم الخارج عن مكة بكماله.

٥ وهذا كله علىٰ وجه التغليب المجازىّ. ولا ريب فيه. وإلا يلزم الاشتراكُ فى موضوع المسجد الحرام. والمجاز أولىٰ منه. والله أعلم.

بئر زمزم

ومما يشتمل عليه المسجد الحرام بئر زمزم وهى سُقْيَا إسماعيل، وهَزْمةُ رُوح القدس جبريلَ، طعامُ طُعْم، وشفاء سقم، لاتنزف ولا تُذَم، ولا يتوجه إليها ذَم بالقية عبد المطلب، ودليل سُودَده ولا كذب. وفى الحديث: "ماءُ زمزمَ لِمَا شُرِبَ له".

١٠ قال السُّهَيْلىّ: كانت زمزم سُقْيَا إسماعيل بن إبراهيم. فجَرَها له رُوح القدس بعقبه. وفى ذلك إشارة إلىٰ أنها لعقب إسماعيل وتراثه وهو محمد وأُمَّته (صلى الله عليه وسلم). والقصة فى ذلك معروفة.

وتلخيصها أن إبراهيم (عليه السلام) لما آحتمل إسماعيل وأُمَّه هاجَرَ إلىٰ مكة، آحتمل معه لهما قربةَ ماء ومِزْوَد تمر. وتركهما بمكة وعاد. فلما فرغ التمر والماء ١٥ عطش إسماعيل، وهو صغير، وجعل ينشغ[1] للموت، جعلت هاجَر تسعىٰ من الصفا إلىٰ المروة، ومن المروة إلىٰ الصفا، لترىٰ أحدا. حتى سمعت صوتا عند الصبىّ. فقالت: قد أسمعتَ، إنْ كان عندك غوث. ثم جاءت الصبىّ. فإذا الماء ينبع من تحت خدّه. فجعلت تغرف بيديها، وتجعل فى القربة. وسيأتى بعد ذلك له خبر. قال النبىّ (صلى الله عليه وسلم) لو تركَتْه لكان عينا (أو قال: نهرا معينا).

٧٦

٢٠ (١) هو بالغين المعجمة ومعناه يشهق [أنظر اللسان فى مادّة ن ش غ].

أصل تسمية زمزم

قال الحربى : سميتْ زمزم بزمزمة المـاء، وهى صوته . وقال المسعودىّ : سميتْ زمزم لأن الفُرس كانت تحجّ إليها فى الزمن الأول، فتُزَمزم عندها . والزمزمة صوت تُخرجه الفُرس من خياشيمها، عند شرب المـاء . وأنشد المسعودى :

زمزمت الفُرس علىٰ زمزم ✻ وذاك فى سالفها الأقدم .

٥ وذكر البرقىّ عن ابن عباس : أنها سميتْ زمزم، لأنها زُمَّت بالتراب، لئلا يسيح المـاء يمنا وشمالا، ولو تُركت لساحت علىٰ الأرض، حتى تملأ كل شئ .

طم جرهم لها وتجديد عبد المطلب حفرها

وقد ذكرنا طمّ الحارث بن مُضاض إيَّاها . ولم تزل دارسة، حتّى أُرِىَ عبد المطلب أن احفُرْ طيبَة . فسُمِّيتْ طيبة، لأنها للطيبين والطيبات، من ولد إبراهيم وإسماعيل وقيل له : احفُرْ برَّة . وقيل : احفر المضنونة، ضَنَنْتُ بها علىٰ النـاس إلا عليـك .

١٠ ودُلَّ عليها بعلامات ثلاث : بنقرة الغراب الأعصم، وأنها بين الفرث والدم، وعنـد قرية النمل .

ورُوى أنه لمـا قام ليحفُرها، رأىٰ مارُسِم له من قرية النمل ونقرة الغراب، ولم ير الفرث والدم . فبينا هو كذلك، ندَّتْ بقرةٌ لجازرها، فلم يدركها حتّى دخلت المسجد الحرام، فنحرها فى الموضع الذى رُسِم له . فسال هناك الفرث والدم . فحفر عبد المطلب ١٥ حيث رُسِم له .

وقيل لعبد المطلب فى صفتها : إنها لا تنزف أبدا . وهذا برهان عظيم، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلىٰ اليوم قط . وقد وقع فيهـا حبشىٌّ فنُزِحَتْ من أجله . فوجدوا ماءها يثور من ثلاث أعين : أقواها وأكثرها ماءً عينٌ من ناحية الحجر الأسود . رواه الدارقطنىّ . وروىٰ الدارقطنىّ أيضا مسندا عن النبىّ (صلى الله عليه وسلم) : "مَن ٢٠ شرب من ماء زمزم، فليتضلَّعْ، فإنه فرقٌ ما بيننا وبين المنافقين . لا يستطيعون أن يتضلَّعوا

منها" . أوكما قال . ورُوى عن النبىّ (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : "ماءُ زمزمَ لمـا شُرِب له" . ورُوى أن أبا ذرّ تقوّت من مائهـا ثلاثين ، بين يوم وليلة . فسمن حتّى تكسّرت عُكَنُهُ .

وذكر الزُّهْرىّ فى سِيَره أن عبـد المطلب اتّخذ حوضا لزمزم يَستقى منه . وكان يُخَرَّب بالليل ، حسدًا له . فلما عمّه ذلك ، قيل له فى النوم : "قل : لا أُحِلُّها لمغتسل ، وهى لشارب حِلٌّ وبِلٌّ . وقد كُفِيتَهم" . فلمـا أصبح ، قال : نعم . وكان بعدُ من أرادها بمكروه ، رُمِىَ بداء فى جسده ، حتّى انتهَوْا عنه .(١)

(١) بياض بالاصل هنا مقداره عشرة سطور .

(٧٨) الصـــفا والمروة

الصفا والمروة قال الله تعالىٰ : " إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ".

فَرْقَدَا الأرض، وجارَا البيتِ الحرام، وطُوبىٰ لمن وقف عليهما، وسعىٰ بينهما أو إليهما . وسنذكر ماهما، فنقول:

وصف الصفا أما الصفا فحجرٌ أزرقُ عظيمٌ فى أصل جبل أبى قُبَيْس، قد كُسر دَرَج إلىٰ آخر موضع الوقوف. وأكثر ماينتهى الناس منها إلىٰ اثنتى عشرة درجة أو نحوها.

وصف المروة وأما المروة فحجر عظيم إلىٰ أصل جبل متصل بجبل قُعَيْقِعَان . كأنه قد انقسم علىٰ جزأين، وبقيت منهما درجة، ليس منها درج عليها إلىٰ آخر الوقوف.

المسعىٰ "وذَرْع ما بين الصفا والمروة، وهو المسعىٰ . سبعمائة ذراع وثمانون ذراعا".

من الصفا إلىٰ الميل الأخضر المائل فى ركن المسجد علىٰ الوادى مائة وثمانون ذراعا.

"وذَرْع مابين الحجر الأسود والصفا مائتا ذراع واثنان وستون ذراعا".

ومن الميل الأصغر إلىٰ الميل الأخضر الذى بإزاء دار جعفر بن العباس، وهو موضع الهرولة موضع الهرولة . مائة وخمس وعشرون ذراعا.

ومن الميل الثانى إلىٰ المروة أربعمائة وخمس وسبعون ذراعا.

فجميع ما بين الصفا والمروة سبعمائة وثمانون ذراعا[1] .

---

(١) فى هذا الحساب اضطراب . ولذلك وضعنا بين شولتين مزدوجتين " " المسافة الكائنة بين الحجر الأسود والصفا ، لتكون النسخة موافقة للمقدمة وليصح الحساب .

دار النَّدْوة

مبدأ ظهور قريش بمكة

قال الماوردىّ : لم تكن مكة ذات منازل. وكانت قريش، بعد جُرْهُم والعمالقة، ينتجعون جبالها وأوديتها . ولا يخرجون من حَرَمها ٱنتسابا إلىٰ الكعبة لٱستيلائهم عليها، وتخصيصها بالحرم لحلولهم فيه . ويرون أن ذلك يكون لهم بسببه شأنٌ. وكان كلما كثر فيهم العدد ونشأت فيهم الرياسة، قوىَ أملهم وعلموا انهم سيُقدَّمون على العرب . وكان فضلاؤهم يتخيلون[1] أن ذلك لرياسةٍ فى الدين وتأسيسًا لنبوة ستكون. وأوّل من أُلهِم ذلك منهم كعبُ بن لُؤَىّ بن غالب. وكانت قريش تجتمع إليه فى كل جمعة. وكان يخطبهم فيه، ويذكر لهم أمر نبيّنا (صلى الله عليه وسلم.)

(٧٩) دار الندوة

ثم ٱنتقلت الرياسة إلىٰ قُصَىّ بن كلاب، فبنىٰ بمكة دار الندوة ليحكم فيها بين قريش، ثم صارت لتَشَاوُرِهم وعَقْدِ الألوية فى حروبهم. وكانت هذه الدار لاينكح رجل من قريش ولا ٱمرأة إلا فيها، ولا يُعقَد لواء الحرب لهم ولا لغيرهم إلا فيها، ولا يُعذَر غلام إلا فيها، ولا تُدَرَّع جارية من قريش إلا فيها : يُشَق عليها دِرعها ثم تُدرّع ويُنطلَق بها إلىٰ أهلها، ولا تخرج عِيرٌ من قريش ويرحلون إلا منها ، ولا يقدمون إلا نزلوا فيها.

قال الكلبىّ : "وكانت أوّلَ دار بُنِيت بمكة، ثم تتابع الناس فَبَنَوا الدور. كلما قربوا من الإسلام ٱزدادوا قوّة وكثرة عدد، حتى دانت لهم العرب".

قال الماوردىّ : صارت بعد قُصَىّ لٱبنه عبدالدار. فابتاعها معاوية فى الإسلام من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قُصَىّ، وجعلها دار الإمارة .

---

(١) فى الأصل : يخيلون .

وروى الأزرقىّ أن معاوية اشتراها لما حجّ، وهو خليفة، بمائة ألف درهم.

وذكر السّهيلىّ أن هذه الدار صارت إلى حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العُزّى ابن قُصَىّ فباعها فى الإسلام بمائة ألف. وذلك فى زمن معاوية. فلامه معاوية فى ذلك، وقال: "بعت مكْرُمة آبائك وشرفَهُم". فقال حكيم: "ذهبت المكارم إلا التقوى. والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزِقّ خمر، وقد بعتها بمائة ألف، وأشهدكم أنى جعلتُ ثمنها فى سبيل الله! فأيُّنا المغبون؟"

دخولها فى المسجد الحرام وموضعها

قال الحارثىّ: هى اليوم (يعنى دار الندوة) فى المسجد الحرام.

قال الأزرقىّ: وهى جانبه الشمالىّ. وقد تقدّم ذكرها.[1]

(١) بياض بالاصل فى آخر الصحيفة مقداره خمسة سطور.

مِنًى

(٨٠)

منى

حيثُ تُرمى الجَمَرات، وتُهمى العَبَرات، ذوات الليالى المُقمرات، والأيّام التى سُلخ من الكافور ثياب عشاياها المعنبرات؛ يُحلَّى بها من كل تِربٍ عاطِلُه، ويلتقى فى كل سِرْب كل ذى دَينٍ وماطِلُه .

٥ وهى بطحاء بين جبلين، مهدّفة الجوانب، فيها مجتمع الحجيج . والمُحَصَّب منها موضع الجمرات . وهى على مدرجة السوق الأعظم، حيث يُنْصَب كلَّ سنة، أيامَ الموسم . يجتمع فيه الخليطان من شام ويَمَن، وتنزل الركوب به فى منازلهم : من شَرَف الوادى إلىٰ حيث تُنحَر البَدَنات تحت العقبة الأولىٰ، حيث تُنْصَب سقايات الحاجّ .

١٠ وكانت فى قديم الإسلام موسم لقآء الحبائب، ومكان موعد كل مفارق .

وثلاث ليالى مِنًى معروفةٌ موصوفةٌ، قد أكثر فيها الشعرآء وترنم بها المتيّمون .

وبِمِنًى بيوتٌ هى كالقرية . منها ماهو مسكون ومنها ماهو برسم بضائع الكارم، أيام الموسم، تكرىٰ بأجرة طائلة .

وبها آبار متخذة لخزن ماء الأسنية، يباع علىٰ الحجيج . وهو ماء ثقيلٌ وبِىءٌ: لما ١٥ يحمل من أوساخ الذبائح، وبقايا الأضاحى، ودماء القرابين .

مسجد الخيف

وفيها مسجد الخَيْف . وهو علىٰ يمين المتوجه من مكة إلىٰ عرفات . والخَيْف هو البستان . وجدّد بناؤه فى الأيام الزاهرة الناصرية، سقىٰ الله عهدها !

مسجد الكبش

وفيها مسجد إسماعيل، ويسمى بمسجد الكبش . وهو على يسار المتوجّه من مِنًى إلىٰ عرفات . يقال إن الفداء لإسماعيل نزل به . وينزِل المصريون منه إلىٰ مِنًى، وينزل

المكِّيُّون منه إلىٰ مُعَرَّف، ويقع تُجاه مسجد الخَيْف منحرفا عنه علىٰ ذروة من الجبل، يحيل بينهما مجرىٰ ماء من ماء الشتاء. ينزل فيما يليه إلىٰ الطريق العظمىٰ رُكْبانُ العرب.

جمع (أى المزدلفة)

جَمْعٌ – هى المزدلفة. وكلها مَشْعَرٌ إلا بطن مُحَسِّر. ومنها تؤخذ حَصَى الجمرات. وبذلك فسّر علىٌّ وابن مسعود قوله تعالىٰ: "فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا". قالا: يعنى المزدلفة.

المزدلفة

ومسجد المُزْدَلِفة عن يسارك إذا مضيت إلىٰ عرفات. وفيه يجمع بين المغرب والعشاء، إذا نفر الحاجّ من عرفات. وهى التى عنىٰ الشريف الرضىّ بقوله: ٥

"عارضًا بى رَكْبَ الحجاز نسائلْـهُ: متىٰ عهْـدُهُ بأيّام سَلْعِ
وآستملّا حديث مَن سكن الخَيْـفَ ولا تكتباه إلا بدمعى.
فاتنى أن أرىٰ الديار بطرْفى، * فلعلّى أرىٰ الديار بسمعى!
لَهْفَ نفسى علىٰ ليالٍ تقضّت * لى بجَمع! وأين أيّامُ جَمْـع"

(٨١) المشعر الحرام

قال الزمخشرىّ فى قوله تعالىٰ "فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ": المشعرُ الحرامُ قُزَحُ، وهو الجبل الذى يقف عليه الإمام وعليه المِيقَدة.

وقيل: المشعر الحرام مابين جبلى المزدلفة إلىٰ مأزِمَىْ عرفة إلىٰ وادى مُحَسِّر. وليس المأزِمان ولاوادى محسر من المشعر الحرام.

والصحيح أنه الجبـل. لمـا روىٰ جابر أن النبىَّ (صلى الله عليه وسلم) لمـا صلّى الفجر – يعنى بالمزدلفة – ركب ناقته حتّى أتىٰ المشعر الحرام، فدعا وكبر وهلل. ولم يزل واقفا حتّى أسـفر. ١٠

وقوله "عند المشعر الحرام" معناه مما يلي المشعر الحرام، قريبا منه. وذلك للفضل، كالقرب من جبل الرحمة. وإلا فالمزدلفة كلها موقف، إلا وادي مُحَسِّر. وجُعلت أعقابُ المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به، عند المشعر.

وقيل سميت "المزدلفة" و"جَمْعًا" لأن آدم اجتمع فيها مع حواءَ وازدلف إليها، أي دنا منها. وقال قَتادة: لأنه يُجمع فيها بين الصلاتين. ويجوز أن تكون وُصفت بفعل أهلها، لأنهم يزدلفون إلىٰ الله تعالىٰ، أي يتقرّبون بالوقوف فيها. وعن عليّ: "لما أصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقف علىٰ قُزَح، فقال: هذا قُزَحُ! وهو الموقف". وجَمْعٌ كلُّها موقفٌ.

أَنصاب الحَرَم

هي العلامات المبنية علىٰ حدود الحرم.

أوّل من بناها

وأوّل مَن بناها إبراهيم (صلوات الله عليه). وأشار له جبريل إلىٰ مواضعها. هكذا ذكره أبو عَرُوبة والأزرقيّ وغيرهما.

تجديد النبي لها، ثم الصحابة

وروىٰ الأزرقيّ أن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) أمر بتجديد العلامات التي علىٰ الحَرَم، التي عملها إبراهيم، وجبريلُ يريه مواضعها، ثم عمر، ثم عثمان، ثم معاوية.

بقاؤها لزمن المؤلف

وهذه العلامات بيّنة إلىٰ الآن، بحمد الله تعالىٰ.

حد الحرم

وحدُّ الحرم، من طريق مدينة النبيّ (صلى الله عليه وسلم) — دون التنعيم عند بيوت نِفَار — علىٰ ثلاثة أميال من مكة؛

ومن طريق اليَمَن، طرفُ أضاة لِبْنٍ في ثنيّة لِبن، علىٰ سبعة أميال؛

ومن طريق العراق، علىٰ ثنية جبل بالمقطع، علىٰ سبعة أميال؛

ومن طريق الجِعْرَانَةِ فى شعب آل عبد الله بن خالد، علىٰ تسعة أميال؛

ومن طريق الطائف علىٰ عرفات، من بطن نَمِرَةَ، علىٰ سبعة أميال؛

ومن طريق جُدَّة، منقطَع الأعشاش، علىٰ عشرة أميال.

فهـذه حدّ ما جعله الله تعالىٰ حَرَمًا، لما ٱخْتُصَّ به من التحريم، وبَايَنَ بحكمه سائر البلاد. ٥

تعظيمه وتحريمه

وصحّ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "إن هذا البلد (يعنى مكة) حرّمه الله يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ". وفى رواية: "قبل أن يخلق السماوات والأرض". فيكون تحريمُها قبل خلق السماواتِ والأرض كتابةَ تحريمها فى اللوح المحفوظ، أو تقديرَ حُرمتها. ورُوى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن إبراهيم حرَّم مكّة. ومعناه أظهر حُرمتها. قال السُّهيلىّ: رُوى فى التفسير أن الله تعالىٰ لما قال ١٠ للسماوات والأرض: "ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طائعِينَ" لم يُجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم. فلذلك حرَّمها. فصارت حرمتها كحرمة المؤمن: إنما حُرِم دمُه وعرضه وماله، بطاعتـه لربه. وأرض الحرم لما قالت "أَتَيْنَا طايِعِينَ" حُرِم صيدُها وشجرُها وخَلَاها، إلَّا الإذْخِرَ؛ فلا حرمة إلا لذى طاعة. جعلنا الله من أهل طاعته!

وصحّ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "إن هذا البلد حرَّمه الله يومَ ١٥ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ، فهو حرام بحرمة الله إلىٰ يوم القيامة. لا يُعْضَد شجره ولا يُنَفَّر صَيْدُه ولا يُخْتلىٰ خَلَاه".

حفظ شجره

وما زال الناس فى الجاهلية والإسلام يعظِّمون هذا الحرم ويجتنبون قطع شجره. قال الواقدىّ: لما أن أرادت قريش البنيان، قالتْ لقُصَىّ: "كيف نصنع فى شجر

الحرم؟ فحذّرهم قطعها وخوّفهم العقوبة فى ذلك. فكان أحدهم يُحَرِّف بالبنيان حول الشجرة، حتّى تكون فى منزله".

(٨٣) قطع شجره ومقدار دية كل شجرة ببقرة

قال : وأوّل من ترخص فى قطع شجر الحرم، عبد الله بن الزبير .

قال السُّهيليّ: ابتنى ابن الزبير دُورا بقُعَيقِعانَ وترخّص فى قطع شجر الحرم، وجعل دية كل شجرة بقرة . وكذلك رُوِىَ عن عمر أنه قطع دَوْحة كانت فى دار أسد بن عبد العُزّى، وكانت أطرافها تنال ثياب الطائفين بالكعبة. وذلك قبل أن يُوَسَّع المسجد. فقطعها ووداها ببقرة.

٥

عَـــرَفات

عرفات

مُلْتَقَى الخَلِيطَيْن من شامٍ ويَمَن، ومجمع البحرين من الزعقة إلى عَدَن. به يتجلّى الله علىٰ عباده، وبهبهم المغفرة. وبها الصخرات، موقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث تقف المحامل.

قبة آدم

وعلىٰ قُنَّة هذا الجبل قبّة آدم. هكذا تُسمّى. ٥

ويقال إنّ هناك تعارفَ آدمُ وحوّاء، بعد أن أُهبطا.

تسمية عرفات

وعرفات علم للوقف، سُمِّيَ بجمعٍ، كأذرعاتٍ.

واخْتُلف فى تسميتها بذلك. فقيل: لأنها وُصفت لإبراهيم، فلما أبصرها عرفها؛ وقيل إن جبريل (عليه السلام) كان يدور به فى المَشَاعر، يريه إيَّاها، فقال: قد عرفتُ؛ وقيل الْتقىٰ فيها آدم وحوّاء فتعارفا، كما تقدّم. وقيل لأن الناس يتعارفون ١٠ بها. وهى من الأسماء المرتجلة. لان عرفة لاتعرف فى أسماء الأجناس.[1]

مسجد نَمِـــرة

(٨٤)

مسجد نمرة (المعروف حقا مسجد إبراهيم)

ويسمّى مسجد إبراهيم. يقال إن إبراهيم الخليل (عليه السلام) بناه. ولا يصحّ هذا.

وهو علىٰ يمين السالك من مكة إلىٰ عرفات، قريب الطريق، مدانيا لعرفة.

وعادة الخطابة به فى وقتنا لإمام الطائفة المالكية بمكّة المعظمة. ١٥

وجُدُره قائمة، وكذلك منبره، ولا سقف له.

(١) بياض فى آخر الصفحة بالأصل مقداره سبعة سطور.

مسجد عائشة

رضى الله عنها

مسجد عائشة بالتنعيم

هو بالتنعيم فى الحلّ، عند أوّل الحرم. ولا يحضرنى مَن بناه. وكل مسجد هناك يسمّى بهذا. وأشهرها المُصاقِب للطريق علىٰ يسار الداخل إلىٰ مكة. وإنما نُسب إلىٰ عائشة لكونها آعتمرتْ من التنعيم. ولعلّها أحرمتْ فى البقعة التى بُنى بها المسجد. ٥ وعمرتها معروفة علىٰ ماتضمنته الأحاديث.

مسجد ميمونة

رضى الله عنها

مسجد ميمونة، حيث دفن المنصور

وسمى بذلك لمكان قبرها. وهناك مات أبو جعفر المنصور، ودُفن مُحْرِما، علىٰ ماهو ١٠ مذكور فى موضعه.

وميمونة هى بنت الحارث، إحد[ىٰ] أزواج رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وكانت أختها أمّ عبد الله بن العبّاس.

المـــواقيت

المواقيت أى مواضع الإحرام

روىٰ آبن عبّاس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقّت لأهل المدينة ذا الحُلَيْفة، ١٥ ولأهل الشام الجُحْفَة، ولأهل نجد قرنَ المَنَازل، ولأهل اليمن يلملم. وقال: "هنّ لهنّ ولمن أتىٰ عليهنّ من غير أهلهنّ، ممن أراد الحج والعمرة. ومن كان دون ذلك، فمن حيث أنشأ، حتّى أهل مكة من مكة." أخرجاه فى الصحيحين.

فهذه المواقيت التى وقّتها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لايجوز لأحد يريد الحجّ والعمرة أن يتجاوزها إلا مُحرِما. وأما مَن لم يرد الحجّ أو العمرة، فكذلك عند فقهاء ٢٠ الأمصار، وقولان عند الشافعىّ. وموضع ذلك كتب الفقه.

(٨٥) ذو الحليفة، ميقات أهل الشام فى عصر المؤلف

فأما ذو الحُليفة فهو أبعد المواقيت، علىٰ عشر مراحل من مكّة، أو سبع منها. (وهو بضم الحاء المهملة وفتح اللام). ومنها يُحرِم الآن الركبُ الشامىُّ .

آبار هذا الطريق

وبها آبار تسمّى آبار علىّ . وبعض الناس يقول بئر المحرم .

الجحفة

والجُحفة موضع علىٰ ثلاث مراحل من مكة . (وهى بضم الجيم وسكون الحاء المهملة بعد الجيم) .

(اسمها القديم مهيعة)

وذكر ابن الكلبىّ أن العماليق أخرجوا بنى عَبِيل (وهم إخوة عاد) من يثرب . فنزلوا الجحفة، وكان اسمها مَهْيَعَة ، (بفتح الميم وسكون الهاء علىٰ وزن مقتلة وقيل بكسر الهاء علىٰ ورن قبيلة) . فجاءهم سيل فاجتحفهم، فسميت الجحفة .

ولما هاجر النبىّ (صلى الله عليه وسلم) إلىٰ المدينة أصابهم حُمّى . فدعا النبىٰ (صلى الله عليه وسلم) الله تعالىٰ أن ينقل حُمّاها إلىٰ الجُحفة .

رابغ موضع إحرام الركب المصرى فى عهد المؤلف

وهى شرقىّ رابغ ممر الركب المصرىّ . ومن رابغ يُحرم الآن .

قرن المنازل

وقَرْن المنازل (بفتح القاف وسكون الراء)، موضع علىٰ مرحلتين من مكة . وقد

(تغليط المؤلف للجوهرى)

غلط الجوهرىّ فى قوله بفتح الراء، وقوله إن أويسا القرنىّ منسوب إليها . بل هو منسوب إلىٰ قرن بفتح القاف والراء بطن من مراد .

يلملم

ويلملم (ويقال ألملم بالهمزه عوضا عن الياء)، موضع معروف علىٰ مرحلتين من مكة . وهو بفتح الياء واللام وسكون الميم بعد اللام .

ذات عرق

ومن المواقيت مالم يذكره النبىّ (صلى الله عليه وسلم) فى الحديث . وهو ميقات العراقيين، وهو ذات عِرْقٍ [1] . وبينه وبين مكة خمس مراحل .

(١) بياض بآخر الصفحة بالأصل مقداره أربعة أسطر .

المسجد النبوىّ

(٨٦)

على صاحبه أفضل الصلاة والسلام

الحرم النبوى

موضع منبره، وجوار مقبره، ومقام مصلاه، ودار آخرته وأولاه .

الروضة الشريفة

و بجانبه حجرته المعظمه، التى ضمت أعظُمَه، ولله القائل (١) :

ياخيرَ من دُفنت فى القاع أعظُمُه، * فطاب من طيبهنّ القاعُ والأكَمُ!

نفسى الفداءُ لقبرٍ أنت ساكنه، * فيه العفَاف وفيه الجُود والكرمُ!

قدوم النبىّ إلى المدينة ومصلاه فيها

قال أَنَس: "قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنزل فى عُلُوّ المدينة، فى حىّ يقال لهم بنو عمرو بن عوف. فأقام فيهم أربع عشرة ليلة. ثم إنه أرسل إلىٰ ملإ بنى النجّار، فجاؤوا متقلدين سيوفهم. فكأنى أنظر إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علىٰ راحلته، وأبو بكر رِدْفه، ومَلَأُ بنى النجار حوله، حتّى ألقىٰ بفناء أبى أيوب". قال: "وكان يصلى حيث أدركته الصلاة، ويصلى فى مرابض الغنم" .

بناء النبى المسجد بالمدينة

ثم إنه أُمِر بالمسجد. فأرسل إلىٰ ملإ بنى النجار، فجاؤوا. فقال: يابنى النجار، ثامنونى بحائطكم هذا. فقالوا: لا والله! لانطلب ثمنه إلا إلىٰ الله تعالىٰ.

قال أَنَس: وكان فيه نخلٌ، وقبور المشركين، وخَرِبٌ. فأمر النبى (صلى الله عليه وسلم) بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنُبشتْ، وبالخرب فسُوّيتْ. قال: وصفُّوا

---

(١) فى المواهب اللدنية (ج ٢ ص ٥١٠ طبع محمد شاهين بالقاهرة سنة ١٢٨١) أن محمد بن حرب الهلالىّ أتىٰ قبر النبى (صلى الله عليه وسلم). فزاره وجلس بحذائه. فجاء أعرابىٌّ فزاره، ثم قال: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه: "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا". وقد جئتك مستغفرا من ذنبى، مستشفعا بك إلىٰ ربى! وأنشأ يقول:

* ياخير من دفنت ... البيتين *

وانظر أيضا شرح "المواهب" للزرقانى (ج ٨ ص ٣٦١ من طبعة بولاق سنة ١٢٧٨)

النحل قبلةً، وجعلوا عضادتيه حجارة. قال: فكانوا يرتجزون، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) معهم، وهم يقولون:

اَللهم إنه لاخير إلا خير الآخره! فانصرِ الأنصار والمهاجره!

(رواه البخاريّ ومسلم).

٥ وروى عن الشِّفَاء بنت عبد الرحمٰن الأنصارية، قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بنىٰ المسجد يَؤُمّه جبريلُ إلىٰ الكعبة ويُقيم له القبلة.

قال السُّهَيْليّ: بُنى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسُقِف بالجريد وجُعلت قبلته من اللَّبِن، ويقال: بل من حجارة منضودة بعضها علىٰ بعض، وحيطانه باللَّبِن، وجُعلتْ عمده من جذوع النخل. فنَخِرت فى خلافة عمر، فجدّدها.

١٠ قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ: "كانت هـذه القبلة فى شمالىّ المسجد. لأنه (صلى الله عليه وسلم) صلّى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا إلىٰ بيت المقدس. فلما حُوّلت القبلة بقىَ حائط القبلة الأُولىٰ مكان أهل الصُّفَّة".

قال أبو سعيد الخُدْرىّ: كان سقف مسجد النبيّ (صلى الله عليه وسلم) من جريدِ النخل. وأمر عمر ببناء المسجد، وقال: أَكِنَّ الناس من المطر. وإياك أن تحمِّر أو تصفِّر، فتفتِنَ الناس!

١٥ وعن عبد الله بن عمر أن المسجد كان علىٰ عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مبنيا باللَّبِن، وسقفه الجريد، وعمده خُشُب النخل. فلم يزد فيه أبو بكرٍ شيئًا. وزاد فيه عمر وبناه علىٰ بنائه فى عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باللبِن والجريد، وأعاد عمده خَشَبا. ثم غيره عثمانُ، فزاد فيـه زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشـة والقَصَّة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقَفَه بالساج. (رواه البخارى فى صحيحه.) ٢٠

زيادة عمر فيه وبنائه

(٨٧)

زيادة عثمان ابن عفان

وعن عِكْرِمَة قال: قال لى عبدالله بن عبّاس ولابنه عليّ: "انطلقا إلىٰ أبى سعيد فاسمعا من حديثه". فانطلقنا. فإذا هو فى حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبىٰ ثم أنشأ يحدّثنا حتّى أتىٰ علىٰ ذكر بناء المسجد. فقال: "كنا نحمل لَبِنَةً لَبِنَةً، وعمّارٌ لَبِنتين لَبِنتين. فرآه النبي (صلى الله عليه وسلم) فجعل ينفض التراب ويقول: ويحَ عمارٍ! تقتله الفئة

٥ الباغية، يدعوهم إلىٰ الجنة ويدعونه إلىٰ النار! قال: يقول عمارٌ: أعوذ بالله من الفتن!" (رواه البخاري). وزاد معمر فى "جامعه" أن عمّارا كان ينقل لبنتين لبنتين: لبنة عنه ولبنة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فقال النبيّ (صلى الله عليه وسلم): "للناس أجرٌ ولك أجران، وآخرُ زادِك من الدنيا شربةُ لَبَنٍ، وتقتلك الفئة الباغية."

مساحة الحرم فى عهد النبى

وعن خارجة بن زيد، أحد فقهاء المدينة السبعة، قال: بنىٰ رسول الله (صلى الله

١٠ عليه وسلم) مسجده سبعين ذراعا فى ستين ذراعا، أو يزيد. فلما كان عثمان، زاد فيه.

الزيادات المتوالية فيه

جعل طول المسجد مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين، وجعل أبوابه ستة، كما كانت فى زمن عمر. وامتدّت الزيادة إلىٰ أن دخلتْ بيوتُ أمّهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة (وهى التى دفن فيها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصاحباه رضى الله عنهما). فبنوا علىٰ القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر فى المسجد،

١٥ فيصلى إليه العوام ويؤدّى إلىٰ المحذور الذى نهىٰ عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من اتخاذ المساجد علىٰ القبور. ثم بنوا جدارين من ركنَى القبر الشماليين، حرفوهما حتّى التقيا. كل ذلك حتّى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. ولهذا قالت عائشة (رضى الله عنها): "ولولا ذلك أُبرِز قبره، غير أنه خُشِى أن يُتَّخذ مسجدا".

(٨٨)

ثم إن الوليد بن عبدالملك زاد فيه فجعل طوله مائتى ذراع وعرضه فى مقدّمه

٢٠ مائتين، وفى مؤخره مائة وثمانين.

زيادات العباسيين

ثم زاد فيه المهديّ سنة ستين ومائة، من جهة الشام فقط دون الجهات الثلاث.

ثم زاد فيه المأمون سنة آثنتين ومائتين، وأتقن بنيانه ونقش فيه: " هذا ما أمر به عبد الله المأمون " فى كلام كثير

قال العلامة أبو زكريا النَّوَوِىّ، رحمه الله: فينبغى للمُصَلِّى أن يعنِىَ بالمحافظة علىٰ الصلاه فيما كان فى زمنه (صلى الله عليه وسلم) . فإن الحديث الصحيح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "صلاةٌ فى مسجدى هذا أفضلُ من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام" إنما يتناول ما كان فى زمنه، لأنه هو الذى حصلت الإشارة إليه . لكنْ إذا صلّى فى جماعة، فالتقدّم إلىٰ الصف الأوّل، ثم إلىٰ ما يليه أفضلُ . فلْيُتَفطَّنْ لذلك .

المسافة بين المنبر ومصلّى النبىّ وقبره

وذرع ما بين المِنبر ومقام النبىّ (صلى الله عليه وسلم) الذى كان يصلى فيه حتّى تُوفّى، أربعة عشر ذراعا وشبر .

وذرع ما بين المنبر والقبر ثلاثة وخمسون ذراعا وشبر .[(١)]

بيوت النبىّ
صلى الله عليه وسلم

بيوت النبىّ

قال السُّهَيْلِىّ: كانت بيوت النبي (صلى الله عليه وسلم) تسعة: بعضها من جريد مطيّن بالطين وسقفها جريد، و بعضها من حجارة مرضومةٍ بعضها علىٰ بعض مسقفة بالجريد أيضا .

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبىّ: "لم يبلغنا أنه (صلى الله عليه وسلم) بنى له تسعة أبيات، حين بَنَى المسجد . ولا أحسبه فعل ذلك . إنما كان يريد بيتا حينئذ لسَوْدَةَ، أمّ المؤمنين . ثم لم يحتج إلىٰ بيت آخر، حتى بنى لعائشة فى شوّال سنة آثنتين . وكأنه (صلى الله عليه وسلم) بناها فى أوقات مختلفة . والله أعلم".

(١) بياض بأسفل الصحيفة فى الأصل مقداره سبعة أسطر .

وقال الحسن بن أبى الحسن : كنتُ أدخل بيوت النبىّ (صلى الله عليه وسلم) وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدى . وكان لكل بيتٍ حُجرةٌ . وكانت حُجَرُه (عليه السلام) أكسيةً من شَعَرٍ مربوطةً فى خَشَبِ عَرْعَرٍ .

وفى تاريخ البخارىّ أن بابه (صلى الله عليه وسلم) كان يُقرع بالأظافير . أى ٥ لاحَلَق له .

تداخل بيوته فى المسجد ، أيام عبد الملك بن مروان

ولما توفى أزواجه (صلى الله عليه وسلم) خُلطت البيوت والحُجَر بالمسجد . وذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان . فلما ورد كتابه بذلك ، ضجّ أهل المدينة بالبكاء ، كيوم وفاته .

قال السُّهَيْلىّ : وهذا يدلّ على أن بيوته (صلى الله عليه وسلم) إذا أضيفت إليه ، ١٠ فهى إضافة مِلك : كقوله تعالى : "لَاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِىِّ" . وإذا أضيفت إلى أزواجه كقوله : "وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ" فليست إضافةَ مِلْك . وذلك أن ما كان مِلكًا له ، فليس بموروث عنه .

مسجد قُبَاء

(٩٠)

مسجد قباء (وهو أوّل مسجد بنى فى الإسلام)

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسّسه لبنى عمرو بن عوف . ١٥ ثم انتقل إلى المدينة .

كيفية تأسيسه

وذكر ابن أبى خَيْثَمة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين أسسه ، كان هو أوّلَ مَن وضع حجرا فى قبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجرٍ فوضعه ، ثم جاء عمرُ بحجر فوضعه إلى جنب حجر أبى بكر . ثم أخذ الناس فى البنيان .

وذكر الخطّابيّ عن الشَّمُوس بنت النعمان، قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بنى مسجد قُبَاء يأتى بالحجر قد صهره إلىٰ بطنه، فيضعه. فيأتى الرجل يريد أن يُقلّه، فلا يستطيع حتّى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره.[1]

قال السهيليّ: وهذا أوّل مسجد بُنى فى الإسلام، وفى أهله نزلت: "فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا". فهو علىٰ هذا المسجد الذى "أُسِّس علىٰ التقوىٰ". وإن كان قد روىٰ أبو سعيد الخُدرىّ أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سئل عن المسجد الذى "أُسس علىٰ التقوىٰ" فقال: هو مسجدى هذا. وفى رواية أُخرىٰ قال: وفى الأرض خير كثير. وقد قال لبنى عمرو بن عَوْف حين نزلت "لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا": ما الطهور الذى أثنىٰ الله به عليكم" فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستجمار بالحجارة. فقال: هو ذاكم، فعليكموه!

قال السُّهَيْلىّ: وليس بين الحديثين تعارضٌ. كلاهما أسس علىٰ التقوىٰ، غير أن قوله سبحانه "من أوّل يوم" يقتضى مسجد قُباء، لأن تأسيسه كان فى أوّل يوم من حلول النبيّ (صلى الله عليه وسلم) دار هجرته والبلد الذى هو مُهَاجَرُه.

قال القاسم بن عبد الرحمن: عمّار بن ياسر أوّل من بنىٰ مسجدا لله، يُصَلّى فيه. رواه أبو عروبة. وذكر ابن إسحاق هذا الحديث عن عمّار فى خبر بناء مسجد المدينة.

قال السُّهَيْلىّ: إنّما عنىٰ بهذا مسجد قباء، لأنه هو الذى أشار علىٰ النبيّ (صلى الله عليه وسلم) ببنيانه. وهو الذى جمع له الحجارة. فلما أسسه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) استتم بناءه عمّار.

(١) أى أدناه إلىٰ بطنه [انظر اللسان ج ٦ مادة ص هـ ر].

وعن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يزور قباء راكبا وماشيا، فيصلى فيه ركعتين. مُتَّفَقٌ عليه. وفى رواية: كان النبىّ (صلّى الله عليه وسلم) يأتى مسجد قباء كل سبت، راكبا وماشيا. وكان آبن عمر يفعله.

مسجد الضِّرار

مسجد الضرار

٥ رُوى أن بنى عَمْرو بن عَوف لما بَنَوْا مسجد قباء ـ وكان يأتيهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويصلى فيه ـ حسدهم إخوتهم بنو غَنْم بن عوف. وقالوا: نبنى مسجدا ونرسل إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلى فيه، ويصلى فيه أبو عامر الراهب، إذا قدم من الشام. ليثبت لهم الفضل والزيادة علىٰ إخوتهم، زعموا. وأبوعامر هوالذى سمّاه النبىّ (صلى الله عليه وسلم) الفاسقَ. وقال لرسول الله

١٠ (صلى الله عليه وسلم): لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم. فلم يزل يقاتله إلىٰ يوم حُنَيْن. فلما آنهزمت هوازنُ، خرج هاربا إلىٰ الشام. وأرسل إلىٰ المنافقين أن آستعدّوا بما آستطعتم من قوة وسلاح، فإنى ذاهبٌ إلىٰ قيصر، وآتٍ بجنود، ومُخْرِجٌ محمدا وأصحابه من المدينة.

فبنَوْا مسجد الضِّرار إلىٰ جانب مسجد قباء. وقالوا للنبىّ (صلى الله عليه وسلم):

١٥ "بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية. ونحن نحب أن تصلى لنا فيه، وتدعو لنا بالبركة". فقال (صلى الله عليه وسلم): "إنى علىٰ جَناح سفرٍ وحالِ شغلٍ. وإذا قدمنا، إن شاء الله، صلينا فيه". فلما قفل من غزوة تَبوكَ، سألوه إتيان المسجد، فنزل قوله: "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا" إلىٰ قوله "لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا" الآيات.

فدعا بمالك بن الدُّخْشُم ومَعْن بن عَدِىّ وعامر بن السَّكَن ووحشىّ، قاتل حمزة، فقال لهم: "انطلقوا إلىٰ هذا المسجد الظالِم أهلُه. فٱهدموه وأحرِقوه". ففعلوا. وأمَر أن يُجعل مكانه كُناسة تلقىٰ فيها الجِيَف والقُمامة.

(٩٣)

وقيل كل مسجدٍ بُنِىَ مباهاةً، أو رياءً وسُمْعةً، أو لغرضٍ سوىٰ ٱبتغاء وجه الله، أو بمال غير طيّب فهو لاحق بمسجد الضِّرار.

٥

وعن شقيقٍ أنه لم يدرك الصلاة فى مسجد بنى عامر، فقيل له: مسجد بنى فلان، لم يصلوا فيه بعدُ. فقال: "لا أحب أن أصلّى فيه، فإنه قد بنى علىٰ ضِرارٍ". وكل مسجد بنى علىٰ ضِرار أو رياء، فإن أصله ينتمى إلىٰ المسجد الذى بُنِىَ ضِرارًا.

وعن عطاءٍ: لما فتح الله الأمصار علىٰ عمر (رضى الله عنه) أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأنْ لا يتخذوا فى مدينةٍ مسجدين يضارّ أحدُهما صاحبَه.

١٠

وذكر ٱبن إسحاق الذين ٱتخذوا مسجد الضرار وذكر فيهم جارية بن عامر، وكان يعرف بحمار الدار. وهو جارية بن عامر بن مُجَمِّع بن العَطّاف. وذكر فيهم ٱبنَه مُجَمِّعًا، وكان إذ ذاك غلاما حَدَثا قد جمع القرآن. فقدّموه إماما لهم، وهو لا يعلم بشئ من شأنهم.

وقد ذُكر أن عمر بن الخطاب، فى أيامه، أراد عزله عن الإمامة. وقال: أليس بإمام مسجد الضِّرار؟ فأقسم له مُجَمِّع أنه ما علم شيئا من أمرهم، وما ظنّ إلا الخير. فصدّقه عمر وأقرّه.

١٥

مساجد المدينة

مساجد المدينة

قال السُّهَيْلىّ: كانت مساجد المدينة تسعة، سوى مسجد النبىّ (صلى الله عليه وسلم)، كلهم يصلون بأذان بلال، كذلك قال بُكَير بن عبد الله بن الأشجّ، فيما روى عنه أبو داود فى مراسيله، والدارقطنىّ فى سننه.

٥ فمنها مسجد راتِج، ومسجد بنى عبد الأشهل، ومسجد بنى عمرو بن مبذول، ومسجد جُهَينة، وأسلَمَ (وأحسبه قال مسجد بنى سلمة).

وسائرها مذكور فى السنن.

وذكر ابن إسحاق، فى المساجد التى فى الطريق، مسجدا بذى الحِيفة. كذا وقع فى كتاب أبى بحرٍ بالخاء معجمة، ووقع بالجيم فى كتابٍ قرئ على ابن السراج وابن ١٠ الأفليلى.

بقيع الغرقد

(٩٣)

بقيع الغرقد

وهو مدفن أهل المدينة النبوية. وفيه تدافُن أكثر أهل المدينة.

قبة العباس ومن فيها من أهل البيت

وفيه قُبّة العباس بن عبد المطلب، عمّ النبىّ (صلىّ الله عليه وسلم). وفيها معه الحسن بن علىّ. وكان الحسن أوصى أن يدفن مع النبىّ (صلى الله عليه وسلم) إلا أن ١٥ يُخافَ أن يُراقَ فى ذلك مِحْجمُ دمٍ. فمنعه مَرْوان. وكادت الفتنة أن تقع. وأبى الحسنُ [ابنه] إلا أن يدفن مع جدّه. فكلمه عبد الله بن جعفر ومِسْوَر بن مخرمة. فدفن بالبقيع فى قبة العباس. وفيها أيضا زين العابدين، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق.

قبة عثمان بن عفان

وفى البقيع أيضا قبة أمير المؤمنين عثمان بن عفان. وكان موضع القبة وما حوله بستانا لرجل من الانصار اسمه كوكب. وكان يقال حُشُّ كوكب. والحُشُّ البستان.

فآشـتراه عثمان (رضى الله عنه) وزاده فى البقيع . وكان يقول إنه يدفن هاهنا رجل صالح. فكان أوّل من دُفن بهذه الزيادة.

قبة إبراهيم (ابن النبىّ)

وفى البقيع أيضا قبة إبراهيم بن النبىّ (صلى الله عليه وسلم).

قبة فاطمة وغيرها من أمهات المؤمنين والصحابة والتابعين

وقبة فاطمة الزهراء.

وفى البقيع أيضا جماعة من أزواج النبىّ (صلى الله عليه وسلم) وعَمّته صفيّة. ٥

وفيه خلائقُ من الصحابة والتابعين.

قبة مالك بن أنس

وفيه قبة مالك بن أَنَس، إمام دار الهجرة.

أوّل مدفون بالبقيع

وأوّل من دفن بالبقيع عثمانُ بن مظعون . قال المطلب بن عبد الله بن حَنْطب: أوّل من دفنه النبىّ (صلى الله عليه وسـلم) بالبقيع، عثمانُ بن مظعون، ثم قال لرجل عنده: آذهب إلىٰ تلك الصخرة، فأْتنى بها حتّٰى أضعها عند قبره، فمن مات من أهلنا ١٠ دفناه عنده. رواه آبن أبى شَيْبَة.

قال علىّ بن أبى طالب: ثم أتبعه إبراهيم بن النبىّ (صلى الله عليه وسلم). رواه آبن أبى شيبة أيضا.

سبب تسميته بالغرقد

قال الأصمعى: قُطِعت غَرْقدات فى هذا الموضع، حين دفن فيه عثمان بن مظعون، فسمى بَقِيع الغَرقد لهذا. ١٥

(٩٤)

معنى الغرقد

وقال الخليل: "البقيع من الأرض موضع فيه أُروم شجرٍ، وبه سمى بقيع الغَرقد. والغَرقد شجر كان ينبت هناك".

والبقيع يلى باب المدينة الذى فى جهة الشرق، الذى وراء دار عثمان بن عفّان. ومنه يخرج إلىٰ البقيع. [1]

٢٠

(١) بياض بالاصل مقداره ستة سطور.

المسجد الاقصى

كلمة سامية على الحرم المقدسى

معْهَد الأنبياء، ومتعهَّد الأولياء، وثانى البيت الحرام فى البناء، وأوّل القبلتين حال الأبتداء. شَيَّدَتْ ملوكُ بنى إسرائيل معاهدَه، وشدّت بقباب البروج معاقدَه، ثم تدارك بنو أُمية ذَماءه، وصفّحوا أرضه وسماءه، وهذا هو علىٰ ماهو عليه من حمل ٥ الآلام، وٱختلاف دول الكفر والإسلام، ومن صخرته المقدّسة المعراج، حيث عرج بخاتم الأنبياء (عليه الصلاة والسلام) من حضرة القدس إلىٰ حضرة القدس، وبسط له بساطُ الأنس، ودنا من ربه مقاما لم يبلغه الخليل ولا الكليم، ولا وصل إليه مَلَك مقرّب ولا نبىّ كريم، وقد أمَّ فى ذلك المسجد بالنبيين، وصعد منه إلىٰ أعلىٰ عليين. وإلىٰ صفيح تلك البقعة المحشر، ومنها يوم القيامة المَنْشر. والصخرة بها ١٠ عرش الله الأدنىٰ، ومقام الفخار الأسنىٰ، وهى التى تزف إليها عروس الكعبة زفا، وتُقسم النـاس لشقاوة وزلفىٰ ... ... الفضائل التى لاتحصىٰ.

(٩٥)

قد تقدّم حديثُ أبى ذرّ: أوّل مسجد وُضع، المسجدُ الحرامُ ثم المسجد الأقصىٰ. وبينهما أربعون عاما.

ورُوى عن علىّ بن أبى طالب، قال: كانت الأرض ماء فبعث الله ريحا فمسحت ١٥ الأرض مسحا، وظهرت علىٰ الأرض زَبَدة فقسمت أربع قطع. خلق من قطعة مكة، والثانية المدينة، والثالثة بيت المقدس، والرابعة الكوفة. ذكره أبو الفرج ٱبن الجوزىّ.

بناء بيت المقدس

وروىٰ ٱبن مَنْدَه بسنده، أن كعبا قال: بنىٰ سليمان بن داود بيتَ المقدس علىٰ أساسٍ قديم، كما بنىٰ إبراهيم الكعبة علىٰ أساس قديم.

قال ابن الجوزى: سكن الجبّارون فى الأرض المقدّسة فسُلِّط عليهم يُوشَع، ثم سُلِّط الكفار على بيت المقدس فصيروه مزبلة. فأوحى الله (عز وجل) إلى سليمان فبناه.
وروى عن سعيد بن المسيّب قال: أمر الله تعالى داود أن يبنى مسجد بيت المقدس. قال: ربّ! وأين أبنيه؟ قال: حيث ترى المَلَكَ شاهرا سيفه. قال: فرآه فى ذلك المكان. قال: فأخذ داود فأسس قواعده ورفع حائطه، فلما آرتفع آنهدم. فقال داود: يارب! أمرتنى أن أبنىَ لك بيتا، فلما آرتفع هدمتَه. فقال: ياداود إنما جعلتك خليفتى فى خلقى، لِمَ أخذتَه من صاحبه بغير ثمن؟ إنه يبنيه رجل من ولدك. فلما كان سليمان ساوم صاحب الأرض، فقال: هى بقنطار. فقال سليمان: قد آستوجبْتُها: فقال له صاحب الأرض: هى خير أو ذاك؟ قال: لا بل هى خيرٌ. قال: فانه قد بدا لى. قال: أو ليس قد أوجبتها؟ قال: بلى، ولكن البيعين بالخيار مالم يتفرّقا. (قال عبد الله بن المبارك، هذا أصل الخيار). فلم يزل يراده، ويقول له مثل قوله الأول، حتى آستوجبها منه بسبعة قناطير. فبناه سليمان حتى فرغ منه. وتغلّقت أبوابه. فعالجها سليمان أن يفتحها، فلم تنفتح، حتى قال فى دعائه: بصلواتِ أبى داودَ إلا تفتّحتِ الأبواب! ففُتِّحتِ الأبواب.

قال: ففرّغ له سليمان عشرة آلاف من قُرّاء بنى إسرائيل: خمسة آلاف بالليل، وخمسة آلاف بالنهار. لاتأتى ساعة من ليل ولانهار، إلا والله عز وجل يُعبَد فيه.

وقال أبو عَمرو الشَّيبانىّ: أوحى الله إلى داود: إنك لن تتم بناء بيت المقدس. قال: أىْ ربِّ! ولِمَ؟ قال: لأنك غمرت يدك فى الدم. قال: أىْ ربِّ! أَوَلَمْ يكن فى طاعتك. قال: بلى وإن كان.

وقال كعب: أوحى الله تعالى إلى سليمان أن ٱبنِ بيت المقدس. فجمع حكماء الإنس وعفاريت الجنّ وعظماء الشياطين. ثم فرّق الشياطين، فجعل منهم فريقا يبنون، وفريقا يقطعون الصخور، وفريقا يقطعون العُمُد من معادن الرُّخام، وفريقا يغوصون في البحر فيخرجون منه الدرّ والمرجان. وأخذ في بناء المسجد، فلم يثبت الساء. وكان عليه حَيْرٌ[1] بناه داود. فأمر بهدمه. ثم حفر الأرض حتّى بلغ الماء. فقال: أسِّسُوا على الماء. فألقوا فيه الحجارة. وكان الماء يلفظ الحجارة، فٱستشار في ذلك، فأشاروا عليه أن يتخذ قِلالا من نحاس، ثم يملأها حجارة، ثم يكتب عليها ماعلى خاتمه من ذكر التوحيد، ثم يلقيها في الماء لتكون أساس الساء. ففعل. فثبت وبنى. عمل بيت المقدس عملا لا يوصف، وزينه بالذهب والفضة وألوان الجوهر في سمائه وأرضه وأبوابه وجُدُره. ثم جمع الناس وأخبرهم أنه مسجد لله، وأنه هو الذى أمر ببنائه، وأنه من ٱنتقصه أو شيئًا منه، فقد حادّ الله، وأنه كان قد عهد إلى داود في ذلك، ثم أوصى سليمانَ بذلك من بعده. ثم ٱتخذ طعاما وجمع الناس.

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله تعالى: "فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ" قال: هو سور بيت المقدس الشرقيّ. وقد أضربنا عن كثير مما ورد في البناء السليمانيّ والعجائب التي كانت فيه، لعدم صحته بالنقل.

وأما ماورد في فضله. فضل بيت المقدس

فمنه حديث أَنَس. قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): صلاةُ الرجل

(١) الحَيْر بالفتح شبه الحظيرة أو الحِمى [أنظر لسان العرب ج ٥ ص ٣٠٨].

فى بيته بصلاةٍ واحدة،وصلاتُه فى مسجد القبائل بستّ وعشرين صلاة، وصلاته فى المسجد الذى يُجَمَّع فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة،وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة". (٩٧)

وعن أبى ذرّ قال : قيل : يارسول الله ! صلاةٌ فى بيت المقدس أفضل، أم صلاة فى مسجد رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ؟ قال: "صلاة فى مسجدى هذا أفضل من أربع صلوات فيه . ولنعم المُصلَّى! هو أرض المحشر والمنشر،وليأتينّ على الناس زمانٌ . ولبَسْطةُ قوسٍ من حيث يُرى بيت المقدس، أفضلُ وخيرٌ من الدنيا جميعا!" ٥

وصحّ عن موسى (عليه السلام) أنه لما آحْتُضِر قال : يارب أدننى من الأرض المقدسة رمية بحجرٍ! . ١٠

ونزله أبو ذرّ وأكثر فيه الصلاة . وصلّى فيه آبن عمر . ومات فيه عُبادة بن الصامت ، وشدّاد بن أوس ، وأبو أُبَىّ بن أُمّ حرام ، وأبو ريحانة (وآسمه شمعون) وذو الأصابع،وأبو محمد النجارىّ . هؤلاء من أهل بيت المقدس ماتوا به . والذى أعقب منهم عُبادة وشدّاد وسلامة بن قيصر وفيروز الديلمىّ.والذى لم يعقب منهم ابو ريحانة وأبو محمد النجارىّ وذو الأصابع. ١٥

وقال أبو الزاهرية : أتيتُ بيت المقدس أريد الصلاة.فدخلتُ المسجد وغَفَلتْ عنى سَدَنةُ المسجد، حتى أُطفِئت القناديل، وآنقطعت الرِجل، وغُلِّقت الأبواب . فبينا أنا كذلك إذ سمعت حفيفا له جناحان، قد أقبل وهو يقول : "سبحان الدائم القائم ! سبحان القائم الدائم ! سبحان الحىّ القيُّوم ! سبحان الملك القُدّوس !

سبحان رب الملائكة والروح! سبحان الله وبحمده! سبحان العليّ الأعلىٰ! سبحانه وتعالىٰ". ثم اقبل حفيفٌ يتلوه، يقول ذلك. ثم أقبل حفيف بعد حفيف يتجاوبون بها، حتّٰى آمتلأ المسجد. فإذا بعضهم قريب مني. فقال: آدميٌّ؟ فقلت: نعم. فقال: لاَرَوْعَ عليك، هذه الملائكة! قلتُ: سألتك بالذى قوّاكم علىٰ ماأرىٰ! مَن الأوّل؟

٥ قال: جبريل، قلت(١): ثم الذى يتلوه؟ قال: ميكائيل. قلت: مَن يتلوهم بعد ذلك؟ قال: الملائكة. قلتُ: سألتك بالذى قوّاكم علىٰ ما أرىٰ(٢). ما لقائلها من الثواب؟ قال: مَن قالها مرّةً فى كل يوم، لم يَمُت حتّٰى يرىٰ مقعده من الجنة، أو يُرىٰ له.

وروىٰ أبو عبد الله بن باكُويَهْ، بسنده إلىٰ محمد بن أحمد الصوفيّ، قال: قال لى أستاذى أبو عبد الله بن أبى شَيبة: "كنتُ ببيت المقدس. وكنتُ أُحبُّ أن أبِيتَ

١٠ فى المسجد، وما كنت أُترك. فلما كان فى بعض الأيام، نصرتُ فى الرواق بحُصُرقائمه. فلما أن صليت العتمة وراء الإمام، أتيتُ الحُصُر، فآختبأت وراءها. وآنصرف الناس والقُوّام. ثم خرجتُ إلىٰ الصخرة. فلما سمعتُ غَلْق الأبواب، وقعت عينى علىٰ المحراب وقد آنشق ودخل منه رجُلٌ ثم رجُلٌ إلىٰ أن تم سبعة. وآصطفّ القوم. ولم أزل واقفا شاخصا زائل العقل إلىٰ أن آنفجر الصبح. فخرج القوم علىٰ الطريق

١٥ الذى دخلوا."

وبه(٣) إلىٰ ذى النون قال: بينا أنا فى بعض جبال بيت المقدس، سمعتُ صوتا يقول: ذهبت الآلام عن أبدان الخُدّام، ولَهَتْ بالطاعة عن الشراب والطعام، وألِفَتْ

(١) فى الأصل: قال.

(٢) فى الأصل: لما.

٢٠ (٣) أى: وبسنده يعنى بسند أبى عبدالله بن باكويه.

قلوبهم طول الصام ، بين يدى الملك العلام ! فتبعتُ الصوتَ . فإذا أمردُ مصفَرٌّ الوجه ، يميل ميل الغصن إذا حركته الريح ، عليه شملة قد آتزر بها ، وأخرىٰ قد آتّشح بها . فلما رآنى ، توارىٰ عنى بالشجر . فقلت : ليس الجفاء من أخلاق المؤمنين . فكلِّمْنى وأَوْصِنى . فخر ساجدا ، وجعل يقول : هذا مقام مَن لاذ بك وآستجار بمعرفتك وأَلِفَ محبتك ! فيا إلٰه القلوب ، آحجبنى عن القاطعين لى عنك ! قال : فغاب عنّى ولم أره . ٥

ورُوِىَ عن قَتادة فى قوله تعالىٰ : " يَوْمَ يُنَادِى الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ " قال : من صخرة بيت المقدس . وقال يزيد بن جابر فى الآية : يقف إسرافيلُ علىٰ صخرة بيت المقدس ، فينفخ فى الصُّور ، فيقول : أيتها العظام النَّخِره ، والجلود المتمزِّقة ، والأشعار المتقطعة ، إن الله تعالىٰ امركِ أن تجتمعى للحساب !

(٩٩) وروىٰ آبن منده بسنده عن أنس بن مالك قال : إن الجنة لتحنّ شَوْقًا إلىٰ بيت المقدس . و بيت المقدس من جنة الفردوس ، وهى سرّة[1] الأرض . (يعنى الصخرة) . ١٠

وبه عن ابى إدريس الخَوْلانىّ قال : يحوّل الله صخرة بيت المقدس مرجانة بيضاء كعرض السماوات والأرض . ثم ينصبُ عليها عرشه . ثم يقضى بين عباده ، يصيرون منها إلىٰ الجنة و إلىٰ النار . وقال أبو العالية فى قوله تعالىٰ : " إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا " قال : من بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصل صخرة بيت المقدس . ١٥

قال المفسرون فى قوله تعالىٰ : " وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِى الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ " قالوا : هو إسرافيل . يقف علىٰ صخرة بيت المقدس فينادى : ياأيها الناس ، هَلُمُّوا إلىٰ الحساب ! إن الله يأمرُكم أن تجتمعوا لفصل القضاء ! (وهذه هى النفخة الأخيرة . والمكانُ القريبُ صخرةُ بيت المقدس) .

(١) فى الاصل : صرة . ٢٠

قال كعب ومقاتل : هى أقرب إلىٰ السماء بثمانية عشر ميلا . وقال آبن السائب : باثنىْ عشر ميلا .

وروىَ أن كعبا قدم إيلياء فَرَشَا [حبرا] من أحبار يهود بضعةَ عشر دينارا علىٰ أن دلّه علىٰ الصخره التى قام عليها سليمان بن داود لما فرع من بناء المسجد . ٥ وصلّى مما يلى ناحية باب أسباط . فقال كعب : قام سليمان بن داود علىٰ هده الصحرة ثم آستقبل بيت المقدس كله . فدعا الله عز وجل بثلاث . فأراه نعجيل إجابتـه فى دعوتين، وأرجو أن يستجيب فى الثالثة . ففال : " اللهم هَبْ لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى ، إنك أنت الوهاب" فأعطاه الله (عز وجل). وقال : "اللهم هب لى ملكا وحكما يوافق حكمك !". ففعل الله (عز وجل) ذلك به. ثم قال: "اللهم ١٠ لايأتى هذا المسجدَ أحد يريد الصلاة فيه ، إلاأخرجته من خطيئته كيوم ولدته أمه !"

هذه نبذة يسيرة من آبتداء وضعه .

فتح بيت المقدس فى أيام عمر، ثم فى أيام صلاح الدين ، ثم تسليمه للفرنج ، وآستنقاده منهم (١٠٠)

وأما مايتعلق بفتح بيت المقدس فى خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وآستيلاء الفرنج عليه، ثم فتحه علىٰ يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وتسليمه إلىٰ الفرنج بعد ذلك فى أيام الملك الكامل، ثم آستنقاذه منهم بعد ذلك علىٰ ١٥ يد الناصر داود بن المعظّم، فليس هذا موضعه. وسيأتى إن شاء الله تعالىٰ فى التاريخ التلويح بذلك والإشارة إليه . فهناك ذكره أنسبُ .

وصفه ومزاراته إلىٰ سنة ٧٤٣

ولنذكر الآن ما يتعلق بصفة المسجد الأقصىٰ، وما آشتمل عليه من المزارات، علىٰ ما استقر عليه بناؤه إلىٰ سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

تصنيف خاص فى الحرم المقدسىّ

وقد ألّف فى ذلك الصاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك تأليفا صغيرا سماه : "سلسلة المسجد، فى صفة الصخرة والمسجد". نقلتُ منه مايليق بهذا الموضع، معتمدا فى ذلك علىٰ ماحرّره بالذراع.

الصخرة الشريفة

ونبتدئ بذكر الصخرة الشريفة والبناء المحيط بها، فنقول :

البناء المثمن المحيط بها وطاقاته وشبابيكه

أما البناء المبارك من وجه الصحن المفروش بالبلاط المصقول، فارتفاعه ثمانية عشر ذراعا، يعلو ذلك كرسىّ القبه، وٱرتفاعه عشره أذرع وربع. ودوره مائة وثلاثة أذرع وثلثا ذراع . فى دوره ست عشرة طاقة زجاج مذهبة، بظاهرها شبابيك، وهى مثمنة الأركان . كل ثمنية تسعة وعشرون ذراعا وثلثا ذراع . والبناء من ظاهره مكسو منه ٱرتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجّر . ومن أعلاه سبعة أذرع إلىٰ الميازيب بالفصّ المُذْهَب المشجّر المختلف . وتحتوى كل ثمنة علىٰ سبع طاقات: اثنتان فى الطرفين مسدودتان، والخمسة مركب عليها الزجاج، ومن ظاهرها الشبابيك الحديد . ومن أعلىٰ الميازيب حائطٌ ٱرتفاعه أربعة أذرع، مكسوّ بالفص بالصفة المذكورة، مشخص فى كل ثمنة منه ثلاثة عشر محرابا. ولها أبواب أربعة :

وصف فى للباب القبلىّ الطراز العربىّ

فالقبلىّ ٱرتفاعه ستة أذرع وربع، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وثمن . وأمامه من خارج رواقٌ مفروش بالرخام الأبيض المشجّر طوله من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعا ونصف، وعرضه أربعة . سقفه بسطٌ مدهون. والوسطُ أمام الباب قنطرةٌ بالفص المُذْهَب، محمول علىٰ ثمانية أعمدة من الرُّخام: منها غُرابىٌّ ٱثنان فى طرفيه، وخُضْرٌ مَرْسِينِىّ تلوهما أربعة و"شحم ولحم" ٱثنان، بين الأعمدة الغُرابىّ والخُضرِ هَنابُ رخام منقوش الظاهر سعته ذراع وثلث. تنزل فيه المياه المنحدرة من المزاريب.

(١٠١)

ويُعلَّق على الباب المذكور مصراعان من الأبواب ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش.
وعلى يَمْنة الداخل ويَسْرته درابزين خشب آرتفاع ثلثى ذراع، فى رؤوس التثمينة
الأولة خاصة. ويقاس من عتبة هذا الباب من داخل إلى وجه الأعمدة الآتى
ذكرها ثمانية أذرع وثلثا ذراع، بأعلاها سقف بسط مدهون بأنواع الدهان، آرتفاعه
٥ خمسة عشر ذراعا، محمول على حائط الصخرة. والأعمدة والحائط من باطن التثمينة،
مُلَبَّس جميعه بالرخام بغير فص بانذار(1) به رخام منقوشة تقدير ذراع مذهبة.

كل تثمينة من هذا السقف محمولة على ساريتين ملبسة بالرخام المشجر والملون
البديع. دور كل سارية أحد عشر ذراعا وثلثا ذراع. وطولها ثمانية أذرع وثلثا ذراع،
وجهها الذى يلى الصخره بقُرنتين. ومع السارية عمودان: أحدهما "شحم ولحم" والآخر
١٠ أخضر مرسينى. بين كل عمود لأخيه خمسة أذرع. ودوره دراعان وثلثا ذراع.
وآرتفاعه خارجا عن القواعد ستة ونصف يعلوها "بساتل" ملبسة بالنحاس الأصفر
المنقوش المذهب فوق نقشه. يعلو "البساتل" قناطر بالفص المذهب البديع.

بهذه التثمينة الأولى، ثمانية سَوارٍ وستة عشر عمودا. منها أبيض وأزرق عشرة،
واخضر مرسينى ثلاثة، و"شحم ولحم" ثلاثة. (١٠٢)

١٥ وتقيس من واجهة قواعد هذه العمد عشرة أذرع لتثمينة ثانية عليها سقف
"مقالى" مذهب، آرتفاعه آرتفاع السقف الأول. و"مقاليه" مركبة بغير تسمير لأجل (وصف السقف)
كنس السقف. والسقفُ الذى يعلوه الرصاص خمسةُ أذرع من الباطن. وبآخر هذه
التثمينة الدائرةُ الدرابزينُ المحيطُ بدور القبة. والحامل للقبة أربعة سَوارٍ مربعة ملبسة

(١) هكذا فى الأصل. وربما كان المراد: بآستدارته.

بالرخام مثل الأولى. بين كل سارية وسارية ثلاثة أعمدة من الرخام "الشحم واللحم" والأخضر المرسينى . يعلو ذلك قناطر من الوجهين : فص مذهب، والباطن رخام أبيض وأسود . جملة الأعمدة الحاملة للقبة آثنا عشر عمودا : منها أخضر مرسينى سبعة، و"شحم ولحم" خمسة .

٥ قال : ولقد قست عمودا منها "شحما ولحما" فكان دوره ثلاثة أذرع ونصفا وآرتفاعه خارجا عن القواعد سبعة أذرع وثلثى ذراع[(١)] .

ارتفاعات القبة

وآرتفاع هذه القبة الخشب المذهبة من قطبها إلى ظاهر الصخرة الشريفة سبعة وأربعون ذراعا، ومن ظهر الصخرة لباطن أرض المغارة ستة أذرع، ومن ظاهر القبة الخشب إلى القبة الثانية المكسوة بالرصاص ذراع ونصف .

١٠ قال : ولقد قست الدور الحامل للقبة بالأعمدة والسوارى فكان مائة وثلاثة أذرع .

صفة الشباك وأبوابه

وصفة الشباك الحديد الذى بين هذه العمد والسوارى، له أربعة أبواب : الشمالى منها مغلق، والثلاثة مفتوحة . فأما القبلى فيصعد إليه بدرجتين . ومن حد عتبته من داخل إلى صدر الصخرة أربعة أذرع ونصف وربع . وحجر الصخرة من هذه الجهة ملبس بالرخام الملون آرتفاع ذراعين . ويحيط بحجر الصخرة من تمة أقطاره درابزين

١٥ من الخشب المنقوش، دوره أربعة وسبعون ذراعا . وبآخر هذه الصخرة المرخمة من غرب إلى جهة الشمال حجر صغير محمول على ستة أعمدة صغار . قيل إنه أثر قدم النبى (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج . وقبالة القدم المشار إليه مرآة من السبعة معادن[(٢)] يسمونها "درقة حمزة" محمولة على ثلاثة أعمدة لطاف : منهن آثنان "روحان فى جسد" .

أثر قدم النبى فيما يقال

(١٠٣)

(درقة حمزة مرآة من السبعة معادن)

(١) بالأصل : وثلثا .

(٢) بالأصل : السبع معادن .

وآرتفاع الشباك الحديد أربعة أذرع وثلثا ذراع، تعلوه شرفة خشب مدهونة. و بأعلى الشرفة شمعدانات حديد.

المحراب، المغارة

والمحراب الذى يصلى به إمام الصخرة عن يمين الداخل من الباب القبلىّ داخلَ الدرابزين الخشب المقدّم الذكر. وتجاه المحراب باب مغارة للصخرة الشريفة، ٥ معقودٌ قنطرةً بالرخام الغريب، على عمودين "شمعية" ينزل إلى باطنها بأربع عشرة درجة. طول باطن المغارة من الشرق للغرب عشرة أذرع، وعرضها سبعة ونصف من القبلة للشمال.

وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام.

باطن المغارة

وبباطن المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار. كل محراب على عمودى رخام ١٠ لطاف. وأمام المحراب الأيمن صُفَّةٌ نسمّى "مقام الحِصر". طولها من الشرق للغرب ذراع وثلثا ذراع، ومن القبلة للشمال ذراعان وربع. بواجهها عمود رخام قائم للسقف، وعمود راقد مَرَدٌّ لها. وبالركن الشمالىّ من المغارة صُفَّةٌ نفرٌ فى الصخرة يسمونها "مقام الخليل". عمقها من القبلة للشمال ذراع ونصف، ومن الشرق للغرب ذراع وربع.

مقام الحصر

مقام الخليل

الباب الشرقى للصخرة

١٥ وأما الباب الشرقىّ من بناء الصخرة، فهما بابان: أحدهما داخل الآخر. جُعل الباب الخارج وقايةً للداخل من الأمطار والثلوج. ملبس بالرخام. رحاب مابين البابين عرض أربعة أذرع وربع، وطول خرجته آثنا عشر ذراعا ونصف.

على يمنة الخارج بيت للبوّاب. وبه محراب محمول على ثلاثة أعمدة لطاف، وعلى يَسْرته بيت للقناديل محمول على أربعة أعمدة خضر مرسينىّ وزُرْق.

وعقد مابين البابين بالفص المُذْهَب . ومن عتبة الباب الثانى منهما إلىٰ العمد سبعة أذرع وثلثان وهو الحامل للسقف البَسط.

ومن واجهة العمد للشباك الحديد أحد عشر ذراعا . ومن باطن الشباك الحديد إلىٰ الدرابزين الخشب الساتر للصخرة أربعة أذرع وربع . ومن حدّ هذا الباب الشرقىّ ، علىٰ يَسرة الداخل منه طالبا للقبلة علىٰ مسافة تسعة أذرع ، عمودان مرسينىّ أخضر . بأعلاهما دُقَيْسىّ مُذْهَب يطلع من باطنه إلىٰ ظهر سقف الصخرة والقبة .

الباب الشمالى المسمى باب الجنة

وأما الباب الشمالى ويسمّى باب الجنة فله خرجة كالتى فى الباب الشرقىّ وصفتها وحليتها .

وفيما بين العمودين اللذين أمام الباب ــ داخل درابزين خشب مذهب به محراب لطيف ــ إشارةٌ علىٰ الرخامة السوداء التى يصلى الناس عندها . وفُقدت هذه الرخامة من مدة زمانية ، وعمل مكانَها رخامةٌ خضراء . والناس يصلون ويدعون عندها .

الباب الغربى

وأما الباب الغربى فله خرجة كالبابين الشرقىّ والشمالىّ .

وسعة مابين ثامين الصخرة من داخل مثل الباب الشمالىّ خلا السعة من الشباك الحديد لدرابزين الصخرة فإنه ستة أذرع وثلثا ذراع .

هذا مايتعلق بصفة الصخرة والبناء المثمن المحيط بها .

الصحن ومساحته

وأما الصحن المحيط بها ، فجميعه مفروش بالبلاط الجليل المصقول .

وذرعه من القبلة للشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعا ، ومن الشرق للغرب مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع .

وذرع ما بين الرواق الذى قبلىّ البـاب القبلىّ من أبواب الصـخرة إلىٰ رأس السـلالم الموصلة للجامع، ثلاثة وخمسون ذراعا. ومن رأس السلالم إلىٰ عتبة الجامع مائة وخمسون ذراعا ونصف وربع.

وبأعلىٰ هـذه السلالم أربع قناطر محمولة علىٰ ثلاثة أعمدة وركنين من البناء : منها عمودان صوّان أحمر، والوسطانى رخام أبيض فيه نقر مربع.

ذكروا فى التواريخ أن الدعاء عنده مستجاب.

وشرقىّ هذه القناطر علىٰ مسافة[1] أربعين ذراعا قناطر مثلها. أعمدتها اثنان أخضر مرسينىّ. وفيما بين هاتين القنطرتين فى سُفل الحَرَم صُفّةٌ كبيرة تسمّى صـفة السَّبع دَرَج. يقال إنها مأوىٰ الصالحين والسُّيّاح فى الليل، وعليها يتركعون.

وبجانب القنطرة المذكورة أوّلا، مدهونٌ صـورةُ محرابٍ ، بحـذيه عمودا رخام لطاف. وفى ركنها الغربىّ قبتان من رخام، واحدة تعلو الأخرىٰ : كل منهما قطعة واحدة، تسمّى قبة الميزان، محمولة علىٰ اثنى عشر عمودا من الرخام "الشحم واللحم" بقواعد "شمعية". والقبة التى عليها كثل ارتفاع القبة المذكورة بكمالها : ثمـانية أذرع وثلثان. وارتفاع العمد السُّفلى ذراعان وسدس، وارتفاع العمد الفوقانى ذراع ونصف وربع. وتعرف أيضا بقبة النجو.

وبالقرنة القبلية من جهة غربىّ الصحن موضع يعرف بالمدرسة المعظمية، طولها من ظاهرها أربعة وثلاثون ذراعا، وعرضها من القبلة للشمال سبعة أذرع. لها بابان يُفتحان للشمال، بحذّهما ثلاثة أعمدة من الرخام، كل عمود به أربعةٌ فى جسدٍ واحد،

(١) فى الاصل : مساحة.

ملفوفة "متعبنة". وتلوُ ذلك عمودان لطاف. وآرتفاع بنائها تسعة أذرع من أرض صحن الصخرة .

ويُدْخَل من البابين المذكورين لرواقٍ طوله ثمانية عشر ذراعا ونصف فى عرض ستة، بسقف شامىّ مذهب ثلاثة عشر مربعا. بصدره القبلىّ ثلاثُ طاقاتٍ مطلةٌ علىٰ الحَرَم وأبواب الجامع .

وبالجهة الغربية منه قبةٌ معقودة . بكل جهة من جهاتها القبليّة والشماليّة والغربية ثلاث طاقات . ولجهتها الغربيّة باب للدخول إليها من الرواق المذكور، وطاقة نطلّ علىٰ الرواق المذكور .

قبة الملك المعظم

وبالجهة الشرقية من الرواق المذكور قبة ألطف من هذه . سكنُ الإمام، وقيِّم المكان، وحاصلُ الزيت .

الإمام والطلبة أحناف بهذه المدرسة

ورتب الملك المعظم لها إماما مفردا يصلى الصلوات الخمس . ورتب بها خمسة وعشرين نفرا من طلبة النحو وشيخا لهم ، وشرط أن يكونوا حنفية من جملة طلبة مدرسته التى خارج الحرم. ووقف علىٰ ذلك قريةً تسمّى بيت لقيا، من عمل القدس الشريف . وعلىٰ سقفها مكتوبٌ أنه آهتمّ بعمارة ذلك فى سنة ثمان وستمائة .

القرية الموقوفة عليها

وأمام الشبابيك الشماليّة التى بالقبة الغربيّة من هذا الرواق ، علىٰ تقدير خمسة أذرع ، مَمْشاةٌ معقودة عدّتها سبع عشرة درجة، عرض كل درجة ذراع، يُتوصل منهنّ إلىٰ سفل الحرم .

مزولة المدرسة

وأمام القبة الشرقية من هذا الرواق صُفّةٌ عليها رخامة منقوشة مِزْولةٌ لإخراج ساعات النهار ، طولها من الشرق للغرب ذراعان وثلثان ، وعرضها ذراع وثلث ، وارتفاعها ذراع ونصف .

قبة للمتصدرين بالحرم المقدس

ويقابل هذه المدرسة فى القُرنة الشرقية من هذا الصحن قبةٌ لطيفة مكسوّة من ظاهرها بالبياض، خلوةٌ لبعض المتصدّرين بالحَرَم الشريف، يفتح بابها للشمال . وتتمة جهاتها الثلاث بكل منهن طاقة مطلة على الحرم.

وفى حائطى هذا الصحن الغربية والشمالية مسطبتان تعلو إحداهما قبة من جهة ٥ الغرب والأخرى فى الشمال سقفٌ على عمودين رخام، يصلى عليها المبلّغون فى الصلوات الخمس .

وذرع ما بين عتبة الباب الشرقىّ إلى حدّ الدرج، نهايةَ صحن الصخرة المبلط من جهة الشرق، ستة وسبعون ذراعا .

وبأعلى هذا الدرج خمس قناطر معقودة على أربعة أعمدة وساريتين، بجذهنّ

حلوتان للفقراء

١٠ القبلىّ والشمالىّ خلوتان للفقراء المجاورين بالحرم . وآرتفاع عقد هذه القناطر عشرة أذرع، أسوةَ آرتفاع القناطر التى على سائر السلالم. وبقى ثلاث قناطر منهنّ مفتوحة، يُخرج منهنّ إلى هذه الدرج المسماة بدرج البُراق. وعدّتهن ست وثلاثون درجة.

درج البراق

وذرع ما بين أوّل درجة من هذا الدرج إلى حدّ السور الشرقىّ مائة وستة وخمسون ذراعا وثلث .

١٥ وذرع مابين الباب الشرقىّ البرّانىّ وقبة السلسلة خمسة أذرع ونصف وربع .

أعمدة القبة

وهذه القبة محمولة على آثنى عشر عمودا أخضر مرسينىّ و"شحم ولحم". طول كل عمود، خارجا عن قواعده، ثلاثة أذرع وثلث وربع وثمن؛ وآرتفاع سقفها البسط الملبس بالرصاص ثمانية أذرع .

١٠٧

جميع ما بين الأعمدة محروق . وما بين العمود والعمود مُتَّكَايَةٌ من الحجر الصوّان المنحوت المجلىّ ، تقدير شبر لا غير . طول كل قطعة من هؤلاء أربعة أذرع ونصف . وعرض مابين عمودى المحراب خمسة أذرع مسدود بالرخام الملوّن . بحذى المحراب عمودان رخام أبيض . وبأعلىٰ هذه الأعمدة قناطر ملبسة بالفص المذهب والأخضر المختلف الألوان . آرتفاع القناطر ذراعان وربع ، وسعتها من المحراب لآخرها ثمـانية ٥ عشر ذراعا . وبباطن هده القبة قبه محمولة علىٰ ستة أعمدة أخصر مرسينىّ و"شحم ولحم" . مابين العمود والعمود أربعة أذرع سعتها ثمانية أذرع ونصف . بأعلىٰ الأعمدة قناطر ملبسة بالفص ، طول أربعة أذرع ونصف . والقبة الخشب من أعلىٰ ذلك .

السلسلة المعلقة بين السماء والأرض

روىٰ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المقدسىّ الخطيب ، بسنده إلىٰ أبى مالك بن ثعلبة ، قال : سمعتُ إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله يحدّث عن أبيه عن جدّه (يرفعه) ١٠ "أن سليمان بن داود جعل سلسلة معلّقة من السماء إلىٰ الأرض ليتبيّن المحقُّ من المبطل ، فالمحق ينالها والمبطل لاينالها ، وأن يهوديا آستُودِع مائة دينارٍ فجحدها . فجاؤوا إلىٰ السلسلة ـ وقد سبك اليهودىُّ الذهبَ فى عصًا ـ وناولها صاحب المـال وحلف : لقد أعطيته دنانيره . وحلف الآخر أنه لم يأخذ . فآرتفعت السلسلة من ذلك اليوم" .

ويقال إن السلسلة كانت موضع القبة المذكورة . والله تعالىٰ أعلم . ١٥

(١٠٨)

وذرع مابين الباب الشمالىّ من أبواب الصخرة (المسمى بباب الجنة) إلىٰ منتهىٰ الصحن المحيط بها إلىٰ القناطر الثـلاث المعقودة علىٰ عمودين رخام وساريتين[1] مائة وثمـانية أذرع .

---

(١) بالأصل : سارتين .

المشاة الموصلة للحرم

ويُنزل من هـذه القناطر فى ثمان درج إلىٰ الحرم الشريف . وأمام الدرج مَمْشاةٌ مستطيلة مفروشة بالبلاط، عرضها خمسة أذرع وربع وينتهى متشاملا إلىٰ باب الحَرَم المعروف بباب شرف الأنبياء ، وطول هذه المشاة مائة ذراع وثمانية وسبعون ذراعا . وسيأتى (إن شاء الله) ذكر هذا الباب عند ذكر أبواب الحرم .

٥ وعن يمين الداخل من هذه القناطر ويسراه فى منتهىٰ شمالىّ الصحن مسطبتان . طول كلّ منهما ثمانية أذرع ونصف ، من الشرق إلىٰ الغرب ، وعرضها من القبلة للشمال ذراعان وثلثا ذراع . يصلى الناس عليهما .

ومن هذا الباب الشمالىّ علىٰ مسافة آثنين وأربعين ذراعا طالبا للغرب عمل مسطبة آرتفاعها عن الصحن المبلط ثلث ذراع ، وطولها من الشرق للغرب ثلاثة عشر ذراعا

١٠ وثلث ، وعرضها من القبلة للشمال عشرة أذرع . بُنى عليها قبةٌ مثمنة ، تسمّى

قبة المعراج

قبة المعراج . بابها يفتح للشمال ، سعته ذراع وثلث ، وطوله ذراعان وثلث . بظاهر القبة المذكورة حاملا لأركانه من الأعمدة الرخام الأبيض ثلاثون عمودا . طول كل عمود ، خارجا عن القواعد ، ذراعان وثلثا ذراع .

والتثمينة التى بين الأعمدة ملبسةٌ ألواح رخام ملكىٍّ مشجرةً بأزرق . يُصعد إلىٰ

١٥ بابها بثلاث درج رُخام . ثم ينزل إلىٰ داخلها بمثلهنّ .

أرضها مفروشة بالرخام الأبيض ، وحيطانها من داخل كذلك ، مثل الظاهر . باطنها من الأعمدة أيضا ثمانية عشر عمودا . وبأعلىٰ الرخام المذكور طاقات رصاص شبه الجبس "المكندج" ثلاثة ، وزجاج أربعة . وبأعلىٰ الطاقات كرسىّ القبة . وعرضها من الشرق للغرب سبعة أذرع ، ومن القبلة للشمال ستة أذرع وربع . سَعة محرابها

٢٠ ذراعٌ وثلثا ذراع ؛ وهو بأول المسطبة لجهة القبلة . والباب والسلالم بآخرها لجهة الشمال . وثمّة المسطبة يصلى عليها الناس .

ومن قطب القبة لأرضها ارتفاعُ ستة عشر ذراعا . وبظاهرها فى أعلاها قبة لطيفة مكانَ الهلال، محمولة علىٰ ستة أعمدة صغار رخام شمعية؛ طول كل واحد منها تقدير ذراع . (١٠٩)

وذرع ما بين الباب الغربىّ إلىٰ رأس القناطر التى أمامَه بآخر صحن الصخرة من جهة الغرب ثمانية عشر ذراعا وثلثا ذراع . وهى أربع قناطر معقودة علىٰ ثلاثة أعمدة مُكتَّبة بالأزرق وساريتين[1] . وينزل من هذه القناطر بأربع وعشرين درجة إلىٰ الحرم . ومن حدّ هذه الدرج إلىٰ السور[2] الغربىّ (وهو الذى فيه الباب الجديد المعروف الآن بباب القيسارية ، وفيه باب الميضأة وسائر الأبواب الغربية الآتى ذكرها إن شاء الله عند ذكر أبواب الحرم) خمسةٌ وثمانون ذراعا وثلث ذراع .

الآبار وصهاريج صحن الحرم

وبظاهر هذا الصحن[3] من الصهاريج المركب علىٰ فُوَّهَة كل منهن خرزةُ رخام أو حجر منحوت سبعة ، ولهن تسعة أبواب . منها بالجهة القبلية بئر يعرف بالرُّمّانة له بابان : هذا الباب الذى بالصحن ، وباب بسُفل الحرم أمام الجامع؛ وبالجهة الشرقية بئران ، يعرف أحدهما بالشوك[4]، ويعرف الآخر ببئر الورد، له بابان جميعهما من صحن الصخرة الشريفة . وبالجهة الشمالية بئر يعرف بباب الجنة . وبالجهة الغربية ثلاث آبار : إحداها يُعرف بالكاس لأن علىٰ فُوَّهَته كأس رخام طويل، والآخر له بابان من الصحن ، والآخر ببرد فَم .

---

(١) بالأصل : وسارتين .

(٢) بالأصل : الصور .

(٣) بالأصل : من هم الصهاريج . ولا يستقيم الكلام فى رأينا إلا بإهمال لفظة هم وأعتبارها زائدة .

(٤) فى الأصل : تذكير البئر فى مواضع وبعض اللغويين علىٰ تأنيثها .

وإذ ذكرنا ما فى هذا الصحن من الصهاريج، فلنذكر ما فى سُفل الحرم من الصهاريج، فنقول:

الصهاريج فى سفل الحرم المقدسى

فى سُفل الحرم من الصهاريج خمسة عشر صهريجا .

بالجهة القبلية ستة : بالقرب من الزاوية الفخرية واحد، وبباب الجامع واحد، وداخلَ باب الجامع الشرقىّ واحد، ويسمى ببئر الورقة، وله بابان أحدهما هذا الذى داخل باب الجامع، والآخر فى مكان يعمل فيه نجارة[1] الحرم؛ والبئر الأسود، وله ثلاثة أبواب: أحدها يُنزل إليه بدرج، و بئر يعرف بالبحيرة، له بابان؛ و بئر فى الحاكورة التى عند الباب الشرقىّ، وله بابان: واحد فى الحاكوره، و باب خارج عنها.

(١١٠)

وبالجهة الشرقية ثلاثة آبار : منها بالقرب من باب الرحمة واحدٌ، له بابان.

وبالجهة الشمالية ثلاثة آبار: بئر بركة بنى إسرائيل، و بئر بباب شرف الأنبياء، وبئر بالرواق الحامل للزاوية المعروفة باللاوى وخانقاه الإسعردىّ .

وبالجهة الغربية ثلاثة: أحدها بباب الغوانمة، والآخر عند باب الرباط المنصورىّ، وله بابان: بابٌ فى الحاكورة، و بابٌ خارج عنها، يعرف بأبن عروة؛ و بئر عند الباب الحديد مغطًّى[2] بحصر الأروقة.

وهذه الآبار الاثنان والعشرون معمرة بالمياه.

وهنالك أيضا غيرها ثلاثة صهاريج خربة معطلة . واحد عند دَرج الميزان، والثانى عند محراب عمر، والثالث تحت الزيتون بالجهة الشرقية من الحرم.

---

(١) ليس فى الاصل نقطٌ . فنقطنا الكلمة ولا نضمن أنها مطابقة لما أراد المؤلف، ويجوز أن تكون نجارة .

(٢) يظهر أن هذه الكلمة مضروب عليها فى الأصل ولكن بكيفية توجب الشك .

وقد ٱستوعبنا الآن صفة صحن الصخرة وما ٱشتمل عليه .

فلنذكر ما بباطن الحرم من المساجد والمزارات والأبنية وغير ذلك .

ونبتدئ أوّلا بذكر السّور[1] المحيط بذلك جميعه .

صفة السور القبلى وما صاقبه من المساجد وغيرها

السور القبلى ومساطبه ومحاريبه

وأوّل هذا السور من جهة الغرب مسطبةٌ طولُها من المحراب للشمال ستة أذرع ٥
وعرضها ستة ونصف . وبصدرها محرابٌ . ويتلوها من جهة شرقها بابُ الزاوية
المحرية ،ويتلو بابَ الزاويةَ الفخرية من الشرق صُفّةٌ عشرةَ أذرع وربع ،وعرضها
ثلاثة ونصف . ويتلو هذه المسطبة باب جامع المغاربة . وطول جامع المغاربة من
محرابه لرأس دهليزه أحد وثلاثون ذراعا ونصف ،وعرضه أحد عشر ذراعا ونصف .
ومحرابه لطيفٌ ،مركب علىٰ عمودين رخام لطاف . ومن ظاهر حائط هذا المحراب ١٠
إلىٰ حائط جامع النساء خَرجةٌ فى الزاوية الفخرية التى إلىٰ جانبه ؛وطول دهليزه أحد
عشر ذراعا وثلثا ذراع ،وعرضه أربعة أذرع وثلثا ذراع .

وفى باطن سوره الشرقىّ مسطبة لطيفةٌ ؛ عرضها ذراع ونصف ، وطولها ثمانية
أذرع ونصف وربع وثمن .

خزائن القناديل والحوائج

وفى ثخائن السور خزائن لطاف للقناديل وحوائج القَوَمة به .وله باب واحد يُفتح ١٥
للشمال .سَعَتُه أربعة أذرع وٱرتفاعه خمسة أذرع .

---

(١) بالأصل : الصور

جامع المغاربة وجامع النساء.

وقولنا جامع المغاربة، لغلبة هذا الأسم على ألسنة الجمهور. ولو قلنا مسجد المغاربة، لما علم الجمهور بالقدس. وكذلك جامع النساء. كل ذلك ليس بجوامع تقام فيها خطبة. وإنما لكل منها إمامٌ مفرد، يصلى فيه الصلوات الخمس لاغير.

ويتلو جامع المغاربة فَضوةٌ كبيرة يتلوها جامع النساء . وطوله من الشرق للغرب ٥ آثنان وستون ذراعا ونصف ذراع ، وعرضه (١) من القبلة للشمال آثنان وعشرون ذراعا وثلثا ذراع، وهو (١) رواقان سقفهما آثنا عشر عقدا: كل رواق ستة عقود محمولة فى الوسط على ست عضائد. و بصدره من الشبابيك خمسة: عرض الشباك الأوّل منها ذراعان ونصف، وعمقه فى السور ثلاثة أذرع ، وهو عرض السور جميعه فى هـذه البقعة، وآرتفاعه ثلاثة أذرع وثلثا ذراع. وثمّة الشبابيك دون هذا المقدار.

١٠ وبحائطه الغربىّ شباك مطلّ على حارة المغاربة .

وباب هذا الجامع يُفتح للشمال. وبكل خدّ أربعة أعمدة رخام أبيض فى جسد واحد . طولها خارجا عن القواعد ذراعان إلا ربعا . وأمامه شجرتان عظيمتان من الجوز، تحتهما مسطبة يصلى الناس عليها .

ويدخل من الباب المذكور وينزل بخمس درج إلى الأروقة المذكورة . ومن ١٥ باب جامع النساء على مُضِىّ سبعه وعشرين ذراعا من جهة الشرق، البابُ العربىّ من أبواب الجامع المسمّى الآن بالمسجد الأقصى.

---

(١) فى الأصل: وعرضها ... وهى . [والسياق يدل على أن المراد مساحة ذلك الجامع . لذلك آستعملنا الضميرين المذكرين].

صفة السور الشرقى

(١١٣)

السور الشرقى (وفيه مهد عيسى)

تقدّم أن فى قُرنة السور القبلىّ مهدَ عيسىٰ، عليه السلام. وشماليّه رواق معقود علىٰ ستة عقود قد خربت مساطبه من العمائر القديمة. وبعض أرضه مبسوطة بالفص. طوله ثلاثة وأربعون ذراعا، ومن جانبه للقبلة كشفٌ إلىٰ حدّ مهد عيسىٰ.

مسجد باب الرحمة

وشمالىّ هذا الرواق، علىٰ مضىّ ثلثمائة ذراع، مسجد باب الرحمة. وطوله من الشرق للغرب ثلاثون ذراعا، وعرضه قبلةً[1] وشمالا[2] أربعة عشر ذراعا ونصف. وسعة محرابه ثلاثة أذرع وربع. يصلى فيه إمام مفرد. وهو معقود بالحجر المنحوت ستّ قباب: اثنتان مرتفعتان، وأربعة منبسطة علىٰ عمودين صوّان بيض فى الوسط وساريتين فى وسطه طول كل عمود أحد عشر ذراعا ودورته أربعة أذرع ونصف. وهذا المسجد متخذ باطن البابين المسميين بباب الرحمة.

باب الرحمة

وهما بابان قديمان قد سُدّا. علىٰ كل منهما مصراعان من خشب مصفح من خارج بالحديد. طول كل منهما أحد عشر ذراعا، وعرضه ستة ونصف. وخلف كل منهما بابان بالصفة المذكورة إلا أنهما مصفحان بالنحاس الأصفر المنقوش. قد سُمّرا وأُحكم غلقهما. قيل إنهما من بقايا العمائر السليمانية. سُمّيا بأبواب الرحمة.

ومنتهىٰ السور الشرقىّ رواقٌ طوله من القبلة للشمال ستة عشر ذراعا ونصف. ومن الشرق للغرب سبعة أذرع وثلث، ويعقبه فى أول السور الشمالىّ باب أسباط. وسيأتى ذكره، إن شاء الله.

---

(١) بالأصل: وعرضها.

(٢) بالأصل: وشمال.

وليس فى هذا السور الشرقىّ الآن بابٌ يُسلك منه للحرم الشريف . ولم يكن له فى الزمن القديم سوىٰ البابين المذكورين.

ويقال إن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) غلقهما لمـا فتح القدس . فلم يفتحا إلىٰ الآن.

المقبرة خارج هذا السور

٥ وقد اتخذ الناس ظاهرَ هذا السور مقبرة يدفنون فيها موتاهم . وفيها قبر شدّاد بن اوس .

(١١٤)

وادى جهنم وما فيه من عجائب المبانى والآثار والنقوش والمعابد القديمة

وتلو المقبرة المذكورة وادٍ عميقٌ يعرف بوادى جهنم، يزرع . وفيه كروم وبساتين. ومنه يُتَطرَّق إلىٰ عين [ماء] . وفيه أبنية عجيبة وآثار غريبة ونقوش ومعابد قديمة . وهو وقف علىٰ المدرسة الصلاحية . وحدّ هذا الوادى من الشرق طُورزَيْتا الذى نقال

١٠ إن الله تعالىٰ رفع عيسىٰ عليه السلام منه . وبه قبر رابعةَ العدوية، يُزار قصدًا . وفيما بين السور الشرقىّ وصحن الصخرة الشريفة أشجار من الزيتون والميس والتوت والتين. تقدير عدّتها مائة شجرة، يستظلّ الناس تحتها ويصلون.

قال الصاحب تاج الدين أحمد بن أمين الملك:

وصف الفصول الاربعة بالحرم المقدسىّ

"ولقد مضىٰ علىّ فى مجاورة هذا الحرم الشريف الفصولُ الأربعُ، فرأيتُ له فى كل

١٥ فصل محاسنَ فى غيره لم تُجمع، وهو أنه من مبدإ فصل الربيع تبدو فيه من الأزاهر المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لُبّ الذكىّ الأروع . وكلُّ أحد ممن له معرفة بالأعشاب يأتى إليه، ويأخذ من تلك الأزاهر ما علم منفعته ومضرّته".

قال": وأما ماشاهدته بالعِيان، أننى جلست وقتا فى بقعة منه تكللت بأزاهرَ من الشقائق والبَهار والأُقْحُوان، وإلىٰ جانبى فقير عليه أطمارٌ رثّةٌ يبدى تبسّمًا، وتارة يعلى صوته

بالتسبيح والتكبير ترنّما، ويقول: سبحان من جمع فيك المحاسن وكساك هذه الحلل الفاخره، وجعلك تحتوى علىٰ كنوز الدنيا والآخره! فقلت له ياسيدى! أما فضله وبركته، فقد صدّق العِيانُ فيها الخبر، وقام بها الدليل والبرهان وتواتر بها الأثر، لكن ما كنوز الدنيا؟ فقال: مامِن زهرة تراها إلا ولها فى النفع والضرر خواصّ، يعرفها أهل الاختصاص! فقلتُ: لعلّ تُظهر للعِيان شيئاً مما عرفتَ يزداد به اليقين تبصره، وتكون هذه الجلسة معك عن صبح النجاح مسفره. فأخذ بيدى ومشىٰ خُطُواتٍ إلىٰ جهة من جهات الحرم. ومدّ يده أخذ قبضة من ذلك الكلإ، وقال: هل معك خاتم أو درهم؟ فقلت نعم. فأخرجتُ درهما مما معى. فعركه بذلك الكلإ، فعاد كالدينار فى صفرته. ثم أخذ حشيشة أُخرىٰ، وعركه بها. فعاد أبيض، أبقىٰ مما كان أوّلا. وقال: هذه رموز احتوت علىٰ تلك الكنوز. ولم يترك نبىّ الله سليمان شيئًا من المواهب التى منحه الله إياها، والمنافع التى وصلت إليه من الإنس والجنّ علىٰ اختلاف صورها ومعناها، إلا وأودعه فى هذا الحرم. فأين من يفهم تلك المعانى، أو مَن كان لها يُعانى؟ ثم أخذ منهجا غير ما كنت أسلكه. فسألته التثبت والتلبث. فقال: الدنىء مَن صرف نظره إلىٰ العَرَض الأدنىٰ، والسرىُّ مَن صرف زمانه بالتهجد فى هذا المغنىٰ. أُوصيك أن تغتنم الفرصة فى ركعات تقدّمها بين يديك، فما سواها فان، ولا تلتفت إلا إلىٰ ما يقربك من الرحمٰن. فقلت: ياسيدى! ومثلك مَن يفتح لى أبواب الصواب. فقال: ما بعد السنّة والكتاب من باب. ثم فارقنى مهرولا، معلنا بصوته ومرتلا. يقول: سبحانك يادائم! سبحانك ياقُدُّوس! سبحانك يارحمٰن! سبحانك يامحيى النفوس! فجعلتُ هذا الذكر لى ديدنا، وكلما اشتاقت له منى عينٌ أطربتُ بذكره أذنا.

صفة السور الشمالى وفيه عِدّة أبواب

باب أسباط

أوّلها من جهة الشرق بابٌ يسمّى باب أسباط. وهو تلو الرواق المقدّم ذكره الذى هو نهاية السور الشرقىّ. وآرتفاع هذا الباب خمسة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وربع وثمن ذراع.

٥ ويعقب هذا الباب من غربه، رواقٌ معقود على عشر سوارٍ. طوله آثنان وسبعون ذراعا، وعرضه ثمانية أذرع. بصدره أربعة شبابيك مُطلّة على بركة بنى إسرائيل. وهى بركة قديمة عميقة.

(١١٦)

ويعقب هذا الرواق ساحةٌ، وهى أرضٌ كشفٌ ببعضها مصبٌّ مياه لبركة بنى إسرائيل. وبعضها كشفٌ، قُصد أن يُبنَى به أروقةٌ. وإلى الآن لم تُكمل. وطولها أربعة ١٠ وسبعون ذراعا.

المدرسة الكريمية

ويعقب هذه الأرضَ المدرسةُ الكريمية. وجاورت(١) ماأمامها من الأروقة بحائطين: غربية وشرقية. وجعلوا مَصيفَيْن قدّامها. وطول هذه المدرسة من الشرق للغرب خمسة وعشرون ذراعا. وجُعل قدّامَ هذه الأروقة مسطبةٌ يُصعد إليها بأربع دَرَج بارزة فى الحرم. طولها من القبلة للشمال ستة عشر ذراعا. وهذه المدرسة بناها كريم الدين ١٥ عبد الكريم، ناظر الخواص الشريفة السلطانية الناصرية. ويعقب هذه المدرسة بابٌ، يسمّى باب حِطّة. عرضه أربعة أذرع وثلثا ذراع، وآرتفاعه ثمانية أذرع. أمامه ممشاة

(١) فى الاصل. وجارت.

مفروشة بالبلاط، طولها مائة وثمانية وسبعون ذراعا، وعرضها خمسة أذرع وكَسْرٌ يُصعد من آخر[1] بدرج إلىٰ ثلاث قناطر معقودة علىٰ عمودين رخام وساريتين، يُدخل منهن إلىٰ صحن الصخرة .

وبحذّى هذا الباب مسطبتان لطيفتان، عرض كل منهما ذراعان: الشرقية منهما لصيقةٌ للمدرسة الكريمية المذكورة، وتلوَ الغربيــة رواق، طوله آثنان وسبعون ذراعا في العرض المذكور . ٥

وفى سوره ثلاثة شبابيك للرباط العَلَمىّ الدواداريّ . وبأوّله من الشرق بالقربِ شباكٌ للتربة الأوحدية، من بنى أيوب .

ب شرف الأنبياء

ثم يتلو هذا الرواق بابٌ يعرف بباب شرف الأنبياء . طوله ثمانية أذرع وعرضه أربعة . وأمامه ممشاة نظير الممشاة المذكورة . وقد تقدّم ذكر هذه أيضا . ١٠

ويتلو هذا الباب رواقٌ طوله سبعة وأربعون ذراعا، وعرضه سبعة أذرع ونصف، معقودٌ علىٰ ثمان سَوَارٍ . بأوّله شباكان . أحدهما مفتوحٌ يُتوصل منه إلىٰ زاوية الصاحب أمين الدين، المعروف بأمين الملك . وتلوهُما بابٌ يُصعد من باطنه إلىٰ زاوية اللاوى . وتلو الباب مسطبةٌ، فيها صهريجٌ .

(١١٧)

ويعقب هــذا الرواق من الغرب رواقٌ معقود عقدين علىٰ ثلاث سوارٍ . طوله تسعة عشر ذراعا ونصف، وعرضه من الشمال للقبلة تسعة أذرع . ويُصلّى به الآن بعضُ النسوة، الصلواتِ الخمسَ، خلفَ الأئمة . ١٥

---

(١) لعله من آخره أو من آخرها [ليستقيم بناء الكلام] .

مدرسة آل ملك وخانقاه الاسعردى

وبأعلاه مدرسة الأمير سيف الدين الحاجّ آل مَلَك الجوكندار، وخانقاه مجد الدين الإسعرديّ التاجر. وبأوّله جوارَ الصهريج المذكور، سُلَّمٌ يُصعد منه إلىٰ المدرسة والخانقاه المذكورتين.

ويعقب هذا الرواق كشفٌ ليس به أروقة. وهو صورة مسطبة عالية. ويُنزل من وسطها بستّ درج إلىٰ الحرم. ٥

مدرسة الجاولى

وبأقصىٰ آرتفاع هذا السور خمسة شبابيك لمدرسة الأمير علم الدين سنجر الجاوليّ، رحمه الله. وليس لها آستطراق إلىٰ الحرم. ومن حدّ هذا الكشف، طالبا لجهة الغرب، خلوتان. لكل منهما بابٌ يُفتح للجهة القبلية من الحرم. وداخلهما كله فى باطن السور الشماليّ. وهى من جبل صخرٍ أصمّ، صفة مغارةٍ. وقيل يعرف قديما بمغارة إبراهيم. وفى الشرقية منهما شباك لطيف. وإلىٰ جانب هاتين الخلوتين، خلوة ١٠ لشيخ الحرم. وبها شبا كان علىٰ الحرم الشريف. وطولها ستة عشر ذراعا. وأمامها مسطبة فى الطول المذكور، وعرضها أربعة أذرع وثلث. وبأعلىٰ هذه الخلوة، خلوة يُصعد اليها بسلّمٍ، بسبع درج فى حدّ الباب الذى يفتح للشرق.

ويتلو ذلك رواق علىٰ عقدين طوله من الغرب طالبا للشرق خمسة عشر ذراعا وعرضه تسعة ونصف. وتلوه سُلَّمٌ مستطيل جدّا، يصعد من أعلاه إلىٰ مأذنة، وإلىٰ ١٥ دارٍ هناك لبنى جماعة. وهذه المأذنة هى أقصىٰ السور الغربيّ، وآرتفاعها ثلاثة وخمسون ذراعا. وبأعلاها درابزينات خشب منقوشة. وهى مكللة من العمد الرخام اللطاف بأحد وثلاثين عمودا.

(١١٨)

صفة السور الغربى

السور الغربى

ويشتمل علىٰ سبعة أبواب بما فيه من باب الطهارة، فإنه الآن غير نافذ . وامام كل باب شجرة كبيرة من الميس أو التوت، وتحتها مسطبة يصلّى الناس عليها، ويستظلون، خلا باب الغوانمة، فليس قدامه شئ .

ومبدأ السور من المأذنة المذكورة. ٥

أبوابه

وأوّل أبوابه من هذه الجهة، باب الغوانمة . وطوله أربعة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع . يُصعَد إليه من الحرم الشريف بعشر درج . وبحدّه الشمالىّ خلوة للبوّاب، بارزةٌ فى الحرم تقديرَ خمسة أذرع . ومن حدّ هذه الخلوة إلىٰ المأذنة المذكورة خمسة وثلاثون ذراعا . ومن الباب المذكور — علىٰ مضىّ ثمانية عشر ذراعا طالبا للقبلة — بابٌ لطيفٌ لخلوة فى باطن عرض السور لبعض الفقراء المجاورين . ومن حدّ هذه الخلوةِ إلىٰ نهاية ١٠ أربعة وعشرين ذراعا حاكورةٌ بها أشجار وكروم تحت دار وقفها علاء الدين الأعمىٰ .

آثار علاء الدين الأعمىٰ ناظر الحرم

وكان هذا الرجل من نظار الحرم المتقدّمين ، وله تأثيرات حسنة فى الحرم من المواعيد والأبنية .

وطول الحاكورة طالبا للشمال خمسةٌ وأربعون ذراعا، فى عرض سبعة أذرع وكسر . ومن نهاية الحاكورة إلىٰ أقصىٰ السور وهو المأذنة المذكورة كشف بلا أروقة . ١٥

باب الرباط المنصورى

ولصيقُ هذه الحاكورة من القبلة بابٌ كبير يعرف بباب الرباط المنصورىّ . طوله ستة وعرضه خمسة ونصف . وأمامه مَمشاة يُتوصل بها إلىٰ السلم الذى يتوصل منه إلىٰ صحن الصخرة، قُبالةَ الباب الحديد الآتى ذكره .

وبخذ البـاب المذكور إلىٰ جهة الشمال عقد علىٰ ساريتين ، طوله تسـعة أذرع وعرضُه عرضُ الحاكورة وسائر الأروقة المتصلة به . وهذا العقد أوّل العقود فى السور الغربىّ .

مساكن ومجالس وحلوات

وعُمل فى ثخانة الحائط التى فى أوّله مع ثخانة السارية خلوةٌ صغيرة للقيّم والبوّاب بالباب المذكور . ٥

وتحت هـذا العقد يجلس الناظر والمباشرون يومئذ للنظر فى المصالح.[1] وتلوُ الباب المذكورِ عرضُه عرضُ الأروقة ، وطوله مائة وثمانية أذرع ؛ معقودٌ علىٰ ست عشرة سارية . وعلىٰ تقدير عشرة أذرع من أوّله شـباكُ القاعة التى هى سكن الناظر علىٰ أوقاف الحرم . وهى من وقف الحرم . وفى آخره خلوةٌ لطيفةٌ سكنُ القيّم وبرسم القناديل . ١٠

باب الحديد

وتلو ذلك البابُ المعروف بالحديد . طوله أربعة أذرع ونصف ، وعرضه دراعان وثلثا ذراع . وأمامه مَمْشاة مبلطة يُتوصل منها إلىٰ سلم لصحن الصخرة الشريفة . عرضه ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف وعدد درجه إحدىٰ وعشرون درجة . وليس بأعلاه قناطر أُسوةَ بقيّة السلالم .

١٥ وتلو هذا الباب رواقٌ علىٰ ثمان سوارٍ طوله ثمانية وخمسون ذراعا وعرضه عرض سائر الأروقة . وبآخره بابٌ لطيف لخلوةٍ لبعض الفقراء .

الباب الحديد

ثم يتلو هـذا الرواق بابٌ كبيرٌ عُمِـل من قريبٍ واستجدّ فتحه ، يُنْزَل إليه بعشر درجات . له مساطبُ فى خدّيه . طول كل منها سبعة أذرع وعرضها ذراع وثلثا ذراع .

(١) فى الاصل : مصالح .

قد أتقنتْ عمارته . وآرتفاعه ثمانية أذرع وعرضه خمسة أذرع . وعقده بوجهين ،
منقوش بالحجر الملوّن . وطراز كتابته بالذهب ، تُقِر فى الحجر . وأبوابه مصفحة بالنحاس
المذهب المخرّم ، متقن العمارة والزخرفة . ويُتوصل منه إلىٰ القيسارية المستجدّة .
وتشتمل علىٰ صفّىْ حوانيت ، بعضها وقْفٌ علىٰ الحرم ، و بعضها وقْفٌ علىٰ المدرسة
والخانقاه اللتين أنشأهما الأمير سيف الدين تنكز ، رحمه الله ، وسيأتى ذكرها ٥
عن كَثَب . إن شاء الله !

الخلاوى والطهارات والمساكن (١٢٠)

وإلىٰ جانب هذا الباب رواقٌ معقود علىٰ ساريتين كبار جدّا طوله خمسة عشر
ذراعا ، وعرضه إلىٰ خارج الساريتين سبعة أذرع وثلثا ذراع وإلىٰ باطنهما خمسة
أذرع ونصف . بصدره شباكٌ لقاعةٍ من وقف الحرم . وبجانب الشباك خلوةٌ
لطيفةٌ للقيّم والبوّاب . وإلىٰ جانب هذا الرواق بابُ الطهارة . وهو يشتمل علىٰ ١٠
طهارتين : إحداهما للنساء ، والثانية للرجال . وتشتمل طهارة الرجال علىٰ ثلاثة وعشرين
بيتا وفسقيةً كبيرة . وبأعلىٰ طهارة النساء مساكن تُكْرَىٰ لوقف الحرم .

باب الطهارة

وباب الطهارة يُنزل إليه من أرض الحرم بأربع درجات . وطول الباب أربعة أذرع
وثلثا ذراع ، وعرضه ثلاثة وثُمْنٌ . وبعده سبع درجات إلىٰ دهليز مستطيل ، يُتوصل
منه إلىٰ طهارة الرجال وإلىٰ سلم يتوصل منه إلىٰ عُلْو طهارة النساء . وطهارة النساء ١٥
فى أوائل الدهليز ، علىٰ يمين الداخل .

ويتلو باب الطهارة رواقٌ طوله ثلاثة وستون ذراعا ، وعرضه سبعة ونصف .
معقودٌ علىٰ تسع سوارٍ .

وفيه فى ثخانة السور بابان لحلوتين : إحداهما للقيّم والأخرىٰ برسم فقيرٍ . وفى آخره من جهة القبلة محرابٌ ملاصق للأُذنة ، يُصلَّى فيه صلاةٌ مفردةٌ بإمامٍ مفردٍ . وتجاوره المـأُذنة المختصة بالحرم وآرتفاعها ثمـانيةٌ وأربعون ذراعا . وبأعلاها درابزينان من الخشب . وهى مكللة من العمد الرخام اللطاف بثمـانية أعمدة .

باب السلسلة (وهو باب السَّحَرَة)

٥ ويتلو المأُذنة بابان قد غُلِق الشمالىّ منهما وسُمِّر والمأُذنة إلىٰ جانبه . ويسمّى البابُ المفتوح بابَ السلسلة . ويعرف قديما بباب السَّحَرة . سَعته خمسةُ أذرع وثلث ، وطوله ثمـانية ونصف . وكذلك المُغْلَق[(١)]. وأمام هذا الباب مَمشاة قلع يتوصل منها إلىٰ سلالم صحن الصخرة بعقدٍ قبالةَ المعظميّة . ذرعها سبعة وسبعون ذراعا وربع . ويتلو الباب رواقٌ معقود علىٰ عشر سوارٍ طوله سبعة وخمسون ذراعا ، وعرضه سبعة ١٠ أذرع وربع ، وآرتفاع عقــده عشرة أذرع ونصف . وهو نظير آرتفاع سائر سقوف أروقة الحرم .

وهــذا الرواق فيه شباكان للمدرســة التنكزية : أبوابهما من الآبنوس والعــاج . وداخلهما المدرسة . وظهره حامل للخانقاه التنكزية . وفى آخره باب لطيفٌ يُصعد منه إلىٰ أعلىٰ المدرسة وسكن الصوفية . وفى آخر سواريه ستة أعمدة من صَوّان كبار . (١٣١)

١٥ ويتلو هذا الرواق من القبلة مسطبةٌ آرتفاعها ذراع وطولهـا من الجنوب للشمال ثمـانية وثلاثون ذراعا إلا ثُمنا ، وعرضها عرض الرواق المذكور .

باب حارة المغاربة

وتقيس من هذه المسطبة ثلاثة وثلاثين ذراعا ، تجد باب حارة المغاربة . وسعته ثلاثة أذرع وربع ، وطوله أربعة ونصف .

---

(١) فى الأصل : المغلوق .

وتلو الباب المذكور على ثلاثة أذرع مسطبةٌ . وهى نهـاية السور الغربى وأول السور القبلى . وهذه المسطبة مجاورة للزاوية الفخرية التى هى أوّل السور القبلى من جهة الغرب . وقد تقدّم ذكرها .

❖

وإذ قد ٱستوعبنا صفة السور المحيط، فلنذكر الآن ماوعدنا بذكره مما ٱشتمل عليه ٥ سوى صحن الصخرة .

الخلاوى والحواصل تحت الصخرة

ونبـدأ بمـا هو تحت صحن الصخرة، وعدّته تسع خلاوٍ : أحدها جُعل حاصلا لأصناف الحرم .

فمنها بالجهة القبلية ثلاثةٌ : منهنّ ماعلى أبوابه مساطب ومُعَرَّشات كَرْم، وفيه أبواب الرواق المعظّمى التى تحت مدرسته . وهو مصلًّى للحنابلة بإمام مفرد . وبجانبه الشرقى ١٠ حاصلان يُجعل فيهما زيت الحرم وأصنافه .

وفى الجهة الشرقية من تحت صحن الصخرة أربع خلاوٍ : منها ماعمل قدّام أبوابه حاكورةٌ وغُرست أشجارا . والجهة الشمالية خالية من الخلاوى والحواصل .

وبالجهة الغربية خلوتان . إحداهما جُعلت حاصلا لأصناف الحرم . وفيه أبوابُ للرواق المعظمى . وقبالة أبواب الرواق المعظمى من الغرب قُبَّةُ موسى عليه السلام . ١٥ وهى أمام باب السلسلة وأمام رواق الحنابلة . بين المسطبة الحاملة لها وبين باب السلسلة ثمـانية وعشرون ذراعا . وطول المسطبة من القبلة للشمال أربعة وعشرون ذراعا . وعرضها من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعا ونصف، وٱرتفاعها نصف ذراع . (١٢٢) بصـدر المسطبة القبلى القبةُ المذكورةُ . طولهـا من ظاهرها من القبلة إلى الشمال

عشرة اذرع، وعرضها من الشرق للغرب مثل ذلك. وآرتفاع كرسيّ القبة من ظاهر المسطبة ثمانية أذرع. تشتمل هذه القبة من باطنها على أرض مفروشة بالرخام.

بابها يفتح للشمال. عرضه ذراع ونصف، وطوله ذراعان وثلثان. وبحذيه شُبّاكا حديد في طول الباب وعرضه. وبكل جهة من جهاتها شُبّاكا حديد. يُغلق على كل شباكٍ، زوجُ أبواب. وهي محمولة على الأركان. وبين كل حائط وأخيه قوسُ عقدٍ. ٥

وبأعلى كرسيّ القبة كرسيٌّ ثانٍ، فيه خمسُ طاقات زجاج. وبأعلى الكرسيّ الثاني القبةُ المعقودة. تقدير آرتفاعها من ظهر الكرسيّ الثاني ثمانية أذرع. وليس فيها عمد رخام بالجملة الكافية، حتّى ولا في خدّي المحراب.

صفة قبة سليمان عليه السلام

وهذه القبة بالجانب الشماليّ من الحرم. وهي مسامتة للصهريج والسُّلَّم الذي يُصعَد منه إلى الخانقاه الإسعردية والمدرسة السيفية آل مَلَك. ١٠ قبة سليمان

ومن واجهة الصهريج إلى باب القبة ثمانية وأربعون ذراعا. وهو يُفتح للشمال. طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع وثُمُن. بحذيه عمودا رخام ومسطبتان: يمنى ويسرى. طول كل منهما خمسة أذرع وربع، وعرضهما مثل ذلك.

وبحذي الباب المذكور شباكان مطلان على هاتين المسطبتين. طول كل شباك منهما ذراعان وثلثا ذراع، وعرضه ذراع وثلثان. ١٥

يُدخل من هذا الباب إلى قبة مثمّنة. وثمّة التثمينات مسدودةٌ. بها أربعة وعشرون عمودا من الرخام طول كل عمود ــ خارجا عن القواعد ــ ذراعان ونصف. في كل تثمينه

من المسدودات أربعة أعمدة حاملة للرخامة التى فى عقد القناطر . وبحذّي المحراب عمودان لطيفان طول كل منهما ذراع ونصف . (١٢٣)

وفى نهاية العمد ــ عند نهاية كرسىّ القبة ــ طاقاتُ زجاج بدائرها . سَعَة القبة ستة أذرع ونصف، وارتفاعها من قطب القبة للأرض عشرون ذراعا.

صخرة سليمان

وعلىٰ يَمْنة المصلى فى المحراب صخرةٌ صغيرة طولها ذراعان وربع، وعرضها من الجهة القبليــة ذراع، ومن الشّمالية ثلثا ذراع . يدعو الزوّارُ عندها . ويقال إنها من الآثار السليمانية، وإن الدعاء عندها مستجابٌ. ٥

وفى حائط هذه القبة القبلىّ، من خارجٍ، عمودان من الرخام. وبهما تكمّل مابهذه القبة من الأعمدة ثلاثين عمودا.

صفة المجلس الذى بناه سليمان عليه السلام ويسمّى الآن إصطبل سليمان ١٠

إصطبل سليمان

قال الصاحب تاج الدين : هــذا المجلس بناؤه أعجب وأتقن من المســجد الذى أعلاه . وله من داخل الخــانقاه الصلاحية (يعنى المجاورة لمقصورة الخطابة وبها الان شيخ يعرف بالختنىّ، وبه تعرف الآن) سُلّمَــان : أحدهما ست وثلاثون درجةً يُنْزَل منهــا إلىٰ بعض أقسام المجلس المذكور . والثانى أربع وخمسون درجةً، يُنْزَل منها إلىٰ بقية أقسام المجلس المذكور . ١٥

قال : والمكان فى غاية النور لِمــا عُمل له من المناور والطاقات المُحكمة . وهو رواقات عقودها محمولة علىٰ عمد من الصّوّان وأركان البناء . وعرض هذه المجالس من القبلة إلىٰ الشّمال : منها ماعرضه ثمــانية أذرع، ومنها ماعرضه تسعة أذرع، ومنها ماعرضه

عشرة أذرع ، وآرتفاع عقوده من الأرض التى بها الابواب النافذة لرأس وادى عين سلوان منها ما تقدير آرتفاعه عشرون ذراعا ، ومنها ماتقديره خمسة عشر ذراعا .

ويقال إن أحد هذه الأبواب كان منه دخول الأنبياء عليهم السلام .

مربط البراق

وفى إحدى أسطواناته حَلْقةٌ . يقال إن البُرَاق ربط بها ليلةَ الإسراء .

٥ وهــذه الأروقة كلها آخذة من الشرق للغرب . فمنها ماأمكن قياس طوله ، الذى أمكن التطرّق إليه . فكان تقديره ثلاثةٌ وتسعين ذراعا . ومنها مالم يمكن قياس طوله لكون أطواله قسمت حيطانا : منها ماهو فى وقتنا هذا مملوءٌ بالتراب المهول ؛ ومنها ماهو صفة حواصل ؛ ومنها ماهو مساكن ومرافق لسكان الخانقاه المذكورة .

(١٢٤)

قال : ونطاق النُّطْق ضاق عن آستيعابِ وصف هذا المجلس . لكن الأماكن التى ١٠ أمكن التطرّق إليها والمشى لمــا هو نافد منها دلّت[(١)] علىٰ أن البقعة المسماة بالجامع (يعنى المسجد الأقصى) موضعَ الخطبة الآن ، وبقعةَ جامع النساء وغالبَ المشاوات التى بالحرم والأشجار المزدرعة : كلها معلقة علىٰ هذه العقود والسوارى .

زيارة المؤلف

قلتُ : ولقد دخلتُ إلىٰ بعض هذه الاماكن ، ورأيتُ من عجائب الأبنيــة بها مايملأ العين . وكان دخولى إليها من الزاوية المعروفة بسكن الخُتنى ثم أفضيتُ منها ١٥ إلىٰ الكروم وظاهر المسجد .[(٢)]

---

(١) بالأصل : دل .

(٢) بياض بآخر الصحيفة بالأصل مقداره تسعة سطور .

(١٢٥) قبر الخليل عليه الصلاة والسلام

وما جاوره من قبور بنيه والأزواج

وكلها داخل ذلك المسوَّر ، وفى حدود ذلك المكان المنوَّر .

قبر الخليل إبراهيم وزوجته سارة وابنه إسحاق

روىٰ الحافظ أبو القاسم مكّىّ بن عبدالسلام بن الحسين الرُّمَيْلىّ المقدسىّ ، بسنده إلىٰ كعب الأحبار ، قال : أوّل مَن مات ودُفن بِحَبْرىٰ سارةُ . وذلك أن إبراهيم ٥ خرج لما ماتت ، يطلب موضعا ليقبرها فيه . فقدم علىٰ صفوان ، وكان علىٰ دينه . وكان مسكنه وناحيته حَبْرىٰ (١) . فاشترىٰ منه الموضع بخمسين درهما . وكان الدرهم ذلك العصر خمسةَ دراهم . فدُفنت سارة فيه . ثم تُوُفِّى إبراهيم فدُفن لَصيقَها . ثم تُوُفِّيت رَبقةُ زوجةُ إسحاق ، فدُفنت فيه . ثم تُوفى إسحاق فدفن لَزِيقَها . ثم تُوُفِّى يعقوب فدُفن فى الموضع . ثم تُوفيت زوجته لِيقا فدفنت معهم . ١٠

فأقام ذلك الموضع علىٰ ذلك إلىٰ زمن سليمان . فلما بعثه الله ، أوحىٰ إليه أنِ ٱبنِ علىٰ قبر خليلى حَيْرا حتّى يكون لمن يأْتى بعدك ، لكى يُعرَف .

فخرج سليمان وبنو إسرائيل من بيت المقدس ، حتّى قدم أرض كنعان . فطاف فلم يصبه . فرجع إلىٰ بيت المقدس . فأوحىٰ الله إليه : ياسليمان ، خالفتَ أمرى ! ؟ . قال : يارَبِّ ، قد غاب عنى الموضع . فأوحىٰ الله إليه : امضِ ، فإنك ترىٰ نورا من ١٥ السماء إلىٰ الأرض ، فهو موضع قبر خليلى . فخرج سليمان ثانيا ، فنظر فأمر الجنَّ فَبَنَوْا علىٰ الموضع الذى يقال له الرامة . فأوحىٰ الله إليه : إن هذا ليس هو الموضع ، ولكن

---

(١) حَبْرىٰ كسكرىٰ [أُنظر القاموس . وقد أورد القصة فى "معجم ياقوت" ج ٢ ص ١٩٥ ببعض تصحيف فى الاسماء] .

اذا رأيتَ النور قد ٱلترق بأعنان السماء. فخرج سليمان فنظر إلىٰ النور قد ٱلترق بأعنان السماء إلىٰ الأرض . فبنىٰ عليه الحَيْر .

قلتُ : ولم يكن لهذا الحير بابٌ . وإنما المسلمون لما ٱفتتحوا البلد، فتحوا له بابا . وبناؤه بناء محكم . وفى حائطه حجارة هائلة فى كبر القدر ، منها ماطوله سبعة

٥ وثلاثون شبرا .

وقد أُقيم بهذا الموضع خطبةٌ، ورُتِّب به إمام ومؤذنون .

(١٢٦)

وفى قبلته بابٌ يُنزل منه بدرج كثيرة إلىٰ سرداب ضيّق تحت الأرض، يأخذ متشاملا إلىٰ لحوة فيها ثلاث نصائب قبور فى حائطه، يقال إنها قبر الخليل و زوجته و إسحاق .

١٠ وهناك طاقة لا يُعرف إلىٰ أين تنتهى، لكن يقال إنها إلىٰ مغارة تحت أرض الحرم، فيها الموتىٰ . وتلك أمثال القبور من فوق .

زيارة المؤلف للسرداب الذى فيه قبور الأنبياء.

ولقد أتيتُ إلىٰ هذا السرداب ومشيتُ به زحفا، لضيقه. ولتطأطؤ سقفه، لا يقدر أحد علىٰ المشى منتصبا به . وهو خطوات يسيرة تنتهى إلىٰ الفجوة المذكورة . وهى نحو أربعة أذرع فى مثلها . وهيئة القبور فى قبلة المسجد الآن قبران : الأيمنُ قبر

١٥ إسحاق، والأيسر قبر زوجته . وفى شماليّه مما هو منفصل عن المسجد بهبتين متقابلتين قبران : الأيمنُ قبر إبراهيم الخليل ، والأيسر قبر سارة زوجته . وفى شمالىّ الحرم قبةٌ مفردة مسامتة لقبة الخليل . وفيها قبرٌ يقال إنه قبر يعقوب . ولا شكَّ ولا ريْب أن إبراهيم (صلوات الله عليه) ومَن ذُكر معه مدفونون داخلَ هذا المسوَّر . وأما تعيين موضع القبر، فالله أعلم .

انكشاف قبور الأنبياء فى أيام احتلال الصليبيين لبلد الخليل

قال علىّ بن أبى بكر الهروىّ : حدّثنى جماعة من مشايخ بلد الخليل أنه لما كان فى زمان بردويل الملك، انخسف موضع فى هذه المغارة . فدخل جماعة من الفرنج إليها بإذن الملك، فوجدوا فيها إبراهيم و إسحاق ويعقوب، وقد بَلِيَتْ أكفانهم، وهم مستندون إلىٰ حائط، وعلىٰ رؤوسهم قناديل . وهى مكشوفة . فجدّد الملك أكفانهم ثم سدّ الموضع . وذلك سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . حكىٰ ذلك شهاب الدين بن ٥

قبر آدم ونوح وسام

الواسطىّ . قال : وقيل إن قبر آدم ونوح وسام فى المغارة . قال : والمغارة تحت هذه المغارة التى تُزار الآن . والله أعلم .

قبر يوسف ووجوده خارج الحرم

ووراء الحرم موضعٌ فيه قبرٌ ينسب إلىٰ يوسف، عليه السلام . يقولون إنه لما بُنى المكان، أرادوا أن يجعلوا قبره داخل الحرم . فسمع بانيه وهو سليمان (عليه السلام)

(١٢٧) قائلا يقول : دعوه خارج الحرم، فعليه خراج مصر ! ١٠

و يقال إن موسىٰ (عليه السلام) لما خرج من مصر، استصحب معه تابوت يوسف . ودفنه هناك قريبا من آبائه، ولم يدفنه عندهم، لما ناله من المُلْك . هكذا يقال، والعهدة علىٰ قائله . والله أعلم .

حرمة الحرم الخليلى وصدقاته

قلتُ : وهذا الحرم مؤزّر جُدُرُه بالرخام الملون والمُذَهّب . وعليه أوقاف جليلة . ويُمَدّ فيه كلَّ يوم بعد العصر سِمَاطٌ و يفرق فيه من الخبز علىٰ الواردين بحسبهم علىٰ قدر كفايتهم . ١٥

زيارة المؤلف لقبر إبراهيم الخليل سنة ٧٤٥

ولقد زرتُ الخليل (صلوات الله عليه وسلامه) فى ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة . فأخبرنى جماعة المباشرين أن فى بعض ليالى العشر من هذا الشهر فى هذه السنة فرقوا زيادة علىٰ ثلاثة عشر ألف رغيف، وأن غالب أيام العام مابين السبعة

آلاف والعشرة آلاف. ويُفرق ايضا مع الخبز طعام العدس بالزيت الطيِّب والسُّمَّاق.
وفى بكرة النهار يُطبخ أيضا قدر من الدشيش، ويفرّق علىٰ الواردين. وفى بعض ايام
الأسبوع، يُطبخ ماهو افخر من ذلك.

قمح الصيافة وأهراؤه

وله خُدّام برسم غربلة القمح وطحنه وعجينه وخبزه. لا يَبْطلُون ليلا ولا نهارا.
٥ وأهراء القمح والطاحون والفرن، نافذٌ بعض ذلك إلىٰ بعض. بحيث إن القمحَ
يُفرّغ فى الأهراء ويُخْرجَ خبزا مخبوزا. ولم يزل علىٰ هـذا مدىٰ الشـهور والأعوام
والليالى والأيام، لاينقطع له مدد، ولا يُحصر بضبط ولا عدد.

استمرار السماط فى أيام الفرنج وزياداتهم

ولما استولىٰ الفرنج علىٰ بلد الخليل (عليه السلام) أجرَوْا هذا السِّماط وزادوا علىٰ
مَن كان قبلهم، وبالغوا فى صلة هذا المعروف.

زيادة ملوك الإسلام فيه

١٠ ثم زاد ملوك الإسـلام فى السِّمَاط. وهو معروفٌ يشـمل المأمور والأمير، والغنيّ
والفقير.

قصائد للمؤلف فى مدح الخليل

وقلتُ من قصيدٍ مدحتُه، عليه الصلاة والسلام:

هـذا خليـل الله إبراهيم قد * لاحت لنا أعلامه الشُّمُّ الذُّرىٰ!
هذا الذى سـنَّ القِرىٰ لضيوفه * كرمًا، ولولاه لما سُـنَّ القِرىٰ!
١٥ هذا الذى مَدّ السِّمَاط فما انطوىٰ * ذاك السماط تكرمًا، وسَلِ الورىٰ!

وقلتُ من أخرىٰ:

هو ذا صاحب السِّماط ولكن * صاحب الحوض نحله ودووه!
ذو فِناء يُقرىٰ به كلُّ ضـيف * لم يُخيَّب تحت الدُّجىٰ طارقوه!
مُنـعِمٌ سَـيِّدٌ جوادٌ كريمٌ، * منـذ مدّوا سماطه ما طـووه.

(١٢٨) وقلتُ من أخرى،حين زرته فى ذى الحجة سنة خمس وأربعين [وسبعمائة]:

خليـلُ إله العرش أوّلُ مَن قَرىٰ * ضُيوفا! وهاقدجئتُه وٱستضفتُه،

أتيتُ كريمـا لاتزال رِحابُه * مُطَبّقـةً بالوفـد حيثُ نظرتُه،

دعت نارُه الضِّيمانَ فى غَسَق الدُّجىٰ * وليس سـواها بارقا ثَمّ شِمتُـهُ،

فتىٰ الجودِ شـيخُ الأنبياء جميعِهم * ووالدُهم حقًّـا،يقينًا علمتُــهُ، ٥

وقلتُ،عند الوَداع فى هذه السنة:

هـذا الخليـل وهـذه أبناؤُه! * يكفيك بعـد فـراقه أنبـاؤُه!

هيهات لا تُوفِى أقلَّ حقوقــهِ * ولو آن جفنك لا يجفُّ بكاؤُه!

فامسك فؤادك إن ملكت عنانه! * هيهات قد طارت به أهواؤُه!

وتعزّ عن أهل الكثيب وإنمـا * من أين للصب الكئيب عزاؤُه! ١٠

تحصيل المؤلف لزيارته

قلتُ : وكان قدومنا هـذه المرّة علىٰ الخليل (عليه السـلام) يوم الاثنين لأربع عشره ليـلة خلت من ذى الحجة سـنه خمس وأربعين وسبعمائة . فبتنا ليلتنا نتبرّك بما حوت تلك القبور من العظام العِظام،ونعفّر الوجوه فى تلك البقعة المُشرّفة فى مواضع أقدام أولئك الأقوام . ثم أصـبحنا وقد حَمِدنا السُّرىٰ عند الصَّباح، وطلبنا حوائجنا عنـد تلك الوجوه الصِّباح . فلما قضينا من الزيارة الأرب،وهزّتنا ١٥ من النوبة الخليلية الطرَب ، بعثتُ وراء الصاحب ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن الخليلىّ التميمىّ الدارىّ. وهو بقية هذا البيت الجليل،والمُنتهِى إليه النظر علىٰ وقف الحبيب سـيدنا محمد (صلى الله عليه وسـلم) وبلد أبيه إبراهيم الخليل . وٱلتمسنا منه (١٢٩)

استحضار المؤلف نسخة الإقطاع النبوى لتميم الدارى ووصفه لها

إحضار الكتاب الشريف النبوىّ المكتتب لهم بهذه النُّطيه[1]. والمُشرَّف لهم به على سائر البريه. فأنعم بإجابة الملتمَس، وجاء به أقربَ من رَجْعِ النَّفَس. وهو فى خرقة سوداء من مُلْحَم قطن وحرير، من كُمِّ الحسن أبى محمد المستضىء بالله أمير المؤمنين، وبطانتها من كتّان أبيض على تقدير كل إصبع منه ميلان أسودان، مشقوقان بميل أبيض، جُعل ضمن أكياس يضمُّها صُندوق من آبنوس يُلَفُّ فى خرقة من حرير. ٥ والكتاب الشريف فى خِرقة من خُفٍّ من أدم، أظنُّها من ظَهْر القَدَم. وقد موّه سواد الجلد على الخط، لا أنّه أذهبه، وما أخفى من يد كاتبه المشرفة ما كتبه. وهو بالخط الكوفىّ المليح القوىّ. فقبّلنا تلك الآثار، وتمتعنا منه بمدد الأنوار. ومعه ورقة كتبها المستضىء بنصه شاهدةً لهم بمضمونه، ومزيلةً لشكِّ الشاكّ المُريب وظنونه.

١٠ ومضمون ما كتب كهيئته وسطوره :

"نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتبه"
"لتميم الدارىّ وإخوته فى سنة تسع من الهجرة بعد منصَرَفه"
"من غزوة تبوك فى قطعة أدم من خف أمير المؤمنين علىّ وبخطه"

"نسخته كهيئته"

١٥ (١) أى العطية، لغة اليمن. وذلك إشارة إلى إقطاع تميم الدارىّ الصحابىّ وسيأتى حكاية هذا الإقطاع ونسخة كتابه فى هذه الصفحة والتى تليها.

"بسم الله الرحمن الرحيم"

"هـــذا ما انطىٰ محمد رسول الله لتمـــيم"

"الدارىّ وإخوته حبرونَ والمــرطومَ"

"وبيتَ عَيْنونَ وبيت ابراهيم وما فيهنّ"

"نَطية بتٍّ بذمتهم ونفَّذتُ وسلمتُ ذلك لهم" (١٣٠) ٥

"ولاعقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم"

"لعنه الله شهد عتيق بن أبو قحافة وعمر بن"

"الخطاب وعثمان بن عفان وكتب علىّ بن"

"بو طالب وشهد"

هذه نسخة الكتاب الشريف . ١٠

و"أبو قحافه" ألف وباء وواو ـ ثم "قحافة" ـ و"بو طالب" باء وواو ـ ثم "طالب". وليس فى "بو" ألف. بيّن ذلك ليُعرف. و"كتب" فى ذكر علىّ رضى الله عنه مقدّمةٌ، و"شهدَ" مؤخرةٌ. بُيّن ذلك أيضا ليعرف.

نقل هذه النسخة من خط الخليفة المستضىء.

وقد رأيتُ ذلك كله بعينى، ومن خط المستضىء نقلت . وهو خطه المعروف المألوف . وقد رأيته وأعرِفه معرفة لا أشكُّ فيها ولا أرتابُ . وقرأتُه من الكتاب ١٥

النوى نفسه . وهو موافقٌ لما كتبه المستصىء، نقلا منه . على أن آثاره كادت تتعفّى، وتحتجب عن الناس لفساد الزمان وتتخفّى.(١)

وكان التبرّك برؤية ذلك على ظهر القبو الصغير الشمالىّ، فى الحرم الخليلىّ الملاصق لقبر زوج يعقوب (عليه السلام) المفضى منه إلى المأذنة بحضرة مخزن العدس .

(١) وقد رأى كثير من الناس هذا الكتاب الشريف قبل أبى فضل الله . فى ذلك ما رواه صلاح الدين الصفدىّ (فى ورقتى ٢٧ و ٢٨ من الجزء ٤٨ من تذكرته، وهذا الجزء مخطوط ومحفوظ بدار الكتب الخديوية) . وهذا نص ما فيه .

قال الفقيه القاضى أبو بكر العربىّ المعافرىّ رحمه الله تعالى فى كتاب القبس له . "وقد كان عند أولاد تميم الدارىّ رضى الله عنه بحبرون بدمشق ، قرية إبراهيم صلى الله عليه وسلم، كتابُ النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قطعة من أديم : (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أقطع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تميما الدارىّ . أقطعه قريتى حبرون وعينون قريتى أبراهيم الخليل . يسير فيهما بسيرته . وكتب علىّ بن أبى طالب . وشهد فلان وفلان .) فبقينا فى يده يسير بسيرته . وشاهد الناس كتابه إلى أن دخلت الروم سنة ستين [لعلها ست] وتسعين . ولقد اعترضه فيهما بعض الولاة فأن يزيلهما من يده إبان كونى بالشام . فحضر مجلسه القاضى حامد الهروىّ . وكان حنفيا فى الظاهر، ومعتزليا فى الباطن، ملحدا شيعيا . وكان الوالى سكمان بن أرتك [أرتق] . فاستظهر أولاد تميم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال القاضى حامد : هذا الكتاب لا يلزم ، لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم أقطع مالا يملك . فاستفتى الفقهاء . فقال الطوسىّ ، وكان بها حينئذ : هذا كافر، والنبىّ صلى الله عليه وسلم كان يقطع الجنة ويقول : قصر عمر، قصر فلان . فكيف لا يُقطع فى الدنيا " وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : زُويت لى الأرض ... الحديث . فوعدُه صدقٌ وكتابه حق . فخزى القاضى والوالى ، وبقى أولاد تميم بكتابهم ."

ومما يدل على وجود هذا إلى ما بعد ابن فضل الله بثلاثة أرباع القرن أن القلقشندى صاحب "صبح الأعشى" كتب فصلا طويلا على هذا الإقطاع وعلى الكتاب النبوىّ الكريم . وذكر فى آخره ما نصه : "وهذه الرقعة التى كتب بها النبىّ صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدى التميميين خدّام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن . وكلما نازعهم أحد، أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويَكُفّ عنهم مَن يظلمهم . وقد أخبرنى برؤيتها غير واحد . والأديم التى هى فيه قد خَلِق لطول الأمد . " [أنظر صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٩ من النسخة المحفوظة بخزانتى] . وذلك يدل على أن الكتاب النبوىّ كان موجودا إلى سنة ٨٢١ هجرية .

رؤية المؤلف لهذا الكتاب الشريف سنة ٧٣٩

وقد كنتُ رأيتُ ذلك مرة متقدّمة بالحصنِ سكنِ بنى الخليلىّ ، بظاهر البلد ، لما أتيتُ زائرًا بعد العوْد من الحجّ علىٰ الدرب المصرىّ فى المحرّم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . ولكنّى إذ ذاك لم أنقله .

(١٣١) قبر يُونس بن متّى عليه السلام

قبر يونس بن متى وزيارة المؤلف له مرات آخرها سنة ٧٤٥

بقرية حَلْحُولَ علىٰ يسار الذاهب من بلد القدس إلىٰ بلد الخليل عليه السلام . ويعرّج الزائر إليه . وعليه بناءٌ وقُبّةٌ . وله خادم .

زُرتُه مراتٍ . وآخر عهدى به فى ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

وكتبتُ علىٰ جدار القبة بيتين حضرا لى فى ذلك الوقت ، وهما : (١)

قبر موسىٰ بن عِمْران عليه السلام

قبر موسىٰ الكليم

بالقرب من أَرِيحاءَ . ويعرف القرية بِشَيْحان .

رأيتُ بخط علاء الدين ابن الكلّاس ما صورته : "قال الشيخ إبراهيم ابن الشيخ

رواية فى تحقيق موضعه رمناه عجيب

عبد الله بن يونس الأرموىّ عن والده قال : زرتُ قبر موسىٰ (عليه السلام) الذى بالقرب من أَريحاء . قال الشيخ إبراهيم : وكان إذ ذاك لم تبْنَ عليه قُبّةٌ ولا مشهدٌ . قال : فقلت فى نفسى : اللهم أرِنى ما أزداد به يقينا فى صحة هذا القبر . قال : فبينا أنا نائم رأيتُ كأنّ القبر انشقّ وخرج منه إنسانٌ طُوَال . قال : فجئتُ إليه وسلّمتُ عليه ، وقلتُ له : مَن أنت؟ قال : موسىٰ بن عمران ، وهذا قبرى . وأشار إليه . ثم قعدنا . وإذا بالقرب

(١) بياض بالأصل مقدار سطرين .

منا رجل يطبخ فى قِدْره فلما آستوىٰ طعامه، أحضره إلينا وإذا هو شورباة أرز .
فأكل موسىٰ عليه السلام منها ثلاث ملاعق، وأنا ثلاث ملاعق، والرجل ثلاثا .
ثم تداولناها بيننا إلىٰ أن فَرَغت . قال الشيخ عبد الله : وكنتُ علىٰ عزم العود إلىٰ
بلاد العجم إلىٰ عند شيخى . فقال لى موسىٰ عليه السلام : أنت لاتسافر إلىٰ شيخك .
٥ وكيف تسافر؟ وأنت تريد تتزوج بآمرأة من نسل الرسول وتُرْزق منها أربعةَ أولاد .
وأقام الشيخ إبراهيم أصابع يده اليمنىٰ الأربعة، وضم الإبهام إلىٰ باطن كفه، يحكيه .
قال الشيخ إبراهيم : فكان كما ذكر موسىٰ عليه السلام . فلم يسافر والدى، وتزوج بآمرأة
شريفة، وهى أمّى . ورُزق أربعة أولاد، أنا أحدهم . ولما حضرته الوفاة، قلت له :
ياسيدى أنت راضٍ عنى؟ فقال : كيف لا أرضىٰ عنك، وقد بشرنى بك موسىٰ
١٠ عليه السلام .[1]

(١) بياض بآخر الصفحة بالاصل مقداره ثلاثة عشر سطرا .

(١٣٣) مسجد دمشـــق

المسجد الاموى وأوائله

مسجدٌ عظيم، ومعبد قديم . لا يُعرف علىٰ الحقيقة بانيــه ولا زمن بنائه . فتح المسـلمون الشأم، وهو كنيسه لأهل دمشق يُتعبَّد فيها، زمنَ الرُّوم . وقد كان قبلهم معبدًا لأمم مختلفة . وتزعم الكلداسة أنه من بنائهم وأنهم بَنَوْه فيما بَنَوْا من الهيا كل السبعة التي اتخذوها للكواكب السبعة، جعلوه بيتا للمشترِى . قالوا ولهذا استمر التعبُّد فيه إذ كان المشترِى طالع الديانات والتألُّه . هذا مازعموه .

حيطانه

وقال عبدالرحمن بن إبراهيم دُحَيْم : حيطان مسجد دمشق الأربعة من بناء هود وما كان من حدّ الفسيفساء إلىٰ فوقُ، فهو من بناء الوليد[1] .

لوح مكتوب وجد بالمسجد في أيام الوليد ، وزعم وهب بن منبه انه قرأه

وقال الوليد بن مسلم : لمــا أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق، وجدوا فى حائط المسجد القبلىّ لوحا من حجرٍ، فيه كتابٌ نَقْش . فأتَوْا به الوليد . فبعث إلىٰ الرُّوم فلم يستخرجوه . فدُلَّ علىٰ وَهْب بن منبه . فأقدمه علــيه، فأخبره بموضع ذلك اللوح . ويقال ذلك الحائط من بناء هود عليه السلام . فلما نظر إليه وهبٌ، حرَّك رأسه . ثم قرأه، فإذا هو .

صورة ما فى اللوح

" بسم الله الرحمن الرحيم . ابنَ آدم! لو نظرتَ يسير ما بقِىَ من أجَلِك، لزهدتَ فى طول ما ترجو من أملك! وإنمــا تلقىٰ ندمك، لو قد زلَّتْ بك قدمُك، وأسلمك اهلك وحشَمُك ، وانصرف عنك الحبيب . وودَّعك القريب ، ثم صرتَ تُدعىٰ فلا تجيب! فلا أنت إلىٰ أهلك عائد، ولا فى عملك زائد . فاعمَل لنفسك قبل يوم القيامه ، وقبل الحسرة والندامه ، وقبل أن يحلَّ بك أجلك، وتُنتزع منك رُوحك! فلا ينفعك

(1) بالاصل : ومن .

مالٌ جمعتَـه، ولا ولدٌ ولدتَه، ولا أخٌ تركتَه! ثم تصـير إلىٰ برزخ المثوىٰ، ومجاورة الموتىٰ . فاغتنم الحياة قبل الموت، والقوّة قبل الضعف، والصحةَ قبل السقم، قبل أن يؤخذ بالكَظَم، ويحالَ بينك وبين العمل. وكُتب فى زمان سليمان بن داود عليهما السـلام.»

دخول العرب دمشق فاتحين (١٣٤)

٥ ولـما فتح المسلمون دمشـق (علىٰ ما يأتى ذكره، إن شاء الله تعـالىٰ) دخل أمير الجيش أبو عبيدةَ بنُ الجرّاح (رضى الله عنـه) بالأمان من غرب البلد، ودخل خالدُ ٱبن الوليد بالسيف من شرقه.

الكنيسة نصفها للنصارى ونصفها للمسلمين، إلى أيام الوليد

فكانت دمشقُ نصفين. والكنيسة كذلك. فاتخذوا منها النصف الشرقىّ المفتوح عَنْوةً، مسجدًا يصلُّون فيه . ونصلّى النصارىٰ فى النصف الآخر . فتأذّى المسلمون ١٠ لمجاورة النصارىٰ لهم فى مكان تعبّدهم، وكرهوا قرع النواقيس بإزائهم. وٱشتدّ ذلك علىٰ الوليـد بن عبد الملك . وكان مُغْرًى فى سلطانه بعمارة المساجد وبناء المعابد .

حيلة لطيفة للوليد مع إمبراطور الروم

فأعطىٰ رجلا ديته حتّى أتىٰ القسطنطينية. ودخل فى زِىّ النصارىٰ كنيستها العظمىٰ يوم الأحد، والملكُ فيها فَمَنْ دونه. فلبث حتّى رأىٰ أن جمعهم قد ٱستكمل . ثم قام وأذّن. فأُخذ وأُحضر لدىٰ الملك، وقد جلس إلىٰ جانبه البطريرْك، وٱستدارت بهما ١٥ القسوس والشمامسة. فقال له الملك: مَن أنت، وما حملك علىٰ ما صنعتَ؟ فقال: أما أنا، فرجل من المسلمين من أهل دمشق، وأما ما حملنى علىٰ ماصنعت، فأنشدك اللهَ، أيها الملك: هل ساءك مافعلتُه وكرهتَه أم لا؟ فقال: نعم. فقال: ونحن فى معبدٍ فى شطره

المصالحة على اختصاص المسلمين به فى نظير استئثار النصارى بكنيسة مريم كلها

النصارىٰ، نسمع نواقيسهم، ونُساء بمجاورتهم. فأراد أمير المؤمنين أن يعرّفك أننا نُساء بذلك، كما ساءكم ما فعلتُ. فخلّى عنه، وكانوا قد همّوا بقتله . ثم قال له: صالحونا علىٰ ٢٠ عِوَضٍ . فصولحوا عنه بنصف كنيسة مريم، وكانت شطرين.

شروع الوليد في تحسينه

ثم شرع الوليد بن عبد الملك في تحسين بنائه وتحصين فنائه . أبقىٰ منه ما أبقىٰ ، وجدّد ما جدّد .

رواية أخرىٰ في ازدياد المسلمين به

وقال إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المُقرى : حدّثنى أبى عن أبيه المغيرة ، أنه دخل يوما علىٰ الوليد بن عبد الملك فرآه مغموما . فقال : يا أمير المؤمنين ما سبيلُك؟ فقال : يامغيرة إنّ المسلمين قد كثروا ، وقد ضاق بهم المسجد . وقد بعثتُ إلىٰ هؤلاء ٥ لنُدخل كنيستهم في المسجد ، فأبَوْا . وقد أقطعتُهم قطائعَ كثيرةً وبذلتُ لهم مالًا ، فامتنعوا . قال : لا تغتمَّ ياأمير المؤمنين! قد دخل خالد من الباب الشرقىّ بالسيف ، ودخل أبو عبيدة من باب الجابية بالأمان . فامسحْهم أىَّ موضع بلغ السيفُ ، فإن يكن لنا فيه حقٌّ أخذناه . قال : فرّجتَ عنى! فتولَّ أنت هذا . فتولاه . فبلغت المسحة (١٣٥) إلىٰ سوق الريحان حتّٰى حاذىٰ من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكسرا بالقاسمىّ . ١٠

أخذ النصارىٰ أربع كنائس في نظير تخليهم عنه

وإذا باقى الكنيسة قد دخل في المسجد . فبعث إليهم . فقال : هذا حقٌّ قد جعله الله لنا! لم يَصِلِ المسلمون في غَصْبٍ ولا ظلم ، بل نأْخذ حقنا . فقالوا : قد أقطعتَنا أربع كنائس ، وبذلتَ لنا من المال كذا وكذا . فإن رأيت ياأمير المؤمنين أن تتفصل بذلك علينا ، فافعل! فتمنَّع عليهم حتّٰى سألوه وطلبوا إليه . فأعطاهم كنيسة حُمَيد بن درّه ، وكنيسةً أخرىٰ عند سوق الجُبن ، وكنيسةَ مريم ، وكنيسة المُصَلّبة . ١٥

محاولة القسوسة لمنع هدم كنيسة توسعته ، ومباشرة الوليد الهدم بنفسه

ثم جمع الوليد المسلمين لهدم الكنيسة . فقال بعض الأقساء للوليد ، والفأْس علىٰ كتفه ، وعليه قباء سفرجلىّ ، وقد شدّ قباءه : إنى أخاف عليك من الشاهد[1] . قال : ويلك! إنى ماأضع فأسى إلا في رأْس الشاهد! ثم إنه صعد . فأول مَن وضع فأْسه في هدمها الوليدُ بن عبد الملك . وكبَّر الناس .

---

(١) هو محراب المذبح ، كما يؤخذ من الرواية الآتية في صفحة ١٨٢

رواية أخرى

وقال يعقوب الفسوىّ: سألت هشام بن عمّار عن هدم الكنيسة . فقال : كان الوليد قال للنصارى : ماشئتم ، إنا أخذنا كنيسة توما عنوةً وكنيسة الداخلة . فأنا أهدم كنيسة توما ، وكانت أكبرهما . قال: فرضُوا أن هَدَمَ كنيسة الداخلة وأدخلها فى المسجد . وكان بابها قبلة المسجد اليوم المحراب الذى يُصلّى فيه . قال: وهدم الكنيسة فى أوّل خلافته . وكانوا فى بنيانه تسع سنين . ولم يتم بناؤه .

رواية أخرى

وقال يزيد بن أبى مالك: أرسل إلىّ الوليد حين أراد أن ينقض الكنيسة فأتاه النصارى فقالوا: كنيستنا لا نهدمها! قال: فإنى أتركها وأهدم كنيسة تُوما، لأنها لم تكن فى العهد. فلما رأوا ذلك، قالوا: فإنا نتركها لكم، وتدع لنا كنيسه توما. فصعد الولد وصعدنا معه . فكان أوّلَ مَن ضرب بفأس فى هدمها .

وضع الأساس

قال: وأراد أن يبنى المسجد أسطوانات إلى الطاقات . فدخل بعض البنائين فقال: لاينبغى أن يُبنى هكذا . ولكن ينبغى أن يُبنى فيه قناطر وتُعقد أركانها، ثم تجعل أساطين وتجعل عُمُدا . ونُعقد فوق العُمُد قناطر تحمل السقف وتخفف عن العمد البناء. ونجعل بين كل عمودين ركنا . قال: فبُنى كذلك .

(١٣٦)
تخويف المحاربين النصارى للوليد ، ومباشرة الهدم بنفسه

وقال إبراهيم بن هشام الغسّانىّ: حدثنى أبى عن يحيى بن يحيى ، قال: لما همّ بهدم كنيسة مَرْ يُحَنَّا ليزيدها فى المسجد ، يعنى الوليدَ . صعد المنارة ذات الأضالع المعروفة بالساعات، وفيها راهبٌ يأوِى فى صومعةٍ . فأحدره من الصومعة . فأكثر الراهب كلامه . فلم تزل يد الوليد تدقّ فى قفاه حتى أحدره من المنارة . ثم همّ بهدم الكنيسة . فقال له جماعة من نجارى[1] النصارى : ما نجسر على هدمها . فقال: أتخافون ؟ هاتِ

(١) العرب تقول للرجل نجار، وإن كان لا يعمل بالمثقب والمنشار ونحوه، ولا يضرب بالمضلع ونحو ذلك .
(أنظر كتاب "الحيوان" للجاحظ ج ٤ ص ٢٦)

التعويض على النصارى بكنيسة أخرى

المعْوَل، ياعلام ! ثم أتِى بسُلّم فنصبه علىٰ محراب المذبح[1]. وصعد فضرب بيده حتّى أثّر فيه أثرا كبيرا. ثم صعد المسلمون فهدموه، وأعطاهم الوليد مكانَ الكنيسةِ الكنيسةَ التى بحمام القاسم، حِذاءَ دار أم البنين فى الفراديس. قال يحيىٰ بن يحيىٰ: أنا رأيت الوليد فعل ذلك بكنيسة مسجد دمشق.

مساومة الوليد مع النصارى وتخويفهم بيده الجذون إذا هدمها ومباشرته الهدم بنفسه لتكذيبهم

٥ وروىٰ الوليد بن مسلم عن ابن جابر وغيره، قال[2]: لمـا كان الوليد وأراد بناء المسجد، فقال[3] إنا نريد أن نزيد فى مسجدنا كنيستكم هذه، ونعطيكم عوضها حيث شئتم. وإن شئتم أعطيتكم ثمنها، وأُضعف لكم الثمن. فأبَوْا ذلك، وقالوا: لنـا دقةٌ وعهدٌ. والله إنا لنجد مايهدمها أحدٌ، إلا جُنَّ! قال: فأنا أوّل مَن يهدمها. فقام وعليه قباء أصفر فضرب، وهدم الناسُ معه.

١٠ قال أحمد بن المُعَلّى: فأخبرنى شيبة بن الوليد، قال حدثنى أبى، قال: كنت آمرُ لعبد الرحمن بن عامر اليحصَبىّ (وهو شيخ كبير أزرق) وهو جالس بالروضة، فيقول لى: ألا تأتى حتّى أكتبَ لك ارتجازَ جدّك وهو يضرب بالفأس فى الكنيسة بعد الوليد؟ قلت: نعم، ولكن حدّثنى الحديث. فقال: لمـا عزم الوليد علىٰ هدم الكنيسة، قالوا إنه لايهدمها أحدٌ إلا جُنَّ. فقـام جدّك يزيد بن تميم فجمع له وجوهَ أهـل البلد. ١٥ وأمرَه الوليد أن يتخذ فأسا صغيرة. ففعل. ثم خرج الوليـد وتبعه وجوه أهل البلد حتّى علا الكنيسة. ثم التفت إلىٰ يزيد بن تميم، فقال: أين الفأس؟ فأتاه به. فقال

(١) هو الذى سماه "الشاهد" فى الرواية المتقدمة فى صفحة ١٨٠

(٢) فى الأصل: قالوا.

(٣) فى الأصل: فقالوا.

(١٣٧) إن هؤلاء الكفرة يزعمون أن أوّل مَن يهدمها يُجَنّ ،وأنا أوّل من يُجَنّ فى الله . وأخذ برِقبة قبائه فوصعها فى مِنطَقته . ثم أخذ الفأس فضرب به صربات . ثم ناوله جلّك فصرب به بعده،وتناول الفأس كل من حصر (١) .

إتمام اليهود هدمها

وصاح النصارىٰ علىٰ الدرج وولولوا . فالتفتَ إلىٰ يزيد بن نميم ،وهو علىٰ خراجه ، ٥ فقال : آبعث إلىٰ اليهود حتّى يأتوا علىٰ هدمها . ففعل . فجاء اليهود فهدموها .

طلب الوليد صناعا وعمالة من ملك الروم

قال آبن المعلّى : وأخبرنى همّام بن محمد بن عبد الباقى ،قال : حدّثنى أبى ، قال حدثى مَرْوان بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الملك بن مَرْوان ،قال : لما أراد الوليد بناءمسجد دمشق ،آحتاج إلىٰ الصُّنّاع . فكتب إلىٰ الطاغية أن وجّه إلىّ بمائتى صانع من صُنّاع الروم ،فإنى أريد أن أبنى مسجدا . و إن لم تفعل ،غزونك بالجيوش ، ١٠ وخربتُ الكنائس ،وفعلتُ . فكتب إليه : "لئن كان أبوك فَهِمَها فأغفل عنها ،إنها لوصمةٌ عليه ، ولئن كنت فَهِمْتَها وغَيَّبْتَ عن أبيك ، إنها لوصمةٌ عليك . وأنا موجّه إليك ماسألتَ" (٢) . فأراد أن يعمل لها جوابا ،فجلس عقلاء الرجال يذكرون . فقال الفرزدق : أنا أجيبه ،قال الله تعالىٰ : "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وعِلْمًا" . فسُرِّى عنهم .

مكاتبة ملك الروم بشأن الهدم

١٥ وعن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه ،قال : كتب ملك الروم إلىٰ الوليد : "إنك هدمت الكنيسة التى رأىٰ أبوك تركها . فإن كان حقًّا فقد خالفت أباك ،وإن كان باطلا فقد أخطأ أبوك" . فلم يجبه أحدٌ . فوثب الفرزدق ، فقال : أنا أبو فراس ! "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ" ! قال فكتب به الوليد إلىٰ ملك الروم .

(١) سمى الراوى أو آبن فضل الله إيراد الرجز الذى أشار إليه فى صدر الكلام فى الصفحة السابقة .

٢٠ (٢) هكذا بالاصل . والرواية التالية أكثر وضوحا وظهورا .

سقوط القبة بعد بنائها

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملّاس: حدثنى أبى عن أبيه عن جدّه، قال: بنى الوليد قبة مسجد دمشق، فلما ٱستقلّتْ وتمّتْ، وقعتْ. فشقّ ذلك عليه. فأتاه بنّاء، فقال: أنا أتولّى بناءها، على أن لا يدخل أحد معى فى بنائها. ففعل. فحفر موضع الأركان حتّى بلغ المـاء. ثم بناها. فلما ٱستقلت على وجه الأرض، غطّاها بالحُصُر.

حيلة هندسية فى تشييدها

وهرب. فأقام الوليد يطلبه ولا يقدر. فلما كان بعد سنة، قَدِم، فقال له: ما دعاك ٥
إلى الهَرَب؟ قال: تخرج حتّى أريَك. فأتوا. فكشف عن الحُصُر. فوجد البنيان قد (١٣٨)
ٱنحطّ حتّى صار مع وجه الأرض. فقال: من هذا كنتَ تُؤْتَى! ثم بناها حتّى قامت.

وقال عمر بن الدَّرَفْس الغسّانى: رأيت قبة مسجد دمشق. وقد حُفر لأركانها حتّى بلغوا المـاء وأُلقى على المـاء جرانُ الكروم. وبنى الأساس عليه.

محاولة تذهيب عقد رأس القبـة بالذهب، وتقريع حد أصحابه به

وقال إبراهيم بن أبى حَوْشَب: كان جدّى أحدَ قَوَمَة المسجد فى بنـائه. فحُدِّثتُ ١٠
أن الوليد بعث إليه عند فراغه من القبة، ولم يبق إلا عقد رأسها. فقال: إنى عزمت على أن أعقِدها بالذهب. قال: ياأمير المؤمنين! اِختلطتَ؟ هذا شئ يُقْدَرُ؟ فقال: يا مَاجِنُ، تقول لى هذا؟ وأمر به، فضُرِب خمسين سوطا. ثم قال: ٱذهب، فافعل ما أمرتُ به. قال: فذُكر لى أنه عَمل لَبِنَةً من ذهب. فحملها إليه. فلما رآها وعرف ثمنها، قال: هذا شئ لا يوجد فى الدنيا. ورضى عنه وأمر له بخمسين دينارا. ١٥

تغشية سقوفه بالرصاص

وقال أبو بكر أحمد بن البرامىّ، حدثنا أبى: سمعت بعض شيوخنا قال: لما فرغ الوليد من بناء المسجد، قيل له أتعبت الناس فى طينه كلّ سنة. فأمر أن يُسقَّف بالرصاص من كل بلد. فبقى عليه موضعٌ لم يجد له رصاصا. فكتب إليه بعض عماله: وجدنا عند ٱمرأة منه شيئا، فأبت أن تبيعه إلا وزنا بوزن. فكتب إليه خذه بما

شراؤه رصاصا من امرأة يهودية بوزنه ذهبا، ثم تبرعها بالثمن للمسجد لما رأت من عدل الخليفة

أرادتْ . فأخذه منها وزنا بوزن . فلما وفّاها ، قالت : هو منّى هديّةٌ للمسجد . وقالت : أنا ظننتُ أن صاحبكم يظلم الناس . وقيل كانت يهودية .

سليمان بن عبد الملك يتولى أمر الصناع بنفسه

وقال الوليد بن مسلم : لما أراد الوليد بناء المسجد ، كان سليمان بن عبد الملك على الصُّنّاع .

أداء الأمانة

٥ وروى محمد بن عائذ عن مشيخةٍ (١) قالوا : ماتمّ مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة . لقد كان يفضُل عند الرجل منهم الفلس ورأس المسمار ، فيجيء حتّى يضعه في الخزانة .

ما كان فيه من الرخام والمرمر

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام : سمعت أبي يقول : مافي مسجد دمشق من الرخام شيء ، إلا رخامتا المقام الغربيّ . فإنه يقال إنهما من عرش سبإ . وأما الباقي فكله مرمر . المقام هو مقصورة الخطابة والرُّخامتان هما السماقيُّ البرّاق ، لايُدْرىٰ

١٠ ماقيمتهما .

قلت : قوله في ذلك مردود .

مناقشة المؤلف عن الرخام والمرمر والحجارة . وتفصيل أنواع الرخام الملون

فقد أجمعت الحكماء علىٰ أن الرخام هو الأبيض . فأما الملون فكله حجارة . وبمسجد دمشق من الرخام الأبيض وقرمِيثين من الإبل . وإن كان الثاني رخاما بزعمه ، ففيه من الملوّن كالغرابيّ والمنقط والمشحم والأخضر والسُّمّاق غير اللوحين شيء

١٥ كثير . والناس تطلق علىٰ كل ذلك آسم الرخام .

رخام بيبرس ومن بعده

وقد آستجد شيء كثير منه في الحائط الشاميّ ، جدّده الظاهر بيبرس . وآستجد بعد ذلك كثير .

(١) في الأصل بالدال المهملة وقال في "خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال" لصفيّ الدين الخزرجي : هو بالذال المعجمة الدمشقي .

وقوله المقام الغربيّ . إشارةٌ إلىٰ محراب مقصورة الخطابة . فإن المسجد لم يكن في حائطه القبليّ في ذلك الوقت إلا هذا المحراب ، والمحراب الشرقيّ المعروف بمحراب الصحابة .

عدد المرخم ١٢٫٠٠٠

قال دُحَيْم : وحدثنا الوليد ، حدثنا مروان بن جناح عن ابيه ، قال : كان في مسجد دمشق آثنا عشر ألف مرخِّم .

تزويقه وصفقته الباهظة وآحتجاج الامة على الوليد وردّه المقنع

وقال أبو تقيّ[1] هشام بن عبد الملك : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : لما أخذ الوليد في بناء المسجد وظهر من تزويقه وبنائه وعظم مؤونته ، تكلم الناس وقالوا : مَحَقَ بيوت الأموال في نقش الخشب وتزويق الحيطان . فصعِد المنبر ، فحمِد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : " قد بلغني مقالتكم ، وليس الأمر علىٰ ما ظننتم . ألا وإني أمرتُ باحصاء ما في بيوت أموالكم فأصبت فيه عطاءكم ست عشرة سنة[2] " .

---

(١) في الاصل بالموحده وهو تصحيف من الناسخ . وصوابه بالمثناة الفوقية والقاف كما ضبطه في "خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال" لصفيّ الدين الخزرجي .

(٢) أقام اليونانيون في جاهليتهم (سنة ٤٣٨ قبل المسيح) هيكلا فخماً سمّوه البارتنون | Le Parthénon | علىٰ رأس الصخرة المقدسة عندهم | l'Acropole | | Athènes | في مدينة أثينه وآستغرقوا في بنائه خمس سنين إلى أثنتي عشرة . ولا تزال أطلاله ماثلة للآن . موضعا للعجب العُجاب . وقد بلغت النفقة عليه ٢٫٠٠٠ "تالنت" أي بدرة أو حرية . والتالنت ٦٠٫٠٠٠ فرنك ، قريبا من ٥٫٠٠٠ دينار . فيكون مجموع المصروف عليه ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ من الدنانير | بتحويل النقد إلىٰ ما يعادله في أيام الدولة الأموية | . وقد قام جماعة من المعارضين للحكومة فألَّبوا أهل أثينا علىٰ زعيمهم الخطيب الشهير بريكليس | Periclès | ونعوا عليه هذا الإسراف الفاحش وهذا البذخ الباهظ . فجمعهم الرجل ، وألقىٰ عليهم خطبة أخذت بمجامع قلوبهم . وعرّفهم أن هذه النفقة الطائلة لا تكاد تذكر في جنب هذا الفخر الذي سيبقىٰ لهم ولأعقابهم مدىٰ الدهر . فأقرّه القوم وآنصرفوا راضين .

أما المسجد الأمويّ فقد كان بدء العمل فيه سنة ٨٨ للهجرة . وقد علمنا من الرواية المتقدمة في صفحة ١٨١ أنهم "أقاموا في بنائه تسع سنين ولم يتم بناؤه" . هذا وقد عرفنا أبو قصيّ العذريّ (كما في صفحة ١٨٨) =

وقال الوليد عن عمر بن مهاجر، قال: حسبوا ماأنفق علىٰ الكرمة التى قبلىّ مسجد دمشق فكانت سبعين ألف دينار.

قصة كنز

وذكر الحافظ ٱبن عساكر فى ترجمة أصبغ بن محمد بن محمد بن لَهِيعة السكسكىّ قال: ذُكر أن الوليد بن عبد الملك حين بنىٰ مسجد دمشق، مرّ برجل يعمل فى المسجد ٥ وهو يبكى. فقال: ما قصتك؟ قال: ياأمير المؤمنين! كنتُ رجلا حمالا. فلقينى يوما رجل فقال: أتحملنى إلىٰ مكان كذا وكذا؟ وذكر موضعا فى البرّيّة. فقلت: نعم. فلما حملته وسرنا بعض الطريق، ٱلتفت إلىّ فقال لى: إن بلغنا الموضع الذى ذكرته لك، وأنا حىّ، أغنيتك، وإن متّ قبل بلوغى إليه، فاحمل جثتى إلىٰ الموضع الذى أصف لك. فإنّ ثَمَّ قصرا خرابا، فإذا بلغته، فٱمكث إلىٰ صحوة النهار. ثم عُدَّ سبع ١٠ شرفات من القصر وٱحفر تحت ظلّ السابعة منها على قدر قامة. ستظهر لك بلاطة، فاقلعها فإنك سترىٰ تحتها مغارة، فادخلها، فإنك ترىٰ فى المغارة سريرين علىٰ أحدهما رجل ميت. فٱجعلنى علىٰ السرير الآخر، ومدّنى عليه، وحمِّلْ ما معك مالا من المغارة وٱرجع إلىٰ بلدك. فمات الرجل فى الطريق، ففعلت ما أمرنى به. وكان معى أربعة جمال وحمارة فأوسقتها كلها مالا من المغارة، وسرت بعض الطريق، وكانت معى مخلاة ١٥ نسيت أن أملأها وداخلنى الشَّرَهُ. فرجعت بها وتركت الجمال والحمارة فى الطريق. ولم أجد المكان، وعدتُ. فلم أجد الدوابَّ، فبقيت أدوِّر أياما. فلما يئست، رجعت

= أن النفقة عليه بلغت ٤٠٠ صندوق ، فى كل صندوق ٠٠٠ر١٤ دينار . فيكون مجموع النفقة عليه ٠٠٠ر٦٠٠ر٥ دينار وهو يعادل تقريبا ما صرفه أهل أثينا وأحلافهم علىٰ بناء هيكلهم .

فأنت ترىٰ أن المدة التى ٱستغرقها بناء الهيكل الوثنىّ وبناء الجامع الإسلامىّ تكاد تكون واحدة. كذلك، ٢٠ كان الشأن فى ٱعتراض الوثنيين والمسلمين ، وفى الردّ الذى أجاب به كل من زعيم الوثنيين وأمير المسلمين ، وإن كانت المدة بينهما ١٢٥٠ سنة . أفليس التاريخ يعيد نفسه ، كما يقولون ، ولو بعد توالى الدهور وتعاقب القرون ؟

إلىٰ دمشق ولم أحصل علىٰ شئ واضطرنى الأمر إلىٰ ماترىٰ : أعمل فى التراب كل يوم بدرهم . وكلما ذكرتُ حالى،لم أملك نفسى! أن أبكى فقال له الوليد : لم يقسم الله لك من تلك الأموال شيئا،وإلىّ صارت،فبنيت بهاهذا المسجد.ثم وهبه شيئًا.

النفقة عليه ٥،٦٠٠،٠٠٠ دينار

وقال أبو قُصَىّ العُـذرىّ : وحسبوا ما أنفقوا علىٰ مسجد دمشق،فكان أربعمائة صندوق،فى كل صندوق أربعــة عشر ألف دينار.وبلغ الوليد أنهم تكلموا،فقال : يا أهل دمشق إنى رأيتكم تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم ، فأحببتُ أن يكون مسجدكم الخامس.

مفاخر دمشق أربعة ، وبه صارت خمسة

١٥٠٠ دينار ثمن عمودين

وقال خالد بن تبوك : اشــترىٰ الوليد العمودين الأخضرين اللذيْن تحت النَّسْر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار.

وقال أحمد بن إبراهيم الغسّانىّ : حدثنا أبى عن أبيــه عن زيد بن واقد،قال : وكّلنى الوليد علىٰ العُمّال فى بناء مسجد دمشق،فوجدنا فيه مغارة،فعرّفنا الوليدَ ذلك. فلما كان الليل وافىٰ،والشموع تزهر بين يديه،فنزل.فإذا كنيسة لطيفة: ثلاثة أذرع فى ثلاثة.وإذا فيها صندوق.فإذا فيــه سَفَط،وفى السَّفَط رأْسُ يحيىٰ بن زكرياء. فأمر به الوليد.فرُدّ إلىٰ المكان.وقال اجعلوا العمود الذى فوقه معيرًا من الأعمدة. فجعل عليه عمود مسفَّط الرأْس.

رأس يحيىٰ بن زكريا فى كنيسة تحته

وقال ابن البرامىّ : سمعت أبا مروان عبد الرحيم بن عمر المــازنىّ يقول: لمـا كان فى أيام الوليد وبنائه المسجدَ،احتفروا فيه فوجدوا بابا مغلقا . فأتىٰ الوليد، ففُتح بين يديه.فإذا مغارة فيها تمثال رجل علىٰ فرس،فى يده الواحدة الدُّرّة التى كانت فى المحراب، ويده الأخرىٰ مقبوضة.فأمر بها،فكسرت.فإذا فيها حبّتان: حبّة قمح وحبّة شعير. فسأل عن ذلك،فقيل له : لو تركتَ الكفّ،لم يسوّس فى هذه المدينة قمح ولا شعير.

تمثال قديم وجدوه فى حفر الأساس

الأقباء المعقودة تحت المسجد

قلتُ : وحكىٰ لى شيخنا أبو عبد الله محمد بن أسد النجار الحرّانى الكاتب المجوّد، وكان يباشر به بعض العمائر، أنه فتح فى حصرته الشرقيـة المعروفة بتحت الساعات لكشف قُنِيّ المـاء. فإذا تحت المسجد أقبـاء معقودة وعمد مصوبة يفرق بينهما عضائد محكمة، قد أُحكم بنـاؤها، وشُدّت فى سلاسل الأساس معاقدها . قد بنيت بالصُّفّاح[1] والعمد، والبناء الذى ماهو فى قدرة أحد. قال: ودخلناها وجُلنا فى جوانبها.

الرواق الذى كان محيطا به ، وأنقاضه ومادا جرى لها

وحكىٰ لى المعلم علىّ بن محمد بن التقىّ المهندس، قال: حدّثنى أبى عن أبيه، قال: كان لهذه الكنيسة رواقٌ يحيط بها من الجهات الأربع بأبواب أربعة. فى كل جهة باب. فالشرقىّ باب جَيْرون، وكان الباب الغربىّ تلقاءه، وراء المسرورية، ما بين العَصْرونية وبينها. وبقى إلىٰ زمن العادل أبى بكر. ففكّه لمـا عمّر القلعة. ونقل حجارته وعمده إليها.

قال: وكان فى هذا الرواق قَلَالِىُّ وصوامعُ.

قلت : ومن آخر ما نُقض منها البابُ وما يجاوره برأس الفباقبيين، مما يلى عقبـة الكتّان.

وبُنى منه منارة الجامع الشرقية، بعد الحريق الكائن سنة أربعين وسبعمائة.

وتأخر من حجارته بقايا آشتُريت لعمارة الجامع اليلبغاوىّ، جوار بَرَدَا، سنة ثمـان وأربعين وسبعمائة.

وثَمّ بقايا من سُور ذلك الرواق وباب قديم، موجود بين المدرسـة النُّورية وبين المدرسة المجاهدية المعروفة بقصر هشام.

(١) الصُّفّاح حجارة عراض كما فى اللسان . وقد استعملها كتاب الاندلس بمعنى الصخور (راجع دوزى فى تكملة المعجمات العربية) . فلعل آبن فضل الله جرى فى هذا المقام على هذا الاصطلاح.

(١٤١) وقال ٱبن المُعَلَّى: أخبرنى أحمد بن أبى العباس، حدثنا ضمرة عن علىّ بن أبى جَميلة قال: لما وَلِىَ عمر بن عبد العزيز، قالت النصارى: يا أمير المؤمنين، قد علمتَ حال كنيستنا! قال: إنها صارت إلى مازون. فعوّضهم كنيسة من كنائس دمشق، لم تكن فى صُلحهم، يقال لها كنيسة توما.

تعويض عمر بن عبد العزيز على النصارى بكنيسة أخرى

عمر بن عبد العزيز أراد إرضاء النصارى، وكيف رضاهم القوم بإرضاء

٥ قال ٱبن المعلّى: وبلغنى عن الوليد بن مسلم عن ٱبن جابر أنهم رفعوا إلى عمر بن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد فى كنائسهم. فكلمهم ورفع لهم فى الثمن، حتّى بلغ مائة ألف. فأبَوْا. فكتب إلى محمد بن سُوَيد الفِهرىّ أن يدفع إليهم كنيستهم، إلا أن يرضيهم. فأعظم الناسُ ذلك، وفيهم بقيّةٌ من أهل الفقه. فشاورهم محمد بن سُوَيد، متولى دمشق. فقالوا: هذا أمر عظيم! ندفع إليهم مسجدنا» وقد أذّنّا فيه بالصلاة

١٠ وجَمَّعنا فيه. يُهدم ويعاد كنيسةً» فقال رجل منهم: هاهنا خصلة. لهم كنائسُ عظام حولَ المدينة: دَيْرمُرّان، وباب توما، والراهب، وغيرها. إن أحبوا أن نعطيهم كنيستهم، ولا يبقى حول دمشق كنيسة إلا هدمت، وإن شاؤوا تُركت هذه الكنائس ونسجّل لهم سجلا. ثم عرضوا عليهم ذلك. فقالوا: أنظِرونا، ننظرْ فى أمرنا! فتركهم ثلاثا. فقالوا: نحن نأخذ الذى عرضتَ علينا، ونكتب إلى الخليفة نخبره بذلك، ويسجّل هو لنا

١٥ بأمان على ماء الغوطة. فكتب إلى عمر. فسرّه ذلك وسجّل لهم كنائسهم، إنهم آمنون أن تُخرَّب أو تُسكن. وأشهد لهم شهودا بذلك.

شروع عمر بن عبد العزيز فى نزع زخارفه لوضع ثمنها فى بيت المال، وكيف ردّوه عن ذلك مع المحاشة

وقال صفوان بن صالح: حدثنا الوليد، حدثنا محمد بن مهاجر: سمعت أخى عَمْرًا قال: سمعت عمر بن عبد العزيز، وذَكر مسجدَ دمشق، فقال: رأيت أموالا أُنفقت فى غير حقها. أنا مستدركٌ ما ٱستدركتُ منها، فرادُّهُ فى بيت المال: أعمدُ إلى ذلك

٢٠ الفسيفساء والرخام، فأقلعه وأطيّنه، وأنزع تلك السلاسل وأجعل مكانها حبالا، وأنزع

تلك البطائن . وأبيع جميعَ ذلك . فبلغ ذلك أهل دمشق فاشتدّ عليهم . فخرج إليه (١٤٢)
أشرافهم فيهم خالد القسريّ . فقال لهم خالد : ائذنوا لى حتّى أكون أنا المتكلم . فأذنوا
له . فلما أتوا دير سمعان استأذنوا علىٰ عمر . ثم قال له خالد : بلغنا ياأمير المؤمنين أنك
هممت بكذا وكذا . قال : نعم . قال : والله مالك ذلك . فقال : عمر لمن هو؟ لأمّك
٥ الكافرة ! (وكانت نصرانية أُمّ ولد) . فقال : إن كانت كافرة ، فقد ولدت مؤمنا .
فاستحيىٰ عمر ، وقال : صدقتَ ! فما قولك "ماذاك لى"؟ قال : لأنا كنا معشر أهل
الشأم ، و إخواننا من أهل مصر والعراق نغزو فيُفرض علىٰ الرجل منا أن يحمل من
أرض الروم قفيزا بالصغير من فسيفساء ، وذراعا فى ذراع من رخام . فيحمله أهل
العراق وأهل حلب إلىٰ حلب ويستأجر علىٰ ما حملوه إلىٰ دمشق . ويحمل أهل حمص
١٠ إلىٰ حمص فيستأجر علىٰ ما حملوه إلىٰ دمشق ، ويحمل أهل الشام ومن وراءهم حصتهم
إلىٰ دمشق . فذاك قولى : ماذاك لك . فسكت عمر .

وفود الروم وإعجابهم به

ثم جاءه بريدٌ من والى مصر يخبره أن قاربا ورد عليه من رومية ، فيه عشرة من
الروم يريدون الوصول إلىٰ أمير المؤمنين . فأذن لهم وأمره أن يوجه معهم عشرة من
المسلمين يحسنون الرومية ، ولا يعلمونهم بذلك حتّى يحملوا إلىّ كلامهم . فساروا حتّى
١٥ نزلوا دمشق ، خارج باب البريد . فسأل الرومُ رئيسَ العشرة من المسلمين أن يستأذن لهم
فى دخول المسجد . فأذن لهم فمرّوا فى الصحن حتّى دخلوا من الباب الذى يواجه
القبلة . فكان أوّل ما استقبلوا المقام . ثم رفعوا رؤوسهم إلىٰ القبة . فخرّ رئيسهم مغشيّا
عليه . فحُمل إلىٰ منزله ، فأقام ماشاء الله أن يقيم . ثم أفاق . فقال له أصحابه بالرومية :
ماقصّتك؟ وما الذى عَرَض لك؟ قال : كنا معشر أهل رومية نتحدث أن بقاء العرب
٢٠ قليل . فلما رأيت مابنَوْا ، علمتُ أن لهم مدّة سيبلغونها . فلذلك أصابنى ما أصابنى .
فلما قدموا علىٰ عمر ، أخبروه . فقال : لا أرىٰ مسجد دمشق إلا غيظا علىٰ الكفار .
فترك ما كان همّ به من أمره .

(١٤٣) رواية أخرى في عزمه على تجريد القبلة مما فيها من الذهب

وقال أبو زُرعه الدمشقيّ : حدثنى أحمد بن إبراهيم بن هشام، حدثنا أبى عن أبيه عن جدّه، قال : أراد عمر بن عبد العزيز أن يجرّد ما فى قبلة مسجد دمشق من الذهب. وقال إنه يَشْغَل عن الصلاة. فقيل له : يا أمير المؤمنين إنه أُنفق عليه فىءُ المسلمين وأعطياتُهم. وليس يجتمع منه شئٌ ينتفع به. فأراد أن يبيضه بالجِصّ. فقيل له : تذهب النفقات فيه. فأراد أن يستره بالخزف فقيل له : صاهيتَ الكعبة. فبينا هو كذلك إذ ورد عليه وفد الروم. فاستأذنوا فى دخوله فأذن لهم. وأرسل معهم من يعرف الرومية وقال : احفظوا ما يقولون. فلما وقفوا تحت القبة، قال رئيسهم : كم للإسلام؟ قالوا : مائة سنة. قال : فكيف تُصغّرون أمرهم؟ ما بنى هذا البنيان إلا مَلِكٌ عظيم. وأتى الرسول عمر فأخبره، فقال : أما اذ غابَظ العدوَّ، فدعه.

إقرار المهدى ...

وقال أحمد بن إبراهيم بن ملّاس : حدثنا أبى عن أبيه قال : لما قدم المهدىّ يريد بيت المقدس، ومعه أبو عبيد الله الأشعرىّ كاتبُه، فقال : يا أبا عبيد الله! سبَقنا بنو أمية بثلاث : بهذا البيت، لا أعلم على الأرض مثله، وبنُبْل الموالى، وبعمر بن عبد العزيز، لا يكون والله فينا مثله أبدا. فلما أتى بيت المقدس ودخل الصخرة قال : يا أبا عبيد الله، وهذه رابعةٌ.

تعجب المأمون ...

قال أحمد : وحدثنا أبى أن المأمون لما دخل مسجد دمشق ومعه المعتصم ويحيى بن أكثم قال : ما أعجبُ ما فى هذا المسجد؟ قال المعتصم : دهنه ونقاؤه، فإنا ندعه فى قصورنا فلا يمضى عليه عشرون سنة حتّى يتغير. قال : ما ذاك أعجبنى منه. فقال يحيى بن أكثم : تأليف رخامه، فإنى رأيت فيه عقدا ما رأيت مثلها. قال : ما ذاك أعجبنى. قالا : فما هو؟ قال : بنيانه على غير مثال متقدّم.

عجائب الدنيا خمس عند الشافعى منها المسجد الأموى (١٤٤)

وقال الشافعىّ : عجائب الدنيا خمس : منارة ذى القرنين، والثانية أصحاب الرقيم بالروم، والثالثة مرآة ببلاد الأندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة إذا غاب الرجل من بلادهم علىٰ مسافة مائة فرسخ وجاء أهله إليها، يرون صاحبهم من مسافة مائة فرسخ، والرابعة مسجد دمشق، والخامسة الرخام والفسيفساء، فإنه لا يُدرىٰ له موضع .

٥ قلتُ : وكذا ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر .

صناعة الفسيفساء وأنواعها

والفسيفساء مصنوع من زجاج يذهب ثم يطبق عليه زجاج رقيق . ومن هذا النوع المسحور . وأما الملون فمعجون .

الفسيفساء التى أحترقت سنة ٧٤٠

وقد عمل منه فى هذا الزمان شئ كثير برسم الجامع الأموى وحُصِّل منه عدّة صناديق وفسدت فى الحريق الواقع سنة أربعين وسبعمائة، وعمل منه قِبَلِّ للجامع

١٠ التنكزىّ ما علىٰ جهة المحراب .

الفرق بين القديمه والحديدة فى أيام المؤلف

غير أنه لا يجيء تماما مثل المعمول القديم فى صفاء اللون وبهجة المنظر . والفرق بين الجديد والقديم أن القديم قطعه متناسقة علىٰ مقدار واحد، والجديد قطعه مختلفة . وبهذا يعرف الجديد والقديم .

هذا المسجد يشوق إلىٰ الجنة

وروىٰ الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان قال : ما ينبغى أن يكون أحد أشدّ شوقا

١٥ إلىٰ الجنة من أهل دمشق، لما يرون من حسن مسجدها .

الدرّة المسماة "قليلة"

وروىٰ أحمد بن البرامىّ بسنده عن عبد الرحيم الأنصارىّ قال : سمعتُ [بعض] الأعراب وهم يدورون المسجد، يقولون : لا صلاةَ بعد القُلَيْلة . فقيل له : رأيتَ القُلَيْلَة؟ قال : نعم، وهى تضيء مثل السراج . قلت : مَنْ أخذها؟ قال : أما سمعت

الامين يسرقها، والمأمون يردّها للتشنيع عليه

المثل ؟ " منصور سرق القلة، وسليمان شرب المرّة " منصور الأمير، وسليمان

صاحب الشرطة، يعنى صاحب شرطته. وذلك أن الأمين كان يحب البلور. فكتب إلىٰ صاحب شرطة منولى دمشق أن يُنفِذ إليه القُلَيْلَة. فسرقها ليلا، وبعث بها إليه. فلما قُتل الأمين ردّ المأمون القُلَيْلَة إلىٰ دمشق ليُشنِّع بها علىٰ الأمين.

صياعها وآنكسار الزجاجة التى وضعت محلها

وكانت فى محراب الصحابة . فلما دهبتْ جُعل موضعها برنيّة زجاج رأيتُها ثم آنكسرت فلم يُجعل مكانها شئ. ٥

ستر المسجد

وقال علىّ بن أبى جميلة: كنا نستر مسجد دمشق فى الشتاء بلبود حسنة، فدخلته الريح فهزّته. فثار الناس فخرقوا اللبود.

وصف المؤلف بنائه الوثيق الأنيق

قلتُ: وأما بناؤه، فهو وثيق البناء، أنيق البهاء، قد بُنى بالحجر والكلس إلىٰ منتهىٰ حوائطه، وشُرِّف بالشراريف فى أعاليه، وآتُّخذت له ثلاث مآئر: اثنتان فى جناحَىْ قبلته، شرقا وغربا، والثالثة فى شامه وتعرف بالعروس. ١٠

أبوابه القديمة والمستحدثة

ويُدخل إليه من ستة أبواب، منها أربعة أُصول، وآثنان مستحدثان . فالأُصول باب الزيادة، وهو فى حائطه القبلىّ، وباب الساعات وهو فى حائطه الشرقىّ، يفضى إلىٰ حضرة الساعات المعمولة لمعرفة الأوقات، تدار بالماء، وتعلق بها أبواب الساعات. ويُجاهه فى الحائط الغربىّ باب البريد، وهو أشهر من الشمس فى الآفاق، وأكثر ذكرا من "ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ" للرفاق. وهو حضرة فسيحة فى جانبيها حوانيت للفواكه ١٥ والشمع والعطر والشراب وأطايب المأكول . وبها القَنِىّ من المياه الجارية، توقد عليها المصابيح بالليل فيموّه الماءَ دهبُ شعاعها، وتُطْرِب أنابيبها الأسماع بلذة إيقاعها . والرابع باب النطّافين وهو فى حائطه الشمالىّ، تلاصقه الخانقاه الشميشاطية وتقاربها الأندلسيه .

وأما البابان المستجدّان فهما الباب النافذ إلىٰ الكلّاسة، والباب النافذ إلىٰ الكاملية. (١٤٥)
وهما جناحا باب النطّافين.

صحن المسجد وفسيفساؤه

والمسجد ذو صحن يصاقب باب النطّافين، قد فُصِّصتْ حوائطه بالفسيفساء الرومىّ المُذْهَب والملوّن بغرائب الأشجار والصباعة.

رواق الصحن

٥ ويدور به رواقٌ قد أُزِّرت جُدُرُه وسواريه بالرُّخام الملوّن، وعُقدت رؤوس عمده وسواريه بالقناطر. وجُعل علىٰ قنطرة منها طاقاتٌ صغارٌ، بفصل بين كلّ اثنتين منها عمود رخام أوسارية.

أروقة القبلة وقبة النسر

وفى قبلته ثلاثة أروقة، وفى وسطها القبة المعروفة بالنَّسر: قد عقدت علىٰ المحْراب الكبير الذى يصلِّى به خطيب الجامع وعامّة الناس، ومقصورة الخطابة وبها المنبر،
١٠ وأمامه سُدّة الأذان.

المصحف العثمانى الذى كان فيه

وإلىٰ جانبه الأيسر المصحف العثمانى بخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه.

محراب الصحابة

وفى شرقىّ هذه المقصورة المحراب المعروف بمحراب الصحابة. وهو محراب
١٥ المسلمين الأَوَّل. وبه تصلى المالكية الآن.

محراب الحنفية

وغربىّ المحراب الكبير محرابٌ يعرف باللازورده، تصلى به الحنفيه، جوارَ دار الخطابة.

محراب الحنابلة

ثم يليه باب الزيادة، ويليه من الغرب محرابٌ تصلى به الحنابلة.

ولكل من هذه المحاريب الثلاثة إمام ومؤذِّن. وقد وُقف فى كل محراب منها وقفٌ
٢٠ علىٰ مدرّس وجماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة: كلٌّ طائفة فى محرابها.

وصف الأروقة

وكلُّ أروقته بالعمد والعضائد ، عليها طاقاتُ القناطر المعقودة بعضها على بعض .
وقد أُزِّرت جُدُرُ هـذه الأروقة بالرُّخام الأبيض والمجزّع والأحمر المنقَّط والأخضر
المرشوش والأسود الغرابيّ والأبقع والمعجون الأزرق .

وصف قبة الدر

وأما أركان القبة الأربعة وجناحا النَّسر القبليّ والشاميّ فمن الرخام إلى أعلى الجدر
والأركانِ معمولٌ بالفسيفساء، مسقوفٌ بالبطائن المعمولة بالذهب واللازورد والزنجفر ٥
والإسفيداج والأصباغ الخالصة من لونٍ والمركبة من لونين .

مشاهد الخلفاء الراشدين

وقد جُعل فى أركان المسجد الأربعة أربعـةُ مَشاهدَ آتُّخذت على أسماء الصحابة
الأربعـه . فالشرقيّ بقبليه [مشهدٌ] على آسم أبى بكر، وبه عدّة خزائن كُتُب وقف .
وشاميه مشهدٌ على آسم علىّ . والغربىّ بقبليه مشهدٌ على آسم عمر، ويعرف الآن بمشهد
عروة، وبه شيخ حديث وجماعةٌ من العلماء يستمعون الحـديث بوقف مستقل ١٠
وعدّة خزائن كتب وقف . وشاميه[(1)] مشهدٌ على آسم عثمان، وبه يصلى نائب السلطان
فى شباكه والحاكم الشافعىّ إلى جانبه .

وبهذا الشباك يحكم الحاكم بعد الصلاة، كأنه كرسىّ ملك له .

مجالس الحاكم الشرعى والحكام الأربعة

وبهذا المشهد تعقد مجالس الحكام الأربعة والعلماء لفصـل القضايا المعضلة التى
لاينفرد بها حاكم . فيجتمعون بأمر نائب السلطان وينظرون فى تلك الحكومة ١٥
ويحكمون فيها بأجمعهم .

سجن زين العابدين

وداخل مشهد علىّ مشهدٌ لطيف يعرف بالسجن . يقال إنه سُجِن به زين العابدين
حين أُقدم على يزيد . وجواره فى زاوية الرواق الشامىّ ـ شرقىّ الباب النافذ إلى الكاملية ـ
مقصورةٌ قد جاور بها جماعةٌ من الفقراء، وتعرف بالحلبية . وبها خزانة كتب وقف .

(١) كذا وقع فى الأصل ولعله سهو عن جنوبيه . ٢٠

وفى كلٍّ من ذلك إمامٌ يُؤتَمُّ به، ومؤذنٌ يقيم الصلاة ويُبلِّغ.

العمارات والمدارس التى أضمت إليه

وفى هذا المسجد زياداتٌ فى شماله آتسع بها فناؤه، وتفسحت أرجاؤه.

منها الزاوية الحلبية المذكورة فى أوّل حدّه الشمالىّ من الشرق؛

ثم التربة الكاملية، ولها مسجد له إمام ومؤذن؛

٥ والكلّاسة، وبها إمامان ومؤذنان.

وفى شامها، الأشرفية والمدرسة العزيزية ينفذ إليهما، ولكل منهما إمام ومؤذن.

وجوار المدرسة العزيزية التربةُ الصلاحيّة من غربها.

هذا إلىٰ عدّة أئمة تقوم فيه آحتسابا.

فرشه بالمرمر وعمده وعضائده بالرخام المذهب

وقد فُرش المسجد بالمرمر (ومقطعه من جبل المزّة) وعمد قائمه بالرخام الملوّن

١٠ والمنقوش المُذْهَب.

مساق الماء

وكذلك عُملت عضائده وذُهّبت قواعد عمده ورؤوسُها. وأُجرِى الماء فى صحنٍ عُقدت عليه قبةٌ فى صحنه، وفى صحنٍ فى ركن النَّسر من داخل الرواق، وفى جميع مشاهده وزياداته، وفى ميضأةٍ آتُّخِذت أسفل المنارة الشرقية منه. هذا إلىٰ ما فى حضره باب البريد والزيادة وتحت الساعات من مياه جارية، وأسواق قائمة، وسُرُج تتّقد

١٥ ليلا كالأنجم، وبيوت ذات مناظر تملأ عين الناظر المتوسِّم.

عود الى وصف القبة

فأما القبة فما لا يحول مثلها فى ظنّ، ولا يدور فى فكر. قد تعلّق رفرفها بالغمام عابثا، وحلّق طائرها إلىٰ أخويه النسرين يبغى أن يكون لهما ثالثا. قد بُنيت علىٰ

قناطر، ممتدّة على قناطر، بعقود مُحكمه، وقطع صخور مُنظّمه، إلى سقوف مُذْهَبه، ومحاسن موجزة مسهبه.

طول هلال القبة

وعلى رأس القبة هلالٌ عالٍ فى أنبوبة، طولَ الرمح .

قد غُلِّفت هى وكل الأسطحة بالرصاص . وحُكِّمت ميازيبُه، وجُمع فيه من كل حَسَن غريبُه .

وصف ساعة المسجد

قال أبو محمد بن زَبْر القاضى: سُمى بابَ الساعات لأنه عمل هناك بيكار الساعات[1]، نعلم بها كلُّ ساعة تمضى. عليها عصافيرُ من نُحاسٍ وحيّة من نُحاس وغرابٌ من نحاس. فإذا تمت الساعة خرجت الحيّة، وصفرت العصافير، وصاح الغراب، وسقطت حصاة فى الطَّست.

طلسمات الجامع قبل حريقه





وكان فى الجامع قبل حريقه طِلَّسماتٌ لسائر الحشرات، مُعَلَّقةٌ فى السقف فوق البطائن . ولم يكن يوجد فى الجامع شئ من الحشرات قبل الحريق. فلما احترقت الطلسمات، وُجِدتْ. ومما كان فيه طِلَّسمٌ للصنونات[2] لا تعشش فيه. ولا يدخله غرابٌ. وطِلَّسم للفأر، وطِلَّسمٌ للحيّات والعقارب. وما أبصر الناس فيه من هذا شيئا إلا الفأر. وفيه طِلَّسمٌ للعنكبوت.

وكان حريق الجامع فى نصف شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة.

حريق الجامع سنة ٤٦١ وسببه

وكان سببه أن أمير الجيوش بدراً الجمالىّ ورد من مصر إلى دمشق فى هذه السنة. فلما كان بعد العصر يوم نصف شعبان، وقع القتال بين المشارقة والمغاربة . فضربوا

(١) هكذا فى الأصل. وصوابه "بكام". وهى الساعة المائية التى وصفها ابن جبير الأندلسىّ فى رحلته

(٢) هو الطائر المعروف بأسم سنونو عند العرب وبأسم عصفور الجنة عند عامة مصر. وأسمه الفرنسىّ Hirondelle.

دارا كانت مجاورة للجامع بالنار، فبادرتْ إلىٰ الجامع . وكانت العامّة تعاون المغاربة ، فتركوا القتال وقصدوا إطفاء النار من الجامع . فجلّ الأمر وعظم ، فجعلوا يبكون ويتضرّعون .

وصف العماد الكاتب لهذا الحريق

ووصف العماد الكاتب هذا الحريق فى كتاب . فقال : "وفى النصف من شعبان هذه السنة ، ٱحترق جامع دمشق . ففُجع الإسلام بمُصابه ، وصلّت النار فى محرابه ، وٱشتعل رأس القبة شيباً بما شبّت ، وأكلت النار أُمَّ الليالى منها ماربّت ، وطار النّسر بجناح الضِّرام ، وكاد يحترق عليه قلب بيت الله الحرام ، فكأنّ الجحيم ٱستجارت به فمسكت بذيله ، وكأنّ النهار ذكر ثأرا عنده فعطف علىٰ ليله ، فواهًا له ! من مسجد أحرقته نَفحاتُ أنفاس الساجدين ، وعَلِقت فيه لَفحات قلوب الواجدين ، ثم تداركه الله بالألطاف والإطفاء ، وأتاه بالشفاء بعد الٱستشفاء ، وقال حسبه ٱصطلاء وٱصطلاما ، وحقق فيه قوله : " قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا " .

أبيات فى ذلك الحريق

وقال ٱبن العين زَربىّ فى الحريق المذكور :

لَهْفَ نفسى علىٰ دمشق التى كا * نتْ جَمالَ الآفاق والأقطارِ !
وعلىٰ ما أصاب جامعها الجا * مـعَ للعجبات والآثارِ !
إذ أتته النِّيران طُولا وعَرضا * عن يمين من قُطره ويسارِ ،
ثم مرَّت علىٰ حدائق نخل * فإذا الجمر موضع الجُمَّارِ !

القوارات التى به وتواريخ إنشائها وسقوط عمدها وما فوقها

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : أقيمت القبة الرخام التى فيها فوّارة الماء فى سنة تسع وستين وثلثمائة . قال : " وقرأتُ بخط إبرهيم بن محمد الحنائىّ : أُنشئت الفوّارة المنحدرة فى وسطِ جيرون سنة ست عشرة وأربعمائة . وأَمَر بجرّ القصعة من ظاهر

(١٤٨) قصر حجّاج إلىٰ جيرون وأجرىٰ ماءها الشريفُ فخر الدولة حمزة بن الحسن بن العباس الحسينيّ". وتحتهُ بخط محمد بن أبى نصر الحُمَيدىّ." وسقطت فى صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة، من جمالٍ تحاكّتْ بها. فأنشئت كَرَّةً أخرىٰ".

قال ابن عساكر: ثم سقطت عمدها وما عليها فى حريق اللبادين ورواق دار الحجارة ودار خديجة فى سنة اثنتين وستين وخمسمائة. ٥

عمل شاذروان بعد سنة ٦١٠

قال الحافظ أبو عبدالله الذهبىّ: ثم عُمل لها الشاذروان، فى آخر دولة الملك العادل سنة نيف عشرة وستمائة.

وصف الذهبىّ لقصعة الفوارة الكبرى وما بنى عوضا عنها بعد حريق سنة ٦٨١

قال: "ورأيتُ القصعة وهى أكبر من التى فى وسط طهارة جيرون. وفى زنّارها الأوسط ستُّ أنابيبَ صغار، تفور حولَ الفوّاره. وعليها درابزينات. فلما احترقت اللبادين سنة إحدى وثمانين وستمائة، تلفت هذه القصعة وبُنى عوضَها هذه البركة المثمّنة. وينبع الماء فى هذه البركة من قناةٍ دُفنت إليها من مكان مرتفع. فيعلو بها الماء نحو قامة. وسُمعة الفوّارة أعظم من مرآها، واسمها أجلّ من معناها." ١٠

حريق سنة ٧٤٠ وتجديد المنارة على أحسن مثال

قلتُ: ولما وقع الحريق سنة أربعين وسبعمائة بسوق الدهشة والطرائفيين وتشعّث وجه الجدار الذى للمشهد المعروف بأبى بكر وتعلّت شَرَر النار حتّى وصلت إلىٰ دائر المنارة الشرقيّة وشرعوا فى إصلاح ما وهىٰ من ذلك، وجدوا أعاليَها متداعية، وحجارتها مفحّرة مفطّرة. فوقف عليها الحكام وقامت البيّنة بالضرورة الداعية إلىٰ نقض المنارة وتجديد بنائها. فنُقضت جُدُرها الأربعة إلىٰ حدّ أوتار الرواق القبلىّ، ونُقض الجدار القبلىّ والجدار الشرقىّ إلىٰ الأرض، وحُفر ما بين الجدران فى وسط المنارة عدّةَ ١٥

قاماتٍ . وبُنى ذلك لَبِنةً واحدة، وبُنيت المنارة بنيانا جليلا لم يُبن من زمن الوليد أجلُّ منه ولا أوثق.

مقامة الصفدىّ فى وصف الحريق سنة ٧٤٠

وقال الفاضل صلاح الدين أبو الصفاء الصفدىّ من مقامةٍ أنشأها فى الحريق المذكور، من فصل يتعلق بالجامع :

٥ «فسألتُ الخبر، ممن غبر، فقال: إن الحريق وقع قريبا من الجامع، وآنظر إلىٰ شَبَح الجوّ كيف آنتشرت فيه عقائق اللَّهَب اللامع ! فبادرتُ إلىٰ صحنه والناس فيه قطعة لحم، والقلوب ذائبة بتلك النار كما يذوب الشحم . ورأيت النار، وقد نشرت فى حداد الظلام مُعَصْفَراتِ ذوائبها، وصعَّدت إلىٰ السماء عَذَباتِ ذوائبها :

ذوائبُ لَجّتْ فى عُلُوٍّ كأنّما * تحاول ثأرًا عند بعض الكواكبِ.

١٠ وعلت فى الجوّ كأنها أعلام ملائكة النصر، وكان الواقف فى الميدان يراها وهى "تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ"، فكم "زُمَرٍ" "أضحت" لذلك "الدُّخَان" "جاثِيه". وكم نفس كانت "فى النازِعَات" وهى تتلو "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَه"؟ ولم تزل النار تأكل ما يليها، وتُفنى ما يستعلها ويعتليها، إلىٰ أن آرتفعتْ إلىٰ المنارة الشرقيه، ولعبت ألسنتها المسودّة فى أعراض أخشابها النقيه، وثارت إليها من الأرض لأخذ الثار، ١٥ وأصبح صَخرها كما قالت الخنساء "كأنه عَلَم فى رأسه نار". فنُكّست وكانت للتوحيد سبّابة، ولمعبدها المطرب شبّابة، وآبْتُلِىَ رأسها من الهدم والنار بسُفعه، وأدار الحريق على دائرها رحيقه :

وبالأرض من حُبّها صفرة، * فما تُنبت الأرض إلا بَهارًا.

وأصبح "باب الساعات" وهو من آيات الساعه، وخلت مصاطب الشهود من

السنّة والجماعه، وعادت الدهشه، وقد آل امرها إلىٰ الوحشه ؛ وحسنُها البديعُ وقد ثَلّتِ النارُ عرشه، كأنْ لم أَرَها سميرا، ولا شاهدتُ من بنائها وقماشها جنّةً وحريرا».

وصف ابن غانم لهذا الحريق

وقال جمال الدين عبد الله بن غانم، من كتابٍ عن كافل الشام، تنكز (رحمه الله) إلىٰ نائب طرابلس فى هذه الواقعة.

٥ «وأضحىٰ "فَمُ الفوّارة"[1] يصاعد حمرات أنفاس، و"سوق النحّاسين" يُرسَل منه إلىٰ سور الجامع "شُوَاظٌ من نارٍ ونُحَاس"، وأُقعِد "بيت الساعات" إلىٰ قيام الساعه، ودخل إلىٰ باب الجامع لكن لغير طاعه، وكاد يُصَلِّي مَنْ به يُصَلِّي، ويُقبل على صف العابدين فيُوَلِّي. وآهنزّت المأذنة بحُمّى نافض، وتشعّث وجه المَشْهد الأبى بكرىّ فكأنما أصابته عين الروافض، وترقرقتْ عيون العابدين من الألم، ورقّ صحن

١٠ الجامع لمأتم هُداة الساجدين من المأذنة بنارٍ علىٰ عَلَم ؛ وما زالت مِرآةُ اللّهب حتّى خربت المنار، وصُفّ بعد ذلك فى صحن الجامع مافَضَل عن أكل النار.»

وصف المؤلف لعمار هذا المسجد بالناس دائما

قلتُ : وهذا المسجد معمور بالناس كلّ النهار وطَرَفِى الليل، لأنه ممرّ المدارس والبيوت والأسواق. وفيه ماليس فى غيره من كثرة الأئمة والقرّاء، ومشايخ العلم والإقراء، ووجوه أهل التصدير والإفتاء، وطوائف الحديث وقراء الأسباع والمجاورين

١٥ من ذوى الصلاح. فلا تزال أوقاته معمورةً بالخير، آهلة بالعباده. قلّ أن يخلو طرفه عين فى ليل أو نهار من مُصلٍّ، أو جالسٍ فى ناحيةٍ منه لاعتكاف، أو مرتلٍ لقرآنٍ، أورافعٍ عَقيرتَه بأذان، أومكررٍ فى كتابِ علمٍ، أو سائلٍ عن دِينٍ، أو باحثٍ فى معتقَدٍ، أو مقتررٍ لمذهبٍ، أو طالبٍ لحل مشكلٍ : من سائلٍ ومسؤل، ومفتٍ ومستفتٍ. هذا إلىٰ مَن يأتى هذا المسجد مستأنسا لحديث، أو مرتقبا لقاءَ أخٍ، أو متفرجا

٢٠ (١) فى الأصول: يصعد.

فى فضاء صحنه وحسن مرأى القمر والنجوم ليلا فى سمائه. هذا إلى فسحة الفضاء وطيب الهواء وبَرْد رُواقاته، اوقاتَ الهجير، وحسن مَرَائِى ميازيبه، أحيانَ المطر. وفى كل ناحية من وجهها قمر.

أوقافه ومرتباته

وعلى هذا الجامع من الوظائف المرتبة ما لا يَسْتَقِلُّ به إلا ديوانُ مَلِكٍ، وعليه حلائل الأوقاف. إلا أن الأيدى العاديَةَ قد آستولت على كثير منه لسببه الأكابر(١) والمناصبات، وعبر ذلك مما عُمل عليه على سبيل النَّصَبَات.

٥

وقد أضيف إليه وقفُ المصالح، وقد كان أُفرِد زمن نور الدين، رحمه الله. وهو لايجاوز تسعين ألفا فى السنة. جُعل لها مصارف أُخذ بحجتها كل مال المسجد وغُلَّ بالباطل ورُتِّب منه لغير ذوى الآستحقاق. وحُمِّل حتى كَلَّ مَطاه. وأُخذتْ حتى قَصُرَتْ خُطاه. وها هو الآن قد آختلَّت أحواله، وأُكِلت وشُربت أمواله. وأصبح نَهْبا مُقَسَّما، وسَوَاما صِيحَ فى حَجَراته. وآل حال مباشريه إلى أسوإ الحال وشر المآل.

١٠

وكانوا غِياثًا ثم أَضْحَوْا رَزِيَّةً. ألَا عَظُمَتْ تلك الرزايا، وجَلَّتِ!

وقد آتفقت كلمة السُّفَّار فى الآفاق إلى أنه فردٌ فى محاسنه، بديع فى نظرائه.

مقام إبراهيم ببرزة

(١٥١)

١٥

مولد إبراهيم بقرية برزه (بالغوطة)

روى مكحول عن آبن عباس، قال: وُلِدَ إبراهيم بغُوطة دمشق فى قرية يقال لها بَرْزَةُ، بجبل قاسِيُون.

---

(١) فى الأصل: "لسه الأكابر والمناصبات" وفى الكلام إبهام. ولعل المؤلف أراد أن يقول. "لشبه المكابرات والمناصبات."

وعن حَسّان بن عطيــة قال: أغار ملكُ نَبطِ هذا الجبل علىٰ لوط فسباه وأهله . فأقبــل إبراهيم فى طلبــه، فى عدّة أهل بدر : ثلثمائة وثلاثة عشر . فالتقىٰ هو وملك الجبــل فى صحراء معور . فعبّى إبراهيم ميمنــةً وميسرةً وقلبــا . وكان أوّلَ من عبّى الحرب هكذا . فالتقوا . فهزمه إبراهيم وآستنقذ لوطا وأهله . فأتىٰ هذا الموضع الذى ببَرْزة، فصلّى فيه .

٥

وروىٰ أحمد بن حميد بن أبى العجائز عن أبيــه عن شيوخه، أن الأثاراتِ التى فى بَرْزة عنــد المسجد الذى يقال له مسجد إبراهيم فى الجبل (عند الشق) أنه مكان إبراهيم، وأن الأثارات التى فوق الشّق فى الجبل موضع رأى إبراهيم[(1)]، فمن صلّى فيه ودعا أجابه الله، وأن ذلك الجبل كان فيه لوط وجماعة من الأنبياء وآثارهم فى مواضع من الجبل . أدركتُ الشيوخ يقصدونه ويصلون فيه ويدعون . وهو نافع لقسوة القلب وكثرة الذنوب، وأن بعضهم جاء من مكة فصلّى فى الموضع الشق، لمنامٍ رآه .

١٠

وعن أبى الحسيــن محمد بن عبد الله الرازىّ، قال: قال أحمد بن صالح: أدركتُ الشيوخ بدمشق وهم يفضلون مسجد إبراهيم عليه السلام ببرزةَ ويقصدونه ويصلُّون فيه ويذكرون أن الدعاء فيه مجاب، وهو موضع عظيم شريف . ويذكرون ذلك عن شيوخهم ويقولون إن الشق الذى فى الجبل خارجا عن المسجد هو[(2)] الموضع الذى اختبأ فيه إبراهيم من النمرود، صاحب دمشق .

١٥

وعن عروة بن رُويم عن أبيه عن علىّ : سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وساله رجل عن الأثارات بدمشق فقال: لها جبل يقال له قاسيون، فيه قتَلَ آبنُ آدم

(١) لعل المراد: موضع رؤياه.

(٢) فى الأصل . وهو .

٢٠

أخاه، وفى شرقيّه وُلد إبراهيم، وفيه آوىٰ الله عيسىٰ بن مريم وأُمّه من اليهود. وما من عبد أتىٰ معقل روح الله فآغتسل وصلّى فيه ودعا، إلا لم يُرَدّ خائبا. وهو جبل كلمه الله. (والحديث طويل. وهو موضوع، وإنما ذكرته لئلا يُغتَرّ به.)

مغارة الدم

(١٥٢)

معارة الدم وفضلها، خصوصا فى الاستسقاء

٥ قال أبو زُرعة الدمشقيّ: سألت أبا مُسْهِر عن مغاره الدم. فقال: معارة الدم موضع الحمرة، موضع الحوائج. يعنى بذلك الدعاءَ فيها والصلاةَ.

وقال محمد بن أحمد بن إبراهيم: حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد، سمعتُ سعيد ابن عبد العزيز: حدثنى مكحول أنه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلىٰ موضع الدم يسأل الله أن يسقَينا، فسقانا.

١٠ قال مكحول: وخرج معاوية والمسلمون إلىٰ موضع الدم يستسقون. فلم يبرحوا حتّى سالت الأودية.

قال سعيد بن عبد العزيز: صعدنا فى خلافة هشام إلىٰ موضع قتل آبن آدم نسأل الله أن يسقينا. فأتىٰ مطر، فأقمنا فى الغار الذى تحته ثلاثةَ أيام.

وقال هشام بن عمار: صعدتُ مع أبى وجماعة ـ نسأل الله سُقْيَا ـ إلىٰ موضع قَتَلَ

١٥ آبنُ آدمَ أخاه. فأرسل الله علينا مطرا غزيرا، حتّى أقمنا فى المعار. فدعوا الله فآرتفع عنا، وقد رَوِيتِ الأرضُ.

وقال محمد بن يوسف الهرويّ: سمعتُ يزيد بن محمد وأبا زُرعة وأحمد بن المُعلّى وسليمان بن أيوب بن حَذْلم وغيرَهم من مشايخنا يقولون: سمعنا هشام بن عمار وهشام

آبن خالد وأحمد بن أبي الحُوَارِىّ(١) وسليمان بن عبد الرحمن والقاسم بن عثمان الجُوعىّ يقولون: سمعنا الوليد بن مسلم يقول: سمعت آبن عَيَّاش يقول: «كان أهل دمشق إذا آحتبس عنهم القَطْرُ أو غلا سعرهم أو جار عليهم سلطانٌ أو كانت لأحدهم حاجةٌ، صعدوا إلىٰ موضع آبن آدم المقتول. فيسألون الله، فيعطيهم ماسألوا.»

قال هشام: ولقد صعِدتُ مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل الله سقيا. فأرسل الله علينا مطرا غزيرا حتّى أقمنا في الغار الذى تحت الدم ثلاثة أيام. ٥

قال هشام بن عمار: وسمعت من يذكر عن كعب قال: آختبأ إلياسُ من مَلِك قومه في الغار الذى تحت الدم عشر سنين، حتّى أهلك الله الملك ووَلِيَ غيرُه. فأتاه إلياسُ فعرَضَ (١٥٣) عليه الإسلامَ. فأسلم وأسلم من قومه خلقٌ، سوىٰ عشرة آلاف منهم. فأمر بهم فقتلهم عن آخرهم.(٢) ١٠

مقام عيسىٰ بالربوة

مقام عيسى بالربوة

روىٰ هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم، قال حدثنا الأوزاعىّ عن حسان بن عطية أن مَلِكا من بني إسرائيل حضره الموت، وأوصى بالمُلك لرجلٍ حتّى يُدرك ابنُه. وكانوا يؤمِّلون أن يُدرك آبنُه فيملِّكوه. قال: فمات فجزعوا عليه. فلما خرجوا بجنازته، وفيهم عيسىٰ بن مريم، دنا من أمّه فقال: أرأيتِ إنْ أنا أحييتُ لك آبنَكِ، أتؤمنين بي وتابعيني؟ قالت: نعم. فدعا الله. فجعلت أكفانُه تحلَّل عنه، حتّى آستوىٰ جالسا. فقالوا: هذا عمل آبن الساحرة. وطلبوه حتّى آنتهىٰ إلىٰ شِعب النيرب. فآعتصم منهم ١٥

معجزتان لعيسى

(١) الحوارىّ بوزن سكارىٰ. انظر القاموس (في مادة ح ور د).

(٢) بياض في الأصل مقدار سبعة سطور.

بقلعة على صخرة متعالية. فأتاه إبليس فقال: «جئتك، وما أعتذر إليك من شيء. هذا أنت لم تنافسهم في دنياهم ولا شبرٍ من الأرض، صنعوا بك ما صنعوا. فلو ألقيتَ نفسك من هذا المكان، فتلقاك روح القُدُس فيذهب بك إلى ربك فتستريح منهم؟» فقال: «يا غَوِيّ، الطويلَ الغَواية! إني واحدٌ فيما علمني ربّي، عزوجل، أني لا أجرّب ربّي حتّى أعلم أراضٍ عني أم ساخطٌ عليّ». فأقبلتْ أمُّ الغلام، فقالت: يا معشر بني إسرائيل! كنتم تبكون وتشقّون ثيابكم جزعا عليه، فلما أحياه الله لكم أردتم قتله. قالوا: فما تأمرينا به؟ قالت: إيتوه فآمنوا به. فأتوه فقالوا: خَصلةٌ بيننا و بينك! إن أنت فعلتَها، اتّبعناك. قال: وما هي؟ قالوا. تُحيِي لنا عُزَيرا قال: دلّوني على قبره. فنزل عيسى معهم حتّى انتهَوا به إلى قبره. قال: فتوضأ وصلّى ركعتين ودعا. فجعل قبره يتفرّج عنه التراب. فخرج قد ابياضّ نصف رأسه ولحيته وهو يقول: هذا فعلك يا ابن مريم! قال: لم أصنع بك. هذا فعل قومك. زعموا أنهم لا يؤمنون لي ولا يتّبعوني حتّى أُحييك لهم. وهذا في هُدى قومك يسير. قال فأقبل عليهم يعظهم و يأمرهم باتّباعه. فقال له قومه. عهدناك وأنت أسود الرأس واللحية! فما لنصف رأسك ولحيتك قد ابيضّ؟ قال: سمعتُ الصيحة، فظننتُ أنها دعوة الداعيه، حتّى أدركني مَلَك، فقال: إنما هي دعوة ابن مريم. فانتهى الشيب إلى ماترى.

(١٥٤)

اختلاف المفسرين في موقع الربوة

واختلف أهل التفسير في تعيينها.

ورُوي مرفوعا عن النبيّ، صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى: "وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ". قال: تدرون أين هي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هي بالشام بأرض يقال لها الغُوطة، مدينة يقال لها دمشق، هي خير مدائن الشام.

ورُوي عن ابن عباس قال: الرّبوة أنهار دمشق.

وكذا قال سعيد بن المسيّب ويزيد بن شجرة؛ وقال كعب أمر الله تعالى عيسى بن مريم وأمه أن يسكنا دمشق، وهى إرم ذات العماد.

وقال الحسن فى تفسير الآية: هى ارض ذات أشجار وأنهار. يعنى أنهار دمشق.

وعن الوليد بن مسلم عن بعض مشيخته أن بنى إسرائيل همّت بعيسى فأمره الله أن ينطلق إلى دمشق. وقال الحسن: ذات قرار ومعين، ذات معيشة تقوتهم وتحملهم. ٥

وماء جارٍ. قال: هى الربوة، هى دمشق.

وقيل إن الربوة فى القرآن هى الرملة. رُوِى مرفوعا عن النبىّ، صلى الله عليه وسلم. وزاد فيه: ولا تزال طائفة من أمتى على الحق، ظاهرين على من ناوأهم، حتّى يأتى أمر الله وهم كذلك. قلنا: يارسول الله، وأين هم؟ قال: بأكناف بيت المقدس.

(١٥٥) وروى عبد الرزاق فى تفسيره عن أبى هريرة قال: هى الرملة من فلسطين. ١٠

ويروى عن قتادة: هى بيت المقدس.

وقال زيد بن أسلم: هى الإسكندرية.

وقال وهب: هى مصر.(١)

ويروى عن جابر الجعفىّ عن أبى جعفر: وآويناهما إلى ربوة، قال: الكوفة، والمعين الفرات. ١٥

وقيل غير ذلك. والراجح عند الأكثرين أنها ربوة دمشق.

(استناد المؤلف على هذه الأقوال) وهذه الأقوال واهيةٌ. وإنما ذكرناها للتعجب، اقتداءً بالحافظ أبى القاسم بن عساكر، رحمه الله!

---

(١) المقصود هنا المدينة المعروفة قديما بالفسطاط.

الكهف بقاسيون (١)

بناء الكهف بقاسيون سنة ٣٧٠ ورؤيا عربية فى ذلك

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق: ذكر أبو الفرج محمد بن عبد الله ابن المُعَلِّم أنه ابتدأ ببناء الكهف سنة سبعين وثلثمائة. قال: وبالله ربى أعتصم من الكذب، وأسأله أن يُنطق بالصدق لسانى. رأيتُ جبريل عليه السلام فى النوم. ٥ فقال لى: إن الله يأمرك أن تبنى مسجدا يُصلَّى فيه ويُذكر اسمُه، وهو هذا. فقلت: وأين هذا الموضع؟ فسار إلى هذا الموضع الذى سميتُه أنا: كهف جبريل. وقلتُ: أنَّى لى بذلك؟ قال: إن الله سيوفق لك من يُعينك عليه.

مسجد عمرو بن العاص

مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط بمصر

مسجدٌ عظيمٌ بمدينة الفُسطاط. بناه عمرو بن العاص، موضعَ فسطاطه وماجاوره. ١٠ وموضعُ فسطاطه منه، حيث المحراب والمِنبر.

وصفه وفضله

وهو مسجد فسيح الأرجاء، مفروش بالرخام الأبيض، وعمده كلها رخام. ووقف عليه نحو ثمانين من الصحابة وصلّوا فيه.

ولا يخلو من سكنى الصلحاء، معمور الأوقات بالذكر. وعقب صلاة الصبح فيه أوقاتٌ مشهودةٌ ومواسمُ خيرٍ لاتعدّ.

وصف الهلال والشمس فوق النيل فى وقت الغروب

١٥ وحكى علىّ بن ظافر [الأزدى] (٢) قال: رُوى لى أن الأعز أبا الفتوح ابن قلاقس و[نشو الملك علىّ بن مفرج] بن المُنَجِّم اجتمعا فى منار الجامع فى ليلة فطر ظهر بها

---

(١) أى مسجد الكهف.

(٢) وقعت هذه الحكاية فى صفحة ١٣٧ و ١٣٨ من كتاب "بدائع البدائه" المطبوع فى بولاق سنة ١٢٧٨. وهناك زيادة ونقص فى الألفاظ. فلذلك جمعتُ بين روايته ورواية ابن فضل الله.

الهلال للعيون، وبرز فى صفحة بحر النيل كالنون[١]. ومعهما جماعة من غواة الأدب، الذين ينسلون إليه من كل حَدَب . فحين رأوا الشمس فوق بحر النيل غاربه، وإلىٰ مستقرّها جارية ذاهبه، قد شمرت للغرب[٢] الذيل، وآصفرّت خوفا من هجمة[٣] الليل، والهلال فى حمرة الشفق، كحاجب الشائب أو زورق الورق. فآقترحوا عليهما أن يصنعا فى ذلك الوقت النزيه، علىٰ البديه. ٥

فصنع آبن قلاقس:

أُنظر إلىٰ الشمس فوق النيل غاربةً * وآنظر لما بعدها من حُمْرَةِ الشَّفَقِ!
غابت وأبقتْ شُعاعا منه يخلفها * كأنّما آحترقتْ بالماء فى الغَرَقِ!
وللهلال ، فهل وافىٰ لينقذها * فى إثرها زورقٌ قد صيغ من وَرِقِ"

وصنع آبن المنجم: ١٠

يارُبَّ سامية[٤] فى الجو قمتُ بها * أَمُدُّ طَرْفِىَ فى أرضٍ من الأفُقِ.
حيثُ العشيَّةُ فى التمثيل معركةٌ * إذا رآها جبانٌ، مات للفَرَقِ.
شمسٌ نهاريّةٌ للغرب داهبةٌ[٥] * بالنِّيل مُصْفَرَّةٌ من هَجْمَةِ الغَسَقِ.
وللهلالِ آنعطافٌ كالسِّنانِ بَدَا * من سَوْرَةِ الطعن مُلْقًى فى دَمِ الشَّفَقِ.

وحكىٰ علىُّ بن ظافر أيضا[٦]. قال: أخبرنى [أبو عبدالله] بن المنجم الصوّاف، بما معناه ١٥

(١) فى كتاب البدائع : كانون . [وهو غلط] .
(٢) فى « « : للغيب .
(٣) فى « « . هجوم .
(٤) يعنى المأذنة .
(٥) ورد هذا الشطر فى كتاب البدائع هكذا : "والشمس هاربة للغرب دارعة" . ٢٠
(٦) بدائع البدائه ص ١٢٩ وفيه زيادة ونقص عن آبن فضل الله . وقد جمعت بين الروايتين .

قال : صعِدتُ إلىٰ سطح الجامع بمصر فى آخر شهر رمضان مع جماعة . فصادفتُ به الأديب الأعز أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك علىّ بن مفرّج بن المنجم وآبن مؤمن وشجاعًا المغربىّ فى جماعة من الأدباء. فآنضفتُ إليهم. فلما غابت الشمس وماتت، ودُفِنَتْ فى المغرب حين ماتت، وتطرّز حداد الظلام بعَلَم هلاله، وتحلّى زنجىُّ الليل بخلخاله، اِقترح الجماعة على آبن قلاقس وآبن المنجم أن يعملا فى صفة الحال. فأطرق كلٌّ منهما مفكرا، وميّز ما قذفه إليه بحر خاطره من جواهر المعانى متخيِّرا. فلم يكن إلا كرجْع الطَّرف، أو وثبة الطِّرف، حتّى أنشدا .

فكان ما صنعه نشو الملك :

وعَشِىٍّ(١) كأنما الأُفْقُ فيه * لازَوَرْدٌ مُرَصَّعٌ بنُضارِ!
فلَنُ لَمَّا دَنَتْ لمغرِبها الشمْـ * ـسُ ولَاحَ الهِلال للنُّظَّارِ(٢):
أقْرَضَ الشرقُ صِنْوَه الغَرْبَ دِينَا * را فأعطىٰ الرهينَ نصفَ سِوارِ!

وكان الذى صنعه آبن قلاقس :

لا تَظُنّ الظَّلامَ قد أخذ الشمـ * ـس وأعطىٰ النهارَ هذا الهِلالا.
إنما الشرقُ أقرضَ الغَرْبَ دينا * را فأعطاه رَهْنَه(٣) خَلْخالا!

(١) البدائع : وعِشاء.

(٢) فى آبن فضل الله : النهار [وهى ليست مطابقة للمقام، ولعلها سبق قلم . فلذلك آخترتُ رواية بدائع البدائه] .

(٣) فى البدائع : فأعطاه الرهن .

قال: وهذا مما تواردت فى معناه الخواطر. وقطعة آبن المنجم أحسن من قطعة الأعزّ أبى الفتوح آبن قلاقس: لتنصيفه السوار. وعلى كل حال فقد أبدعا، ولم يتركا للزيادة فى الإحسان موضعا.

---

(١٥٦) مسجد قرطبة

مسجد قرطبة — مسجدٌ عظيمٌ ليس فى مساجد المسلمين مثله بِنْيَةً وتنميقا، وطولا وعرضا. ٥

طوله وعرضه — وطول هذا الجامع مائة باع مرسلة، وعرضه ثمانون باعا.

تسقفه وصحنه — ونصفه مُسَقَّف، ونصفه صحن للهواء.

قسيّه وسواريه — وعدد قسىّ مسقّفه تسعة عشر قوسا. وبه من السوارى (أعنى سوارى مسقّفه بين أعمدته وسوارى قبلته — صغارا وكبارا — مع سوارى القبة الكبرى وما فيها) ألف سارية. ١٠

ثرياته — وفيها ثُريات كبيرة للوقيد. منها واحدة يوقد فيها ألف مصباح. وأقلها تحمل آثنى عشر مصباحا.

سماواته وجوائز سقفه — وسقفه كله سماوات خشب مسمرة فى جوائز سقفه. وجميع خشب هذا الجامع من عيدان الصوبر الطرطوشى. ارتفاع الجائزة منها شبرٌ فى عرض شبر إلا ثلاثة أصابع. وطول كل جائزة سبعة وثلاثون شبرا. وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة. ١٥

صنعة القص وصنعة الدوائر — والسماوات المذكورة كلها مسطحة: فيها ضروب صنائع من الضروب المسدّسة والمُدَرَّب وهو صنعة القص وصنعة الدوائر. والمداهن لا يشبه بعضها بعضا بل كل سماء منها مكتفٍ بما فيه من صنائعَ قد أُحكم ترتيبها وأُبدع تلوينها بألوان حمرة

الزنجفرية والبياض الإسفيداجىّ والزرقة اللازوردية والزرنوق البـاروتىّ والخضرة الزنجارية والتكحيل النّقسى . تروق العيون وتستميل النفوس : بإتقان ترسيمها، ومختلفات ألوانها وتقسيمها .

بلاطه

وسعة كل بلاط من بلاط مسقفه ثلاثة وثلاثون شبرا . وبين العمود والعمود خمسة عشر شبرا. ٥

أعمدته

ولكل عمود منها رأس رخام وقاعدة . وقد عُقد بين العمود والعمود علىٰ أعلىٰ الرأس قِسِيّ غريبةٌ عليها قِسِيّ أخر، علىٰ عمد من الحجر المنحوت، متقنة .

صناعة الفص بالمغرة

وقد جُصِّص الكُلّ منها بالجص والجيّار . ورُتّبت عليها نجورٌ مستديرة، ثابتة بينها ضروب صناعات الفص بالمُغْرة، وتحت كل سماء منها إزار خشب .

(١٥٧)

وصف قبلته العجيبة ، وما فيها من صبغة القوط

١٠ ولهـذا المسجد الجامع قبلة تُعجز الواصفين أوصافُها . علىٰ وجه المحراب سبع قسىّ قائمة علىٰ عمد طول كل قوس منها أشفُّ من قامة، وكل هـذه القسىّ مزججة بصبغة القوط(١). قد أعيت الروم والمسلمين بغريب أعمالها ودقيق تكوينها ووضعها .

أعمدة المحراب لاتقوّم بمال

وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة: اثنان أخضران، واثنان زرزوريّان. لاتقوّم بمال.

المنبر الذي ليس بمعمور الأرض مثله

ومع يمين المحراب المنبرُ الذي ليس بمعمور الأرض مثـله صنعةً(٢). خشبُه آبنوس

١٥ وبقس وعود المِجْمر . ويحكىٰ في كتب تواريخ بني أُميّـة أنه صنع في نجارته ونقشه سبع سنين. وكان عدد صُنّاعه ســتة رجال، غيرَ من يخدُمهم ويتصرف لهم . ولكل

ستة صناع قضوا سبع سنين في عمله

صانع منهم في اليوم نصف مثقال محمّدىّ.

---

(١) أى L'art Gothique

(٢) هكذا في الأصل . ولعله أراد وعى . [كما فعل المؤلف بعد أربعة أسطر] .

آلات الوقيد فى ٢٧ رمضان

وعن شمال المحراب بيتٌ فيه عُدَد وطسوت ذهب وفضة وحسك[1]، وكلها لوقيد الشمع فى ليلة كل سبع وعشرين من رمضان.

مصحف يرفعه رجلان فيه ٤ ورقات من مصحف عثمان

وفى هـذا المخزن مصحف يرفعه رجلان،لثقله . فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان الذى خطه بيمينه،وفيه نُقَطٌ من دمه.

أبوابه ٢٠ مصفحة بالنحاس وكواكب النحاس

ولهذا الجامع عشرون بابا،مصفحةً بصفائح النحاس وكواكب النحاس.وفى كل ٥ باب منها حَلْقتان فى نهاية الإتقان .

صومعته الغريبة

وفى الجهة الشمالية منه الصومعةُ،الغريبةُ الشكلِ والصنعةِ،الجليلةُ الأعمالِ الرائقة، ارتفاعها فى الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشى : منها ثمانون دراعا إلىٰ الموضع الذى يقف عليه المؤذن بقدميه،ومن هناك إلىٰ أعلاها عشرون ذراعا . ويصعد إلىٰ أعلىٰ

درجان منفصلان للصعود إلىٰ أعلاها

المنار مدرجَيْن : أحدهما من الجانب الغربىّ والثانى من الجانب الشرقىّ.إذا افترق ١٠ الصاعدان أسفل الصومعة،لم يجتمعا إلا إذا وصلا الأعلىٰ.والذى فى الصومعة من

فيها ثلثمائة عمود

(١٥٨)

ثلاث تفاحات من ذهب وفضة

العمد بين داخلها وخارجها ثلثمائة عمود : بين صغـير وكبير.وفى أعلىٰ الصومعة علىٰ القبة التى علىٰ بيت المؤذنين ثلاثُ تُفَّاحات : واحدةٌ من ذهب،واثنتان من فضة. تسع الكبيرة من هذه التفاحات ستين رطلا من الزيت.

٦٠ رجلا يخدمون الجامع

ويَخْدُم الجامعَ كله ستون رجلا[2]. ١٥

---

(١) هكذا فى الأصل بالاهمال . وفى اللسان أن الحسك شوك مدحرج لا يكاد أحد يمشى عليه اذا يبس الا من كان فى رجليه خف...والحسك من الحديد مايعمل على مثاله وهو من آلات العسكر.[ولعله المراد هنا والغرض احاطة هذه العُدد والآلات بشئ يمنع الناس الوصول اليها] .

(٢) بقية الصحيفة بياض . مقداره سبعة عشر سطرا .

بقية المزارات الأخرى



سائر المزارات وتفصيلها ومواضعها المزعومة والحقيقية

وأما سائر المزارات فكثيرة جدّا: لاتدخل تحت الحصر، ولايحيط بها قلم الإحصاء، وإنما نذكر منها ماحضَرَنا ذكرُه فى هذا الوقت، ممـا هو ببلاد الشام، على ما يغلب على الظن صحته، لا كما يزعمه كثير من الناس فى نسبة أماكنَ لاحقيقة لها. والله أعلم!

٥ فمن ذلك:

§ قبر مالك بن الأشتر النخعىّ. قيل إنه على باب مدينة بعلبك، من الشمال. والصحيح أنه بالمدينة.

§ قبر حفصة، زوج النبىّ، صلى الله عليه وسلم. قيل إنه ببعلبك. والصحيح أنها أم حفص، أخت معاذ بن جبل. فإن حفصة ماتت بالمدينة.

١٠ § دير إلياس النبىّ عليه السلام، ويقال إنه كان محبوسا [فيه].

§ مشهد إبراهيم (عليه السلام) بقلعة بعلبك. جدّد بناءه الملك الأشرف موسى.

§ قبر أسباط، ببعلبك.

§ قبر نوح (عليه السلام) بقرية تعرف بالكَرْك، من أعمال بعلبك.

§ قبر شيث، بقرية تعرف بشَرْعِينَ بالقرب من كَرْك نوح. وقبر إلياس النبىّ بقربه.

١٥ § قبر حزقيل، أحد أنبياء بنى اسرائيل بالبقاع، غربىّ كَرْك نوح.

§ قبر بنيامين، شقيق يوسف، عليه السلام، بقرية ظهر حمار، من البقاع.

§ قبر شَيْبان الراعى، بالبقاع، بالقرب من حزقيل . فى مشهد مبنىٌّ عليه.

§ قبر أيوب (عليه السلام) بقرية تعرف بدير أيوب، من أعمال نَوى . كان بها أيوب، عليه السلام . وبها ابتلاه الله، عز وجل، وبها العين التى ركضها برجله، والصخرة التى كان عليها، وبالقرية أيضا قبر سعد التكرورى، فقير صالح له شهرة .

§ مشهد جماعة من الصحابة بقرية تعرف بُجَحَّةَ على يسار الذاهب إلى زُرع[1] . كان بها وقعة أجنادينَ فى فتوح الشام . وبها حجر، ذُكر أن النبىّ (صلى الله عليه وسلم) جلس عليه . وهذا ليس بصحيح . فانه (صلى الله عليه وسلم) لم يَعَدّ بُصْرىٰ . وذُكر أن بجامعها سبعين نبيا .

§ قبر اليَسَع، بقرية تعرف ببُسر، من أعمال زُرع[1] .

§ نجْرانُ، شرقىّ بُسر . يقال إن بها الأُخدود . ولا يصحّ . لأن الأُخدود باليمن . والله أعلم .

§ قبر عبد الرحمن بن عوف، بقرية تعرف بالدُّور، على باب زُرع[1] . والله أعلم .

§ الهَمَيْسَع أبو اليَسَع، فى ذيل اللَّجَاة . والله أعلم .

§ سام بن نوح، على باب نَوَى . وبها قبر الشيخ محيى الدين النَوَوىّ . وبها الشيخ علىّ الحريرى، شيخ الطائفة الحريرية .

§ مبرك الناقة . موضعٌ معروف ببُصْرىٰ . ويقال إن ناقة النبىّ (صلى الله عليه وسلم) بركت به هناك . أما قدوم النبىّ (صلى الله عليه وسلم) بُصْرىٰ فلا شك فيه ؛ وأما أن ناقته بركت به فى هذا الموضع بعينه، فلا نقطع به . ولكن الظاهر أنه هو . فالله أعلم .

---

(١) ذكر ياقوت أن أصل اسمها زُرًّا والعامة سمتها زُرْع (ج ٢ ص ٩٢١) .

وفى هذا الموضع مصحفٌ شريف عثمانىٌّ، وعليه أثر الدم.

§ وقبلىّ بُصْرىٰ ديرٌ يقال له دير الناعقّ. كان به بَحِيرا، الراهب. وبه آجتمع برسول الله، صلى الله عليه وسلم.

§ وشرقىّ بُصْرىٰ، قرية تعرف بدَنِين. بها قَدَمُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في صخرة سوداء، على ماذكروا. والله أعلم.

§ وقرب بُصْرىٰ قرية تعرف بغَصَب. بها قبر وهب بن مُنَبِّه.

§ قدم هارون، عليه السلام. ببلدةٍ بصَرْخَد.

§ وبهذه البلدة مشهدٌ، ذكروا أن موسىٰ و هارون (عليهما السلام) كانا به، لمّا خرجا من التيه.

§ قبر هارون. في السيق ببلاد الشَّوْبَك.

§ قبر أبي عُبيدة بن الجرّاح. بقرية عَمْتَا من الغَوْر. وعليه بناءٌ، ولخادمه مرتب جارٍ، أجرى له في الأيام التنكزيّة، بعلم الوزير أمين الملك ووساطته.

§ قبرُ معاذ بن جَبَل. بالقُصَير المَعِينيّ.

§ قبر أبي هُريرة. بقرية تُبْنىٰ بالساحل، من أعمال الرملة.

§ البلقاء. يزعم بعض الناس أن الكهف و الرقيم هناك. وهذا ليس بصحيح. قال الهَرَوىّ: وقد زرنا الكهف والرقيم في بلاد الروم عند مدينة يقال لها أبْسُس[1]، خَرِبةً

(١) تعرف أيضا باسم أفسس. و بالفرنسية Ephèse.

بها آثار عجيبة، قريبةٌ من مدينة أَبْلُسْتَيْن(1) . وقيل إن مدينة دقيانوس هى طليطلة . والصحيح الذى ببلاد الروم. وسيأتى ذلك فى موضعه.

§ قبر جعفر الطيّار. بقرية مُؤْتَة، من أعمال كَرَك الشَّوْبَك.

§ وبها أيضا قبر زيد بن حارثة. وقبر عبد الله بن رَوَاحة، والحارث بن النعمان . وعبد الله بن سهل . وسعد بن عامر القيسىّ وأبى دُجَانَة الأنصارىّ : اِستُشهدوا (رضى الله عنهم) فى غزوة مُؤْتَة، وهى غزوة مشهورة. ٥

§ قبر سليمان بن داود . شرقىّ بُحَيرة طَبَريّة . قال شهاب الدين ابن الواسطىّ فى تصنيفه : والصحيح أن سليمان دُفن إلى جانب أبيه، فى بيت لحم. وهما فى المغارة التى بها مولد عيسى، عليهم السلام.

§ قال : ومن شرقيّها أيضا قبر لُقْمان الحكيم وابنه، على ما قيل. ١٠

§ قبر أُمّ موسى بن عمران . بقرية يقال لها إِرْبِل من أعمال طبريّة، عن يمين الطريق. وبها أربعة من أولاد يعقوبَ. وهم: دان وأبساخور وزَبولون وكاذ.

§ قصر يعقوب، عليه السلام، وبيت الأحزان، وجُبّ يوسف، عليه السلام. فى الطريق إلى بانياس. وهذا هو المشهور. قال ابن الواسطىّ : والصحيح أن جُبّ يوسف فى طريق القُدْس، عند بلد يقال له سِنْجيل . وقال فى موضع آخر : سَيْلُون قرية كان يعقوب (عليه السلام) ساكنا بها . وإن يوسف (عليه السلام) خرج منها مع إخوته . والجُبّ الذى رُمى فيه بين سِنْجيل ونابُلُس، عن يمين الطريق. ١٥

(١٦٢)

(1) فى الأصل بعد هذا الكلام تكرار ونصّه : ويقال ان مدينة دقيانوس .

§ قبر شُعيب، عليه السلام. بقرية يقال لها حِطِّين و يقال حِطِّيم. وقبر زوجته علىٰ الجبل، علىٰ ماقيل.

§ قبر يهوذا بن يعقوب. بقرية رُومَة من أعمال طبرية.

§ قبر صَفُورَاء، بنت شُعيب، زوجة موسىٰ بن عمران. بقرية كفر مَنْدَه. قيل

٥ إنها مَدْيَن، علىٰ ما زُعِم. قال ٱبن الواسطىّ: والصحيح أن مَدْيَن شرقىّ طُورسينا.

§ وبهذه القرية الجُبُّ الذى قلع موسىٰ الصخرة من عليه، وسقىٰ منها أغنام شُعيب. قال: والصخرة باقية هناك. وبها ٱثنان من أولاد يعقوب، وهما: أشير ونفتالى.

§ وعند هذه الأماكن جبل يقال له الطور. قيل إن موسىٰ، من هذا الجبل رأى النار، ومن هذا الموضع أرسله الله.

١٠ § قبر راحيل أم يوسف. عن يمين الطريق السالك من القدس إلىٰ الخليل.

§ قبر لوط. بقرية كفر تريك، شرقىّ بلد الخليل.

§ مقام لوط. بقرية تامين. وبها كان يسكن، بعد رحيله من زُغَر. والموضع الذى خُسف بقومه هو اليومَ البحيرة المنتنة. وقيل إن الحجر الذى ضربه موسىٰ فٱنفجرت منه ٱثنتا عشرة عينا، بزُغَر.

١٥ § قبر عبادة بن الصامت. بالرملة.

§ مشهد الحسين. بعسقلان. كان رأسه بها. فلما أخذها الفرنج، نقل المسلمون الرأس إلىٰ القاهرة، ودُفن بها فى المشهد المعروف به، خلفَ القصرَيْن، علىٰ زعم من (١٦٣)

قال ذلك . والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق . لأنه إنما حمل إلى يزيد بن معاوية . وكانت دمشق دار ملكه وملك بنى أمية . ومن المحال ان يتجاوز الرأس المحمول إلى السلطان لغير حضرته . وله بدمشق مشهدٌ معروف، داخل باب الفراديس . وفى خارجه مكان الرأس، على ما ذكروا . وقد جاء فى أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظمَ الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن . والمدى بعيد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان .

§ وفى هذا المشهد دُفن رأس الكامل صاحب ميّافارقينَ . وفى ذلك قال ابن المهتار، الكاتب .

أين عازٍ غَزَا وجَاهَدَ قوما، * أثخنوا بالعراق والمشرقَيْنِ"
لم يَشِنْهُ أنْ طِيف بالرأس منه * فله أسوة برأس الحُسينِ .
وافق السِّبط فى الشهادة والدفـ * ـن وقد حاز أجره مرّتين .
لِمَ وَارَوْا فى مشهد الرأس ذاك الر * أس؟ فاستعجبوا من الحالتين!

§ قبر يحيى وزكريا . يقال إنهما بسَبَسْطِيَة(1) . وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد . قال : وكّلنى الوليد على العمال فى بناء جامع دمشق . فوجدنا فيه مغارة، فعرّفنا الوليد ذلك . فلما كان الليل وافى، وبين يديه الشموع . فنزل . فإذا هى كنيسة لطيفة : ثلاثة أذرع فى ثلاثة أذرع . وإذا فيها صُندوق . فاذا فيه سَفَط وفى السفط رأس يحيى بن زكريا، مكتوبا عليه . "هذا رأس يحيى بن زكريا" . فأمر به الوليد، فرُدّ إلى المكان . وقال : اجعلوا العمود الذى فوقه مُغيّرا من الأعمدة . فجُعل عليه عمود مُسفَّط الرأس .

(1) هذا ضبط ياقوت . والذى فى القاموس ضبطه بوزن أحمدية .

قال زيد بن واقد : رأيتُ رأْس يحيىٰ بن زكريا، وعليه البشرة، والشَّعْرُ علىٰ رأْسه لم يتغير. وقال القاسم بن عثمان الجُوعىّ : سمعتُ الوليد بن مسلم وسئل : أين بلغك رأْس يحيىٰ بن زكريا؟ قال : بلغنى أنه ثَمَّ. وأشار بيده نحو العمود المسقّط الرابع من الركن الشرقىّ . وقال هشام بن عمار : حدّثنا محمد بن شُعَيب، قال : دخلتُ
٥ مع شدّاد بن عبد الله من باب الدَّرَج . فقال لى : ترىٰ هاهنا كتابا بالرومه؟ قلت : نعم . فصلّىٰ ركعتين . وقال : هاهنا رأس يحيىٰ بن زكريًا . ورویٰ القاسم الجُوعىّ عن الوليد بن مسلم أنه سأل الأوزاعىّ : أين بلغك رأْسُ يحيىٰ بن زكريا؟ قال : فى العمود الرابع المُسَقَّط .

سعد بن عبادة . يقال إنه بقرية المَنِيحة، من غُوطة دمشق . ولا يصحّ .[1]
١٠ خالد بن الوليد . يقال إنه خارجَ حِمْص . ولا يصحّ . وإنما هو خالد بن يزيد ابن معاوية، بقولِ حَزْم . فإن عمر بن الخطاب كان قد عزل خالدا عن حمص وأشخصه إلىٰ المدينة . فمات بها، ووَجَدَ عليه عمرُ بعد موته .

ضِرَار بن الأَزْوَر . خارج باب شرقىّ . مع خلق من الصحابة، آستُشهِدوا فى فتح دمشق .
١٥ § وبمقابر باب الصغير خلقٌ من الصحابة أيضا، آستُشهِدوا فى فتح دمشق .
§ وكذلك مَن سكن دمشق منهم .
§ وكذلك سائر بلاد الشام، وبمصر، والعراق، والعجم، والمغرب .
§ وبجزيرة العرب منهم رجال، وبمكة والمدينة مشاهيرُ وأعلام .[2]

(١) بياض بالأصل مقداره سطران .
٢٠ (٢) بياض بالأصل مقداره خمسة سطور .

البيوت المعظمة عند الأمم

وأما غير ذلك مما هو لطوائف الأمم:

عادة الكواكب وهياكلها

فأول ذلك ما كانت عُبّاد الكواكب تعظمه،

وهي سبعة بيوت في الأرض، يرون أن كلا منها هيكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة: لاعتقادها أن الكواكب أجسامٌ حيّةٌ ناطقةٌ، تجرى بأمر الله فى كل ما يحدث فى العالم. فقربوا إليها القرابين، لتنفعهم. فلما رأوها تخفىٰ فى النهار و بعض أحايين الليل، عملوا لها تماثيل، وبنَوْا لها البيوت والهياكل: ظنًّا أنهم إذا عظموا تلك التماثيل الموضوعة لها، تحركت الأجسامُ العُلوية بمرادهم.

(١٦٥)

وقد قال الله تعالىٰ، حكايةً عن قولهم: "ما نعبُدُهم إلَّا لِيُقَرِّبونَا إلَى اللهِ زُلْفىٰ".

البيوت المحجوجة

والأبيات السبعة التى كان إليها حجُّهم:

§ أولها البيتُ الحرام، كان يأتيه منهم من يتقرّب بزُحَل.

قلتُ: وإن صح قولهم من قصد هؤلاء البيتَ الحرام بالتعظيم، فلا عجيبٌ. وإنه مازال معظما فى الإسلام وقبل الإسلام، تحجُّ إليه طوائف الأمم فى كلِّ الأوقات. زاده الله إبقاء وأدامه، ووصل شرفه بيوم القيامه!

§ وثانيها بيتُ فارس، علىٰ رأس جبل أصفَهان. وبينهما ثلاثة فراسخ. كان يأتيه منهم مَن يتقرّب بالمشترِى. ثم جعله يستاشف ـ لمّا تمجّس ـ بيتَ نارٍ، فعظمه المجوس.

§ وثالثها بيت مندرسان، ببلاد الهند، كان يأتيه منهم من يتقرّب بالمرّيخ. وقد

ذكره أبو عبيد البكرىّ وقال: إن به من القُوىٰ الدافعة والجاذبة والمنفردة، أوصافا لايسع ذكرها. ثم قال: وهو بيت مشهور من أراد البحث عنه، فليبحث.

§ ورابعها بيت كاوسان. بناه كاوس الملك، بمدينة فَرْغانة. كان يأتيه منهم من يتقرب إلىٰ الشمس. قال أبو عبيد البكرىّ: وهدمه المعتصم. ولهدمه خبر ظريف ٥ ذكر فى كتاب الزمان.

§ وخامسها بيت غُمْدانَ. بناه الضحاك بمدينة صنعاء. كان يأتيه منهم مَن يتقرب بالزُّهَرَة. وخرّبه عثمان بن عفان، رضى الله عنه. والآن مكانه بركة.(١) وآثاره كالجبل الضخم. وكان الوزير عيسىٰ بن الجراح، لما نفى إلىٰ اليمن احتفر به قبرا وبنىٰ عليه سقاية. قال البكرىّ: وزعم أهل اليمن أنه سيُبنىٰ علىٰ يدِ غلام يخرج من بلاد سبإ، ١٠ يؤثّر فى هذا العالم تأثيرا عجيبا.

(١٦٦)

§ وسادسها بيت بأعلىٰ بلاد الصين. بناه ولد عامور بن سويل بن يافث بن نوح. يأتيه منهم [من] يتقرب لعُطارد خاصةً، ولسائر الكواكب السبعة السيارة عامةً. وهو سبعة أبيات، فى كل بيت سبع كُوًى، يقابل كلَّ كوة صورةٌ علىٰ صورة كوكب من الخمسة والعشرين.(٢) ولهم فيه أسرارٌ بزعمهم.

١٥ § وسابعها بيت النُّوبَهار. بناه منوشهر الهندىّ بمدينة بلخ. وكان يأتيه من الصابئة من يتقرّب بالقمر. وكان يسمّى المتولّى لسدانته "برمكٌ". وكانت ملوك الفرس تعظمه وتعظم متوليه. وآلت ولايته إلىٰ أبى خالد البرمكىّ، فلهذا قيل "خالد بن برمك" ولهذا قيل "البرامكة". وكان من أعلىٰ المبانى تشييدًا. وكان يُلَبَّس بالحرير الأخضر، تُنشر عليه

(١) فى الأصل: مكان

٢٠ (٢) هكذا فى الأصل. والحسبان لايتجه.

شِقاقٌ منه . طول كل شُقَّة مائة ذراع . فيقـال إن الريح حملت بعض تلك الشّقاق فرمت به علىٰ مسيرة خمسين فرسخا . وهذا يدل علىٰ عُلُوِّه الزائد . وكان قد كتب علىٰ باب النوبهار بالفارسـية : "قال سوراشف الملك : أبواب الملوك تحتاج إلىٰ ثلاث خصال : عقل ، وصبر ، ومال".

٥ ثم لمـا ملك الإسـلام مدينة بلخ ، كُتب تحت هذه الكتابة بالعربية : "كذب سوراشف . الواجب علىٰ الحر إذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان".

هيـا كل الأقدمين

هياكل الأقدمين

وأما بيوت اليونان[(1)] فهى ثلاثة هيا كل ، وهى مشهورة فى العالم :

١٠ أولها ـ بيت بانطا كيّة ، داخل مدينتها ، علىٰ يَسْرة المسجد الجامع . وخربه المسلمون . ولما أتىٰ ثابت بن قُرّة بن زكريا الحَرّانِيّ مع المعتضد فى سنة تسع وثمانين ومائتين ، أتىٰ هذا الهيكل وعظّمه .

وثانيها ـ هو الهرم الذى علىٰ بُعْد من الفُسطاط .

(١٦٧) وثالثها ـ بيت المقدس . كان قد شُرِع فى بنائه . ثم شَرع داود (عليه السلام)

١٥ فى تكميل بنائه مسجدا . ثم تمّ على يد ابنه سليمان ، عليهما السلام .

قال البكرى : فأما الصنم الذى ذكره الله عز وجل فى الإنجيـل ، فكانت اليونانية اختارت له جبل لُبْنان . فاتخذوا له هناك هيكلا فيه نقوش عجيبة ، فى الحجر . لا يتأتّى مثلها فى الخشب[(2)] .

---

(١) فى هـذه التسـمية نظر . ولعل المؤلف أراد "الأوّلين" . وإلّا فالهرم للصريين الاقدمين ، و بيت

٢٠ المقدس لبنى إسرائيل .

(٢) لعل الإشارة الى هيكل بعلبك ، فان هذا الوصف ينطبق عليه .

هياكل الصقالبة

بيوت الصقالبة

وأما بيوت الصَّقلب فهى بيوت ثلاثة، وفيها مخاريق مصنوعة يسمع لها أصوات آسترقّت عقولهم:

فأوّلها ـ بيت فيه آثار مرسومة تدلّ على الكائنات. قال البكرىّ: وهذا البيت على الجبل الذى كان للفلاسفة أنه أحد جبال العالَم[1]. (قلتُ: لعله يكون على الجبل المستدير وهو المسمّى فى الشمال بجبال قاقونا).

وثانيها ـ على الجبل الأسود. تحيط به مياه عجيبة، ذوات طعوم مختلفة. وفيه صنم كبير، على صورة رجل شيخ، بيده عصًا يحرّك بها عظام الموتى. وتحت رجله اليسرى عرابيتُ سودٌ من صور الغُدَاف وعبرها.

وثالثها ـ يحيط به خليج من البحر، فى وسطه قبه عظيمة، بها صنم على صورة جارية.

هياكل الصابئة

هياكل الصابئة

وأما ما كان للصابئة. فكان لهم هياكلُ تسمّى بأسماء، وهى:

هيكل العلة الأولى، وهيكل العقل، وهيكل الصورة، وهيكل النفس. مستديراتُ الأشكال.

وهياكل الكواكب والنيرين على أشكال مختلفة من التسديس والتثليث والتربيع. وكانت لهم فيها دُخَنٌ وقرابينُ يطول وصفها.

(١) الذى فى مروج الذهب: "الذى ذكرت الفلاسفة أنه أحد جبال العالم العالية".

قال البكرىّ : والذى بقى من هيا كلهم، بيتٌ بحرّان، فى باب الرّقة . يعرف بمعلنيشا . وهو هيكل آزر، أبى إبراهيم، عليه الصلاة والسلام . ولهم فى آزر وأبيه كلام كثير .

(١٦٨)

قال البكرىّ : ولهم فى هيا كلهم مخاريق قد وصلت : تقف السَّدَنَة من وراء الجُدُر وتتكلم بأنواع الكلام ، فتجرى الأصوات فى تلك المنافخ والمخاريق إلىٰ تلك الصور المجوّفة فيظهرها نطقٌ علىٰ حسب مادُبِّر علىٰ هيئة هندسية . ثم قال : والصابئةُ حشويّةُ اليونان . وإنما يضافون إلىٰ الفلسفة، إضافة نَسَب لا إضافة كلمةٍ . لأنهم يونانيون، وليس كلّ يونانىّ بحكيم . قال أبو عبيد البكرىّ : وعلىٰ باب حَرّان كتابة بالسريانية نسبة قول فى النفس نسبة قول أفلاطون : الإنسان نبات سماوىّ . قال : والصابئة تقرّب فى بعض الأوقات ثورا أسود . تُشدّ عيناه ويُضرب وجهه بالملح، ثم يُذبح ويُنظر فى أعضائه . وما يَظهر منه فى الجراحات والاختلاج، فيُستدلّ به علىٰ أحوال السنة . ولهم فى قرابينهم أسرار ومخبّآت .

هيكل الصين

§ وهيكل فى أقاصى الصين . وهو بيت مدوّر له ستور وأبواب . فى داخله قبة مسبَّعة عظيمة البنيان . وبه بئر مسبَّعة الرأس، متى أكبّ إنسان علىٰ رأسها تهوّر علىٰ رأسه فيها . وعلىٰ رأس البئر، شبهُ الطوق مكتوب عليه بقلم قديم، قلم السندهند : "هذه البئر تؤدّى إلىٰ مخزن الكتب الأولىٰ وتاريخ الدنيا وعلوم السماء لما كان ويكون، وتؤدّى إلىٰ خزائن رغائب هذا العالَم . لا يصل إلىٰ الدخول إليها والاقتباس مما فيها إلا من وازت قدرته قدرتنا وعلمه علمنا".

قلتُ : هذا ماذكره البكرىّ ذكرته كما ذكره، والعهدة عليه فيما نقله .

بيوت النيران



بيوت النيران

وأما بيوت النيران، فأوّل من ذكرها أفريدون . قال : لأنه زعم أنها من جنس الكواكب النورية . وبالنور صلاح العالم . لأنها عندهم أصل كل حيّ ومبدأ كل تمام . لأنها تجذب الحيوان إليها كالفَرَاش الطائر بالليل ، وما يصاد بالليل بالسُّرُج من الوحش والطير والسمك كما يصاد في البَصرة بإيقاد السرج في الزواريق ، فيطلع السمك من الماء حتّى يقع في الزواريق . ويبطِل أقوال المجوس في اجتذاب النار للحيوان أن الحيوان ينام الليل لاحتباسه عن الإسفار ، فإذا رأى النّار ظنّه فرجة إلى النهار ، فقصده .

وليس هذا موضع ذكر شبهتهم والأجوبة عنها . وإنما ذكرنا هنا ماهو لائق به .

وبيوتهم المشهورة خمسة :

فأولها ، بيتٌ بطُوس ، }
وثانيها ، بيتٌ ببخارى ، } بناهما أفريدون .

وثالثها ، بيتٌ دارابجرد في أرض فارس .

(كان زرادشت نبيّ الفرس ، على ما زعموا ، قد أمر يستاشف الملك أن يطلب نارا كان يعظمها جمٌّ الملك ، فوجدت بخوارزم . فنقلها يستاشف إلى دارابجرد . قال البكريّ : والمجوس تعظم هذه النار ، وهي أكرم نيرانهم .)

ورابعها ، بيتٌ بإصطخر ، من فارس . ويقال إنه كان مسجد سليمان ، عليه السلام .

وقال المسعودىّ : وقد دخلتُه ، وهو على نحو فرسخ من مدينة إصطخر. فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلا عظيما ، وفى أعلاه صُوَرٌ من الصخر محكمة ، عظيمة المقادير : من الخيل وسائر الحيوان . يحيط بذلك كله سور من الحجر ، فيه صور الأشخاص ، قد شُكِّلت وأُتقنت . ويزعم مَن جاور هذا الموضع أنها صور الأنبياء ، عليهم السلام . وفى جوف هذا الهيكل الريح غير خارجة منه فى ليل ولا نهار : لها هبوبٌ وحفيفٌ . يذكر مَن هناك ٥ من المسلمين أن سليمان حبس الريح فيه ، وأنه كان يتغدّى ببعلبكّ ، من أرض الشام ، (١٧٠) ويَقيل بمدينة تَدْمُر ، فى الملعب المتّخذ فيها (وهى فى البرّيّة بين العراق ودمشق من أرض الشام . وبين تدمر والشام ستة أيام) ثم يتعشّى بهذا المسجد .

وبتدمر خلق من العرب من قحطان .

وخامسها[1] ، بمدينة جُور التى يضاف اليها الماورد . بيت نار بناه أردشير له يوم عيد . ١٠ وهو على عين هناك ، عجيبة . وإليه متنزّهاتهم . وفى وسط جُور بنيانٌ كانت تعظّمه الفُرْس ، يعرف بالطربال . خرّبه المسلمون .

وإنما فُضِّل ماء وردهم ، لصحة التربة وصفاء الهواء .

وألوان سكانها فى غاية الحسن ، من اعتدال الحمرة والبياض .

وبين جور وشيراز (وهى قصبة فارس) عشرون فرسخا . ١٥

فسبحان الذى منّ علينا بالإسلام ، وهدانا إليه وعلّمنا مالم نكن نعلم ، وفضّلنا على كثير من خلقه ، تفضيلا !

---

(١) فى الأصل : ورابعها .

الآثار المشـــــهورة

الآثار المشهوره

ومما نُتبع به هذه الهيا كل من الآثار المشهورة فى الأرض مما بقى، لقى جسمُه أو رسمه، مايُذكر:

§ من ذلك صنم الخطا المحجوج فى نهاية الشرق المتشامل . وهو قريب من ٥ السند.

§ ومن ذلك قصر الدهاك . مابين مدينة طَغُورا وبين مدينة باش بالق، شرقىّ طغورا وغربىّ باش بالق .

§ ومن ذلك حائط القلاص . ويعرف بالحائط المحيط، ويعرف بحائط عبد الله ابنِ حُمَيْد جنوبىّ بلاد الغربة وأسبيجاب .

١٠ § ومن ذلك مدينة إصطخر. وهى مدينة عجيبة البناء، من بناء سليمان، عليه السلام

قصر سنداد

§ ومن ذلك قصر سِنْداد . وهو بالعراق، قريب النيل، أرض الأزير، على نهر سنداد . وكان مسكن آل مُحرِّق (١) . وفيه قال الأسود بن يَعفُر.

(١٧١)

ماذا أُؤمِّل بعد آل مُحرِّق، * تركوا منازلهم، وبعد إيادِ؟

أهل الخَوَرْنَق والسَّدير ومأرِبٍ * والقصر ذى الشُّرُفات من سِنْداد.

١٥ دارٌ تخيَّرها لطيب مَقيلها * كعبُ بنُ مامة وآبن أُمِّ دُؤَادِ.

نزلوا بأنقِرةٍ يسيل عليهم * ماءُ الفُرات، يجىء من أطوادِ.

جرت الرياح على محلِّ ديارهم * فكأنما كانوا على ميعادِ!

§ ومن ذلك قصور الحِيرة ، بين العراق والشام.

---

(١) هو بالحاء المهملة كما فى لسان العرب فى مادة (ح ر ق) وقد أعجم فى الأصل تصحيفا من الناسخ .

الخورنق والسدير

§ ومن ذلك الخَوَرْنَق والسَّدير . وهما من أشهر الآثار. بناهما شخص آسمه سِنِمَّار للنُّعمان بن قيس، وكمّله فى عشرين سنة . فلما وقف عليه النعمان، آستجاده وأثنىٰ علىٰ سِنِمَّار. فقال له سِنِمَّار: لو شئتُ أن أجعله يدور مع الشمس، لفعلتُ. فأمر به أن يُطرح من أعلىٰ شُرُفاته . فضُرِب به المَثَل، فقيل: "جزاه جزاء سنمار". وفى ذلك يقول الشاعر:(1)

٥

جزتْنِى بنُو قيس، وما كنت مذنبًا، * جزاء سِنِمَّارٍ وما كان ذا ذنبِ!
بنىٰ القصر للنعمان عشرين حِجَّـةً * يعلّ عليـه بالقراميـد والخُشْبِ .
فلما آستوىٰ البنيان وآشتدّ رصـفُه * وآض كمثل الطود والشامخ الصعْبِ،(2)
رمىٰ بسِـنِمَّار علىٰ أمِّ رأسـِه، * وذاك لعمرُ الله من أعظم الخَطْبِ!

ثم ترهب هذا النعمان فى الجاهليـة، وآنخلع من ملكه، ولبس المُسُوح . وفيه قال عَدِىُّ بن زيد: ١٠

وتذكَّرْ ربُّ الخورنق إذ فكّـ * ـر يوما . وللهـدىٰ تفكيرُ!
راقـه مالُه وكـثرةُ ماىمـ * ـلك، والنهر معرضا والسديرُ.
فآرعوىٰ قلبُه وقال : وما غبـ * ـطة حىّ إلىٰ الممات يصيرُ؟

(١٧٢)

§ ومن ذلك قصر سَنَّاَفاد . ١٥

الرصيف

§ ومن ذلك الرصيف الممتدّ بين صَرْخَد والعراق، ممتدّا فى البرية . يقال إنه من عمل سليمان بن داود، عليهما السلام . وهو يتصل فى مواضع وينقطع فى أخرىٰ . يتوصل السالك معه من الشام إلىٰ العراق، ومن العراق إلىٰ الشام فى أقرب مدّة .

---

(١) أورد ياقوت هذه الأبيات بآختلاف يسير فى الألفاظ (فى معجم البلدان ج ٢ ص ٤٩١).

(٢) فى الأصل "الشادخ" . [وقد صححتُ بمعاونة ياقوت]. ٢٠

§ ومن ذلك مدينة تَدْمُر بين العراق وبين الشام، وما فيها من عجائب البناء وكبار العمد.

تدمر

§ ومن ذلك ملعب بعلبك. والباقي منه عمدٌ بقلعتها الآن، وما في سورها من الأحجار العظام والصخور الراسية كالجبال. يقال إنه من بناء سليمان بن داود، عليهما السلام.

ملعب بعلبك

٥ § ومن ذلك مدينة شُهْبَة من بلاد حوران. بها من الأبنيــة الباقية والعمد العالية والآثار الدالّة ما هو من جلائل الآثار.

آثار حوران

صَفَد

§ ومن ذلك مدينة جُرَش من بلاد حوران. يحكي الهول عن غرائب آثارها. وقد أصحت خاوية علىٰ عروشها، خالية من أهلها وسُكّانها، لا يُحَسّ بها حسيس، ولا يوجد بها أنيس.

١٠ § ومن ذلك جُبُّ يوسف، وهو قرب قرية آسمها شورىٰ.

§ ويدانيها جسر يعقوب، وهو معروف مشهور.

كلّ ذلك ببلاد صَفَد.

§ ومن ذلك منازل ثَمود(١) بين الحجاز والشام، وبيوتهم المنحوتة في الجبال باقية إلىٰ الآن، وهي المعنيّة بقوله تعالى: "وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ". وبها البئران: بئر الناقة وبئر ثمود، المقسوم بينهما الشِّرب. ولما مرّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأرض ثمود في غزوة تَبُوكَ، وجد بعض مَن سبق من أصحابه قد ملأ من بئر الحِجْر. فأمر بأن يُراق الماء. فقالوا: يا رسول الله قد عجنّا منه العجين. فأمر بأن يُطعموه الإبل، وأن يشربوا من بئر الناقة. وهما معروفان هناك.

منازل ثمود

١٥

(١٧٣)

وهذه فائدة أردنا التنبيه عليها.

٢٠ (١) في الاصل عاد وصححها بالهامش "ثمود" ولكنه لم يلتفت الىٰ البقية فصححناها نحن كما ترىٰ والآية والحديث معروفان من قصة ثمود.

جبّ دانيال

§ ومن ذلك جُبُّ بابِلَ، وهو الذى حُبِس به دانيال. ألقاه فيه بُخت نَصَّر، وألقىٰ معه أسدين حتّى أتاه، بأمر من الله، نبىٌّ من أنبياء بنى إسرائيل. فقال: ياصاحبَ الجُبّ! فأجابه دانيالُ: قد أسمعتَ! ماتريد؟ قال: أنارسولالله إليك، لأستخرجك من موضعك. فقال دانيال: الحمد لله الذى لا يَنسىٰ مَن ذكره! والحمد لله الذى لا يَكِلُ من توكّل عليه إلىٰ غيره! والحمدلله الذى يجزى بالإحسان إحسانا! والحمد لله الذى يجزى بالإساءة غفرانا! والحمد لله الذى يكشف ضرنا عن كربنا، وآستخرجه وإن الأسدين لعن يمينه وشماله يمشيان معه حتّى عزم عليهما دانيال أن يرجعا.

وعن آبن عباس، قال: من قال عند كلّ سبُع: "اللّهُمَّ! ربَّ دانيالَ وربَّ الجبِّ وربَّ كل اسدٍ مستأسِدٍ! اِحفظنى وآحتفظ علىّ!" لم يصره السبُع.

الأُخدود

§ الأُخدود. المحتفر لأصحاب الأُخدود المذكورين فى القرآن الكريم. وهو بنَجرانَ من اليمن.

بئر المعطلة والقصر المشيد

§ ومن ذلك البئر المُعَطَّلة والقصر المَشِيد. وهما قريب الفج الخالى[1] بمشاريق اليمن.

سد مأرب

§ ومن ذلك سدّ مأْرب. وهو ببلاد سبإ من اليمن.

قصر القشيب

§ وبه قصر القَشِيب. كان لبِلْقيس.

قصر غمدان

§ ومن ذلك قصر غُمْدان. بصنعاء اليمن. وهو من أشهر الآثار وأظهر المعالم. كان مسكن التبابعة من حِمْيَر، ومنهم شَمِر بن مالك وأسعد أبو كَرِب. وكفىٰ بذكرهما. طاولا الأرض وبلغا الآفاق. وقصر غُمدان هذا هو المذكور فى الأشعار، والمشهور فى الأخبار. وفيه يقول آبن أبى الصَّلْت:

(١) هو الذى سمّى الآن بالربع الخالى، فى الجنوب الشرقىّ من بلاد العرب.

اِشربْ هنيئًا عليك التاج مغتبِقًا * في قصر غُمْدان دارا منك مِحْلالا!
تلك المكارم لا قَعْبانِ من لَبَنٍ * شِـيبَا بمـاءٍ، فعادا بعدُ أبوالا!

بئر برهوت § ومن ذلك بئر بَرَهُوت، ببلاد حَضْرَمَوْت من بلاد اليمن. وهو الذي لم يُعرف عمقه، ولا عُلم أن إنسانا نزله.

٥ قصر ريدان § ومن ذلك قصر رَيدان، المشهور بمدينة ظَفَارِ باليمن. وكانت تسمّى قديما مدينة يَحْصِب.

قصر الشاذياخ § ومن ذلك قصر الشّـاذِيَاخ. وهو ببـاب نيسابور، من خُراسان. كان دار السلطنة لبعض ملوكها. ولم نؤخر ذكره إلا لأنه شُبِّه ببناء غُمدان. فكان كأن لذكره به تعلقـا:

١٠ اِشرب هنيئًا عليك التاج مرتَفِقًا * بالشّـاذِياخِ، ودع غُمـدان لليَمَنِ![(1)]
فأنت أولى بتـاج الملك تلبَسُـه * من هَوْذَة بن عليّ وآبن ذي يَزَنَ!

وعلى باب قصر الشاذياخ، صُلب عليُّ بن الجَهْم. فقال حين صُلب، آرتجالا:

لم ينصِبوا بالشاذِياخ عشيّة الإِثنين مسبوقا ولا مجهولا!
نَصَبوا بحمد الله ملءَ قلوبهم * شرفا، وملءَ صدورهم تبجيلا!
١٥ ما عابه أن بُزَّ عنه ثيـابه[(2)] * فالسيف أهول ما يُرىٰ مسلولا!

---

(1) في الأصل: باليمن. [وقد صححت بمعونة ياقوت، لأنه أورد هذين البيتين في معجم البلدان، ح ٣ ص ٢٢٩].

(2) هذه الحكاية والأبيات المتعلقة بها ليست في ياقوت. وإنما أوردها صاحب الأغاني بتفصيل أوفى (ح ٩ ص ١٠٧) مع إيراد القصيدة كاملها وهي ١٢ بيتا. [وقد صححت بعض الكلمات بمعونته].

دار الأنماط بالفسطاط

§ ومن ذلك دار الأنمــاط . وكانت بفسطاط مصر، يباع بها قماش النساء، وفاخر اللباس والأمتعة. وتجلب إليها من كل أرض. وكان يجلس على حوانيتها أهل الفراغ واللهو. وكانت من عجائب المبانى، وغرائب الآثار .

وحكى ابن ظافر[1] أن ابن قلاقس جلس بمصر فيها مع جماعة ، فمرّت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك. وهى شمس تحت سماء النّقاب[2]، وغصن فى أوراق الشباب[3]. فحدّقوا إليهـا تحديق الرقيب إلى الحبيب، والمريض إلى الطبيب . فجعلت تتلفّت تلفُّت الظبي المذعور، أفرقه القانص فهرب، وتثنّى تثنّيَ الغصن الممطور، عانقه النسيم فاضطرب. فسألوه العمل فى وصفها . فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن القطّان الأزدىّ القيروانىّ[4] :

"أعرضْن لـما أن عرَضْن فإن يكن * حذرا ، فأين تلفُّتُ الغِزْلانِ؟ "

ثم صـــنع.

لهـا ناظــرٌ فى درىٰ ناصر * كما ركِّب السِّنُّ فوق القناةِ.

---

(١) فى كتاب بدائع البدائه، ص ١٧٤ وفى ديوانه المخطوط بمرة ٥٤٩ أدب بدار الكتب الخديوية، وفى نسخته التى عنى باظهارها مع التدقيق فى التصحيح الشاعر العصرىّ الشهير خليل افندى المطران . سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥)

[وقد جمعت بين الروايات ، إلا ما كان فيه اختلاف وتغيير فقد نبهت عليه فى الحواشى التالية . الثلاثة دون الحكاية التى تضمنت واقعة الحال .]

(٢) فى كتاب بدائع البداثة : سحاب .

(٣) فى ابن فضل الله . فى غصن أوراق

(٤) « « « قول القطان الازدى .

لَوَتْ(١) حين وَلَّت(٢) لنا جِيدَها * فأىُّ حياةٍ بدَتْ من وفاةِ؟
كما ذُعِـر الظبىُ من قانِصٍ * فَرّ(٣) وكـرّر فى الالتفاتِ!

ثم صـنع(٤).

ولطيفـةِ الألفـاظِ لٰكنْ قلبها * لم أشـكُ منه لوعةً، إلّا عَتَـا.
كملتْ محاسنُها فودَّ البدرُ أنْ * يَحْظَىٰ ببعض صفاتها أو يُنْعتا.
قدقلتُ لما أعرضَتْ وتعرّضتْ: * يامؤيسا، يامطمعا، قُلْ لِى متىٰ؟
قالت: أنا الظبىُ الغرير(٥) وإنما * ولّى وأوجس خِيفــةً(٦) فتلفّتا.

الأهرام

§ومن ذلك الأهرام بمصر. وأجلُّها الهرمان بجيزة مصر. وقد أكثر النـاس القول فى سبب ما بُنِيا له. فقيل: "هيا كلُ للكواكب". وقيل: "قبور ومستودع مالٍ وكتب" (١٧٤) وقيل: "ملجأ من الطوفان". وهو أبعد ماقيل فيها. لأنها ليست شبيهة بالمساكن.

فتح المأمون للهرم الكبير، وتدقيق المؤلف فى ذلك.

وأقربها إلىٰ الصحة ـ والله أعلم ـ أنها إما هيا كل كواكبَ، وإما مواضع قبور. ولقد فُتِح أكبرها فى زمان المأمون، حين قدم مصر. فلم يظهر منه مايدلُّ علىٰ ما وُضِع له. وعلىٰ ألسـنة الناس أنه وجد ذهبا فوزنه، وحسَب مقـدار ما أنفقه، فوجدهما سواء بسواء، لا يزيد أحدهمـا علىٰ الآخر بشئ، لعلمهم(٧) السابق أنه سيُنفق عليه مثل هذا

(١) فى ابن فضل الله : أرتْ.
(٢) « « « . حياة بذا أو وفاة.
(٣) فى ديوانه المخطوط والمطبوع : هرّ.
(٤) هذه الأبيات لم ترد فى الديوان المخطوط ولا المطبوع.
(٥) فى البدائع : الفريد.
(٦) « : نبوة.
(٧) فى الأصل : لعلمهما.

المقدار . فوُضع هذا المقدار بإزاء ماينفق عليه . ووجدتُ هذا فى كثير من الكتب .
وراجعتُ التواريخ الصحيحة والكتب المسكونَ إليها ، فلم أجد المأمون وجد به شيئا
ولا آستفاد زائدًا عمّا يعلم الناس به علما .

وأدلُّ الأدلة على أن أحدها هيكلُ بعض الكواكب ، أن[1] الصابئة كانت تأتى حقيقة
٥ تَحُجُّ الواحد وتزور الآخر ، ولا تبلغ به مبلغ الأوّل فى التعظيم . والله أعلم بحقيقة أمورها
وجليّة أحوالها .

وصف المؤلف للأهرام وزيارته لها

وهى أشكال لهيَّة . كأنّ كلّ هرم لهبة سراج . آخذة فى أسافلها على التربيع مسلوبة
فى عمود الهواء . آخذة فى الجوّ حتّى إلى التثليث . ولولا آستدارة سهل أُبلوج السُّكّر[2]
لشبهناها به . ويحتمل أن يكون هـذا الشكل موضوعا لبعض الكواكب لمناسبة
١٠ آقتضته .

ولقد أصْعَدْتُ غير مرّة ، مارّا على الأهرام بجميع بلاد الجيزة ، ورأيت منها ما دَثَر
بعضه ، وما دثر كله . فإذا هى مصفحة البناء ، شيئا على شئ ، لافُسحةَ فى أوساطها ، كما
تكون ساحات الدور بين الجُدْران . وإنما هى بناء ملتصق على بناء . بعضها فوق بعض .

ووجدتُ بعض الأهرام مبنيّة بالطوب . وهذا أكبر دليل على أنها لم تُتَّخذ ملجأ
١٥ من الطوفان . (١٧٥)

فأما مقدار الهرمين المشار إليهما ، فى آرتفاعهما ومساحة أقطارهما ، فإنه مذكور
فى الكتب ذكرا مستوعبا لم أحققه بالقياس . وأبىٰ لى تحقيق فى هذا الكتاب أن
أذكره بمجرّد التقليد ، مع إمكان التحقيق ، مع كثرة تردّدى عليها ، وسكّنى بالقاهرة
فى جوارها . ولعذرٍ مانعٍ فى وقت هذا التأليف ، قعدتُ عن معاودتها بالنظر والتحقيق .

٢٠

(١) فى الأصل : وأن .
(٢) فى الأصل : السكر ، فقع السكر .

علىٰ أن الهَدْم قد شرع فى قلع هذه الآثار، ونقل أحجارها إلىٰ الأبنية والمساكن. نبّه لها الدهرُ طرْفا غافيا، وقلبا غافلا، فأصبحت هاوية الأركان، نابعة السكان. فلقد صدق عليها المتنبّى قوله :

أين الذى الهَرَمان من بُنْيانه؟ * مَن قومه؟ مايومُه؟ ماالمصرعُ؟
٥ تتخلّف الآثار عن سُكّانها * حِينا، ويدركها الفناء فتتبع!

وإن فيها لعبرةً للمعتبر، وتذكرةً للمذكر، وآيةً لمن أناب، وتبصرةً فى الدنيا لمن يلد للفَناء ويعمّر للخراب.

وحكىٰ ٱبن ظافر،(1) قال : ذُكر لى أن جماعة من الشعراء فى أيام الأفضل خرجوا متنزهين إلىٰ الأهرام،(2) ليرَوْا عجائب مبانيها، ويتأملوا عرائب(3) ماسطّره الدهر من العِبَر
١٠ فيها، فٱقترح بعضُ مَن كان معهم العملَ فيها. فصنع أبو الصَّلْت أُمَيَّة بن عبد العزيز [الأندلسىّ] :

بعيشِك هل أبصرْتَ أحسن منظَرًا، * علىٰ مارأتْ عيناك، من هَرَمَىْ مصرِ؟
أَنَافَا بأعنان(4) السماء وأشرفا * علىٰ الجوّ، إشرافَ السِّماك علىٰ(5) النَّسرِ.
وقد وافيا نَشْزًا من الأرض عالياً * كأنهما نَهْدانِ قاما علىٰ صدرِ.

١٥ (١) بدائع البدائه (ص ١٣٦)، ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٢٤).
(٢) ٱبن فضل الله : فى.
(٣) هذه الكلمة ليست فى البدائع ولا فى نفح الطيب.
(٤) البدائع : بأكناف.
(٥) ٱبن فضل الله : أو.

أبو الهول ووصفه

§ ومن ذلك أبو الهول . وهو اسمٌ لصنمٍ يقارب الهرم الكبير، فى وَهْـدة منخفضة تقع دونه شرقا بغرب، لايبين من فوقِ سطح الأرض إلا رأسُ ذلك الصنم وعنقه، أشبه شئ برأس راهب حبشىّ، عليه غفّارية . علىٰ وجهه صباغ أحمر إلىٰ حُوَّة، لم يَحُلْ علىٰ طول الأزمان، وقديمِ الآباد . وهو كبير، لو كان شاخصا كله، لما قصَّر عن عشرين ذراعا طولُه . فى غاية مناسبة التخطيط .

٥

يقال إنه طَلّسم[1] يمع الرمل عن المزدَرَع . و زاد تحسين هذا القول إليهم وتصويره لهم، أنه علىٰ نهاية الرمل إلىٰ جهة المزدَرَع .

وفى أبى الهول يقول [أبو منصور] ظافر الحداد[2] .

تأمل هيئة الهرمين وانظر، * و بينهما أبو الهَوْلِ العجيبُ!

كَعَمَّارِيتين[3] علىٰ رحيـل * لمحبوبين ، بينهما رقيبُ .

١٠

وفَيْضُ البحر عندهما دموعٌ * وصوتُ الريح بينهما نحيبُ .

وظاهِرُ سجنِ يوسفَ مثلُ صَبٍّ * تخلّف، فهو محزونٌ كئيبُ .

سجن يوسف

§ وأما سجن يوسف، فشمالَ الأهرام، علىٰ بُعدٍ منه، فى ذيل خرجة من جبل فى طَرَف الحاجر .

(١) هكذا ضبطه فى الأصل . والمعروف أنه طِلَّسم .

١٥

(٢) فى بدائع البداهة (ص ١٣٦) ، وفى نفح الطيب (ج ٢ ص ٢٢٤)

(٣) فى ابن فضل الله وفى البدائع : كُعَّمار يتين . [وهو تصحيف . وقد ورد الصواب فى نفح الطيب، والكلام يقتضى التثنية لا الجمع . والعمّارية هنا هودجٌ . وهى كلمة مولدة ــ أُنظر تكلة المعجمات العربية للعلامة دوزى] .

(١٧٦) حائط العجوز

§ ومن ذلك حائط العجوز . وهو حائط يستدير بالديار المصرية، ممتدًا علىٰ جانب المزدرع بها، كأنه قد جُعل حاجزا بين الرمل والمزدرع . علىٰ أنه غير عالى الذُّرىٰ .

مشيتُ معه إلىٰ دَنْدرا، من الصعيد الأعلىٰ . ورأيتُه قد دَثَر غالبه، ومنقطِعه أكثر من متصله . وهو مبنيّ من طوب . ليس بعريض السَّمْك ولا عالى الجدار .

٥ ووقفت علىٰ الكتب المؤلفة فى أخبار مصر أنه من بناء آمرأة آسمها دلوك، وأنه يصل إلىٰ ما بين العريش ورَفَح، منتهىٰ الحدّ الفاصل بين مصر وبين الشأم . وليس له هناك أثر، بل ولا فى اسافل أرض مصر .

ويُذكر فى تلك الكتب ـ بسبب ساء العجوز له ـ خُرَافةٌ لسنا نرضىٰ ذكرها .

ولا يُعرف مَن بنىٰ هـذا الحائط حقيقـةً، ولا مابُنى له عن يقين . ولكنا قلنا علىٰ

١٠ الظن الغالب .

شامة وطامة (تمثالا ممنون أو مسيس الكبير)

§ ومن ذلك شامَة وطامَة . وهما صنمان من حجر، علىٰ قاعدتين، ببلاد الصعيد .

§ ومن ذلك البَرابِى . بالصعيد، فى أماكن منه .

برابى إخميم

§ وأشهرها برباة إخميم . من ورائها علىٰ شرقىّ النيل، حيث ينعطف الرمل ملتفًّا علىٰ الريف .

ماراه المؤلف فيها

١٥ رأيتُ بها مختلفاتٍ من صور الحيوان : من نوع الإنسان والدوابّ والوحش والطير . علىٰ صور مختلفة، وأشكال متباينة، مصبَّغة بأنواع الأصباغ، مرسومة فى الجُدُر والسقوف والأركان، من باطن البناء وظاهره، لم تنطمس رسومها، ولا حالت أصباغها : كأنّ يَدَ الصانع مافارقت صورها، وكفّ الصبّاغ ما مسح دهانها .

تحقيق الحكيم شمس الدين محمد النقاش شأنها

قال لى الحكيم المحقق شمس الدين محمد النقاش : إنه سافر قصْـدا إليها وأقام مدّة يردّد نظره فيها، ويجدّد نظره[1] فى أوضاعها . فرآها تشتمل علىٰ هيئة العُلْوِيّات المرصودة بأسرها، ممـا لا يُعمل كلّ موضوع منها إلا برصد محرَّر مما لا يسع زمانٌ واحدٌ بعضَه .

(١٧٧)

قال : فعلمتُ أنها ما عُملت فى زمانٍ واحد، بوضع حكيم واحد : لِقصَر مدد الأعمـار عن زمان يفى برصد تلك الهيئة الكاملة . قال : وإنما تكون ـ والعلم لله ـ ممـا توارث عَمَلَها علىٰ حُكم الأرصـاد المحررة عدّةُ حكماء فى أزمنـة طويلة، حتىٰ آسـتقلّ ذلك المجموع وتمّت تلك الهيئة .

٥

عمود الصوارى بالإسكندرية

§ ومن ذلك عمود الصَّوارى . بظاهر الإسكندرية . وهو عمود مرتفع فى الهواء تحته قاعدة، وفوقه قاعدة . يقال إنه لا نظير له من العمد فى علوه ولا فى آستدارته . ويُحكىٰ عنه حكاياتٌ منها ما هو مسطّر فى الصحف، ومنها ما هو مستفيضٌ علىٰ الألسنة، ممـا لا نرىٰ ذكره

١٠

..رة الإسكندرية والشعراء

§ ومن ذلك المنارة بها . وشهرتهـا كابية . ولم يبق منها إلا ما هو فى حكم الأطلال الدوارس، والرسوم الطوامس .

وقد كانت المنارة مسرح ناظر، ومطمح أمل حاضر، طالمـا جمعت أخدانا، وكانت لجياد الخواطر ميدانا .

١٥

حكىٰ آبن ظافر[2] أن آبن قلاقس والوجيه [أبا الحسن عليّا] بن الدروىّ طلعا المنارة . والوجيه يومئذ فى عنفوان [شبابه و] صِباه، وهبوب شَمـاله فى الجَنوب وصَباه .

(١) لعله أراد : بصره

(٢) بدائع البدائه، (ص ١٣٨) .

وابن قلاقس مغرم به، مُغْرًى بحبه، مكبٌّ[1] على تهذيبه، مبالغ في تفضيض شعره وتذهيبه. ولم تكن وقعت بينهما تلك الهناه، ولا استحكمت بينهما أسباب المهاجاه. فاقترح عليه ابن قلاقس أن يصف المنارة. فقال [بديهاً]:

وساميةِ الأرجاء تُهدى أخا السُّرى * ضياءً، إذا ما حِندسُ الليل أظلما.
٥ لبستُ بها بُرْدًا من الأنس صافيًا * فكان بتذكار الأحبّة مُعْلَما.
وقد ظلّلتنى من ذُراها بقبّة * ألاحظ فيها من صِحابى أنجما.
فخُيِّل أن البحر تحتى غمامةٌ * وأنّى قد خيَّمتُ فى كَبِد السَّما.

فاشتدّ سرور ابن قلاقس وفرحه، وقال يصفها و يمدحه:

ومنزلٍ جاوَرَ الجَوزاء مرتقيا * كأنّما فيه للنَّسرَيْن أوكارُ.
١٠ راسى القرارةِ سامى الفرع فى يده * للنُّون والنُّور أخبارٌ وآثارُ.[2]
أطلقتُ فيه عِنان النظم فاطّردتْ * خيلٌ لها فى بديع الشِّعر مضمارُ.
ولم يَدَعْ حَسَنًا فيه أبو حَسَنٍ، * إلا تحكّم فيه كيف يختارُ.
حلّى المنارةَ لما حلّ ذِرْوتَها * بجوهر الشعر بحرٌ منه زخّارُ.
ما زال يُذْكِى بها نار الذكاء إلى * أن أصبحت علَمًا فى رأسه نارُ.[3]

١٥ ومن ذلك الملعب بها. وقد كان له عيد يجتمعون إليه فيه، فى كل سنة، وتُرمى به كُرة. فمن وقعت فى كمّه، آل إليه المُلك. وحضره عمرو بن العاص فى الجاهلية،

(١٧٧) مكرر الملعب ومكان قصر بنى خليف

(١) مدائع الدانه: دَنِثٌ.

(٢) فى ابن فضل الله. وأخبار.

(٣) وردت هذه الأبيات فى الديوان المخطوط والمطبوع، مجردة من الثانى والخامس، ومن حكاية الحال.

و وقعت الكُرة فى كمّه. فقالوا: أَحَرَمت العادةُ؟ فإن مثل هذا لا يُمَلّك. وهذه واقعة مشهورة، لاحاجة إلىٰ الإطالة بها.

ومكانَ هذا الملعب عمّر بنو خُلَيف القصر المنسوب إليهم.

وحكى آبن ظافر[1] أن آبن قلاقس حضر يوما عند بنى خليف [نظاهر الإسكندرية] فى قصرٍ رسا بناؤه وسما، وكاد يمزّق بمزاحمته[2] أثواب السما. قد آرتدىٰ جلابيب السحائب، ولاث عمائم الغمائم. وآبتسمت ثنايا شُرُفاته، وآتسمت[3] بالحُسْن حنايا غُرُفاته. وأشرف علىٰ سائر نواحى الدنيا وأقطارها، وحيّته السحائب بما آؤتُمِنتْ عليه من ودائع أمطارها. والرمل بِفنائه قد نشر تبره فى زبرجد كرومه، والجوّ قد بعث بذخائر الطيب إليه لطيمةَ نسيمه. والنخل قد أظهرت جواهرها، ونشرت عدائرها[4]. والطلّ ينثر لؤلؤه فى مسارب النسيم ومساحبه، والبحر يرعُد [غيظا] من عَبَث الرياح به. فسأله بعض الحُضور أن يصف الموضع الذى تمت محاسنُه، وغُبط به ساكنه. فجاشت لذلك لُجَجُ بحره، وألقتْ إليه جواهرَه لترصيع لَبَّة ذلك القصر ونحره[5]، فقال:

قَصْرٌ بمَدْرَجة النسيم تحدّثتْ[6] ❊ فيه الرياضُ بسرّها المستورِ[7]

---

(١) بدائع البدائه، ص ١٧٥، ونفح الطيب [ح ٢ ص ١٧٤، ١٧٥].

(٢) هذه الكلمة ليست فى البدائع. ولكنها واردة فى نفح الطيب.

(٣) فى آبن فضل الله، وفى النفح: وآرتسمت.

(٤) هاتان الكلمتان ليستا فى البدائع.

(٥) فى البدائع: فألقتْ اليه جواهرها لترصيع لبّة ذلك القصر ونحره.

(٦) فى آبن فضل الله وفى البدائع: عنه.

(٧) لم يرد فى الديوان المخطوط والمطبوع سوىٰ هذا البيت والثالث بعده.

خفَضَ الخورنقَ والسديرَ سُمُوُّه * وثنىٰ قصورَ الرُّوم ذاتَ قُصورِ.(1)

لاث(2) الغَمام عِمامةً مِسْكيّةً * وأقام فى أرضٍ من الكافور.

غنّى الربيعُ به محاسن وصفه * فٱفترّعن نَوْرٍ يروق [ونُورِ .]

فالدَّوْح(3) يسحب حُلّةً من سُنْدُس * تزهو بلؤلؤ طلّها الموفور.

٥ والنخل كالغِيد الحِسانِ تقرّطتْ * بسبائك المنظوم والمنثور.

والرمل فى حُبُك النسيم كأنما * أبدىٰ غُضُون سوالف المذعور.(4)

والبحر يرعُد متنه فكأنه * درع تُسَنُّ(5) بمَعْطِفَيْ(6) مقرور.

وكأنما، والقصرُ يجمعُ شَمْلنا، * فى الأفق، بين كواكبٍ وبُدُور.

وكذاك دَهْرُ بنى خُلَيف لم يزل * يثنى المعاطف فى حبير حبور.

١٠ ومن ذلك مدينة لبدة(7) . وهى خراب يَبَاب . بها صنمان عظيمان من الرُّخَام الأبيض، فى زِيّ ٱمرأتين . وغالب بناء هذه المدينة — فى جدرها وسقوفها وفرش دياراتها وأرصها — من الرخام الأبيض . وكان يجرى إليها وادٍ يصُب إلىٰ البحر الشامىّ

مدينة لبدة سرقة

(١) فى ابن فضل الله : السور .

(٢) فى الديوان المخطوط والمطبوع : لات [وهو سهو من الناسخ ومن جامع الحروف] .

١٥ (٣) فى الدائع : فالروض .

(٤) فى الدائع : المهجور [وقد صححت البيت لان فيه تحريفا كثيرا فى ابن فضل الله وفى الدائع دون الصحح] .

(٥) أى تُصَبّ وتُلْبَس .

(٦) فى ابن فضل الله : بمعطف .

٢٠ (٧) ٱسمها الجغرافى القديم "لبتيس" "Leptis"

وتُرسى السفن البحرية إليه . وطفَّات الوادى ومجارى الماء مرصوفة بالرخام. فغلب عليها سافى الرمل، فقطع مدد الوادى، وأخلىٰ أوطانها، وأجلىٰ سُكّانها. وهذه المدينة بَرْقة، ممـا يقابل أَطرابُلُس الغربية (١) .

مدينة المعلقة شوس (وهى قرطاجة) (١٧٨)

ومن ذلك المُعلَّقة (٢) . وهى مدينـة بإفريقية . علىٰ ساحل البحر الشامىّ علىٰ نحو ستة عشر ميلا من تونس. يقال إنها كانت لأبنة الملك الذى قال الله، وقوله الحق، فى حقه : "وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا". بها آثار عظيمة، وأحجار كبيره، ومهاوٍ بعيـده، وأشراب عميقـة . تُظْهر لمن تأملها العجبَ العُجَاب، واللُّبّ اللبـاب. ومن عظيم ماحوته من الأحجار، أنه علىٰ طول المُدد، وتراخى عِنان الأبد، أنه ينقل من أحجارها إلىٰ ما جاورها ولا ينقطع مددها، ولا يظهر نقص فى كثرتها.

مدينة شرشال الجزائر

ومن ذلك مدينة شرشـال (٣) . وهى مدينة تقابل مِلْيانةَ، بالغرب الأوسط، علىٰ ساحل البحر الشامىّ. يقال إنها كانت مدينـة الملك الغاصب للسـفن، المعنِيّ بقوله تعـالىٰ فى سوره الكهف. وقد تقدمت الآية عند ذكر أبنة هذا الملك، فيما قبلُ . وهى مدينة تزيد علىٰ الوصف، فى آتساع الأفنِية، وآرتفـاع الأبنية، وعظم القناطر المرفوعة، والأقبية المعقودة، والفواعد المشيدة، والجُدُر السميكة، ممـا يشهد له جُوّال الأرض، وسُـفّار الآفاق، وسُمّار الحـديث، بأنه لاشبيه له فى تخشين بنائها، وتحسين صـناعاتها.

---

(١) Tripoli de Barbarie

(٢) يشير المؤلف إلىٰ أحد أقسام مدينـة قرطاجة المشهورة التى يسميها الإدريسى قرطاجنة، وقد أفاض فى وصفها وفى شرح آثارها (ص ١١٢ ـ ١١٤ من طبعة دورى) .

(٣) ذكرها الإدريسى. وليس فى كتابه هذا الوصف الذى أورده آبن فضل الله .

صخرة سبتة

ومن ذلك صخرة سبتة(١). يقال إنها المعنية(٢) بقوله تعالى: "أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت". وهي مشهورة هناك.

هيكل الزهرة بالأندلس

ومن ذلك هيكل الزهرة(٣). بالأندلس، في ذيل الجبل الآخذ بين طليطلة(٤) ووادي آش(٥) في شرقيه بشمال. مطل على البحر المحيط. وقد تقدمت الإشارة إليه.

باب الصفر بجبال البراس

٥ ومن ذلك باب الصفر(٦). في شرقي الأندلس يفصل بينه وبين الأرض الكبيرة(٧). ذات الألسن العديدة من سكان الشمال. عمل الباب على نقب كان فتح في جبل حيث خرجت من البحر الشامي طريقا للأندلس إلى البر المتصل.

(١٧٩)

وقد رأيت أن أعقب ذكر هذه الآثار، بما هو مماثلها(٨) أو أبلغ في الاعتبار، وهو:

قصور العرب ووصف الشعراء لها

قصر العباس. وهو بين سنجار ونصيبين. وهو وإن لم يكن في القدم من نسبة

١٠ ما ذكرنا، فإنه في العبرة كما أشرنا. حكى قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن خلكان

---

(١) هي مدينة Ceuta.

(٢) في الأصل: المعنى.

(٣) Port Vendre.

(٤) Tolède.

١٥ (٥) Guadix.

(٦) يشير إلى أحد أبواب (Puerta) جبال البراس (Les Pyrénées) التي يسميها العرب جبال الأبواب وجبال البرتات وجبال البراس.

(٧) هذا التعبير يطلق في عرف جغرافيي العرب وخصوصا الأندلسيين على بلاد فرنسا خاصة وسائر أرض أوربة عامة.

٢٠ (٨) في الأصل: ممثلها.

فى تاريخه قال : مر أبو الربيع قرواش بن المقلَّد بن المسيب بقصر العباس بن عمرو الغَنَوِىّ وكان مطلًّا علىٰ بساتينَ ومياه كثيرة. فتأمله، فإذا فى حائط منه مكتوب :[1]

"ياقصرَ عبَّاسِ بن عَمْــــرٍو، كيف فارقك آبْنُ عَمْرِكْ ؟
قــد كنتَ تغتــال الدُّهو * ر، فكيف غالك ريب دهْرِكْ ؟
واهًــا لعِـــزِّك بل لجُـــو * دك بل لمجدك بل لفخرِكْ !

وكتبه علىّ بن عبد الله بن حمدان بخطه سنة إحدىٰ وثلاثين وثلاثمـائة ".

(وهذا هو الامير سيف الدولة بن حمدان).

وتحته مكتوب :

"ياقصرُ، ضَعْضعك الزما * نُ وحطَّ من عَلْياء خَدْرِكْ ![2]
ومحـا محاسنَ أسطُرٍ * شَرُفت بهنّ مُتونُ جُدْرِكْ !
واهًـا لكاتبهـا الكريـــم وقدره المُوفِى بقَدْرِكْ !

وكتبه الغضنفر بن الحسن بن علىّ بن حمدان بخطه سنة آثنتين وستين وثلاثمائة".

(وهذا هو عدّة الدولة بن الامير ناصر الدولة أخى سيف الدولة).

وتحته مكتوب:

يا قصرُ، مافعــــل الأُولىٰ * ضُرِبَتْ قِبابُهُـمُ بِعُقْرِكْ ؟

---

(١) كتاب "وفيات الاعيان" فى ترجمة "المُقَلَّد" صاحب الموصل (ج ٢ ص ١٦٨ — ١٦٩ من طبعة بولاق سنة ١٢٧٥). وانظر الترجمة الانكليزية للبارون ده سلين تحت آسم Mukallad.

(٢) قدرك (فى آثار البلاد للقزوينى ص ٣١٣ من طبعة وستنفلد).

أخْنَىٰ الزمانُ عليهِمُ * وطَواهُمُ لطوِيلِ نَشْرِك ! [1]

واهًا لقاصِرِ عُمْرِ مَن * يختالُ فيك، وطُول عُمْرِك !

وكتبه المقلَّد بن المسيب بن رافع بخطه فى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة". (١٨٠)

(وهذا هو والد قرواش) .

٥ فكتب ولده قرواش تحته :

"ياقَصْرُ، ماصنعَ الكِرا * مُ الساكُونَ قديمَ عَصْرِك ؟

عاصَرْتَهم فبذَذْتَهم * وشأَوْتَهم طُرًّا بصبرك ! [2]

ولقد أثارَ تعجُّبِي * ياآبنَ المسيَّبِ رَقْمُ سطرك ! [3]

وعلمتُ أنِّى لاحِقٌ * بك دائبٌ فى قَفْو إثْرِك ! [4]

١٠ وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه فى سنة إحدىٰ وأربعمائة".

وعزم علىٰ هدمه، وقال: هذا مشؤوم، ثم تركه.

وبانى هذا القصر العباس بن عمرو الغنوىّ من أهل تَلِّ سَيَّار، بانى الرقة ورأس عين من حصن مَسْلَمة بن عبد الملك بن مَرْوان. وكان يتولَّى اليمامةَ والبحرينْ.

(١) فى آبن خلكان : وطواهمو بطويل نشرك . وفى ياقوت والقزوينىّ : وطواهُمُ تطويل نشرك .

١٥ (٢) فى آبن خلكان :

عاصرتهم فبددتهم * ساورتهم طراً بصبرك .

[وهذا البيت الثانى غير وارد فى القزوينىّ] .

(٣) فى القزوينىّ : أطال .

(٤) فى آبن خلكان : ذائبٌ . [وهو تصحيف مطبعىّ] . وفى القزوينىّ : تابع .

وسيّره المعتضد لحرب القَرامطة فى عشرة آلاف فارس. فقُتل الجميع، وسلِم وحدَه.

(وعمر و بن الصفار حارب إسمٰعيل بن أحمد صاحب خراسان فى خمسين ألف فارس فأخذوه وسلم الباقون).

وكذلك قصر البصرة . وكان قبـل أنـ تُختطَّ البصرة منزلا تنزله الأكاسرة فى متصيَّداتهم، وتخرج إليه الأساورة فى متنزَّهاتهم. وتهدّم حتّى جدّده الحجاج، فعرف به، فقيل قصر الحجاج. وكان يعرف بقصر قُباذَ. وقال: قال أبو الغرّاف: قال الحجاج لجرير والفرزدق، وهو فى قصره بالبصرة بالجزيرة: « إيتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية». فلبس الفرزدق الديباج والخزَّ، وقعد فى قبَّة. وشاور جرير دُهَاة بنى يربوع وشيوخَهم، فقالوا : "ما لبـاس آبائنا إلا الحديد". فلبس درعا وتقلد سيفا وتأبط رُمْحا وركب فرسا، وأقبـل فى أربعين فارسا من بنى يربوع. وجاء الفرزدق فى هيئته. فتقاولا . فقال جرير:

لَبِست سلاحِى، والفَرزْدق لُعبةٌ * عليه وِشاحَا حَلْيـِه وخلاخِلُهْ.
أَعِدّوا مع الخَزِّ المَلابَ، فإنّمـا * جريرٌ لكم بعـلٌ وأنتم حلائلُهْ!

ثم رجعا. فوقف جرير فى معزه بنى حصن، و وقف الفرزدق بالمِرْبَد. وقد أبرَّ[1] جرير عليه .

وكذلك قصر الكوفة. وقد هُدم، فلم تبق منه باقية.

وله حكاية مشهورة. ولهذا ذكرناه.

قال عبدالملك بن عُمير: كنتُ مع عبدالملك بن مَرْوان بقصر الكُوفة، حين جىء برأْس مُصْعَب بن الزبير. فوُضع بين يديه، فرآنى قد آرتعدتُ فقال لى : مالك؟

(١) أى علىه وفار عليه .

فقلت: أعيذك بالله، ياأمير المؤمنين! كنتُ بهذا القصر، فى هذا الموضع، مع عبيد الله ابن زياد، فرأيتُ رأس الحسين بين يديه. ثم كنتُ فيه مع المختار بن أبى عبيد، فرأيتُ رأس ابن زياد بين يديه. ثم كنتُ فيه مع مُصْعَب بن الزبير، فرأيتُ رأس المختار بين يديه. ثم ها أنا فيه معك، ورأس مصعب بين يديك. فقام عبد الملك من (١٨١)
٥ مقامه ذلك، وأمر بهدم ذلك الطاق.

ولمناسبة هاتين الواقعتين، ذكرنا هذين القصرين، لما فيهما من العبرة لمن تفكر. فسبحان الله الباقى، وكل شئ هالك، الدائم، وما سواه ليس كذلك!

ومنها قصر هِرَقْل. وهو بالشَّرَف الأعلى الشمالىّ. ويُعرف فى زماننا بقصر شمس الملوك. ولم يبق منه اليومَ إلا الجوسق والحمام. والجوسق الآن خانقاه للفقراء. ولم يزل
١٠ منزلا للملوك ومنزها لأهل البلد، لإشرافه [على] نهر بَرَدَى والوادى. ونزله السلطان صلاح الدين.

وحكى ابن ظافر(١) قال: دخل أبو خالد بن صقير(٢) القيسرانىّ على الأمير تاج الملوك أبى سعيد نور بخت(٣)، أتابك طغتكين، صاحب دمشق، وبين يديه بركة فسيحة الفِناء، صحيحة البناء، قد راق ماؤها وصفا، وجرّ النسيم عليها مارقّ من أذياله وضفا. وهو
١٥ تارة يرشُف رضابها، ويجعّد ثيابها، وتارة يسبكها مِبْردا، ويحبكها مسْردا. فأمره بوصفها، فقال:

(١) بدائع البدائه، ص ١٧٢.
(٢) » » : صغير.
(٣) » » : نورى بن.

أَوَ مَا تَرَىٰ طَرَبَ النسيـ ـم إلىٰ الغدير إذا تحرَّكْ؟(١)
بَلْ لو رأيتَ الماء يلـ ـعب فى جوانبه، لسرَّكْ!
وإذا الصَّبا هبّت عليـ ـه، أتاك فى ثوبٍ مُفَرَّكْ.

ومن ذلك ما ذكره الحافظ أبو القاسم علىّ بن عساكر، فى ترجمة إسماعيل بن أبى هاشم. قال: قرأت بخط أبى الحسن رشإِ بن نظيف، وأنبأنيه أبو القاسم علىّ بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم، عنه: أخبرنا القاضى أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن علىّ بن محمد بن يحيىٰ الدقاق: حدثنى أبو الحسن علىّ بن أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوىّ: حدثنا إسماعيل بن أبى هاشم، قال: قرأت على قصرٍ بدمشق لبنى أُمَيَّة:

ليتَ شِعْرى! ماحالُ أهلك ياقَصْـ ـرُ وأيْنَ الذين عالَـوْا بِنَـا كا؟
ما لأرْبابِك الجبـابِرَةِ الأمْـ ـلاك شـادُوك ثم حَلُّوا سِوَاكا؟
أَلِزُهْـدٍ يا قصْـرُ فيك تحامَوْ ك ألا تُبْتَنَىٰ ولستَ هُناكا"
ليت شِعْرى! وليتنى كنتُ أدرِى! مادهـاهُمْ، ياقصر، ثُمَّ دهاكا؟

ومن خلفه: "هذا جوابٌ عنهم:

أيُّها السائلُ المفكِّرُ فيهم! * ماإلىٰ ذا السُّؤال ـ قُلْ لى ـ دَعَاكا؟
أَوَما تعْـرِف المَنُونَ إذا حلَّت دِيَارا فلن تُراعى هَـلاكا!
إنّ فى نفسك الضعيفةِ شُغْلا فاعتَـبِر وامض فالمَنُون وَرَاكا!"

قال: وحدثنى أبو الحسن بن الطحاوىّ: حدثنى ابن أبى هـاشم قال: قرأتُ بحُلوان [مصر] علىٰ قَصرٍ لعبد العزيز بن مَرْوان:

(١) بدائع البدائه: أو ما ترىٰ طرب الغديـ ـر إلىٰ النسيم إذا تحرّك؟

(١٨٢)

أَيْنَ ربُّ القَصْرِ الذى شيَّدَ القصـ * ـرَ، وأينَ العَبِيدُ والأجنادُ ؟

أَيْنَ تلكَ الجُموعُ والأمرُ والنهـ * ـىُ وأعوانُهم وذاكَ السَّوادُ ؟

أينَ عَبدُ العزيزِ، أَيْنَ آبنُ مَرْوا * نَ، وأَيْنَ الحُماةُ والأولادُ ؟

مالنا لا نُحِسُّـهم ونَرَاهـم ! * أَتُرىٰ، ما الذى دهاهم، فبادُوا ؟

٥ قال : وقرأت تحته : "هذا جواب عنهم :

أَيُّها السائلُ المُفَكِّرُ فيهـم : * كيْفَ بادَتْ جُمُوعُهم والسَّوادُ،

ثم فى القَصْرِ والذين بَنَـوْه * أَسَفًا، حينَ فارقوه وبادُوا،

أَيْنَ كِسْرىٰ وتُبَّعٌ قبـلَ مَرْوا * نَ ومِن قبـلِ تُبَّعٍ شَـدَّادُ،

أَيْنَ نُمْرودُ؟ أَيْنَ فِرْعونُ مُوسىٰ؟ * أينَ مِن قبلهم ثمـودُ وعادُ ؟

١٠ كلُّهمْ فى الـتراب أضحىٰ رَهِينا * حينَ لم تُغْنِ عنهـم الأَجْنَـادُ !

إنّ فى الموت ياأخى لك شُغْلا * عن سِواه، والمَوْقفُ المِيعادُ!"

ومما ينسحب علىٰ ذيل ذلك، أننى نزلتُ فى مسجد بقُبَيَّة السلّار، من اليرموك بالشام (وكانت قديما منازل غَسَّانَ، ثم نزلها قوم من آل يَسَار، ثم صارت إلىٰ بنى السلّار، وكانوا أمراء بلاد، وسادة أجلاد، ثم أبادهم الحدثان،) فقرأت علىٰ بعض جُدْران المسجد :

١٥ أرأيتَ أَىَّ منـازلٍ ودِيارِ * أمسَتْ خَلاءً مِنْ بنى السَّلّارِ،

العـامرين مسـاجدًا لإلههم * الغامرين ندَى ذَوِى الإعسارِ؟

وقد كتب آخر تحتها :

قلبى المَشُوقُ إلىٰ بَنِى السَّلّار * أبدًا يُقلَّبُ فوق جُـذوة نارِ!

قومٌ لحُسْنِ صَنِيعهم أحببتُهم، * حُـبِّى لآل محمدٍ الأطهـار!

(١٨٢) مكرر فكتبتُ تحتها :

لا تنكرنَّ تنكُّر الآثار * وتغيُّر الأوْطانِ والأوْطار!

يامَن تعجَّب للفُنيَّة إذْ خلَتْ * من ساكنيها من بنى السَّلّار!

لاتعْجَبنّ فهم سُلَالة آدمٍ * أُكْل المَنُون وعُرْضةُ الأقدار!

إنْ تخلُ منهم،فهى من قبلِ خلَتْ * من آل غَسّانٍ وآل يَسَار، ٥

لا تعجَبنّ من الفِراق،فإنَّهُ * ما هٰذه الدُّنيا بدارِ قَرار!

جاؤُوا علىٰ آثارِ غيرِهِمُ وقد * ذهَبُوا كما ذهَبُوا علىٰ الآثار!

وسَبيلُنا لمَّا أتَيْنا بعْدَهم * كسبيلِهم فى الوِرْد والإصْدارِ!

كلُّ الذى حازُوه عارِيَةٌ ولا * عَجَبٌ إذا ردّ المُعارُ عَوارِى!

(١٨٣) مكرر قلتُ: ومن هذا النوع أننى مررتُ بعد حين من الدهر بمعاهدَ كنت آلفها أول ١٠ عُمرى،والشيبُ ،ا عارض عارضى ولا عُذرى،وعقد الاجتماع منظوم،وأهلها أهلَّةٌ ونجوم. فوجدتها خالية بعد أهلها،ظامية بعد علّها ونهلها،قد أصبحت عارية من ريفها وظِلِّها،عادمة لكُثْرها وقُلِّها.وقد كتب عليها بعض من ولِع :

هذه دارُهمْ وماتُوا جميعا - هكذا هكذا يُعادِى الزمانُ!

فحرّكنى هذا البيت،لسكان ذلك البيت،وأيامِنا نحن وساكنه الميْت،وتذكرتُ ١٥ تلك الأيام الماضيه،والعيشة الراضيه،ثم ماغيرت الحوادث،وسدّت من الأبواب والبواعث،فقلت ارتجالا :

أين دهرٌ مضى لنا أوّل العُمْـ * ـر وأينَ الزمانُ والإخوانُ؟
حَدثَتْ بعدَنا عليهم أمورٌ! * هاتِ شيئا ما آغتالَهُ الحَدَثانُ؟
ذهب الكُلُّ فى زمانٍ تقضّى، * كلُّ شئ يأتِى عليه الزمانُ!
ما تَبَقّى لنا من الكُلّ إلّا * قولُنا للتّذكار: كُنَّا وكانُوا!

٥ ثم أمرتُ مَن كتبها تحت البيت وآنصرفت باكيا، وشكوتُ لو أنصف الدهر شاكيا.

الديارات والحانات

(١٨٣) الديارات المشهورة

وأما ما بلغنا ذكره من الديارات المشهورة الواردة فى أشعار العرب وغيرهم، أو كان قد دخلها أحد من الخلفاء والأمراء والأدباء والشعراء المشهورين، أو ورد لذلك الدير ذكرٌ فى شعر قديم أو عصرىّ .

دير الكلب

٥ فمنها دير الكَلْب[1] وهو قوب مَعْلَثايا، فى سفح جبل . والماء ينحدر عليه . وقلاليه مبنيّة بعضها فوق بعض، فى صعود الجبل . فمنظرها أحسن منظر، ويَنْبُوعه ينصبّ عليه من أعلاه .

وفيه من الزيتون والرُّمّان والآس والكرْم والزعفران والنرجس شئٌ كثير.

ولرهبانه مزارعُ فى السهل، وغلاته كثيرة.

١٠ قال الخالدىّ[2] : ولهذا الدير خاصية فى برء عضة الكلب الكلب، وله عيدٌ فى وقت من السنة، يخرج إليه خلقٌ : من النصارىٰ نساء ورجالٌ للإقامة عندهم[3] . وخلق من المسلمين للنظر إليه والنزهة فيه، ويجتمع إليه أهل الرَفَث والمُجّان، وتُسمع به الأغانى وأنواع الملاهى، وتُذبح به الذبائح، وتُشرب الخمور .

---

(١) يؤكد هذا الضبط ويؤيده ما رواه ياقوت من أن "عجائب الدنيا ثلاثة : دير الكلب، ونهر الذهب، وقلعة حلب" . (معجم البلدان ج ٤ ص ٨٣٩) . وانظر فيه تفاصيل أخرىٰ علىٰ هذا الدير (ج ٢ ١٥ ص ٦٩٠ ، ج ٤ ص ٢٩٩) . وكذلك فى "أحسن التقاسيم" للبشارى طبع ليدن (ص ١٤٦) .

(٢) هو أحد الخالديَّين الشاعرين الشهيرين . ينتسبان إلى الخالدية، قرية بقرب الموصل . كانا خازنين لمكتبة سيف الدولة ممدوح المتنبى . ولهما أشعار وأخبار وتآليف منها كتاب "الهدايا والتحف" وفى خزائن القاهرة نسختان منه .

(٣) لعله عنده بإفراد الضمير .

وحُكى أن أخًا لأبى السفاح الشاعر عضه كلب كلب، فحمله إلى هذا الدير، فتداوىٰ به، فبرئ . وأنشد له شعرا فيه، لم أذكره .

دير أبون دير أبون[(1)] . وهو دير بين الجزيرة وثمانين . وهو دير جليل عند النصارىٰ . وبه جماعة من الرهبان . ويزعمون أنه قبر نوح عليه السلام، وقد تقدم ما ذكرناه فى أمر ٥ قبره بكَرَك البقاع . والله أعلم أىّ بقعة ضمّته .

ولهم صهريج للماء . زعموا أن له أنابيب من صُفْر يجرى فيها الماء من جبل الجُودىّ إلى الصهريج .

وإلىٰ جانبه ضيعة غنّاء كثيرة البساتين . يقال لها بزر مهران .

دير الزعفران دير الزعفران[(2)] . وهو بالقرب من مَعْلثايا بجانب الفلجة النافذة إلىٰ الحسنية . وهو ١٠ فى لِحف جبلٍ تُطلُّ عليه قلعة أُرْدَمُشت[(3)] . وفيه نزل المعتضد لما حاصرها وأخذها .

(١٨٤) وهو كثير الرهبان والقلالىّ . ولرهبانه يسارٌ ونَعَمٌ ومزارع وبساتين .

وفرشُ أرضه من زهر الزعفران . وقلاليّه بعضها من [فوق] بعض، كبناء دير الكَلَب، بأحسن وصف وأملح تكوين . وله سور يحيط به وشرابه مفضّل فى اللون والرائحة والعتق . وماؤه سائح من ينبوع فى جبله .

---

١٥ (١) أنظر تفاصيل أخرى فى ياقوت (ح ١ ص ٥٦٢ ، ح ٢ ص ٦٤٠) .

(٢) أنظر الطبرىّ (سلسلة III ص ٢١٤٤) ؛ وكامل ابن الأثير (ح ٧ ص ٢٣٥ ؛ ح ١٢ ص ٢٩٣) ؛ وياقوت ح ٢ ص ٦٦٣ ، ح ٣ ص ٧٢٤) ؛ وخصوصا الشابشتى (ورقة ١٨٢) . ويسمى أيضا عُمْر الزعفران (أنظر ياقوت ج ٣ ص ٧٢٤) .

(٣) فى الأصل : أردهشت . والتصحيح عن ياقوت .

قال الخالدى: اجتزتُ به فى بعض السنين، وعامل الناحية سعيد بن إسحاق فاحتبسنى عنده أياما للأُنس . فعملتُ فيه عدّة أشعار، منها :

وزَعْفرانيّةٍ فى اللَّوْن والطِّيب ۝ طيّبةِ الخَمرِ دَكّاء الجَلابيبِ،
ثَوَتْ بحانةِ عُمْرِ الزعفرانِ على ۝ مَرِّ الهَواجرِ فيه والأهاضيبِ.
وما الغَطارِفةُ الشُّبّانُ إن شَرِبُوا ۝ خَمْرا بأَبْلَجَ مَن رُهْبانِه الشِّيبِ. ٥
شرِبْتُها من يدَىْ حوراءَ مُقلتُها ۝ تُضْنِى القُلوبَ بتَبْعيدٍ وتقريبِ.
شمسٌ إذا طلَعتْ، قالتْ محاسِنُها: ۝ ها قد طَلَعْتُ، فيا شمسَ الضُّحى غِيبى!
ونِمْتُ سُكْرا، ونامتْ لِى معانِقَةً: ۝ فلا تَسَلْ عن عِناقِ الظَّبْىِ والذِّيبِ!

دير قُنَّى[1] . وهو ببغداد والمداين .

ودير العاقول[2] . أسفل منها[3] باثنى عشر فرسخا. وإلى جانبه قريةٌ كبيرة . أخرجت ١٠

(هامش: دير قنى — دير العاقول)

(١) أنظر الطبرى (سلسلة III ص ٢١ و ٥ و ١٩٦١، A ٥٩، ١٦٥) ، وكتاب العيون والحدائق (ح ٣ ص ١٩٦) ، ومعجم ما استعجم للبكرى (ص ٣٨١) ؛ والتنبيه والإشراف للمسعودى (١٤٩) ، وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ص ٢٣٥) ؛ وابن الأثير (ح ٥ ص ٣١٠)؛ وياقوت (ح ١ ص ٧٣٩ ، ح ٢ ص ٦٨٧ و ٧٠٠ ، ح ٣ ص ٣٦٢ ، ح ٤ ص ١٧٨ و ٨٤٦) ، ومختصر الدول لابن العبرى (ص ٢٨٥) ؛ وخصوصا الشابشتى (ورقة ١١٥) . ويكتبونه قنا . ١٥

(٢) أنظر الطبرى (سلسلة III ص ١٠٠٢ و ١٨٩٣ و ١٩٤٨ و ١٩٦١) ؛ وأحسن التقاسيم (ص ٥٣ و ١١٥ و ١٢٢ و ١٣٤ و ١٣٥) ، ومسالك الإصطخرى (ص ٨) ، ومسالك ابن حوقل (ص ١٦٨ و ١٦٩ g) ؛ وابن خرداذبة (ص ٥٩)، وجغرافية أبى الفدا (ص ٥٤ و ٢٩٥ و ٣٠٥)؛ وابن الأثير (ح ٦ ص ٢٢٦ ، ح ٧ ص ٢٠٠ و ٢٣٤ ، ح ٨ ص ١٧٢ و ٤٧٤ ، ح ٩ ص ١٦٥)؛ وياقوت (ح ١ ص ٢٦٦ و ٢٧٦ و ٦٨٧) . وفى ابن الأثير : دير العمول . ٢٠

(٣) لعلّ الصواب : منهما .

عدّة من الكتّاب والوزراء . وهو حسن البناء، راكبٌ على دِجلة . وبات فيه الوزير علىّ بن مقلة، ثم اصطبح فيه . وقال

باتتْ يدى تَجْنِي ثِمارَ الجُناحْ * بديرقُنّى من وُجُوهٍ مِلاحْ!
حتّى تَـلا الراهبُ مَزْمُورَه * وضَمّخَ الأُفْقَ خَلوقُ الصّباحْ.
٥ فهَلْ فَتًى يُسْـعِدُنِى عاقــدًا * ذيْلَ غُبُوقٍ بذُيولِ اصْطِباحْ؟
أُطيعُــه فى كل مايَشْـتَهِى * كطاعةِ الرِّيشِ لِأمْرِ الرياحْ.

(١٨٥) وفيه يقول البحترىّ، من قصيدة يمدح ابن الفَيّاض الوزير، وكان من ديرقُنّى :

ماتَقَضّى لُبانةٌ عِنْـد لُبْـنَى، * والمُعَنّى بالغـانيات مُعَـنَّى!
نزلُوا رَبْوة العِـراق ارتيادا، * أىُّ أرضٍ أشفُّ دارًا وأسْنَى؟
١٠ بين دَيْرِ العاقُول مُرتَبَعٌ أشْـرَفَ مُحتلُّه إلى ديرقُـنَّى،
حيث بات الزيتونُ من فوقه النحـلُ عليــه ورُقُ الحَمَام تَغَنَّى.
ما المَعَالِى إلا المَكارِمُ تزدا * دُ وإلّا مَصانعُ المجـد تُبْنَى!

قال الخالدىّ : وأنشدنا أبو العباس بن أبى خالد الأحول : قال أنشـدنى كاتب ابن طولون لنفسه :

١٥ إنّ عَجْـزًا كما نكونُ وغَبْنَا * أن نُرىٰ صاحيَيْن فى ديرقُنّى!
حَبّـذا روضُـهُ المدبَّجُ ليلًا * وهواه ذاك المُمَسَّـكُ رُدْنا!
قد جَرىٰ السَّلْسَبيل بالمِسْك فيها * لحْوتِه الدِّنانُ : دَنًّا فـدَنّا.
كم خَـلَوْنا بخُسروانِىّ كسرىٰ * وهو يُسقىٰ طورًا وطورا يُغَنَّى!
تحتنا فَـرْدةٌ من الوَرْد إلّا * أنها من أنامل البــدر تُجْنَى!

وحكى بجحظة البرمكيّ قال : كُنت بحضرة إسماعيل بن بُلْبُل، بواسط أيامَ حرب العلويّ البصريّ، والموفق الناصر يقاتله. فلما آنصرفت رافقني البحتريّ، وكان قد زار آبن بُلْبُل. فلما وصلنا إلىٰ ديرقُنّى قال لى: ويحك يا جحظة! هذا ديرقُنّى، وهو من الحُسْن والطيب علىٰ ما ترىٰ! وأنت أنت! وطُنْبورك طنبورك! فهل لك أن نقيم به اليوم، فنشربَ ونطرب، وننعَم ونلعب ؟ فقلت : نعم ! ولم يكن معنا نبيذ. فسألنا عمن يقربُ منا من العمال، فكتب إليه البحتريّ : ٥

(١٨٦)

يا آبنَ عيسىٰ بنِ فَرُّخانَ، وللفُــرْ * س عيسىٰ بن فَــرُّخان آفتخارُ!

قــد حلَلْنــا بديرقُــنَّى وما نبــــغي قِرًى غيرَ أن يكون عُقَارُ!

فآسْقِ من حيثُ كان يشرب كِسرىٰ * عُصْــبةً كلُّهــمْ ظِماءٌ حِرَارُ!

من كُمَيْتٍ تولَّت الشمسُ منهــا * ما تولَّتــه من سِــواها النارُ! ١٠

فوجه إليها عشرين دنًّا شرابا، ومائة دجاجة، وعشرين حَمَلا، وفاكهة . وعملتُ فى الأبيات لحنا . فلم نزل نشرب عليه يومًا وليلتَنا. وأخذتُ فيها معنًى فقلت :

وبات يَسْــقيها جِنانيّةً * ضنَّتْ بها الشمسُ علىٰ النار!

دير العذارىٰ

ديرُ العَذَارىٰ[(١)] . وهو بين سُرَّ مَن رأى وبغـداد، بجانب العلث علىٰ دِجلة، فى موضع حسـن . فيه رواهب عذارىٰ . وكانت حوله حانات للخمارين وبسـاتين ومنتزهات. لا يعدَم من دخله أن يرىٰ من رواهبه جوارىَ حسانَ الوجوه والقدود، والألحاظ والألفـاظ. ١٥

(١) أنظر معجم ما آستعجم (ص ٣٧٦) ؛ وآثار البـلاد للقزوينى (ص ٢٤٨) ؛ وياقوت (ج ٢ ص ٦٧٨) .

قال الخالدىّ : ولقد ٱجتزتُ به فرأيتُه حسنا ، ورأيتُ فى الحانات التى حوله خلقا يشربون على الملاهى . وكان ذلك اليوم عيدًا له . ورأيت فى جُنَيْنات لرواهبه جماعةً يَلْقُطْنَ زهرَ العُصْفُر، ولا يماثل حمرةَ خدودهنّ . ثم إن دِجلة أهلكته [(١)] بمدودها، حتّى لم يبق منه أثرٌ . وبجحظة فيه أخبارٌ وأشعار . لأنه كان مَعَانه [(٢)] ومأواه، وإليه ٥ يجذب به هواه . وفيه يقول ٱبن المعتزّ :

أيَا جيرةَ الوادى على المَشْرعِ العَذْبِ! * سَقَاك حَيًا حىُّ الثَّرىٰ ميِّتُ الجَدْبِ!
وحسبُك يا دَيْرَ العَذارىٰ قليلُ مَا * يحِنُّ بمـا تَحْوِيه من طِيبَةٍ قلبى!
كَذَبْتُ الهوىٰ إنْ لم أَقِفْ أَشْتَكِى الهَوىٰ * إليكَ وإن طال الوُقُوفُ علىٰ صَحْبِى!
وعُجتُ به والصُّبحُ يَنْتَهِبُ الدُّجىٰ * بأضوائه، والنَّجْمُ يركُض فى الغَرْب،
١٠ أصَانِعُ أطْرافَ الدُّموعِ بمُقْلَةٍ * مُوفَّرةٍ بالدمعِ غَرْبًا علىٰ غَرْب،
وهَلْ هِىَ إلا حاجةٌ قُضِّيَتْ لنا * ولومٌ تحمّلناه فى طاعةِ الحِبِّ؟

قال الخالدىّ : وأنشدنى جحظة لنفسه :

قالُوا : قميصُك مَغْمُور بآثارِ * من المُدَامة والرَّيْحانِ والقَارِ!
فقلتُ : مَنْ كان مَأْواه ومَسْكَنُه * دَيْرَ العذارىٰ لدىٰ حانُوتِ خمّارِ،
١٥ وِسادُه يدُه والأرضُ مَفْرَشُه، * لا يستَطِيعُ لسُكْرٍ حَلّ أزْرارِ،
لم يُنْكِرِ الناسُ مِنْهُ أنّ حُلَّته * خَضْراءُ كالروضِ أوحَمْراءُ كالنارِ!

---

(١) فى الأصل : أهلكتها .

(٢) المعان المباءة والمنزل . (قاموس) .

وقال : وللصنوبرىّ فيه :

أقولُ لُمشبِهِ العَذْرَاء حُسْناً : * علامَ رعَيْتَ فى دَيْرِ العَذَارىٰ؟
وما وَحْدِى أغارُ عليه، لٰكِنْ * جميعُ العالَمِينَ مَعِى غَيَارىٰ!

ولابن فيروز البصير فيه :

وروضةِ لهوٍ قد جَنَيْتُ ثِمارَها * بدَيْرِ العَذَارىٰ بين رَوْضٍ وأنهارِ.
تَخَالُ بها وجهَ المُدِيرِ وكأْسَه * هِلالاً وشَمْسًا بينَ أَنجُمِ نُوَّارِ.
يَطُوف بإبريقٍ مُفَدًّى كَرَامَةً * علينا بأسْماعٍ كِرامٍ وأبصارِ.
كأنّا له زُغْبُ المراح بقُوتِها * بمثل مُذابِ التِّبْرِ من شَطْرِ منقارِ.

قال الخالدىّ : وهذا حَسَن بديع .

وحكى الجاحظ قال : زعم فتيان من تَغلِب أنهم أرادوا قطع الطريق علىٰ قَفَلٍ، بلغهم أنه يمرّ بهم قريبَ دير العـذارىٰ . ثم جاءتهم العين بأن السلطان قد عُرِف بهم وأقبل فى طلبهم. قال : فاختفينا فى الدير، فلما أَمِنَّا، قال بعضنا لبعض : ما يمنعنا أن تأخذوا القَسَّ فتشـدّوه وثاقا ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هـذه الأبكار، فإذا طلع الفجر تفرّقنا فى البلاد؟ وكنا جماعة بعدد الراهبات اللوانى كنا نظنهنّ أبكارا، فوجدناهنّ كلهنّ ثيباتٍ، وقد افتضهنّ القَسُّ . فقال بعضنا :

ودَيْرُ العَذَارىٰ فَضُوحٌ لَهُنّ، * وعِنْد اللُّصُوصِ حَدِيثٌ عَجِيب.
خَلَوْنا بعشرينَ دَيْرِيَّةً * ونَيْـلُ الرواهب شئٌ غَرِيب.
إذا هُنّ يَرْهَزْنَ رَهزَ الظراف، * وبابُ المَدِينـة فَجٌّ رحيب.

لقد باتَ بالدَّيرِ ليلُ التَّمام * نِسَاءٌ وِسَاعٌ ونَيْلٌ صليب.
وللقَسّ حُزْنٌ يَهِيضُ الفُؤاد * ووجدٌ يَدُلُّ عليه النَّحيب.
وقد كان عَيْرًا لدى عانةٍ * فصُبَّ على العَيْرِ لَيْثٌ غَضُوب.

وفيه يقول بعض القُطّاع أيضا، من كلمة له :

٥ وأَلْوطُ مِنْ راهبٍ يَدَّعى * بأنَّ النِّساءَ عليه حَرَام.
يُحَرِّم بيضاءَ مَمْكُورةً[1] * ويُغْنِيه في البَضْع عَنْها الغُلام.
إذا ما مشى غَضَّ مِنْ طَرْفه * وفى الدير باللَّيل منه عُرَام.
ودير العذارى فَضُوح لهنّ * وعند اللُّصوص حديثٌ تَمام.

وقيل في راهبة فيه :

١٠ يا أيها القمرُ المُنِيرُ الزاهرُ * المُشرِقُ الحَسَنُ المضِيءُ الباهرُ!
أَبلغْ شَبِيهتَكَ السَّلامَ، وهَنِّها * بالنومِ، وآشْهَدْ لي بأني ساهِرُ!

دير الباعوث — دير الباعوث[2] . وهو على شاطئ الفرات، من جانبها الغربيّ . في موضع نَزِهٍ . وكانت العمارة قليلة حوله . وله خفراء من الأعراب . وله مزارع ومباقل وجُنَيْنات .

---

(١) الممكورة المستديرة الساقين خدلتهما . [انظر اللسان] .

١٥ (٢) في الأصل بالعين المهملة . ولم يذكره الشابُشتي ، وأما ياقوت فقد سماه "دير ناعوث" بالمعجمة وبدون أداة التعريف ، واقتصر على القول بأنه "دير كبير كثير الرهبان على شاطئ دجلة بين الموصل وجزيرة ابن عمر" . (ج ٢ ص ٦٤٦) وفي شرح القاموس في مادتي (ب ع ت ، ب ع ث) أن الباعوث عيد للنصارى ويقال فيه باعوثا ، وأن الباعوث استسقاء النصارى وهو اسم سرياني ، وقيل هو بالغين المعجمة والتاء المنقوطة فوقها نقطتان . [والجاري على ألسنة الشوام في هذه الأيام "الباعوث" لعيد مشهور عندهم يضاهي المعروف
٢٠ في مصر باسم "شم النسيم"] .

(١٨٩) وفى هيكله صورة دقيقة الصنعة عجيبة الحُسن، يقال إن لها مئين سنين، لم تتغير أصباغها، ولا حالت ألوانها. قال المنبجىّ : آجترتُ بدير الباعوث هذا وآستحسنتُه وآستطبتُه، فلولا الوطن لآستوطنتهُ. ورأيت فى رُهْبانه غلاما كما عذَّر قد ترهَّب. فخاطبته وإذا به أحلىٰ الناس ألفاظا علىٰ لثغة فيه تجعل السين ثاء. فشدّيتُ سُمَّاريّتى[1] إلىٰ جانب الدير. وآشتريت شرابا من الرهبان. وبتُّ هناك منادما لذلك الغلام. فلما أردت الرحيل قال: أتنصرف من عندنا وأنت شاعرٌ ولم تقل فينا شيئا؟ فقلت: بلىٰ، والله قد قلتُ! وأنشدته :

يا طِيبَ ليــلَةِ دَيْرمَرْ[2] باعوث! ‏ ‏ ‏ ‏ فَسَقَاه رَبُّ العَرْش صِرْفَ[3] غُيُوث!

ومُوَرَّدِ الوَجَنات مِن رُهْبانِه ‏ ‏ ‏ ‏ هو بَيْنَهُــم كالظَّــبْى بين لُيُوثِ،

حاوَلْتُ منــه قُبْــلَةً فأجابَنِى، ‏ ‏ ‏ ‏ باُحسنَ ذا التَّــذْكيرِ والتأنيثِ!

حَــتَّى إذا ما الرَّاحُ سَهَّل حَثُّها ‏ ‏ ‏ ‏ منــه العســيرَ بِرِطْله المحثوث!

بِتُّ الرِّضَــا وبَلَغْت قاصِيَةَ المُنَى ‏ ‏ ‏ ‏ مِنْــهُ بِرَغْــمِ رَقِيبِــه الدَّيُّوث!

ولَقَد سَلَكْتُ مع النَّصارىٰ كلّ مَا ‏ ‏ ‏ ‏ سَــلَكُوه غيرَ القَــوْلِ بالتَّثْلِيث!

دير السوسى

دير السوسىّ[4] – وهو فى الجانب الغربىّ لسُرَّ من رأى، ومنه أرضها. فابتاعها المعتصم من أهله.

(١) السُّمَّاريه : هى سفينة كانت تستعمل فى العراق للنزهة والخلاعة، مثل الذهبية فى وادى النيل. وقد يرد آسمها كثيرا فى كتب الأدب. ولكن الذى ذكره تاج العروس فى آستدراكه هو السميرية فقط. وقال إنها ضرب من السفن وقد آستعمل آبن فضل الله هذا اللفظ الأخير أثناء كلامه الآتى علىٰ دير شمولى.

(٢) مر — مار = قديس (٣) فى ياقوت: صوب.

(٤) اقتصر ياقوت على نقل كلام البلاذرى أنه "دير مريم ساه رجل من أهل السوس وسكنه هو ورهبانٌ معه، فسمّى به. وهو بنواحى سُرَّ من رأى، بالجانب الغربى" ثم أورد أبيات ابن المعتز فيه، حسبما جاءت فى رواية آبن فضل الله (انظر معجم الأدباء ج ٢ ص ٦٧٢)، وآنظر البكرى فى معجم ما آستعجم (ص ٣٧٨).

حكىٰ أحمد بن أبي طاهر، قال: قصدت بُسُرَّ مَن رأى رائدا بعض كبارها بشعر مدحته به، فقبلني وأجزل صلتي، ووهب لي غلاما روميا حسن الوجه. فسرتُ أُريد بغداد. فلما سرت نحو فرسخ، أخذتنا السحاب، فعدلت إلىٰ دير السوسيّ لنقيم فيه إلىٰ أن يخفّ المطر. فٱشتدّ القطر وجاء الليل. فقال الراهب الذي هو فيه: أنت العشيّةَ بائتٌ هنا، وعندي شراب جيد، فتبيتُ تقصف ثم تبكّر. فبتُّ عنده. فأخرج لي شرابا جيدا، ما رأيتُ أصفىٰ منه ولا أعطر. و بات الغلام يسقيني، والراهب نديمي، حتّى متُّ سكرًا. فلما أصبحتُ رحلتُ وقلتُ

(١٩٠)

سَقىٰ سُرَّ مَن رَى وسُكّانَها ٭ ودَيْرًا لسُوسِيِّها الراهبِ!

فقد بِتُّ في دَيْرِه ليلةً ٭ وبَدْرٌ على غُصُنٍ صاحِبي!

غزالٌ سَقانِيَ حتّى الصَّبا ٭ حِ صَفْراءَ كالذَّهَب الذائب.

سَقانِي المُدامة مستَيْقِظا ٭ ونِمْتُ ونام إلىٰ جانِبي.

وكانتْ هَناةٌ لِيَ الويلُ من ٭ جَنَاها الذي خطّه كاتِبي!

وقد ذكره أبو الفرج، وأنشد فيه قول ٱبن المعتز:

يا لَيالِيَّ بالمَطيرةِ والكَرْ ٭ خ ودير السُّوسِيّ، بالله عُودي!

كنتِ عِندي أُنمُوذَجاتٍ من الجَنّـ ٭ ـة، لٰكنَّها بغير خُلُود!

أشْرَبُ الراحَ وهي تَشْرَبُ عَقْلي، ٭ وعلىٰ ذاك كان قَتْلُ الوليد.

دير عبدون[1] — وهو بسُرَّ مَنْ رأى إلىٰ جانب المطيرة. قال: وسُمّي دير عبدون لكثرة إلمام عبدون — أخي صاعدِ [بن مخلد] — به. وكان عبدون نصرانيا.

دير عبدون

(١) أنظر الكرىٰ في معجم ما ٱستعجم (ص ٣٧٤)؛ وٱنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٨).

وأسلم أخوه صاعد علىٰ يد الموفق الناصر . فاستوزره[1] وبلغ معه المبالغ العظيمة .

وحكى البحترىّ أنه كان مع عبدون فى هذا الدير فى يوم فِصحٍ ، ومعه آبن خرداذبة . قال البحترىّ فأنشدته قصيدتى التى مدحته بها ، وأولها :

لاجديدُ الصِّبى ولا رَيعَانُهْ * راجعٌ بعد ماتقضّى زمانُهْ !

فأمر لى بمائتى دينار ، وثياب خز ، وشِهرىّ[2] بسرجه ولجامه . وأخوه حينئـذ مع الموفق فى قتال العـلوىّ البصرى . فسُرَّ بذلك وقال لى : ياأبا عبادة ! قل فى هـذا شعرا أنفذُه إلىٰ ذى الوزارتين ، يعنى أخاه ، وكان لقب بهذا . فقلت :

لِيكتَنِفكَ السُّرورُ والفَـرَحُ ! * ولا يفُتْكَ الإبريقُ والقَدَحُ !

فَتحٌ وفِصْـحٌ قد وافَيَاكَ معًا : فالفَتحُ يقرى ، والفِصحُ يُفتتَح .

فأنعَم سَـلِيمَ الأقطارِ تَغْتَبِقُ الصـهْباءَ من دنِّـها وتَصْـطَبِحِ !

فإنْ أردْتَ آجتراح سَيئـةٍ ، * فها هنا السَّيئات تُجْـتَرَح !

وأقمنا يوما إلىٰ الليل . وخلع علىٰ آبن خرداذبة وحمله وآنصرفنا .

وأنشد الخالدىّ قول آبن المعتز فيه :

سقىٰ الجزيرةَ ذاتَ الظِّلِّ والشجَرِ * فديرَ عَبْدونَ هطَّالٌ من المَطَرِ !

---

(١) هذه البيانات إلىٰ هنا واردة فى ياقوت مع آختلاف فى اللفظ قليل ، وقد أورد فيه قصيدة لآبن المعتز ليست عند آبن فضل الله (أنظر معجم البلدان ج ٢ ص ٦٧٨) وقد ذكر ياقوت ديرا آخر بهـذا الأسم وقال انه "قرب جزيرة آبن عمر ، وبينهما دجلة ؛ وقد خرب الآن . وكان من أحسن منتزهاتها " .

(٢) الشِّهرية بالكسر ضرب من البراذين وهو بين البرذون والمقرف من الخيـل أو بين الرمكة والفرس العتيق وجمعه شهارى (تاج) .

دير زكى

دَير زَكّى[1] . وهو قريب البَليخ والفرات . فى أنزه البقاع ، بين بساتين وأنهار وقلال وضياع .

وحُكى عن الحسين بن يعقوب أنه قال : صرتُ إلى الرُّها ، فبتُّ بها . وخرجت قبل عيد الصليب بيوم . فإذا لدينا وجوهٌ حسانٌ من نصرانيات خرجن لعيدهنّ ،

٥ عليهنّ جيِّد الثياب وفاخر الجوهر ، وإذا روائح المسك والعنبر قد طُيِّب الهواء منها[2] ، وقد فُرش لهنّ على العجَل وهو يجُر بهنّ ، وأخريات على الشّهارى الخراسانية والبغلات المصرية والحمر الفُره ، ومشاةٌ ، وفى خلال ذلك صبيانٌ ما رأيت أحسن منهم وجوها وقدودا وثيابا . فتأملت منظرا لم أر أحسن منه قط . وإذا هم يطلبون دير زكّى ليعيّدوا فيه .

١٠ قال الخالدىّ : وإلى جانبه قرية تعرف بالصالحية ذاتُ قصور ودور . وفيها يقول بعض الشعراء :

قُصورُ الصالحيّة كالعَذارى * لبِسْنَ حُليَّهنّ ليوم عُرسِ .
تُقنّعها الرياضُ بكلّ نَوْر * وتُضحكها مطالعُ كلّ شمس .

---

(١) يكتبون أيضا : دير زكّا . وأنظر الطبرىّ (سلسلة III ص ١٧٩٢) ؛ وأبن الأثير (ح ٥

١٥ ص ٢١٥) ؛ ومعجم ما أستعجم (ص ٣٧١ و ٣٧٧) ، وخصوصا ياقوت (ح ١ ص ٦٦٧ ، ح ٢ ص ٦٦٤ ، ح ٣ ص ٣٦٣ ، ح ٤ ص ٨٦٢ و ٩٩٤) ؛ والشابشتى (ورقة ٩٥) .

(٢) فى الاصل : منه .

وفيها قال الصنوبرىّ :

إنى طَربْتُ إلىٰ زينون بِطْياس[1] * فالصالحيّةِ ذاتِ الوَرْدِ والآسِ!
وَصْفُ الرياض كفانِي أن أُقيمَ علىٰ * وَصْفِ الطُّلُولِ، فهل فى ذاك من باسِ؟
وقائلٍ لِى : أفِقْ يوماً! فقلتُ له ، * من سَكْرة الحُبِّ : أو من سكرة الكاسِ؟
قلْ للذى لامَ فيه : هل ترىٰ كَلِفاً * بأمْلَحِ الرَّوْض إلا أملحَ الناسِ؟ ٥

(١٩٢)

وفيها قال أيضا :

الصالحيّة مَوْطِنى * أبدا ، وبِطْياسٌ قَرَارى،
من فَوْقِ غُدْرانٍ تَفيـ * ـض وبَيْنَ أنهار جوارِى،
ومُدامةٍ بُزِلَت فأشـ * ـبه فتلُها فتلَ السِّوارِ،
يالائمى ما العارُ عا * رُكَ! فامضِ! عنِّى العارُ عارِى! ١٠
لَهَفِى علىٰ مَلْوِيّة الا صداغ مُسْبَلة الإزارِ!
قد فُضِّضَتْ بالياسَمِيـ * ـن وذُهِّبَتْ بالجُلَّنارِ.

وفيه قال :

حبّذا المرح[2]! حبّذا العَمْر! لا بل * حبّذا الدّير! حبّذا السَّروتان!
قد تجلّى الربيع من حُلل الزّهْـ * ـر وصاغ الحَمامُ طِيبَ الأغانى. ١٥
زُيِّنَتْ أوجهُ الرياض فأضحتْ * وهى تُزهى علىٰ الوجوه الحسان.

---

(١) فى الاصل طياس بالنون وقد ذكره ياقوت فى حرف الباء .

(٢) لعلها : المرج .

أخضرُ اللونِ كالزبرجد فى أحـ * ـمرَ صافى الأديم كالعِـقْيان.
وبَهَارٌ مثـلُ الزنانير محفُـو * ف بزهر الخَـيْرِىّ والحُوذان.
سـقِّيانى بكل لَوْنٍ من الرا * ح علىٰ كلِّ هـذه الألوان!

وفيه يقول الصنوبرىّ أيضا من قصيدة:

٥ أراق سِجالَهُ بالرَّقَّتـين * جَنُوبِىٌّ صَخُوب الجانبين،
وأهدىٰ للرَّصيف رَصيفَ مُزْنٍ * يعاوده طـريرُ الطُّرَّتين.
تُضاحِكُها الفُراتُ بكل فجٍّ * فتضْحَك عن نُضارٍ أو لُجَين.
كأنَّ عِناقَ نَهرَىْ دَيرزكِّىْ * إذا اْعتنقا عِناقُ مُتَيَّمين.
أقاما كالسِّوارَيْن ، اْستدارا * علىٰ كفَّيه أو كالدُّمْلُجين،
١٠ وياسُفُنَ الفرات بحيث تَهوِى * هُوِىَّ الطـيْرِ بين الجَلْهَتَين.
تَطارَدُ مُقبِلاتٍ مُـدْبِراتٍ * علىٰ عَجَل تَطارُدَ عَسْـكرين.
ترانَا واصلِين كما عَهِدنا * وصـالا لا نُنَغِّصه ببين؟
ألَا ياصـاحِبَىَّ خُذَا عِنَانَىْ * هواىَ! سلِمْتُما من صاحبَيْن!
وكان اللهوُ عِنْدى كاْبن أُمّى * فصِرْنا بعـد ذاك لِعَلَّتَين!

١٥ وله أيضا من أخرىٰ:

يانديمى أما تَحِـنُّ إلىٰ القَصْـف، فهذا أوانُ يَبْدُو الحنينُ؟
ما ترىٰ جانبَ المُصلَّى وقد أشـرف منـه ظُهورُه والبُطُونُ؟
أُسْرِجَتْ فى رياضه سُرُجُ القُطْـر وطابت سُهوله والحُزونُ.
إنّ آذار لم يَذَرْ تحت وجه الأرض شيئا أكنَّـه كانُونُ!

وكأنّ الفُراتَ بينهما عيشُنُ لجُين يعومُ فيها السَّفينُ،
كبُطون الحيّات أو كُتُون الـمَشْرَفيّات، أخلصتْها القُيُونُ.
كم غدا نحو دير زكّى(١) من قلبٍ صحيح فعادَ وهْو حَزِينُ!
لو على الدير عُجْتَ يوما، لألْهَتْك فُنونٌ وأطربتْك فنونُ!
لائمى فى صَابتى قَدْكَ مَهْلًا * لاتلمنى . إن المَلامَ جُنونُ! ٥

ولأبى بكر المُعَوّج فيه من قصيدة :

ماترىٰ الدير؟ ماترىٰ أسفلَ الدَّيْـرِ، وقد صار وَرْدةً كالدِّهَان ؟
لو رآه النُّعمانُ، شَـقَّ عليـه ‹ مايَرىٰ من شَـقايِقِ النُّعْمان !

(١٩٤)

قال الخالدىّ عن الزهراوىّ، قال: كان بالموصل جارية مغنية، تُلَقّبُ بالدير، وكان لهـا ابن عم يعشقها . فطرقتْه يوما زائرًا، فاحتجب عنها وعرَف ان عده المغنية ١٠ المعروفة بالدير، وقد خلا بها . فكتبت إليه .

قـد علمْنا بأن مَثْواكَ بالدَّيْـر، فعيشًا فى غبْطة وأمانِ !
تتغنّى طَوْرا وتَسـقِيكَ طَوْرا ‹ وتُلاقِى للسوءَة السَّوْءتان .
ثم أنْشَـدتُ إذ سمِعْتَ نَخِيرا كنَخِير الرُّعود فى نَيْسانِ :
"ما ترىٰ الدير؟ ماترىٰ أسفلَ الديـر، وقد صار وَردةً كالدّهانِ." ١٥

قال الخالدىّ : "وهذا التضمين حَسَنٌ، واقع فى موقعه، متمكن فى مكانه . وهكذا سبيل مثله أن يكون البيت المضمّن كأنه من الشعر المضاف إليه". قلتُ : بشرط نقله لمعنى آخر غير ما أراد به ناظمه . وإلا فترك التضمين أولىٰ، اذا كان بمعنى الأوّل.

---

(١) الشعر يستقيم بقول دير زكاء .

وقد ذكره أبو الفرج وقال: وممن ذكره هارون الرشيد. فقال فى بعض غزواته، وقد خلّف جارية كان يحبها هناك:

سلامٌ علىٰ النّازحِ المغتربْ! * تحيّةَ صَبٍّ به مُكْتئِبْ!
غزالٌ مراتِعُه بالبَليخ * إلىٰ ديرِ زَكّى فقصرِ الخَشَبْ!
٥ أيا مَنْ أعانَ علىٰ نَفْسِه * بتخليفِه طائعاً مَن أحبّْ!
سأسْتُرُ، والسِّتْرُ من شيمَتِي، * هوىٰ من أُحِبُّ لمن لا أحبّْ.

قال: ويقال إنه قالها فى ديرانية رآها فى دير زكّى، فهويَها.

دير القائم الأقصىٰ[1] ــ وهو علىٰ شاطئ الفرات، من جانبه العربىّ فى طريق الرَّقَّة. قال أبو الفرج: وقد رأيتُه، وهو مَرْقَبٌ من المراقب التى كانت بين الروم ١٠ والفُرس، علىٰ أطراف الحدود.[2]

دير القائم الأقصىٰ

وقال إسحاق الموصلىّ: لما خرجنا مع الرشيد إلىٰ الرقة، مررنا بالقائم وعنده الدير. فاستحسن الرشيد الموضع. وكان الوقت ربيعا، وكانت تلك المروج مملوءة بالشقائق والزهر. فشرب علىٰ ذلك ثلاثة أيام. ودخلتُ الدير أطوف فيه، فرأيتُ ديرانيّةً، حين نهد ثدياها، عليها المسوح، ما رأيتُ أحسن من وجهها وجسمها. وكأنّ تلك ١٥ المسوح عليها حلىّ. فدعوت بنبيذ وشربت علىٰ وجهها أقداحا. وقلت:

(١٩٥)

(١) سماه الطبرىّ وياقوت دير القائم (أنظر الأول فى سلسلة III ص ٦٧٠ والثانى فى ج ٢ ص ٦٨٤) ثم أنظر معجم ما أستعجم (ص ٣٥٩).

(٢) أورد ياقوت هذه البيانات دون ما يليها مع زيادة طفيفة فى التعريف بالمرقب وأتبعها بالأبيات الثلاثة دون قصتها وقال إنها "لعبد الله بن مالك المعى، وقال الخالدىّ هو لإسحاق الموصلى". (أنظر معجم ٢٠ البلدان ج ٢ ص ٦٨٤). وأما فى الشابشتى الذى بأيدينا فلم يرد فيه ذكر هذا الدير.

بِدَيْرِ القائمِ الأَقْصٰى * غَزَالٌ شادنٌ أَحْوىٰ!
بَرىٰ حُبِّى له جِسْمِى * ولا يَدْرِى بما أَلْقىٰ!
وأَكْتُمُ حُبَّه جَهدِى * ولا وَاللهِ مايَخْفىٰ!

ثم دعوتُ بالعود، فغنيتُ فى الدير صوتا مليحا ظريفا . وما زلتُ أكره وأشرب وأنظر إليها، وهى تضحك من فعلى حتّى سكرتُ . فلما كان من الغد، دخلتُ علىٰ الرشيد، وأنا ميّت من السكر . فقال لى : أين شربتَ؟ فأخبرته القصة . فقال : طيِّبٌ وحياتى! ودعا بالشراب فشرب . فلما كان العشىّ، قال : قم بنا حتّى أتنكّر وأدخل إلىٰ صاحبتك هذه وأراها . فقمتُ معه وتلثّم ودخل الدير فرآها وقال : مليحة والله! وأمر من جاءه بكأس وخَرْدَاذِى[1] . وأحضرت عودى فغنيته الصوت الذى صنعته ثلاث مرات، وشرب عليه ثلاثة أرطال . ثم خرج وأمر لى بثلاثين ألف درهم . فقلتُ : ياسيدى، وصاحبة القصة؟ أريد أن يَبين عليها أثرى . فأمر لها بخمسة آلاف درهم، وأمر بأنْ لا يؤخذ من مزارع ذلك الدير خراجٌ . وأقطعهم إياه وجعل عليه عن الخراج عشرة دراهم فى كل سنة، تُؤدّىٰ ببغداد .

دير حزقيال

دير حزقيال[2] ـ قال شريح الخزاعى : اجتزتُ بدير حزقيال . فبينا أنا أدور فيه، إذا بسطرين مكتوبين علىٰ أُسطوانة . فقرأتهما، فإذا هما :

رُبَّ لَيلٍ أمدَّ من نَفَس العا * شِقِ طُولاً، قطعْتُه بانْتحاب!
ونَعيمٍ بوصلِ مَن كنتُ أهوىٰ * قد تبدّلتُه ببُؤس العتاب!

(١) الخَرداذِىُّ الخمر . وقد أهمله فى الأصل والصواب اعجامه (أنظر القاموس) .

(٢) أنظر البكرى (ص ٣٧٨) ؛ وياقوت (ج ٢ ص ٦٥٤) .

نَسَبُونِى إلىٰ الجُنُون لِيُخفُوا * مابقلبى من صَبْوةٍ وٱكتئابِ،
ليت بى ماادّعَوْه من فَقْدِ عَقْلى * فهو خيرٌ من طُول هذا العَذابِ!

وتحته مكتوب : "هَوِيتُ فمُنعتُ، وطُردتُ وشُرِّدتُ، وفُرِّق بينى وبين الوطن، وحُجبتُ عن الإلف والسَّكَن، وحُبستُ فى هـذا الدير [ظلما و] عدوانا، وصُفِّدتُ ٥ فى الحديد زمانا،

وإنِّى علىٰ مانابَنِى وأصابَنِى * لَذُو مِرّةٍ باقٍ علىٰ الحَدَثانِ!
فإنْ تُعقِب الأيامُ أظْفَرْ بِبُغْيَتِى! * وإن أتولى يرمِ بِى الرَّجَوانِ!
فكم ميّتٍ همًّا بغيظٍ وحَسْرةٍ * صَبُورٌ لما يأتى بِه المَلَوانِ!"

فدعوتُ برقعة، وكتبتُ ذلك، وسألت عن صاحبه، فقالوا : رجلٌ هَوِىَ ٱبنة ١٠ عم له . فحبسه عمه فى هـذا الدير، وغرم علىٰ ذلك جملة للسلطان خوفا أن تفتضح ٱبنته . ثم مات عمه . فورثه، هو وٱبنته. وجاء أهله فأخرجوه وتزوج ٱبنة عمه.[١]

دير ماسرجس

دير ماسَرجَس[٢] ـ قال أبو الفرج: لم يذكر أىّ دياراته؟ وله عدّة ديارات . منها ديرٌ بإزاء البركان، فى ظهر قريةٍ يقال لهـا كاذة.[٣]

حُكى عن عبدالله الربيعىّ قال: دخلتُ أنا وأبو النصر البصرىّ، مولىٰ بنى جُمَح ـ ١٥ بِيعة ماسَرجَس . وقد ركبنا مع المعتصم، نتصيّد . فوقفتُ أنظر إلىٰ جارية كنتُ

(١) هـذه الأبيات كلها واردة فى ياقوت مع زيادة قليلة فى الألفاظ وقد وهم ناشره فى ضبط بعض الكلمات (ج ٢ ص ٦٥٤) .
(٢) أنظر البكرى (ص ٣٧٥) .
(٣) فى الأصل بالإهمال . ونص على إعجامها ياقوت .

أهواها،وجعل هو ينظر إلىٰ صورة فى البيعة، ٱستحسنها؛حتّى طال ذلك . ثم قال أبو النصر :

مَنَتْنا صُورةٌ فى بيعــهِ! * فتَنَ اللهُ الذى صَوّرها!

زادَها الناقشُ فى تحسينهــا * فَضْلَ حُسنٍ ، إنه نَضَّرها!

وجْهُها لاشَكَّ عِنـدِى فِتْنةٌ * وكذا هِى عِنْدَمَنْ أبصرها! ٥

أنا للقَسّ عليهــا حاسِـدٌ، * ليت غَـيْرِى عَبَثاً كسَّرها! (١٩٧)

قال ، فقلت :له شــتان ما بيننا ! أنا أهوىٰ بشرا ،وأنت تهوىٰ صــورة ! قال لى :هذا عبثٌ ،وأنت فى جِدّ.

قال حماد،وغنّى عبد الله بن العباس فى هذا الشعر غناء حسنا،سمعته منه.فنسبه إليه لكثرة شعره فى ٱمرأة كان يهواها. ١٠

دير الروم ببغداد

دير الروم (١) ـ وهو بأرض بغداد .قال الشابشتىّ : كان مُدرك بن علىّ الشَّيْبانىّ يطرقه فى الآحاد والأعياد . فينظر مَن فيــه من المُرْدانِ ،والوجوه الحِسان . وله فيــه :

وُجوهٌ بدَيْرِ الرُّوم قد سلَبَتْ عَقْــلى * فأصبَحْتُ فى بُؤْس شَديدٍ من الخَبْل!

فلم تَرَ عَيْنى مَنْظَرا مثْــلَ حُسْنِهم * ولم تَرَ عَيْنٌ مُستهامًا بهِمْ مِثْــلى! ١٥

وحُكى عن جساس بن محمد قال: كان بدير الروم غلام من أولاد النصارى، يقال له عمرو بن يوحنا.وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقا.وكان مُدرك بن علىّ يهواه.وكان من أفاضل أهل الأدب .وكان له مجلس تجتمع فيه الأحداث لاغير.

(١) ٱنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦١٦ و ٦٦٢) .

فإن حضره ذو لحية، قال له مدرك: إنه يقبح بك أن تختلط بالأحداث، فقم في حفظ الله! فيقوم . وكان عمرو ممن يحضر مجالسه، فعشقه وهام به . فكتب إليه رقعة، وتركها في حجره . فقرأها فإذا فيها :

بمجالس العلم التى * بك تم جمع جموعها!
٥ إلا رثيت لمقلة * غرقت بفيض دموعها!
بيني وبينك حرمة، * فالله في تضييعها!

فقرأ الأبيات، ووقف عليها من حضر . فاستحيا عمرو، فانقطع عن الحضور . وغلب الأمر على مدرك، فترك مجلسه وتبعه . وقال فيه أشعارا، منها قوله :

يامن يريد وصالنا ويرده * ماقد يحاذر من كلام الناس!
١٠ صلني فإن سبقت إليك مقالة * منهم، فعصب مايقال براسي!

(١٩٨)

قال جساس : ثم خرج مدرك إلى الوسواس . فحضرته عائدا في جماعة من إخوانه، فقال: ألست صديقكم القديم؟ فما فيكم أحد يسعدني بالنظر إلى وجه عمرو؟ قال: فمضينا إليه . وقلنا له : ياعمرو إن كان قتل هذا الرجل دينا فإن إحياءه لمروءة . قال : فما فعل؟ قلنا له : قد صار إلى حال ماتحسبك تلحقه . قال : فنهض معنا . فلما ١٥ دخلنا عليه، سلم عليه عمرو، وأخذ بيده . فقال : كيف تجدك ياسيدي؟ فنظر إليه، ثم أغمي عليه، ثم أفاق وهو يقول:

أنا في عافية إلا من الشوق إليكا،
أيها العائد، ما بي * منك لا يخفى عليكا!
لا تعد جسما وعد قلبا رهينا في يديكا!
٢٠ كيف لا يهلك من يرمى بسهمي مقلتيكا؟

دير الزندورد

دير الزَّنْدَوَرْد[1] — وهو بالجانب الشرقيّ من بغداد. وأرض ناحيته كلها فواكه وأترج وأعناب. وعنبها من أجود ما يعتصر هناك. ولذا قال أبو نُوَاس:

فسقى من كروم الزندورد ضحًى ، ماء العناقيد في ظلّ العناقيد!

قال الشابشتيّ: حكى عبدالواحد بن طَرْخان: قال خرجتُ إلى دير الزندورد في بعض أعياده متطربا ومتنزها، ومعنا جحظة في جماعة من إخواني. فنزلنا موضعا حسنًا. ووافقنا هناك جماعةً من ظراف بغداد، بجميعهم معشوقاتٌ حسان الوجوه والغناء. فأقمنا به أياما في أطيب عيش. وقال جحظة فيه شعرا، ذكر الدير وطيب الوقت ومن كان معنا وغنّى فيه لحنا حسنا، وهو:

سَقْيًا ورَعْيًا لدير الزَّنْدَوَرْد وما * يَحْوِي ويجمع من راحٍ ورَيْحانِ!
دير تَدُور به الأقداحُ مُترَعةً * من كفّ ساقٍ مريضِ الطَّرْف وَسْنانِ!
والعودُ يتبعُه نايٌ يوافقُه ، والشَّدْوُ يُحكِمُه غُصْن من البانِ!
والقومُ فَوضَى ترى هذا يُقبّل ذا ، وذاك إنسانُ سَوْءٍ فوق إنسانِ!
هذا ودِجْلة للرائين مُعرِضَةٌ * والطير يدْعُو هَديلاً بين أغصانِ!
بَرٌّ وبحرٌ فصَيْد البر مقترِب ، والبحر يسبَحُ شَطّاه بحِيتانِ!

ثم صنع لحنا وغنّى فيه بشعرله معه:

خليليّ! الصَّبُوحَ! دنا الصباحُ! * فإنّ شعاء ماتَجِدانِ راحُ!
فَنبِّه فتيةً جَبهوا قديما * عواذِلَهم بزَجْرٍ فاستراحوا!

(1) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٦٠ و ٦٦٥ و ٩٥٢).

رأيتُ الغانياتِ صَدَدْن عنّي * وأعرضتِ المبتَّلة الرَّداحُ .
وقلن : مضت بِشِرَّتك الليالى! * فقلت : نعم، وقد رثّ السِّلاحُ!

دير دوما

ديرُ دُومَالِس[1] ، وهو في باب الشمّاسية ، شرقيّ دجلة . قال الشابُشتيّ : وموقعه في هذا الوقت في ظهر القرية التي بناها أحمد بن بويه الديلميّ . وهو نزه كثير البساتين
٥ والشجر . وبقربه أجمة قصب . وهو كبير آهل . وهو من البقاع المعمورة بالقَصْف . وعيده أحسن عيد ، يجتمع نصارى بغداد فيه . وفيه يقول ابن حمدون النديم :

يا ديرَدُومالِسَ ما أحسَنَكْ ! . ويا غَزالَ الدَّيْر ما أفتنكْ!
لَئِنْ سَكَنْتَ الدَّيْرَ في أهْلِه ، فإنَّ في وَسْط الحَشَا مَسْكَنَكْ!

دير سمالو

ديرُ سَمَالُو[2] ، وهو بالجانب الشرقيّ من بغداد ، على نهر المهديّ . وهناك أرْحِية للماء ،
١٠ وحوله بساتين وأشجار ونخل . آهل بمن يطرقه من أهل الخلاعة . وفي عيد الفِصْح لا يبقى أحد من النصارى ببغداد ، حتّى يأتي إليه . ولمحمد بن عبد الملك الهاشميّ فيه شعرٌ ، منه :

ولَرُبَّ يومٍ في سَمَالُو تَمّ لِي * فيه النَّعيمُ وغُيِّبَتْ أحزانُهُ !
حتّى حَسِبْتُ لنا البِساطَ سَفِينةً * والبيتَ ترقُص حَوْلَنا حِيطانُه !

١٥ قال خالد بن يزيد بن الكاتب : كنتُ بدير سَمَالُو ، فلم أشعر إلا ورسول إبراهيم ابن المهديّ قد وافاني . فذهبت إليه ، فإذا برجل أسود مشفرانيّ قد غاص في الفُرُش ، فاستجلسني . فجلست . فقال : أنشدني شيئاً من شعرك! فأنشدته :

---

(١) في الأصل دومالس بواو بعد الدال . وفي ياقوت والشابشتي : درمالس ، بالراء بدل الواو (أنظر الأول في ج ٢ ص ٦٦٠ والثاني في ورقة ١) .

٢٠ (٢) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٠ ، ج ٣ ص ٤١٦) ؛ والشابشتي (ورقة ٤) .

رأتْ مــه عيـنِي مَنْظَرَين كما رأَتْ * من البَدْرِ والشمسِ المُضيئةِ بالأرض .
عشــيَّةَ حَيّانِي بــوَرْدٍ كأنّهُ * خُدودٌ أُضيفَتْ بعضُهنَّ إلىٰ بَعْض .
وناولَــنِي كأْسًا كأنّ رُضابَها * دُمُوعِى لمّا صَدّ عن مُقْلَتِي غُمْضِي .
وولّىٰ ، وفِعْــلُ السُّــكْرِ فى حَرَكاتِه * من الراحِ فِعْلُ الرِّيحِ بالغُصُنِ الغَضِ .

فرحف حتّى صار فى ثُلُثَى المُصَلَّى ، ثم قال : يابُنَيَّ ! شَبّه الناسُ الخدودَ بالورد ، وشبهتَ أنت الوردَ بالخدود ! زدنى ! فأنشَدته : ٥

عاتَبْتُ نَفسى فى هَــوا * ك ، فلم أجِدْها تَقْبَــلْ .
وأجَبْتُ داعِيَهَــا إليـــ * ـكَ ، ولم أُحِبْ مَنْ يعذل .
لا وَالّذِى جعَــل الوُجُو * هَ لِحُسْنِ وَجْهِك تَمْثُلُ !
لا قُلْتُ : إنّ الصَّــبْرَ عَنْـــ * ـك من التَّصابِى أجْمَلُ ! ١٠

فرحف حتّى صار خارج المصلّى ، ثم قال : زدنى ! فأنشدته :

عِشْ بحُبّيــكَ سَريعا قاتِلِي * والهَوىٰ إن لم يَصِلْنى واصِلى
ظَفِــرَ الحُبُّ بقَلْبٍ دَنِفٍ * بكَ والسُّقْمُ بجِسْمٍ ناحِــلِ
وبَكَى العاذِلُ لِى من رَحْمَتِي * فبُكائِى من بُكاءِ العاذلِ

فصاح وقال : يابُلَيْق ! كم لى معــك من العين؟ قال : ستمائة وخمسون دينارا . ١٥
قال : اقسمها بينى وبينه .

وحكى الشابشتى لخالد حكايات ، وأنشد له شعرا ، منه قوله :

كَبِدُ المُسْــتَهام كيف تَذُوبُ؟ * ما تُقاسِى من العُيونِ القُلُوبْ؟
يامكانَ الهَوىٰ خلَوْتَ من الصَّبْــرِ ، فما لِلسُّلُوِّ فيكَ نَصِيب !

وقـــوله :

وَلَمْ أدرِ ما جَهْـــدُ الهوىٰ وبَلَاؤه * وشِـدَّتُه، حتّى وجَدْتُكَ فى قَلْبى!
أطاعَكَ طَرْفِى فى فُـؤادِى، فَحَازَه * لطَرْفِكَ حتّى صِرتُ فى قبضة الحب!

دير الثعالب (١) ـ وهو فى الجانب الغربىّ من بغـداد، بباب الحديد . وهو بمكان دير الثعالب

٥ متنزه لايخلو من قاصد وطارق . ولا يتخلف أحد من النصارىٰ عن عيده . فمواطنه معموره، وبقاعه مشهوره . ولابن دهقان فيه شعر ظريف . وهو من ولد إبراهيم بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس، ويُكَنَّى بأبى جعفر . وأنشد له جَحْظَةُ :

أَحِين قطعْتُ لكَ الواصِلِينْ * وجُدْتُ عليكَ ولم أَبْخَـلِ،
غَدَرْتَ وأظهرْتَ لى جَفْوةً * وجُرْتَ علىّ ولم تَعْـدِلِ؟
١٠ أأطمَعُ فى آخِرٍ من هوَاكَ * ولم تَرْعَ لى حُرْمَـةَ الأوّلِ؟

دير مديان (٢) ـ وهو علىٰ نهر كَرْخايا ببغداد . وكَرْخايا نهر يَشُقُّ من المحوّل الكبير دير مديان ويمرّ علىٰ العبّاسية، ويَشُقُّ الكَرْخ، ويصبُّ فى دِجلة .

وكان قديمـا عامرا يصبُّ المـاء فيه، ثم نصب بالبثوق (٣) .

قال الشابُشتىّ : وهذا الدير حسن عامر حوله البساتين . ويُقصَـد للتنزه . ولابن

١٥ الضحاك فيه شعر، منه :

---

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٠) ، والشابشتىّ (ورقة ٨) .

(٢) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٩٥) ؛ والشابشتىّ (ورقة ١٢) .

(٣) فى الاصل : "ثم يصب بالسوق" . وقد صححت بمعونة ياقوت فإنه يقول : وكان الماء فيه جاريا ثم انقطعت جريته بالبثوق التى انفتحت فى الفرات .

يا دير مِدْيانَ لا عُرِّيتَ من سَكَنٍ، * ما هِجْتَ من سِقَمٍ ! يا دير مديانا !
هل عِنْدَ قَسّك من علمٍ فيُخْبِرَنِى؟ * أم كيفَ يُسْعِد وجهَ الصبر مَن خانا؟
سَقْيًا ورَعْيًا لكَرْخايَا وساكِنِها * بين الجُنينة والرَّوْحاء مَن كانا!

(٢٠٢)

دير أشمونى

دير أَشْمُونَى[(١)] — وأشمونى آمرأةٌ بُنِى الدير باسمها ودُفِنتْ فيه . وهو بقُطْرُبُلّ .

قال جَحْظَةُ : خرجت فى عيد أشمونى فلما وصلتُ الشطَّ ، مددتُ عينى لأنظر موضعا ٥
خاليا أصعد إليه ، أو رجُلا أنزل عليه . فرأيتُ قبتين من أحسن مَن رأيتُ . فقدّمتُ
شُمَيْرِيِّى نحوهما ، وقلتُ : تأذنون لى فى الصعود إليكما ؟ فقالتا : بالرَّحب والسعة !
فصعدتُ ، وقلت : يا غلام ! طُنْبورى ونبيذى . فقالتا : أما الطُّنبور فنَعَم ، وأما النبيذ
فلا . فجلستُ مع أحسن الناس خلقا وأخلاقا وعِشْرة . فأخذتُ الطنبور وغنّيتُ
بشعرٍ لى : ١٠

سَقْيًا لأَشْمُونَى ولَذَّاتها * والعيشِ فيها بين جَنَّاتها!
إذ آصطباحى فى بَسَاتينها * وإذ غُبُوقى فى دِياراتها!

فشربنا بالأرطال ، وطاب لنا الوقت إلى آخر النهار .

قال محمد بن المؤمّل : كنت مع أبى العتاهِيَة فى شُمَيْرِيّة ، ونحن سائرون إلى أشمونى .
فسمع غناء من بعض تلك النواحى ، فاستحسنه وطرب له ، وقال لى : أتحسن أن ١٥
ترقص ؟ فقلتُ : نعم . فقال : قم بنا نرقص . فقلت : فى سميرية أخاف أن نغرق .
فقال : إن غرقنا ، أليس نكون شهداء الطرب ؟

دير سابر

دير سابُر[(٢)] — وهو فى الجانب الغربىّ من دِجلة ، بين المَزْرفة والصالحيّة .

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٣) ، والشابشتى (ورقة ١٨) .
(٢) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٦٦) ، والشابشتى (ورقة ٢١) . ٢٠

في بقعة كثيرة البساتين والكروم والثمار والحانات والخمّارين، معمورةٍ بأهل الطرب . والدير حَسَنٌ عامرٌ، ولابن الضحاك فيه :

وعَوَاتِقٍ باشَرتُ بين حدائقٍ * فَفَضَضْتُهُنّ وقد غَنِينَ صِحَاحَا .
أتبَعْتُ وخْزَةَ تلكَ وخْزَةَ هـذه * حتّى شَرِبْتُ دماءهنّ جِراحا .
٥ أبرزتُهن من الخُـدُور حواسِرًا * وتركتُ صَونَ حريمهنّ مُباحا .
في دير سابُرَ والصباحُ يلوحُ لي ، * فجمعتُ بدرًا والصَّباحَ وراحا .
ومنعَّمٍ نازعتُ فَضْـلَ وِشاحِه * وكسوتُه من ساعِدَيَّ وِشاحا .
فاذهبْ بظَنِّك كيف شِئتَ فإنّه * ممّا اقترفتُ لَذاذةً وجِماحا .

(٢٠٣)

وأورد الشابشتي فيه للحسين بن الضحاك أخباراً طرافا، وأنشد له أشعاراً لطافا .
١٠ منها :

أمَا ناجاكَ بالوَتَر الفَصِـيحِ * وأنَّ إليكَ من قَلْب الجَرِيحِ"
فليتكَ حِينَ تَهجُره ضِراراً ، * مَننْتَ عليه بالقَتْـل المُريحِ !
بحُسنك كان أوّل حُسنِ ظَنّي ، * أما نَهاكَ حسنُك عن قَبيحِ"
ألا ياعَمْرو هل لك بِنتُ كَرْمٍ" * هَلُمَّ إلى صَـبِيئةِ كلِّ رُوحِ !
١٥ فقـام على تَخـاذُل مُقْلتَيْـهِ * وسَلْسَلَها كأوْداج الذَّبِيـحِ .
وأتْبَعَ سَكْرةً سلَفتْ بأخرى * وخَلَّى الصَّحْو للحُـرّ الشَّحِيحِ .

وحكى عنه قال : كنّا عند المتوكل في يوم نوروز، والهدايا تعرض عليه فيها تماثيل من عنبر . وكان شفيعٌ الخادم واقفا ، عليه قباء موَرّد ، ورداء موَرّد ، وهو فيهما

من أحسن الناس وجها . فجعل المتوكل يدفع إلىٰ شفيع قطعةً قطعةً من ذلك العنبر، ويقول : ادفعها إلىٰ حسين، وٱغمز يده . فيفعل ذلك . ثم كان آخر ما دفع إلىّ وردة حمراء، حيَّانى بها . فقلت :

وكالوَرْدةِ الحَمْراءِ حَيًّا بأحمرٍ * من الوَرْد، يسعىٰ فى غلائل كالوَرْدِ!

له عَبَثاتٌ عند كلِّ تحيَّةٍ * بكفَّيْه تستدعى الخَلِىّ إلىٰ الوَجْدِ! ٥

تمنَّيتُ أن أُسقىٰ بكفَّيهِ شَرْبةً * تُذَكِّرُنى ما قد نَسِيتُ من العهدِ!

سقىٰ اللهُ دهرًا لم أَبِتْ فيه ليلةً * من الدَّهْر إلا من حَبِيبٍ علىٰ وَعْدِ!

فأمره المتوكل أن يسقيه، وقال : قد أعطيناك أُمْنِيَّتك .

(٢٠٤) دير قوطا

دير قُوطًا[1] ـ وهو بالبَرَدان، علىٰ شاطئ دِجلة .

قال الشابشتىّ : وبينه وبين بغداد بساتينُ متصلةٌ، ومتنزهاتٌ منتظمةٌ، كلُّ ذلك ١٠ شجرٌ وكرومٌ كثيرةُ الطُّرّاق . قال : وهذا الدير يجمع أموالا كثيرة : من عمارته وكثرة فواكهه وما يطلبه أهل البطالة فيه . ولعبد الله بن العباس الربيعىّ فيه :

يا دير قُوطا، لقد هيَّجْتَ لى طَرَبا * أزاح عن قلبىَ الأحزانَ والكُرَبا!

بشادنٍ ما رأتْ عيْنِى له شَبَهًا * فى الناس، لا عَجَمًا منهم ولا عَرَبا .

والله، لو سامَنِى نَفْسِى سَمَحْتُ بها * وما بَخِلْتُ عليه بالذى طَلَبا! ١٥

وأنشد الشابشتىّ له فيه قوله :

يا حبَّذا يَوْمِىَ بالدَّالِيَهْ! * نَشْرَبُها قَفْصِيَّةً صافيَهْ

مع كل قَرْمٍ مُتلِفٍ مالَه * لم تَبْقَ فى الدُّنْيا له باقِيَهْ

نأخُذُ من الدنيا ولذَّاتِها، * فإنَّما نحن بها عارِيَهْ!

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٨٩) . ٢٠

دير جرجس

دير جرجس (١) ـ وهو بالمَزْرَفة : أحدُ الأماكن المشهودة، والمواضع المقصودة . ويخرج إليه من يتنزه من أهل بغداد فى السُّمَيْريات، لقربه وطيبه . وهو علىٰ شاطئ دِجلة، والبساتينُ محدقة به، والحانات مجاورة له، وبه كل مايُحتاج إليه .

وأنشد الشابشتىّ فيه لأبى جفنة القرشىّ :

٥

تَرَنَّم الصَّيفُ بعد عُجمته * وآنصرفَ البَرْدُ فى أزِمّتِه !

ومِثْلُ لَوْنِ النَّجيع صافِيةٌ * تَذْهَب بالمرء فوقَ هِمَّتِه !

ومَنْ وفىٰ وعدَه بزَوْرتِه * وبِتُّ، أُوفى له بذِمّتِه .

فى ديرمَرْجِرْجِس وقد نفحَ الـ * ـفجرُ علينا أرواحَ زَهْرتِه .

وأنشد له فيه :

١٠

وقرعتُ صافيةً بماء سَحابةٍ * فتحنُّ حين قرعتُهنّ سرورا !

وشربتُ ثم سقَيْته فكأنّنِى * سبْسَبْتُ فوق لَهَاته كافُورا !

وفَتًى يُدير عليك فى طَرَباته * حَمْرا تُولِّد فى العِظَام فُتورا .

مازِلْتُ أشربُها وأَسقِى صاحِبى * حتّى رأيتُ لِسانه مَكْسُورا .

قال : وكتب منه النميرىّ إلى آبن المعتز فى آخر شعبان .

١٥

ياأبا العبّاس، قد شمّـ * ـر شَعْبانُ إزارَهْ !

ومضىٰ يَسْعىٰ فمايَلْـ * ـحقُ إنسانٌ غُبارَهْ .

فآغدُ نشْرَبْ صفوة الدّنّ * ونَسْلُبْه وَقَارَهْ !

فلم يردَّ عليه جوابا، ولا أفهمه فيه خطابا .

(١) سماه ياقوت دير مر جرجس، وآنظره فى ح ٢ ص ٦٩٧ . وهو غير المعروف بآسم ''مر جرجيس'' .

دير الحوات

دير الحُوَات[(١)] ــ وهو بعُكْبَرا ، وهو دير كبير عامر . وأكثر سكانه نساءٌ مترهِّبات ، وعيده الأحد الأول من الصوم .

قال الشابشتيّ : وتسمَّى ليلةَ الماشُوش ، وهي ليلةٌ يختلط فيها الرجال بالنساء ، فلا يردّ أحد يده عن شئ . وأنشد فيه جحظة :

وحانةٍ بالعَلْثِ وَسْطَ السُّوقِ ... نزلتُها وصاحِبي رَفِيقِ ٥

على غُلام من بَنِي الحَلِيقِ ... لَخاءَ بالجامِ وبالإبْرِيقِ

أمَا رأيتَ قِطَعَ العقيقِ !

دير باشهرا

دير باشَهْرا[(٢)] ــ وهو على شاطئ دجلة ، نزهٌ كثير البساتين ، على طريق سرَّ مَنْ رأى ، معرلة المُصعِد والمنحدر . وفيه يقول أبو العيناء :

نزلْنا دَيْرَ باشَهْرا ... على قِسِّيسِهِ ظُهْرا ١٠

فَسَقَّانا ورَوّانا ... من الصافِيَةِ العَذْرا

فقابَلْنا به الشَّمْسَ ... وقَبَّلْنا به البَدْرا

وأحسَنْ لَذَّةِ الكاسِ ... ولكن قَدْ أَتَتْ سُكْرا !

(٢٠٦ آ)

دير مرمار

دير مرمار[(٣)] ــ وهو بسُرَّ من رأى ، عند قنطرة وصيف . حوله كروم وشجر . وأنشد فيه الفضل بن العبَّاس بن المأمون : ١٥

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٨) ، والشابشتي (ورقة ٣٧) .

(٢) وقد يكتبونه باشهرا . وانظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٥) ، والشابشتيّ (ورقة ٣٢) .

(٣) سماه ياقوت : مرمارى . وانظره (ج ٢ ص ٧٠٠) .

أنضيتُ في سُرَّ مَنْ را خَيْلَ لذّاتي ، ونلْتُ فيها هوىٰ نفسي وحاجاتي!
عمّرتُ فيها بِقاعَ اللّهو منغمسا ، في القَصْف ما بيْنَ أنهارٍ وجنّات!
بدير مَرْمارَ إذ نُحيي الصَّبُوحَ به ، ونُعمل الكأسَ فيه بالعَشِيّات.
فكَمْ به من غَزالٍ شادنٍ لَبِقٍ ، يَصِيدُنا بالّلحاظ البابليّات!

٥ وحكى الشابُشتيّ أن الفضل ذكر أنه خرج مع المعتز للصيد . قال : فانقطعنا عن الموكب ، أنا وهو ويونس بنُ بغا . فشكا المعتز العطش ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إن في هذا الدير راهبا أعرفه ، وله مروءة حسنة . وفيه آلات جملة . فهل لنا أن نعدل إليه؟ فقال : افعل! فصرنا إليه ، فرحّب بنا وتلقّانا بأجمل مَلْقًى . وجاءنا بماء فشربنا . وعرض علينا النزول عنده ، وقال : أما تبتردون عندنا؟ فقال المعتز : انزل بنا إليه .
١٠ فنزلنا عنده . فسألني الديرانيّ عن المعتزّ ويونس . فقلت : فَتَيان من أبناء الجُند . فقال : بل مُفْلَتان من أزواج الحُور . فقلتُ له : ليس هذا من دينك واعتقادك . فقال : هو الآن في ديني . فضحك المعتز . ثم جاءنا من الطعام بما يكون مثله في الديارات . وكان من أنظف طعام في أنظف آنية . فأكلنا منه وغسلنا أيدينا . فقال لي المعتزّ : قل له بيننا وبينه مَن تحبّ أن يكون معك من هذين ولا نفارقك . فقلت له . فقال : كلاهما .
١٥ فضحك المعتزّ حتّى مال من الضحك . ولَحِقَنا الموكبُ ، فارتاع ، فقال له المعتزّ : بحياتي عليك لا تنقطع عما كنا فيه ، فإنني لمن ثَمَّ مولًى ولمن ههنا صديق! فمزحنا ساعة . ثم أمر له المعتزّ بخمسين ألف درهم . فقال : لا والله ، لا قبلتها إلا على شرط! قال : ماهو؟ قال : يكون أمير المؤمنين في دعوتي مع مَن أراد . قال : ذلك إليك . فاتّعدنا ليوم جئناه . فلم يُبق غاية ، وقام بالموكب كله . وجاء بأولاد النصارىٰ ، فخدموا أحسن خدمة .
٢٠ وسُرّ المعتزّ سرورا ما رأيتُه سُرَّ مثله قطُّ . ووصله ذلك اليوم بمال كثير.

(٢٠٧)

دير سرجيس

دير سرجيس[1] — وهو بطيزناباذ[2] . بين الكوفة والقادسيّة، على حافّة الطريق . وكانت أرضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر . وكان بهذا أحدَ البقاع المعمورة، ونُزَهِ الدنيا التى تبتهج بها القلوب المسرورة .

قال الشابشتى : وقد عفت الآن آثارها، وهُدمت دياراتها .

قلتُ : وبلغنى أن ديارها خربت ، ولم يبق من رسومها إلا قِبابٌ خراب ، وجرنٌ على قارعة الطريق فى القفر اليَبَاب .

قال الشابشتى : و يسميه الناس مِعصرة أبى نُوَاس . وله فيه :

قالوا : تنسَّكَ بعد الحجّ ! قلتُ لهم : ٭ أرجو الإله وأخشى طِـيزَنَاباذَا .
أخشى قُصَيِّبَ كرم أن ينازعَنِى ٭ فصل الخطَام[3] ، اذا أسرعتُ إغذاذا .
وإن سَلِمتُ — وما قلبى على ثقـةٍ[4] ٭ من السَّلامه — لم أَسْلم ببغداذا .
ما أبعدَ الرشـدَ من قلبٍ تضمنه ٭ قُطْـرَبُّلٌ[5] فَـقُرىٰ بَنَّا[6] فكَلْوَاذا .

(١) سماه الشابشتى : دير سرجس (وانظره فى ورقة ١٠٢) ، وأما ياقوت فهما دير سرجس وبكس وقال إنهما رحلان (وانظره فى ج ٢ ص ٦٦٧ ، ج ٤ ص ٨٨٤) .

(٢) إسم مدينة مشهورة سيأتى ذكرها وبعض الشرح عليها . [وانظر فى مجلة "لغة العرب" التى يصدرها اليوم فى بغداد الفاضلان الأب أنستاس الكرملى وكاظم الدجيلى فقد تضمنت السنة الثانية منها شرحا وافيا على مؤسس هذه المدينة وأخباره وتاريخ وقائعها وسقوطها] .

(٣) ياقوت : رأس .

(٤) « : نفسى .

(٥) فى الأصل : ثى . واعتمدت ما أورده ياقوت (أنظر ج ٣ ص ٥٧٠ وج ١ ص ٧٣٨) وهى قرية على شاطئ دجلة من نواحى بغداد بينهما نحو فرسخين وهى تحت كلواذى .

(٦) الأشهر كتابة هذه الكلمة بياء فى آخرها . ولكنهم يكتبونها بالألف المقصورة أيضا . وهى طسّوج قرب بغداد . وهى الآن خراب (وانظر ياقوت فى ج ٤ ص ٣٠١ وفى المواضع الاخرى التى أشار إليها فهرسه) .

وفيه يقول الحسين بن الضحاك :

أَخَوَىَّ، هُبَّا للصَّبُوحِ صَبَاحَا! ⁂ هُبَّا ولا تَعِدَا النَّدِيمَ رَوَاحا!

هل تَعْذِران بدير سرجس صاحِبًا ⁂ بالصَّحْوِ، أو تريان ذاك جُناحا؟

إنى أعيذُكُما بأُلفة بيننا ⁂ أن تَشْرَبا بقُرىٰ الفُرات قَراحا!

٥ يا رُبَّ ملتبس الجُفُون بنومة ⁂ نَبَّهْتُه بالراح حينَ أراحا!

فكأنَّ رَبّا الكاسِ حين نَدَبْتُهُ ⁂ للكاس أنهض فى حشاه جناحا .

فأجابَ يعثُر فى فُضول رِدَائه ⁂ عَجْلانَ يَخلِط بالعِثار مزاحا .

وهَتَكْتُ سترَ مُجونه بتهتُّكى ⁂ فى كل مُلْهِيةٍ وَبُحتُ وَباحا .

(٢٠٨)

ديارات الأساقف (١) —

ديارات الأساقف

١٠ قال الشابُشْتىّ : هذه الديارات بالنَّجَف، ظاهرَ الكوفة، فى أوّل الحيرة . وهى قِباب وقصور، تسمى ديارات الأساقف، بحضرتها نهر يعرف بالغدير، عن يمينه قصر أبى الخَصِيب، وعن شماله السَّدِير. والديارات بين ذلك .

(قصر أبى الخصيب)

قال : وقصر أبى الخَصِيب هذا، من أحسن منزهات الدنيا، مُشْرِفٌ علىٰ النَّجَف والظهر كله، يُصعد من خمسين مَرْقاه إلى سطحٍ حسنٍ، ومجلس مُشْرِف . ثم يُصْعَد ١٥ من خمسين مَرْقاه أخرىٰ إلىٰ سطح أفْيَح ومجلس عجيب الصنعة . وهو منسوب إلىٰ أبى الخَصِيب، مولىٰ أبى جعفر المنصور .

وأنشد فى هذه الديارات لعلىّ بن محمد بن جعفر العلوىّ قوله :

كم وَقْفَةٍ لك بالخَوَرْ ⁂ نَقِ لا تُوازَى بالمَواقف.

(١) أنظر ياقوت (ح ٢ ص ٤٩٤ و ٦٤٢) ، والشابشتىّ (ورقة ١٠٣) .

بينَ العَدِ بِرِ إلى السَّدِ * يرِ إلى دِيارات الأَساقِفْ.
فَمَدارِجِ الرُّهبانِ فى * أطمارِ خائِفَةٍ وخائِفْ.
دِمَنٌ كأنَّ رِياضَها * يُكْسَيْنَ أعلامَ المَطارِفْ.
وكأنَّما غُدْرانُها * فيها عُشُورٌ فى مَصاحِفْ.
وكأنَّما أنوارُها * تهتزّ بالريحِ العَواصِفْ. ٥
طُرَرُ الوصائِفِ يلتقِيـ * ـنَ بها إلى طُرَرِ الوَصائفْ.
تَلْقَى أوائِلَها أوا * خِرُها بألوانِ الزَّخارِفْ.
بحرِيَّةٌ شَتَواتُها * بَرِّيَّةٌ فيها المَصايِفْ. (٢٠٩)

دير زُرارة ـ وهو بين الكوفة وحَمَّام أعْيَن، علىٰ يمين الحاجّ من بغداد. نزِه، كثير الحانات والشراب. لايخلو ممن يطلب اللهو واللعب، ويؤثر البطالة والقصف. ١٠
قال الشابُشتى: خرج يحيىٰ بن زياد ومطيع بن إياس حاجّين. فلما قربا من زُرارة، قال أحدهما لصاحبه: هل لك أن تقدّم أثقالنا، ونَمضى إلىٰ زُرارة، ونشرب فى ديرها ليلتنا، ونتزوّد من خمرها، ونستوفى من مردها ما يكفينا إلىٰ العودة، ثم نلحق بأثقالنا" ففعلا. وسار الناس، وأقاما. ولم يزل ذلك دأبهما، إلىٰ أن عاد الحاجّ. فحلقا رؤوسهما، وركبا بعيرين، ودخلا مع الحاجّ، علىٰ أنهما قد حجّا. وقال مُطيع: ١٥

ألم تَرَنى ويَحْيىٰ إذ حَجَجنا، * وكانَ الحجُّ من خَيْرِ التجاره؟
خرجْنا طالِبَىْ خَيْرٍ ودِينٍ، * فمال بنا الطَّريقُ إلىٰ زُرارَه!
فآبَ الناسُ قد غنِموا وحجُّوا * وأُبْنا مُوقَرَيْنِ من الخَساره!

عُمْر مَرْتُوما ـ وهو بالأنبار، علىٰ الفرات. وهو عُمْرٌ كبير، كثير القلّايات

والرهبان . عليه سور محكم البنيان، كالحصن العظيم . والجامع ملاصقه . وله ظاهر حسن، ولا سيما في أيام الربيع . لأن صحاريَهُ وسائر أرضه تكون كالحُلَل : لكثرة نُواره، وطرائف أزهاره . ونزله كل من آجتاز به من الخلفاء . وفيه يقول كُشاجِم :

أُغدُ ياصاحِبى إلى الأنبارِ * نَشربُ الراحَ فى شَبَاب النهارِ!

٥ وآعمُر العُمْر باللَّذاذةِ والقَصْـــفِ وحَثّ الكؤوسِ والأوتارِ!

فاغتَـنِمْ غَفْلَةَ الزمانِ و بادِرْ . وآقْتَرِضْ لَذَّة الليالى القِصارِ!

لاتُفَـرِّط فإنهــا خُلَس العَيْـــش و بادِرْ بَوادِرَ المِقْــدارِ!

وأسد الشابشتي له فيه يصف عودا في يد محسنة : (٢)

جاءتْ بعـودٍ كأنّ نغمتَهُ . صَوْتُ فتـاةٍ تَشْكُو فِراقَ فتى!

١٠ دارتْ مَلاوِيهِ فيه وآختلفتْ . مِثْلَ آختلاف الكَفَّينِ شُبّكتا .

ياحُسْــنَ صَوْتَيْهِما ، كأنهما . أُخْتانِ فى صَــنْعةٍ تَراسلَتَــا!

وهوعلىٰ ذا ينوبُ إن سكَتتْ . عنها، وعنه تَنُوبُ إن سَكَتَا!

دير الأبلق — وهو بالأهواز . وحكى المدائني، قال: إنه آصطبح في دير الأبلق في جماعة من أصحابه، فلما سكر قال: دير الأبلق

١٥ يَوْمِى بدَيرِ الأبلقِ الفَرْدِ . ما أنتَ إلاجنّة الخُلْدِ!

به وأمثــالٍ له لم يَزَلْ . يحوز العيشَ أبوالمهدى .

عُمْر إتراعيل . والشاهد فيه مار ميخائيل . عمر إتراعيل

قال آبن المستوفى : بينه و بين كفرعزّى أقل من ميل . وهو عمار كبير وفيه رُهبان كثيرة، وله نهر يجرى على بابه وكرم وشجر فى شرقيه، و رحًى عامرة تطحن فوق الكرم .

وبإزائه تلّ دير زارج، إذا صعده الزائر أيام الربيع أشرف على سائر بلدة حرة . وفيه من ألوان الزهر وأنواع الأقاحى والشقائق وصنوف النور والزهر ... ...[1] يسرّ الساطرين وبقصر وصف الواصفين . وفى قلالىّ رهبانه جبينات حسان فيها آس مصر وشجر مريم وعير ذلك .

٥ قال : وحدثنى محمد بن حمد الأصم، قال : كنتُ بكفر عزّى، فنزحتُ مع جماعة فيهم حيرٌ نلتمس موصعا نزها نجلس فيه ونقصف . فأجمع رأينا على قصد دير إتراعيل — وهو من كفر عزى على ميل — فى أيام الربيع، فرأيناه فى نهاية الحسن بماحوله وفيه، وهو مشرف على بلد حره كله، فنزلناه ووصفنا فيه أياما متتابعة، وقلتُ فيه هذه الأبيات :

١٠ عَمَرنا عُمْر إتراعـيلَ بالقَصْف وباللّعبِ !
بفتيانٍ ذوى شَرَف وقَـدْرٍ وذوى لُبِّ .
نَعَوْا فى كفر عزىٰ نُزْ هة تبعث للشُّـرْبِ !
ووافَوْا جَنَّةً من عُمْـر إتراعيل عن قُرْبِ .
وقد حُفَّ بكَرْمٍ و بأشجارٍ له غُلْبِ .
١٥ وأنهارٍ يحاكى جر يها مسلولة القُضْبِ .
وروضٍ راصه المُزْنُ فأضحى وهو كالعَصْبِ .
رأوه كعـروسٍ جُـلِيَتْ فى حُلَلٍ قُشْبِ !
فحلُّوا منه فى منز لِ لهوٍ مونِقٍ رَحْبِ .
ودارت نُجُبُ الأبطا ل مجّتْ بحلى الشّرب ،

٢٠ (١) كلمة ناقصة هنا سطا عليها المجلد . ولعلها : "ما" أو نحو ذلك .

علىٰ أوجهِ أعمارٍ * علىٰ قُضُبٍ علىٰ كُثُبِ .
فما ظنُّك بالعطشا * نِ عند المَكْرَعِ العذبِ"

قال فانصرفنا بعد أيام ، وكلنا يودّ أن لا يزول منه : لطيبهِ وحسنهِ .

قال ابن المستوفى : وليس بهذا الدير الآن شجر ولا ماء علىٰ بابه . وفيه بيعة حسنة
٥ وقناه قديمة ورحاه باقية ، والماء الذى يدير... (١) بعيد عن الدير ، وفى كل عيد من
أعياد النصارىٰ يقام بهِ سوق وتخرج إليهِ جماعة من إربل ، ويزوره خلق من النواحى
يكونون فيه مدّة يومين أو أكثر وينصرفون عنه

دير باقوقا

دير باقوقا — ذكره ابن المستوفى فى تاريخ إربل ، قال : وهو إلىٰ الآن باقٍ ، وبه
رهبان كثيرة . ذكر الشمشاطى أنه وراء الزابى وله مزرعة إلىٰ جانب دارى وفيها
١٠ بساتين وفيها تين أسود كبير . وبينه وبين الموصل سبعة فراسخ . وهو دير كبير . وكان
أنشدنى فيه أبو الحسين محمد بن ميمون الكاتب :

نزلتُ بدَيْرِ باقوقَا وبــهِ * من الرُّهبان لى خِدْنٌ مهيمْ .
فألحفَــنِي بصهباءٍ شَمولٍ * يفوح بعنبرٍ منها النسيمْ .
ونادمَنِي برُهْبانٍ ملاحٍ * وفيهم شادنٌ حَسَنٌ رخيمْ .
١٥ وسِرْنا عنه والأهواءُ فيه ، * وهل شئٌ من الدنيا يدومْ"

دير سعيد

دير سعيد (٢) — وهو بالجانب الغربىّ من الموصل . مطلٌّ علىٰ دجلة ، حسن البناء .
حوله قلال كثيرة ، حسنة العمارة ، ظاهرة النضارة . فى كلّ قلّاية منها حبيسات لرهبانه ،

(١) هنا كلمة ناقصة فى الأصل مما سطا عليه المجلد . ولعلها . الرَّحىٰ .
(٢) أنظر القزوينى (ص ٢٤٨) ؛ وياقوت (ج ٢ ص ٦٦٩) .

فيها طرائف الرياحين وغرائب الشجر. كثير النرجس. وهو يقارب تل باذع. وتراه في الربيع كالوَشْيِ الملمّع، والحَلْي المرصّع . وهو منسوب إلىٰ سعيد بن عبد الملك ابن مَرْوان . أصحُّ ما قيل في نسبته إليه أنه ربما كان يتعهّده أيام إمارته بالموصل .

ويقال إن لترابه أثرا في دفع أذىٰ العقارب، وإن ماءه إذا رُشَّ في دارٍ، قلّت العقارب بها . ٥

وحُكي أن رهبانه أُلزموا في وفِّ بجباية، فقاموا بثلثمائة ألف درهم .

وللخالدى فيه شعر ، منه :

أَلَا فَاسْتَرْزِقِ الرحمٰنَ خيرا * وسِرْ بالكاس نَحْوَ السُكْرِ سيْرا!

فأيَّامُ الهُمُومِ مُقَصَّصاتٌ، * وأيامُ السُّرُورِ يَطِيرُ طَيْرا! ١٠

وله فيه :

سَعِدَتْ صُحْبَتِي بديرِ سَعِيد * يومَ عيدٍ في حُسْنه ألفُ عيدِ!

كم فَتَاةٍ مِثْلِ المَهَاة، سلَبْنا * ها صَلِيبًا من بَيْنِ نَحْرٍ وجِيدِ!

وغَرِيرٍ مثل الغَزَال حَلَلْنا * عَقْدَ زُنَّارِ خَصْرِه المَعْقُودِ!

وحطَطْنا رِحالَنا بِفِنَاء الـ * ـهَيْكَل المُوثَق البَدِيع المَشِيدِ. ١٥

والرَّوابِي مُشَهَّراتٌ كَفِلْما * نٍ لَنا في مُحَبَّرات البُرُودِ.

نَحدودٌ مثل الشَّقائِق في اللَّوْ * نِ تَلِيها شَقَائِقٌ كالخُدُودِ.

وإذا ما الهَزَارُ غرَّد في الغُصْـ * ـن، حَكَتْهُ الأوتارُ في التغريدِ.

مَن رآنا ــ ونحن في الأرض صَرْعىٰ ــ * قال : قومٌ مَوْتىٰ بغيرِ لُحُودِ!

وله فيه :

قامَرَ بالنفسِ فى هَوىٰ قَمَرٍ * ونالَ وَصْلَ البُدُور بالبِدَرِ.
وٱفتَضَّ أبكارَ لَهْوِه طَرَبا * بين عَشَايا المُدامِ والبُكَرِ.
من لم يَدُرْ فى رُبىٰ الحَدَائقِ مِنْ * دَيْرِ سَعِيدٍ، رحاه لم تَدُرِ.
٥ مَسَرَّةٌ كلُّها بلا حَشَفٍ * ولَذَّةٌ صَفْوُها بلا كَدَرِ.
قد ضُرِبَتْ خَيْمَةُ الغَمامِ لَنَا * ورُشَّ حيْش النسيم بالمَطَرِ.
وعنْدَنا عاتِقانِ حَمْراءُ كالشمس * وأُخْرىٰ صَفْراءُ كالقمرِ.
يا تاركًا طيبَ يَوْمِه لِغَدٍ! * تَبِيع عَيْنَ السُّرور بالأثر!

وقوله :

١٠ قد طَمَحَ القلبُ بالهُمُومِ فإنْ * طُفتَ بكأسٍ، فهاتِها تَطْفَحْ!
فى جُنْحِ ليلٍ تُرىٰ كَواكِبُهُ * وهْى إلىٰ الغَرْب، كلُّها جُنَّحْ.
نَراكَ تَنْسىٰ سُرورَ يومِكَ فى * دَيْرِ سعيدٍ وظِلُّه الأَفْيَحْ!
علىٰ بِساطٍ من البَنَفْسَجِ قد أُلْقِىَ من الوَرْدِ فوقَه مَطْرَحْ!
وكأسِ راحٍ يُدِيرها قَمَرٌ * لِحاظُه فى قُلوبِنا تَجْرَحْ!
١٥ قد كان فيما مضىٰ يُعَرِّضُ بالوصْلِ، ولكنْ أَراه قد صَرَّحْ!

وقوله :

فكَمْ مِنْ رَوْحةٍ والشَّمْس * لم تَدْنُ لتطفيلِ،
إلىٰ دَيْرِ سَعِيدٍ أو * إلىٰ دَيْرِ مَخَائِيلِ!

بِسَاقٍ كَمَهَاةٍ مُغْـزِلٍ أدماءَ عُطْبُول !
تَرىٰ فى وجْهه وَجْهَـك للرِّقَّة مِن مِيل !
فأَجْراهَا كخَلْخَالٍ من الياقوت مَفتولِ .
شَربْنَاها علىٰ أوجـه حورٍ كالتماثيلِ .
إذا شِئْنَ تَمَنْطَقْن * جَمِيعا بالخلاخيلِ . ٥

قال الخالدىّ : وأنشدنى السرىّ الرفّاء لنفسه فيه :

وقَلَالِىُّ الدير الذى لَوْلَا النَّوىٰ لم أَرْمِها بِقِلًى ولا بعُقُوقِ .
مُحمرَّة الحيطان بَنْفح طِيبُها ، فكأنَّها مَبْنِيَّةٌ بخلوقِ !
متىٰ أزورُ بَنَاتِ مُشرفَةِ الذُّرىٰ ، فأرُودَ بين النَّسْرِ والعَيُّوقِ ؟
وأرىٰ الصَّوامعَ فى عَوارِبِ أُكْمِها مثلَ الهَوادِجِ فى غَوَارِب نُوقِ ؟ ١٠
حُمْرٌ ملوحٍ حِلالَها بِيضٌ كما فَصَّلْنَ بالكافورِ سِمْطَ عَقِيقِ .

وحكى آبن المستوفى فى تاريخ إربل ، فى ترجمة أبى حفص عمر بن محمد بن الشِّحنة الموصلىّ النحوىّ ، أنه نقل من مجموع بخطه ، قال : كنتُ فى يوم من أيام الربيع بدير فى ظاهر الموصل ، يعرف بدير سعيد . وكان فيه راهب من النُّبل ، كنتُ آوِى إليه إذا جئتُ الدير . فآتفق فى ذلك اليوم أنى خرجتُ من قلايته إلىٰ بستان الدير ومعى جماعة ١٥ من الكتَّاب ، كنت آنس بهم . ونحن علىٰ لذتنا ، وإذا قد أتانا رجُلٌ ، بمجلس وآندفع يغنّى ، ويقول هذا الصوت فى الموضع الفلانىّ ، ليرينا أنه يعرف صنعة الغناء . فأبرمنى وأبرم الجماعة ، وآستثقلناه . فسألنى بعض الجماعة أن أقول فيه علىٰ طريق العَبَث شيئا . فعملتُ فى الحال :

ثقيلٌ يُصِمُّ السمعَ من قُبْح صَوْتِهِ * وتعمى له أبصارُنا والبَصائِرُ!
ولو لم يَكُنْ فوقَ البَسِيطةِ لم تَزَلْ * مُزَلْزَلَةً بُطْنانُها[1] والظَواهِرُ!
تغنى فقلنا: هاتِفُ البَيْنِ قد دَعَا * بفُرْقَتِنا أو رَيْبُ دهرٍ مبادرُ!
فبالَيتَ أن الله لم يكُ خالِقِى، * و ياليْتَه دارَتْ عليه الدوائرُ!

٥ الدير الأعلىٰ[2] ـ وهو بالموصل، فى أعلىٰ جبل، يُطِلّ علىٰ دِجلة. يضرب المثل به فى رقة الهواء، وحسن المُستشرَف تحته. والجزائر تتفرق خُلْجانها وغُدْرانها بإزائه. ولم تزل الولاة تخرج إليه للطف الهواء، والنظر إلىٰ الماء. ويقال إنه ليس للنصارىٰ دير مثله. وظهر عنده معادن الكبريت والمرقشيثا والقلقطار وأشياء من هذه الأنواع. ثم صانعت النصارى حتى أُبطِلَتْ، خوفا من تثقيل السلطان.

الدير الأعلى

(٢١٣)

١٠ قال جعفر بن محمدٍ الفقيهُ: اجتاز بنا بعضُ السيين أبو الحسين بن أبى البغل، فنزل عليه، وخرجتُ فى غد يوم نزوله إليه. فجعل يصف من طيب الهواء فيه وطيب قِراءة رهبانه أمرا عظيما. ثم أنشدنى لنفسه فيه شعرا:
ولستُ أرضاه.

ومما قال الخالدىّ فيه:

١٥ واستَشْرَفَتْ نفسى إلىٰ مُسْتَشْرِفٍ * للدير، تاهَ بحُسْنه وبطِيبِه،
مُتَفَرِّقٍ آذِىّ دَجْلَةَ تحتَهُ * بغَدِيرِه وخليجِه وقليبِه،

---

(١) بطن يُجمع على أبطن وبطون وبطنان.

(٢) انظر أيضا ابن الأثير (ج ٧ ص ١٣٩ و ١٨٦ و ٣٠١، ج ٨ ص ٤١٠ و ٤٦٤ و ٤٧٦ و ٤٧٧، ج ٩ ص ٤٦)؛ وخصوصا ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٤)، والشابشتىّ (ورقة ٧٥).

فَنَعِمتُ بين رِيَاضِه وغِيَاضِه * وسَكِرتُ بين شُرُوقِه وغُرُوبِه.
غنَّى الجَمَالُ به فزاد الثَّغرُ من * تفضيضه، والخَدُّ من تَذْهيبِه.
واهتزَّ غصنُ البانِ فى زُنّاره * وأضاء جِيدُ الرِّيم تحتَ صَليبِه.

وله :

فتكتَ! فلا تأخُذَنْ مَنْ فَتَكْ * بما أخَذَ الجهلُ أو ما تَرَكْ! ٥
أدِرْها! ألستَ ترىٰ الديرَ فى * بدائعَ من حُلَلٍ لم تُحَكْ؟
وبين البُكُور وبين الغُرُوبْ * وبين الرِّياض وبين البِرَكْ،
عَباءٌ تُشَدُّ إليه الرِّحال، * بلَحْنٍ تُحَلُّ عليه التِّكَكْ!

دير مار مخايل

دير مار مخايل[1] — وهو علىٰ ميل من الموصل، يركب دجلة فى بقعة حسناء، يُطِلّ علىٰ كروم وشجر، برِّيّ بحريّ، سُهْليّ جبليّ. وبه قَلَالِيّ[2] كثيرة فى غاية الظَّرف، ١٠ محفوفة بأنواع الشجر، وأصناف الزهر. وله عيد يكون قبل الشعانين بأسبوع، تخرج إليه النصارىٰ بنسائهم وصبيانهم، ويمرّ لهم فيه يوم وليلة، تتجاوب فيه ألحان الأغانى وقراءة الرهابين.

(٢١٤)

وحُكى أنه أريد به حفر بئر فى بعض قلاليّه، فأفضىٰ الحفر إلىٰ صندوق من حجر، فكشف، فإذا فيه ميّت لم يتغير من جسمه شئ، وإذا ثيابه صحيحة. وعند رأسه ١٥ صحيفة من صُفر فيها كتابة قديمة لم يقفوا علىٰ قراءتها، ولكنهم علموا أن فيها ذكره.

---

(١) يسمى أيضا "دير ما مَخَايال" و "دير مار مخايال" و "دير ميخائيل". وأنظر أيضا ياقوت (ج ٢ ص ٦٩٣ و٧٠٢، ج ٤ ص ٨٧٥).

(٢) مفرد القلاليّ قلية بالكسر وهى شبه الصومعة كما فى القاموس. ووقع فى الاصل قلال بدون ياء، وصوابه كما ترىٰ. ٢٠

وقصد المسلمون انتزاعه منهم . ثم دارت النصارىٰ حتى خُلِّيَ لهم[1]،فردّوه إلىٰ مكانه، وعفَوْا أثره .

قال الخالدىّ : والذى يُظنّ أنه كان ممن علىٰ دين المسيح عليه السلام، وأنه هرب بدينه ، فمات فى هذا الموضع، ودُفن فيه .

٥ قال : وبين هذا الدير وبين الموصل وادٍ يُعرف بوادى زَمّار، عليه رابية تُعْرف برابية العُقاب،تُشرف علىٰ دجلة والبساتين والجزائر والنهر.وهى غاية فى الربيع. وقال فيه :

ألَسْتَ تَرىٰ التلّ يُبدِى لنا * طَرائفَ من صُنْعِ آذارِهِ
وقد نقّط الزهرُ خَدّ الثَّرىٰ * بدِرْهَمِه وبِدينارِهِ.
١٠ وكتّب فى لازُوَرْد الدُّجىٰ * بزَنْجفرِه وبِزِنْجارِهِ.
فلا تَلْقَ كأسًا بتأخيرِها * ولا يومَ لهوٍ بإنظارِهِ!

قال : وكان جحظة قد أنشدنى لنفسه فى دير العَلْث قوله :

سَقْيًا ورَعْيًا لدير العَلْثِ من وَطَنٍ! لا ديرِ حَنّةَ من ذاتِ الأُكَيْراحِ!
أيامَ،أيامَ لا أُصغىٰ لعاذلةٍ، ولا تردُّ عِنانِى جَذبَةُ اللاحِى!

١٥ واستحسنتُها،وذكرتُ قول أبى نُوَاس فى دير حنّة،وهى فى عروضها وقافيتها، فقلتُ :

مَحاسنُ الدَّيرِ تَسْبيحى ومِسْباحِى، وخمرُه فى الدُّجىٰ صُبْحى ومِصْباحِى!
بُسْطُ البنفسج .... تبسَّطُ فى * صُحونِ آسٍ وخَيْرِيّاتِ تُفّاحِ.

(١) من المداراة بمعنى المصانعه .

بدائعٌ لا لدَيْر العَلْث هُنَّ ولا * لدَيرِ حَنَّةَ من ذات الأُكَيْراحِ.
حتّى تَخمّرَ خمّارى بمَعْرِقتى * وحيّرتْ مُلَحى بالسُّكْر مَلّاحى.
أبا مَخايَلَ، لا تعدَمْ ضُحًى ودُجًى * سِجالَ كلِّ مُلِثّ الوَدْق سَحّاحِ!
فإن أُقِمْ سُوقَ إطرابى، فلا عَجَبٌ! * هٰـذا بذاك إذا ما قامَ نُوّاحى!

(٢١٥)

قال: وكان فى هذا الدير خمّار، يقال له الحارث، ويكنّى أبا الأسد، معروف بجَوْدة الشراب، وكان المُجّان من أهل الموصل يقصدونه. وكان له ٱبن حسن الوجه، مهَفْهَف القَوام، خفيف الروح، يقال له عبد المسبح، يسقينا ومعنا مغنٍّ مليحُ الغِناء، غنّانا فى شعر حسّان بن ثابت، قوله: ٥

أُنظر خَليلى ببطنِ حِلَّقَ هل * تُؤْنِسُ دونَ البَلْقاء من أحدِ؟

وهو صوت معروف فى الأغانى. فٱستحسنّاه. وكان معنا كاتبٌ، له علىّ ايادٍ، فقال لى: أُحِبُّ أن تعمل فى عروض هذا الشعر شعرا تذكر فيه يومنا. فقلتُ: ١٠

لا وجُفونٍ تَنُوس فى العُقَدِ * وحُسْنِ ثغرٍ يلوح كالبَرَدِ!
لا كنتُ ممن يُصبِعُ أَدْمُعَه * بيْنَ الأَثافِى والنُّؤْى والوتدِ!
أحسنُ من وَقْفةٍ علىٰ طَلَلٍ * قَفْرٍ وزَجْرِ العَيرانة الأُجُدِ، ١٥
كأسُ مُدامٍ جَلَا المديرُ بها * أُمَّ الليالى وجِدّةَ الأبدِ.
نشربها شُعْلةً بلا حَرَقٍ * ونَجتليها رُوحًا بلا جَسَدِ!
هل أحدٌ نالَ مِثلَ لذّتنا، * يا بَا مَخايَلَ ليلةَ الأحدِ؟
سَقْيًا لماخُورِ حارثٍ ولما * خُصَّ به من محَاسِنٍ جُدُدِ!

قلتُ له وآبْنُه يطُوفُ بها: * عُمْرُكَ فينا عِمارةُ البلدِ!
بابنِكَ ذا في جمالِ صُورتِهِ * صِرْتَ أبا الظَّبْي لا أبا الأسَدِ.
هاتِ آسقِنِيها فإنْ سَفَكْتَ دمى! * فما بقَتْلى عليْكَ من قَوَدِ!

(٢١٦)

فأقمنا يومنا ذلك، وبتنا. فلما أصبحنا، أراد الكاتب الموصليّ أن يذهب. وكان اليوم حسنا لرقة غينه[1]، وملاحة صحوه. وكان للرجل غلام يحبُّه، فأراد الركوب إلى ديوانه، فأنشدتُه أبيات شعر قُلتُها. فأمر بحطّ سروج بغاله، وأخذنا في شأننا.

ومنها:

بحُمرةِ وجهٍ لذاك الهلالِ * وفترِهِ مُقلة ذاك الغزالِ!
صِلِ اليومَ بالأمسِ، إنّى أرى * له بالسُّعُودِ وجُوهَ آتّصالِ.
هواءٌ صفَا، وهوًى مِثْلُهُ * كخمرِ دلالٍ وماءِ زُلالِ.
وغيمٌ توهُّمُه كالنّوى * وصحوٌ حقيقتُه كالمُحالِ.
ومِثْلُ اليَواقيتِ زَهْرُ الرُّبى * وقَطْرُ النَّدى بينها كاللآلِ.
إذا ما دَنَتْ شمسُه للذُّبُو * لِ، أشرق نوّاره كالذُّبَالِ.
وذا الديرُ تَسْعى بغِزْلانِهِ * شَعانِينُه في صُفوفِ الجمالِ.
وصَفْراءُ بائعُها خاسرٌ، * ولو حازَ عن قَدَحٍ بيتَ مالِ.
أيا با مخايالَ أفْدِى تُراكَ * بنفسى، ومالى، وعمّى، وخالى!
فكَمْ سكرةٍ لِى قَبْلَ الأذا * نِ بينَ دواليبه والدَّوالِى!
تجُولُ خيُولُ دواليبِها * فنمْلأُ ما ورَدَ ذاك المجالِ.

(١) الغين الغيم (عن القاموس).

وقوله فيـــه :

بيَا مخايلُ إنْ حاولْتُمـا طلَبــي * فأنْتُمـا تجِـدانِى ثَمَّ مطْرُوحا.
ياصاحِبَىَّ هو العُمْرُ الذى جُمعَتْ * فيه المُنَى، فاغْدُوَا للدير أو رُوحا!
برٌّ و بحرٌ به يُهــدِى نسيمُهما * للرُّوح مِسْكًا بماءِ الوردِ منْضُوحا.
يخرُّ صـيَّادُه الشَّوطَ مُضْطرِبًا حيًّا، وقانِصُه البعفورَ مذبوحا.

وفيه يقول أبو حفص عمر بن الشِّحنَة الموصليّ النحويّ، من قصيدة :

واعْمِـدْ إلى مَرْ مخائيلٍ فإنّ به محاسِنًا لسُرُور النفْسِ مِفْتاحُ!
كم فيه من أشعثٍ بادٍ شُحُوبَتُه تَهْفُو له بِنْتُـه تلك الأكَيْراحُ!

وفيه يقول أيضا :

يامَرْ مخائيلٍ، و إن بَعُدَ المَدَى، سُقِّيتَ صَوْبَ سحائبٍ وبَوارقِ!
ياحبَّذا نُوَّارُ روضِـك إذ غدَا يفْتَرُّ من دَمْع الغَمَامِ الدَّافِقِ!
مَغْنًى خلَعتُ به العِذارَ تصابيًا فى غُنْجِ أحداقٍ و زَهْرِ حدائقِ!
أيامَ أجْرِى فى ميادين الصِّـبا متخايلًا جَرْىَ الجَمُوح السَّابقِ!

وسيأتى القصيدتان، إن شاء الله تعالى، فى ترجمته مع النحاة.

وبالله التوفيق!

---

(١) فى الأصل: «يامخايل» . والباء الأولى مما تقدم .

(٢١٧)
دير متّى

دير متّى[(١)] ــ هو بالموصل، من الجانب الشرقيّ، على جبل شامخ، يعرف بجبل متّى. يُشرف على رستاق نِينوى والمرج. وهو حسن البناء، جيد الحصانة. وأكثر بيوته منقورة في الصخر، في نهاية الحسن والنظافة. ورهبانه لا يأكلون طعاما، إلا جميعا: في بيت للشتاء، وبيت للصيف.

٥ ومتى جلس أحد في صحن هذا الدير، نظر إلى الموصل. وبينهما سبعة[(٢)] فراسخ.

وله عدّة أبواب مفرطة في الكبر، وكلها من حديد مُصْمَت. وبه صِهْريج عظيم يجتمع فيه ماء المطر، عمقه اثنا عشر ذراعا: لكل شهر ذراعٌ من الماء. ويفتح هذا الصِّهريج من موضعين: في أعلاه وفي أسفله. فيخرج ماؤه من أَسَدَيْن من صُفْر. وجملة أمره أنه عجيب عظيم في أمثاله.

١٠ وحوله من الأشجار ومن سائر الثمار. وفي خارجه مغارٌ في الجبل، فيها صناديق من صخر بأطباق لموتاهم، فمتى امتلأت خرج رأس الدير مع رهبانه يخرجون أناجيلهم، ويجمعون العظام البالية منها، ثم يطرح في فجٍّ داخل هذا المغار.

قال: وبتُّ ليلة فيه، مع بعض الرؤساء على شرب ولعب، فقلتُ:

فلأشكُرَنّ لدير متّى ليلةً . مَزَقتْ ظُلْمَتَها ببدرٍ مُشرِقِ!

١٥ حتّى رأينا اللّيل قوّس ظهره . هَرَمٌ وأثّر فيه شَيْبُ المَفْرِقِ!

قال: وقرأتُ على باب دهليزه بيتين كُتِبا، وهما:

يا دَيرَ متّى سَقَتْ أطلالَكَ الدِّيَمُ! . وانْهَلَّ فيكَ على سُكّانِكَ النِّعَمُ!

فما شَفَى غُلّتي ماءٌ على ظَمَإٍ . كما شَفَى حَرَّ قلبي ماؤكَ الشَّبِمُ!

---

(١) أنظر أيضا القزوينيّ (ص ٢٤٩)، وياقوت (ج ٢ ص ٦٩٤).

٢٠ (٢) في الأصل: سبع.

دير الخنافس

دير الخنافس[1] ـ وهو دير صغير بالموصل ، بالجانب الشرقي ، على قلّة جبل شامخ ، يُشرف على أنهار نينوى وضياعها .

وفيه طِلَّسْم ظريف : يجتمع له في وقتٍ من السنة الخنافس الصغار اللواتي كالنمل ، حتّى تسودّ حيطانه وبيوته وسقوفه وأرضه ، مدّة ثلاثة أيام . ثم لا يوجد . ولهذا سُمّي دير الخنافس .

(٢١٨)

قال الخالديّ : وهـذا معروف مشهور بالموصل . وإذا كانت تلك الأيام ، أخرج الرهبان أمتعتهم منه ، هربا منها .

قال . ولا أعرف فيه شعرا إلا ما قاله بعض بني عُروة الشّيبانيّ يرثي أخًا له ، مات عنده ، فدُفن إلىٰ جانبه ، ومنه :

تَقُرُّ بكَ يادَيْرَ الخَنافِسِ حُفْـرةٌ ✱ بهـا ماجِدٌ رَحْبُ الذِّراعِ كَرِيمُ!

طَوَتْ منه هَمّامَ بنَ مُرَّةَ في الرُّبىٰ ✱ هِلالٌ يُنيرُ اللَّيْـلَ ، وهو بَهِـيمُ!

سَـقاكَ وسَقاه وسَـقىٰ ضريحَه ✱ أَجَشُّ من الغُرِّ العِذابِ هَزِيمُ!

فيادَيْرُ أُحيِيْ ماآستطعتَ جِوارَهُ ، ✱ فإنّيَ غادٍ عَنْـكَ ، وهْوَ مُقِـيمُ!

قال : فنساء بني عُروة جميعا تنوح عليه وعلىٰ موتاهم بهـذه الأبيات إلىٰ اليوم ؛ وإذا نابت أحداثهم به ، نحروا عليه وأقاموا مآتم .

دير باعربا

دير باعربا ـ وهو بين الموصل والحَديثة ، علىٰ شاطئ دجلة ، من الجانب الغربيّ . بإزاء جزائر كثيرة الشجر ، فلمّـا خلت من سَبُع . وهو جليل عند النصارىٰ ، وفيه قبور يعظمونها . وبناؤه عجيب . وآرتفاع حائط هيكله نحو المـائة ذراع ، ماحوله بناء يسنده . وله مزارع . وفيه بيت ضيافة ينزله مَن يجتاز عليه .

[1] أنظر أيضا الفتوحي (ص ٢٤٧) ، وياقوت (ج ٢ ص ٦٥٨) ، والشابشتي (ورقة ١٣٢) .

قال الشابشتي : لما انحدر سيف الدولة إلى العراق، نزل دير باعربا، وضرب مضربه على شاطئ دجلة، وتغدّى ونام. فلما كان وقت العصر دخل الدير، وصعد سطحه. فرأى منظرا حسنا، من بره وبحره وعلو مستشرفه. فاستدعى شرابا. ودعا سقاته العوّاد، فغناه. وكان معه من الندماء أبو إسحاق اليسري. ثم استدعاني، وستّارة يغني بشعر غث في وزن بارد. فأمرني بأن أعمل في عروضه، فقلت بعد تمنّع، لكنه لا يجيء ٥
فيه الحسن :

شَرَفًا يا دير عَمْـرٍ بآء وَمَجْــدًا بهما نعني مَـدى الدَّهْر ونعمرْ!

سَــتَرى ماءك هذا ماءَ وَرْدٍ، ويرى صَحْنَك ذا مِســكًا وعنبرْ.

إذ على سطحك سَيفُ الدولة القرْمُ الذي فاقَ الوَرى عزّا ومفخرْ.

والذي إن سار في العسكر فردًا فهو في إقدامه ألف عسكرْ! ١٠

(٢١٩)

دير القيارة

دير القَيّارة[1] ــ وهو فوق دير باعربا، على جانب دجلة العربيّ نُسب إلى عين فيه ومعدن، يستخرج منه القير. وتحته حمّة عظيمة، يقصده من به علة أعيت الأطباء، فيقيم به خمسة أيام، مستنقعا في مائها، فيبرأ من علته. ويشفي من النقرس ويبسط التشنج، ويزيل الأورام الجاسية والرياح الغليظة، ويلحم الجراحات.

قال الخالديّ . ويسبيل من قصدها، أن يظلّ نهاره في مائها، ويأوي ليله هيكل ١٥ ديرها، ويدهنه رهبانه بالطسوت. فيشفى بإذن الله .

وفيه عيون يخرج منها النفط والقير. فتتقبّل من السلطان بألوف دراهم في كل سنة . ومرافق هذا الدير كثيرة .

قلتُ : وسلّم بذلك في موضعه .

(١) انظر أيضا القزويني (ص ٢٤٨)، وياقوت (ج ٢ ص ٦٨٩). ٢٠

دير بارقانا

دير بارقانا ـ وهو فوق الحديثة، على جانب دجلة الشرقىّ . راكب للماء ، فى موضع نزه حسن . وبناؤه محكم ، وقلاليه كثيرة الشجر والزهر . وله بساتين ومباقل ، ويقال إنه ليس فى سمك دجلة أسمن من سمك يصاد من شاطئه .

قال الخبّاز البلدىّ : اجتزتُ به ، فرأيت من حسنه ونضارة شجره ، ما دعانى إلى المُقام به والقصف فيه . وسألت رهبانه عن الشرب ، فدلّونى على راهب منهم ، فرأيته ظريفا ، وقلّايته مليحة ، وشرابه صافيا جدّا ، فابتعتُ منه ، وأقمت عنده نهارى وليلى . وقلت :

ألا سَقْيًا لرقة بارقانا ... وهيكله المشيّد والقلالى !
فكم من سَدْفةٍ(١) باكرتُ فيها ... مُعَصْفَرَةً كمثل دم الغزال !
فكم عانقت غُصنًا فى اعتدال ... به ، ولثمتُ بدرا فى كمال !
وجاد بما أحاوِلُ منه سكرا ... وكان ممانعى طيفَ الخيال !

دير أبى يوسف

دير أبى يوسف(٢) ـ وهو قريب من بلد(٣) . بينه وبينها نحو فرسخ . على شاطئ دجلة . وموضعه حسن معمور بالزيتون والسرو والآس والرياحين ، مفروش الرُّبى بالنرجس . وهيكله حسن البناء ، وفيه عجائبُ من بدائع التصوير . ولرهبانه جِدَةٌ ونِعَمٌ .

(٢٢٠)

---

(١) المقصود هنا اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت طلوع الفجر إلى أوّل الإسفار . ويقولون أتيته سدفة أى فى شىء من الليل . ولها معان أخرى ذكرها فى تاج العروس أيضا . ولكن ما اخترته هو الذى يعنيه المقام .

(٢) انظر أيضا ياقوت (ج ٢ ص ٦٤١) .

(٣) اسم علم لمدينة مشهورة بالعراق . وتسمى بَلَط واسمها بالفارسية شهرا باذا (عن ياقوت) وتسمى بلد الحطب (عن أبى الفدا) .

ولا يعوزه كلَّ يوم قافلةٌ تحطّ عنده لتاخذ خمرا . والمجّان تقصده للتنزه فيه بطنابيرهم وعبدانهم وسائر ملاهيهم .

قال الخالدىّ : خرجتُ فى بعض السنين إلى بلدٍ، مع كاتب لبعض أمرائنا، فأحببتُ الشرب فى دير أبى يوسف، فكتبتُ إليه .

٥ بدير أبى يوسف خمرةٌ . تزيد على لَهب البارقِ!
وتَرْجِسُه كنَسيم الحَبيب عند مُحِبٍّ له وامقِ!
فما ذا ترى فيه قبْل آستماع . همَاهم ناقوسه الناطقِ"
لتقْنِص بِكْرا خَلُوقيّة .. تُخَبِّر عن حكمة الخالقِ!

ففعل . وأقمنا به ثلاثة أيام فى ألذّ عيش، وأصفى وقت . ثم آنحدرنا منه .

١٠ دير الشياطين[(1)] ـ وهو بالقرب من أوسَل (ملله على قطعه من الجبل على دجلة). فى موضع حسن . وهواؤه رقيق لطيف، وقلالُبه عامرة كثيرة الأشجار، وأرضه كثيرة الرياض . وله سور يحيط به، ومشترف على سطح هيكله يشرف على دجلة والجبل .

دير الشياطين

وفيه يقول السرىّ الرفاء :

١٥ عصى الرَّشادَ وقَدْ ناداه من حينِ . وراكَض الغىَّ فى تلك المَيادين!
ماحَنّ شَيْطانُه العاتى إلى بلدٍ . إلا ليَقْرُب من دير الشَّياطين!
وفتيةٍ زَهَرُ الآدابِ بينهمُ . أبهى وأنضَرُ من زَهْر البساتين!
مشَوْا إلى الرَّاح مَشْىَ الرُّخِ وآنصرفوا، . والسُّكر يَمْشِى بهم مَشْىَ الفرازين!

(١) أنظر أيضا ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٣ ، ج ٤ ص ٨٧٧) .

حتّى إذا أُنْطِقَ الساقوسَ بينهمُ . مُزَنَّرُ الخصر رُوميُّ القرابين ،
تحتَ أقداحها بِيضَ السَّوالف فى . حُمْر الغلائلِ فى خُضْرِ الرَّياحين ،
كأنّها و بياضُ الماء بقرّعها . وَرْدٌ يصافحه أوراقُ نسرين .

(٢٢١) دير مر سرجس

دير مر سرجس[1] — وهو فوق بلدٍ بثلاثة فراسخ ، على قُلّة جبل عالٍ ، يبين للناظر من عدّة فراسخ .

٥

قال الخالدىّ : وعلىٰ بابه شجرةٌ لا يعرف أحدٌ ماهى : لا يسقط ورقها عند سقوط ورق الشجر ، ولها ثمرة تشبه اللوز . وفى جبله من الزراز ير شئ عظيم ، لا تفارقه صيفا ولا شتاء ، لا يقدر علىٰ صيد شئ منها . وفى شعاب جبله أفاعٍ كثيرة ، تمنع من صيد طيره ليلا .

قال : وفى أوديه حصىً علىٰ شكل اللوز لا تعادره .

١٠

قلت : ولعلّ هذه الشجرة هى التى ذكرها ابن وحشية ، وقال إنها فى الدنيا واحدة لا ثانى لها .

وحكىٰ الخالدىّ ، قال : حدثنا الخبّاز البلدىّ ، قال : تقلّد بلدنا رجل من آل الفرات ، وكان أديبا شاعرا ، واستحضنى ، فما كنت أفارقه . فرأىٰ يوما هذا الدير وسألنى عنه ، فوصفته له ، فأحبّ النظر إليه ، فخرج وحملنى معه ، وكان ذلك فى شتاءٍ متصلِ المطر . فلما جئناه ، رأينا فى جبله من الغُدْران ما ملأ أقاويفه . فلما صعدنا سطح الهيكل ، فكر ساعة ثم أنشدنى لنفسه :

١٥

وهيكلٍ تَبرُزُ الدنيا لمُشْرِفه . حتّى يُعايِنَ منها السهل والجبَلا
كأنّ صبّين باتا طُولَ ليلهما . يستمطران علىٰ غُدْرانه المُقَلا

(١) هو خلاف الذى سماه ياقوت "دير ما سرجيس" (ج ٢ ص ٦٩٣) ، ومثله البكرى (ص ٣٧٤) .

٢٠

دير صباعى

دير صُباعى[1] ـ وهو على شاطئ دجلة الشرقىّ، فوق تكريت بقليل . وهو كثير الرهبان. وله مزارعُ وجُنَيْنات. ولرهبانه يسار وغِنًى. وفيه يقول بعض لصوص بنى شيبان:

ألا يا ربِّ سَلِّمْ دَيْرَ صُبَّاعا ... وردْ رُهبانَ هَيْكَلِهِ اجتماعا!

٥ فكم جئناه أمواتًا سِغابًا ... ورُحْنا منه أحياءً شِباعا!

فيا للقصف ما أسرى نبيذًا ... ألذّ طِلًا وأحسنه شُعاعا!

لنعمته ومِنَّته علينا ... عَمَرْناه وخرّبنا الضِّياعا!

(٢٢٢)
عمر الزعفران

عُمْر الزعفران[2] ـ وهو على رأس جبل مطلّ على نصيبين وديار ربيعة من جانب، وعلى طُورِ عَبْدِينَ وفَرْدَى وبعض ديار بكر من جانب آخر . وبه كثير من الزعفران. وهو عجيب البناء، كثير الرهبان . وبه جنّات لهم حسنة نضرة مملوءة بشجر البندق

١٠ والفستق واللوز الفرك والزيتون والبُطم . وماؤه من صهاريج يجتمع فيها ماء السماء. والصهاريج منقورة في صخور . والثلج به ممكن . ولما نزل المتقى نصيبين استعذب ماءه واختاره على مائها وماء دجلة .

قال الخالدىّ: ولهذا الدير نوب للضيافة فى عُلْو الهيكل. وللسور تسوير عجيب، وعليه أبواب من حديد مُصْمَتة. قال: وشَعْر زعفرانه فائق. ومنه ومن العسل أكثر

١٥ يسار رهبانه. قال: وكان الأمير أبو البركات يخرج إليه، وأخرجُ معه، فنقيم به على شُرْب وسرور . وأمرنى أن أعمل فيه شعرا. فقلت:

---

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٣) .

(٢) أنظر الكلام على دير الزعفران فيما تقدّم من الصفحات .

عَطّلتُ دارسة المَغانِى * وعَمرتُ عُمْر الزَّعفران،
وأقمْتُ فى غُـرَفٍ لديــه كأنّهـا غُرفُ الجنان،
وترىٰ قَـانِيـا مُقَـدَّمةً بآس خُسْـروانى،
ومُعـانِقِى ظَـبىٌ وبد * رُدُجنّة وقضيبُ بان،
والراحُ أحصَـنُ جُنّةٍ لك فى مْقارعه الزمان،
لا تأْمنَنْ صُروفَــه: * فالدهرُ ليس بذى أمَانِ

٥

قال: وأنشدنى الببغا لنفسه فى هذا الدير:

صَفَحتْ لهـذا الدَّهْرِ عن سيئاته * وعَدَدْتُ يومِ الدير من حَسَناتِهِ،
وصبَحْتُ عُمْـرالزعفـران بصبحةٍ * أعاشتْ سرور القَلْب بعد مَمـاتِهِ،
وأهْيَفَ فاخَرْتُ الرياضَ بحُسْنه * فأذعَنَ صُغْرا وَصْـفُها لصِفاتِهِ،
فلما دجا الليلُ استعاد سنا الضحىٰ * براحٍ نَأَتْ بالليل عن ظُلُماتِهِ،
ونَمَّ إلينا دَنُّها بصِيائها * فكان كقَلْبٍ ضاق عن خَطَراتِهِ،
وخوفى منه، خِلْتُ صَـليبَه * لشِــدّةِ ماتَخْشاه بعضَ وُشاتِهِ!

١٠

وفيه يقول مُصْعَبٌ، الكاتب:

وقائلٍ قال لى: أَقْصِر! فقلْتُ له: * أمَا تَرانِى بحبّ المُـرْدِ مَشْـغولا؟
لا أعشَق الأبيضَ المَنْفُوخ من سِمَنٍ، * لكنَّنى أعْشَـق السُّمْر المَهَازِيلا!
فقال لى: أنت مَجْنونٌ؟ فقلت له: * لا تُكْثِرنَّ علَىَّ القـالَ والقِيلا!
إنى امرؤ أركَبُ المُهْـرَ المُضَمّر فى * يوم الرِّهان، فدعْنِى واركَبِ الفِيلا!

١٥

وكذلك قال:

دبَبْتُ أمْشِى علىٰ الكفَّيْنِ ألْمُسُه * كَمَشْىِ مُسترِقٍ للسـمع أسْرارا!

٢٠

فمر يمشق فى قرطاســه قلمى * والليل ملق على الآفاق أستارا!
فقال لما انجلى عن عينه وسن * وقد رأى تكة حلت وأزرارا:
بارافد الليــل مسرورا بأوله * إن الحوادث قد يطرقن أسحارا!

دير باربيثا[1] — وهو بنينوى، بأرض الموصل، على نهر الخازر، وبه بيت ضيافة. ولـه عند النصارى قدر جليل.

قال الخالدى: رأيته فى بعض السنين، وكان به راهب يقال له كوريال، من عباد النصارى فأضافنا أحسن ضيافة وأكرمنا أتم إكرام، بالطعام الكثير، والشراب العتيق الواسع، وعلف الدواب، وأكثر، فعظم فى عينى، وعاتبته على الإسراف فى فعله، فقال: هذا والله رسمنا مع كل من ينزل بنا!

قال: وهذا الدير الذى قتل عنده عبيد الله بن زياد، قتله إبراهيم بن الأشتر، على هذا النهر، وأنفذ رأسه إلى المختار فى خبر يطول، ليس هذا موضعه.

دير حنظلة[2] — وهو بالحيرة، على نحو فرسخ منها، إلى المشرف. وموضعه حسن، لما به من جنبات رهبانه وأشجارهم، وما يلبسه الربيع من الرياض.

وأنشد الخالدى فيه لغيره شعرا، منه:

طرقتك سعدى بين شطى بارق! * نفسى الفداء لطيفها من طارق!
يادير حنظلة المهيج لى الهوى! * هل تستطيع صلاح قلب العاشق؟

(١) نهر بين إربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل، يصب فى دجلة.

(٢) انظر "الأغانى" (ج ٩ ص ١٠٣ و ١٠٤)، والبكرى (ص ٣٦٠) وخصوصا ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٥ وأخرى ص ٦٥٦ أيضا).

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهانى، وأنشد لبعض الشعراء فيه رجزا، منه :

ساحةِ الحِيرة دَيرُ حَنْظَلَهْ . عليه أذيالُ السُّرور مُسْبَلَهْ .

أحييتُ فيه ليلةً مُقْبِلَهْ . وكأسُنا بين الندامَى مُعْمَلَهْ .

والراحُ فيها مثل نار مُشْعَلَهْ *

دير الجاثليق

٥ دير الجاثَلِيق[1] ـ وهو قديم البناء، غربىّ دِجلة، فى عرض حَرْبَى، على الحدّ بين آخر السواد وبين أوّل أرض تكريت. وفيه كانت الحروب بين عبد الملك بن مَرْوان ومُصْعَب بن الزُّبير . فقال ابن قيس الرُّقَيَّات :

لقد أورثَ المِصْرَيْنِ حُزنا وذِلَّةً * قتيلٌ بدير الجاثَليق مُقيمُ!

فما قاتلتْ فى الله بَكْرُ بنُ وائلٍ * ولا صَدَقتْ عند اللقاءِ تميمُ!

١٠ وحُكى أنه كان به غلام أمرد نصرانىّ من أهل الحيرة، يقال له عيسى بن إليا الصَّرَّفى، وكان يعشقه بكر بن خارجة، وفيه يقول من شعر له :

أخِى! مُتُّ قبلك من هُمومى! * وأرشِدْنى إلى وجه الطريقِ!

فقد ضاقتْ علىّ جِهاتُ أمرِى * وأنتَ المستجارُ من المَضيقِ!

وفيه يقول بيتين يحضُرنى منهما قوله :

١٥ زُنَّارُه فى خَصْره مَعْقُودُ * كأنّه من كَبِدى مَقْدودُ

قال أبو الفرج : وكان دِعبِل يستحسنه ويقول : ليت هذين البيتين لى بمائة بيت من شعرى !

(١) Catholicos . وانظر معلومات أخرى على هذا الدير فى الطبرى (سلسلة II ص ٨٠٦ و ٨١١ و ٨١٢) ، وابن الأثير (ج ٤ ص ٢٦٨) ؛ ومروج الذهب (ج ٥ ص ٢٤٦ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٣) ، وتاريخ اليعقوبى (ج ٢ ص ٣١٧) ، والبكرى (ص ٣٦٧ و ٣٧١) ، وخصوصا ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٠ ، ج ٤ ص ٥٢٩) ؛ والشابشتى (ورقة ٩) .

وفيه يقول محمد بن أبي أُميّة :

(٢٢٥)

رأيتُك حِلْيَتَيْ دِينٍ ودُنْيا: * حياةً للصَّحِيح وللقَرِينِ.
بدا لي بعدَ ما سبَقَتْ يميني * بهَجْرِك أن أُكفِّر عن يميني[1].

دير مرّيحنّا[2] — وهو إلىٰ جانب تَكريت، علىٰ دجلة، عامرٌ بالقلّايات والرهبان، مطروق، مقصود، منزلٌ لكل مسافر، وبه ضيافة قائمة علىٰ أقدار الناس. وله مزارع متسعة وغلات كثيرة. وهو للنسطورية. وعلى بابه صومعةُ عبدونَ الراهب، وكان من المَلَكيَّة، بناها فعُرفت به. وفي هذا الدير يقول عمرو بن عبد الملك الورّاق :

دير مرّيحنّا

٥

أرىٰ قلبي قد حنّا * إلىٰ ديرِ مرّي حنّا!
إلىٰ غيطانه الفِيحِ * إلىٰ بِرْكته الغَنّا!
إلىٰ أحسنِ خَلْق الله إن قَدّس أو غنّى!
ولمّا أبلج الصُّبْحُ * نَزَلْنا بِما دنّا!
ولمّا دارتِ الكأسُ * أدرْنا بها لحْنا!
فلما هجع السُّمّا * رُ، نِمْنا فعانقْنا!

١٠

قال الشابشتيّ : وكان عمرو هذا من الخلعاء الظرفاء المنهمكين في اللهو والتطرُّح في الديارات. ومما أنشد له في المُجون قولهُ :

١٥

أيُّها السائلُ عنّي * لستُ من أهلِ الصَّلاحْ.
أنا إنسانٌ مُريب * أشتهي نيلَ المِلاحْ.

(١) في الأصل : لا. [وصححت بما يقتضيه السياق، لأن الشاعر يقول انه بدا له أن يكفر عن يمينه بعد أن أقسم بهجر صاحبه].

(٢) أنظر أيضا ياقوت (ج ٢ ص ٧٠١).

٢٠

عمر أخويشا

عُمْر أخويشا[1] — (وأخويشا بالسريانية الحَبِيس).

قال الشابشتيّ: وهذا العُمْر بإسْعَرْد، من ديار بكر. وهذا العُمْر مطلٌّ على أرْزَن. وهو كبير جليل. فيه أربعمائة راهب فى قلاليّهم. وحوله بساتين وكروم. وهو فى نهاية العمارة والنزهة وحسن الموقع وكثرة الفواكه والخمر. ومنه يُحمل الخمر إلى البُلْدان. ٥ وبقربه عين عظيمة تدير ثلاثة أرحاء، وإلى جانبه نهر يعرف بنهر الروم. وبه أنواع المُطْرِبين. وأنشد فيه اللبّاديّ:

وفِتْيانٍ كهمِّك من أُناسٍ * خِفَافٍ فى الغَـدَاة وفى الرَّوَاحِ.
نهضتُ بهم، وسِتر الليل مُلْقً * وضوءُ الصبح مقصوصُ الجَنَاحِ.
نَؤُمُّ بدير أخويشا غَزالاً * غريبَ الحُسْن كالقَمَرِ اللَّيَاحِ.
فساعَفَنا الزمانُ بما أردْنا، * فأُبْنا بالفَلاح وبالنَّجاحِ! ١٠

عمر عسكر

عُمْر عسكر[2] — وهو أسفل من واسط، فى الجانب الشرقيّ، فى القرية المعروفة ببرخوى[3] وبه كرسيّ المُطران. وهو عُمْرٌ كبير، كثير القلايات بُنِيَتْ عليها. ويحيط به بساتينُ كثيرة وغلات واسعة.

وفيه يقول محمد بن حازم الباهليّ، وكان قد قصده أيام مُقَام الحسن بن سهل بواسط: ١٥

---

(١) سماه الشابشتيّ وياقوت "أخويشا" بالخاء المهملة وانظر أيضا كلام الثانى عليه فى (ج ٢ ص ٦٤١)، والأول فى (ورقة ٨٦).

(٢) فى ياقوت "كَسْكَر" وقد ذكره أيضا فى أسماء البلاد وأشار إلى هذا العُمْر.

(٣) « « برخونية.

بِعُمْرِ عسكرَ طاب اللَّهْوُ والطَّرَبُ * والباذكاراتُ والأدْوارُ والنُّخَبُ!
وفتيــةٌ بذلوا للكأْس أنفُسَـــهم * وأوجبوا لرضيعِ الكأْس مايجبُ.
فلم يزلْ فى رِيَاض العُمْر يعمُرهــا * قَصْفا وتَعْمُرُها اللذّاتُ والطربُ.
والدهر قــد طُرِفت عنّا نواظِرُه * فمــا تُروِّعنا الأحــداثُ والنُّوَبُ.

٥ قال الشابشتى: وأنشدنى من مليح شعره قولَه:

صِـــلْ خَمْرةً بخُمَارِ * وصِــلْ خُمارا بخمرِ!
وخُذْ بحظِّك منهــا * كأْسًا إلىٰ حيث تَدْرى!

قال: فقلتُ له: إلى أين؟ ويحك! فقال إلىٰ النار، يا أحمق!

وأنشد له:

١٠ حَدِّدَا مجلسا لعَهْــد الشبابِ * وآرْعَيَا حُرْمة الصِبا والتَّصابى!
بكُهُولٍ إذا آستقرت حُمَيَّا الـــكأس لم ينْطِقوا بغير الصوابِ.
مارَسُوا شِـــدّةَ الزمانِ فَلَانُوا * وآستفادُوا محَــاسنَ الآدابِ.
فاســقِيانِى إذا تجاوَبتِ الأو * تار كأْسا لإذْكار الشَّــبابِ!

(٢٣٧) دير الأسكون

دير الأُسْكُونْ[1] — ذكر مُصَــنِّف ديارات الحِيرَة، أنه راكبٌ للنَّجَف. قال:

١٥ وهو أنزه دياراتها، وفيه قلالىّ وهياكل ورهبان يقيمون الضيافة لمن ورد عليهم. وهو حصن منيع. له سورٌ عالٍ، وبابٌ من حديد. ومنه يُهبط إلىٰ غدير الحيرة. وأرضه رَضْراض ورمل أبيض. وله مشرعة تقابل الحِيرة، لها درج إذا آنقطع النهر كان منها شرب أهل الحيرة. قال: وإليه تجتمع النصارىٰ فى أعيادهم وفى كل يوم جمعةٍ بعد

(١) سماه ياقوت "دير أسكون" وآنظر كلامه عليه (ج ٢ ص ٦٤٣ و ٦٨٧).

صلاة الجمعة . فإذا كان يومُ الشعانين ، أتوه من كل ناحية ، مع شمـاميسهم بصُلُبهم وأعلامهم . فإذا آستتمّوا فيه وفى القصر الأبيض والعَلالىّ المدانية ، خرج أسقفهم بهم إلىٰ مكان يعرف بقُبيبات الشعانين (وهى قِباب علىٰ ميلٍ من ناحية طريق الشام) فأقام بهم فيها يومهم ذلك إلى آخره . ولكل منهم يومئذ شأنٌ يُغنيه .

دير حَنّة[1] ـ هو بالحِيرة ، من بناء نوح . هكذا نقلتُه ولا أعرف مَن هو .

وإلىٰ جانبه قائم . حكىٰ أحمد بن عمر الكوفىّ ، قال : كان بالكوفة رجل أديب ضعيف الحال ، مهما وقع فى يده من شئ ، أتىٰ به دير حَنّة فيشرب فيه حتى يسكر . ثم ينصرف إلىٰ أهله ، ويقول : يعجبنى من الغراب بُكُورُه فى طلب الرزق . وربما بات به ، ويقول :

تطـاول لبثُك بالراوية ، وكان المَبيتُ بها عافية .
ومن تحت رأسك آجُرّةٌ وجَنبُك مُلقىً علىٰ باريه .
وذلك خيرٌ من الإنصراف فتحكُمُ فيك بنو الزانيـه .
وتُصبِح إمّا رهينَ السُّجون وإمّا قتيلًا علىٰ ساقيـه .

قال : فوجد والله بعد أيام قتيلا علىٰ ساقية ! وهو القائل :

ما لذّةُ العيشِ عندى غيرُ واحدةٍ هى البُكورُ إلىٰ بعض المَواخيرِ .
لحامِلِ الذِّكرِ مأمونٍ بوائقُـه سَهْلِ المَبادىء مُرِّ المَداخيرِ .
حتى يَحُلّ علىٰ دير آبن كافـرةٍ من النصارىٰ ببَيع الخَمْر مشهورِ .
كأنما عَقَـد الزُّنّار فـوق نَقًـا واعْتَمّ فوق دُجى الظَّلْماء بالنورِ .

(١) وأنظر أيضا ما رواه عنه ياقوت (ج ١ ص ٣٤٥ ، ج ٢ ص ٦٤٠ و ٦٥٦ و ٦٨١) ؛ والبكرىّ (ص ٣٧٣) .

وفيه قال الثرواني:

يومى بهيكل دير حنّة لم يزل * غرّ السحاب تجود فيه وتمرع.
متجوشن طورا وطورا شاهرا * بيض السيوف وتارة يتدرّع.

وكذلك قال فيه بكر بن خارجه الكوفي[1]:

٥ ألا سقي الحورنق من محلّ * طريف الروض معشوق أنيق!
أقمت بدير حنّته زمانا * بسكر في الصبوح وفي الغبوق.
ومنّا لابس إكليل زهر * ومخضب السوالف بالخلوق.
كأنّ رياضه حسنا ونورا * سحائب ذهّبت بسنا البروق.
كأنّ تفاطر الأشجار فيه، * إذا غسق الظلام، قطار نوق.
١٠ وما شئت من درّ الأقاحي * هناك ومن يواقيت الشقيق.

وقد ذكر دير حنة أبو الفرج الأصفهاني وقال: ذكره أبو نواس في شعره، يعني في قوله:

يا دير حنّة من ذات الأكيراح! * من يصح عنك فإني لست بالصاحي.
يعتاده كلّ مجفوّ بعارفه[2] * من الدهان عليه سحق أمساح.
١٥ في فتية لم يدع منهم تخوّفهم * وقوع ما حذروه غير أشباح.
لا يدلفون إلى ماء بآنية * إلا اعترافا من الغدران بالراح.

---

(١) انظر أخباره وأشعاره في الأغاني (ج ٢٠ ص ٨٧و٨٨). وليست فيها الأبيات التي أوردها ابن فضل الله هنا.

(٢) ياقوت: مفارقه.

قال : والأُكَيراح بلدٌ نَزِهٌ كثيرُ البساتين والرياض والمياه. قال: وبالحِيرَة أيضا موضعٌ يقال له الأُكَيْرَاح فيه دير. والأُكَيراح قِبَاب صغار يسكنها الرهبان. يقال للواحد منها الكِرْحُ.

دير عبد المسيح[1] ـ وهو بالحِيرَة، بناه عبدُ المسيح بن عمرو بن بُقَيْلَة. و يقال إنه عمّر دهرا طويلا. ولحق خالد بن الوليد، حين فتح الحيرة. وله معه خبر طويل. وحكى بعض أهل الكلام، قال : قرأتُ على حائطه مكتوبا :

رأيتُ الدَّهر للإنسان ضِدًّا، ولا يُنجِي من الدهر الخُلُودُ!
ولا يُنْجِي من الآجال أرضٌ يَحُلُّ بها ولا قصرٌ مَشِيدُ!

وحكى آخر قال : قرأت على حائطه أيضا :

هــذِى منازلُ أقـوامٍ عَهِـدْتُهم في خَفْضِ عَيْشٍ خَصِيبٍ ماله خَطَرْ!
دارتْ عليهم صروفُ الدهر فانتقلوا إلى القبور، فـلا عَينٌ ولا أَثَرْ!

وقد ذكره الأصفهانيّ، في أخبار لا حاجة فيها. وقال: وكان عبدالمسيح قد بنى ديرا في بقعة بالحيرة يقال لها الجرعة، كان يترهب فيه حتّى مات، ثم خرب الدير، وظهر فيه أزَجٌ معقود من حجارة، وظنوا فيه كنزا، ففتحوه، فاذا سرير رخام، عليه رجل ميت، وعند رأسه لوح فيه مكتوب :

حلبتُ الدهرَ أشطُرَه حياتى ونلتُ من المُنَى فوق المَزِيد.
وكَافحْتُ الأمورَ وكافحتنى فلم أخضعْ لمُعضِلةٍ كَؤود.
وكِدْتُ أنالُ في الشَّرَف الثُّرَيّا ولكنْ لاسبيلَ إلى الخُلُود.

(١) انظر أخبار الأغاني (ج ٢ ص ١٦٥ ، ١٦٦).

دير الحريق

دير الحَرِيق (١) ـ هو بالحيرة . ساه النعمان بن المنذر على ولدٍ كان له ، عُدِىَ عليه واحرِق فيه . وإلى جانبه قبة تعرف بقبة السُّنْبُق (٢) ، و[قبة] تعرف بقبة غُصَيْن . وهما راهبان سبا إليهما . وهما بديعتا البناء .

وفى الدير وفيهما يقول الثروانىّ :

٥ دَيرُ الحَرِيق وقُبَّـةُ السُّنْبُقِ ... مَغْنًى لِحِلف مُدامـةٍ وفُسُوقِ
وطَنٌ امرفـه شِرفُ بدَمْعتى ... ولِرِحْلتى عنه عَصِصْتُ بريقى

(٢٣٠) حكى حمزة بن أبى سلامة ، قال : كان الثروانىّ جارى بالكوفة وكان كثير الإلمام بالدِّيَرَة ، فبا كرنى فى يوم شعانين وقال لى : اعزم بنا اليوم على الشرب فى دير الحريق ، لأنه يوم سيقصده فيه خلْق . ولى به صديق من رهبانه ظريف ، مليح

١٠ القلاية ، جيّد الشراب ، فهلمّ ! نتزهْ أعيننا فيما نراه من الجوارى والغلمان ، ثم نعدل إلى قلاية صديقنا فنشرب على سطحها المشرف على الرياض . فخرجنا فرأينا من النساء والوصائف والولدان فى الحُلِىّ والحُلَل ما لم أر مثله قط . فلم يزل يعبث ويتعرّض ، ويقبّل ويعانق ـ وكان معروفا بذلك ـ فما أحد سكر عليه فعله ، إلى بعد الظهر . ثم أتينا قلاية صديقه الراهب ، فلقيه بالإكرام والترحيب . فدخلنا قلايته ، فما رأينا أنظف

١٥ من آلاتها ، ولا أنضر من بستانها . ثم قدّم لنا شيئا من طعامه ، فأصبنا منه . ثم صعدنا سطحها ، وجلسنا ننظر إلى منظر يبهر حسنا وجمالا : من رياض وغُدْران وطير يصفّر . ونحن نشرب حتى ثملنا ونمنا هناك . وعدَوْنا على الكوفة . فقلت له : نترك

(١) انظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٤) .

(٢) فى الأصل بالمعجمة فى هذا وفى الآتى بعده . والتصحيح من ياقوت فقد ذكره فى باب السين

٢٠ المهملة ، وكذلك المجد (فى القاموس) .

هذا اليوم مع حسنه، عاطلا من حُلِىّ شعرك" فقال: لا والله! ولقد عملتُ فى ليلتى هذه، هذه الأبيات . ثم أنشدنى :

خرجنا فى سَعانين النَّصارىٰ . وشـيَّعْنا صَليبَ الجاثَليقِ .
فـلم أرَ مَنْظَرا أحْلىٰ بعيْنِى . من المتَقَبِّسات علىٰ الطريقِ .
حمَلْن[1] الخوص والزيْتون حتّى . بلغْنَ به إلىٰ ديرِ الحَرِيقِ . ٥
أكلْناهنَّ بالخُطاب عِنْفا . وأصمَرْنا لهنَّ علىٰ الفُسوقِ .

دير ابن مزعوق[2] — وهو بالجبرة، قريبَ دير الحريق . فى أنزه البقاع، زهرًا ورقيقَ هواء وتدفّقَ ماء . ويُسْتقى إليه الثَّرْوانىّ من بغداد، فقال .

ديرُ الحَـرِيقِ وبيعــة[3] المَزْعوق . بين الغَــدير وقُبَّــه الشَّــنّق .
أشْهى إلىَّ من الصَّراة وطيبها . عند الصَّباح ومن دُجى البِطْريق . ١٠
ياصـاحِ! فاحتَبِ المَلامَ أما ترىٰ . سَمِحا مَلامَك لى، وأنت صَديقى"

وقد ذكره أبو الفرج، وأسند للثَّروانىّ فيه وفى دير فاثيون قوله :

قلتُ له والنُّجـومُ جانحــة . فى لبـانة الصُّبح أوّلَ السَّحَرِ:
هل لك فى مار فاثيونَ وفى . دير ابن مَزْعوق غير مقتصِر"
نقتص هذا النَّسيمَ من طَرَف الــشام[4] ودرّ النَّدىٰ علىٰ الشَّــجرِ. ١٥
ونسألُ الأرض عن بَشاشتها . وعَهْـدِها بالرَّبيع والمطــرِ.

(١) فى الأصل : حملنا .
(٢) سماه ياقوت "دير المزعوق" وانظر كلامه عليه فى (ج ٢ ص ٧٠١) .
(٣) فى الأصل : ربيعه .
(٤) فى ياقوت يقتنص منه . . . . ورتع الندى عن المدر . ٢٠

دير فاثيون

قال : ودير فاثيون[1] أسفل النجف، ودير ابن[2] مزعوق بحذاء قصر عبد المسيح، بأعلى النجف. وفيه يقول الثرواني :

تُقرّ بفضل عتبك لى بوصلٍ ، وفعلك لى مُقِرٌّ بالجحودِ؟
تُشككنى ، وأعلم أنّ هذا ، هوًى بين العطف والصدودِ!

٥ وقال أيضا :

كرّ الشراب على نشوانَ مصطبحِ ، قد هبّ يشربها والديك لم يصحِ.
والليلُ فى عسكرٍ جمٍّ بوارقه ، من النجوم وضوءُ الصبح لم يلُحِ.
والعيش لا عيشَ الا أن تُباكرَها ، صهباءَ تقتل همّ النفس بالفرحِ.
حتى يظلّ الذى قد بات يشربُها ولا براحَ به يختال كالمرحِ.

دير مارت مريم

١٠ دير مارتْ مريم[3] — هو بالحيرة، من بناء المنذر. وهما ديران متقابلان، وبينهما مدرجه الحاجّ وطريق السابلة إلى القادسية. وهما مشرفان على النجف. ومن أراد الخورنق عدل عن جادّتهما، ذاتَ اليسار. ومن شعر الثرواني فيهما :

(٢٣٢)

دع الأيام تفعل ما أرادتْ ، إذا جادتْ بندمانٍ وكاسِ!
ومارت مريمٍ والصحنُ فيه ، حديقتان من وردٍ وآسِ.
١٥ وظبىٍ فى لواحظ مقلتيه نُعاسٌ من فتورٍ لا نعاسِ.
وخلٍّ لا يحول عن التصابى ، ذكورٍ للمودة غيرِ ناسى.

(١) سماه ياقوت والبكرى "دير فثيون". وانظر كلام الأول عليه (ج ٢ ص ٦٨٣) ، والثانى (ص ٣٨٠).

(٢) فى الأصل : بن.

٢٠ (٣) انظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٩٢) ، والبكرى (ص ٣٧١).

وَمُخْتَصِرٍ لِطَسُورٍ فَصِيحٍ * تُغَنِّينِي بِشِعْرِ أَبِي نُوَاسِ.
وما اللذَّاتُ إلا أَنْ تَرَانِي صريعًا بينَ باطيةٍ وكاسِ!

وقد ذكره أبو الفرج وقال: كان قَسٌّ يقال له يحيى بن حمار، ويقال له يوشع، تألفه الفتيان ويشربون على سطحه وفي قلايته، على قراءة النصارى وضرب النواقيس.

ومنه قال بكر بن خارجة، أو غيره:

بِتْنا بِمارَتِ مَرْيَمِ! * سقيًا لمارتِ مريمِ!
ولِقَسِّها يحيى المُهَيْمِنِ بعد نوم النُّوَّمِ!
ولِيُوشَعٍ ولِخَمْرِهِ * حمراءَ مثلَ العَنْدَمِ!
ولِفِتْيَةٍ حَفُّوا به * يَعْصُون لَوْمَ اللُّوَّمِ!
يَسْقِيهِمُ ظَبْيٌ أَغَنُّ لَطِيفُ عَلْقِ المِعْصَمِ!
يَرْمِي بعينيهِ القُلو * بَ كمِثْلِ رَمْيِ الأَسْهُمِ!

قلاية القس

قَلَّايَةُ القَسِّ — وهي بالحيرة، في موضع حسن. وكان القَسّ الذي تنسب إليه من مِلَاح النصارى، وكان ناسكا، ثم صار فاتكا. وفيه قيل:

قَلَّايَةَ القَسِّ! مالى عنكِ مُصطَبَرُ! * ومَن إلى مَن لحاهُ فيكِ يعتذرُ؟
فكم لديكِ نسيمٌ ذيلُهُ عَبِقٌ * وكم لديكِ هواءٌ جَيْبُهُ عَطِرُ!
وتربةٌ وعفاءٌ: ذي يَزُولُ بها سُقْمُ السقيم، وذا يُجْلَى به البصرُ!
وماءُ مُزْنٍ يَكُفُّ الريحُ صفْوَتَهُ * وكالمرايا على الأوشالِ والغُدُرُ.

وقد ذكره أبو الفرج وقال:

خليليَّ من تَيْمٍ وعِجْلٍ، هُدِيتُما! * أَصِيبا بحَثِّ الكأسِ يومي إلى أمسى!

(٢٣٣)

وإن أنتما حَيَّيتمانى تَحيَّةً ، فلا تَعدُوَا رَيحانَ قلاية القَسّ !
إذا ما به حيّيتُمانِىَ ، فاْخلُوا ، جَبِيْنَ دُونِى بالخَلوف و بالوَرْسِ !
وإن قلتما : لابدَّ من شُرْبِ دائرٍ ، ولم تعدرانى فى مطالٍ ولاحبس ،
فمن قهوةٍ حيريّةٍ راهبيّةٍ ، عتيقةِ خمسٍ أو تزيدُ على خمس ،
٥ تجرُّ على قرع المزاج إزارَها وتختال منه فى مُصبّغة العُرْس !

دير حَنَّةَ الكبير[1] — قال الخالدىّ : هو بالحيرة فى الأُكيراح ، غيرَ دير[2] حنّة الذى قدّمنا ذكره . يقال إنه بُنى حين بُنيت الحيرة : وكان من أنزه الديرة ، لكثرة بساتينه وتدفق مياهه .

د ير حنة الكبير

حكى جحظة عن بعض أهل الحيرة ، قال : اجتاز بنا عمر بن فرج الرُّخّجى[3] ،
١٠ منصرفا من الحجّ . فتلقيناه وأعظمناه ، وسرنا معه . فلما اجتاز بدير حنة ، سألنا عنه فعرّفناه به . فقال : مَن ذا الذى يقول :

يا دير حنة من ذات الأُكيراح !

فقال له الحسين بن هشام الحيرىّ : هذا لأبى نُوَاس . أفتحبّ أن أُنشدك لشاعرنا الثَّرْوانىّ شيئا يقرب من هذا المعنى ، فى هذا الدير؟ قال : بلى . فأنشده :

١٥ (١) أنظر ياقوت (ج ١ ص ٣٤٥ ، ج ٢ ص ٦٤٠ و ٦٥٦ و ٦٨١) . وقال ياقوت انه لا يدرى ان كان الدير الذى بالأكيراح هو نفس الذى بالحيرة . ونص البكرىّ على أنهما اثنان (وانظر تفاصيله فى ص ٣٧٣) .

(٢) فى الأصل : دى

(٣) كان هو وأبوه من أعيان الكتاب فى أيام المأمون إلى أيام المتوكل ، مثل الوزراء وذوى الدواوين
٢٠ الجليلة (أنظر الأغانى ج ٩ ص ١١٤ ، ج ١٩ ص ١٤١ . وأنظر معجم البلدان ج ٢ ص ٧٧٠)

علىٰ الرَّيْحان والرَّاحِ ۔ وأيَّامِ الأُكَيْراحِ

وإبريقٍ كَطَيْرِ المـا * ء فى لَجَّةِ ضَحْضاحِ،

سلامٌ يُسْكِرُ الصاحِى ۔ وما فيه فتًى صاحِ!

ومَنْ لى فيـه بالسُّلْوَ ، ه عن وَجْه ابن وَضَّاحِ"

عزالٌ صِيغَ من فِتْنَـ ـهِ أبدانٍ وأرواحِ! ٥

إذا راحَ إلىٰ البِيعَـ ـةِ فى أثواب أَمْساحِ،

ففى كَفَّيه إفسادى * وفى كَفَّيْه إصلاحى!

(٢٣٤) قال : فاستحسن الأبيات وأمر كاتبا معه بكتْبِها، وخلع علىٰ الحسين بن هشام، وأجازه .

وحكىٰ جحظه قال: زرتُ إبراهيم بن المدبر، وكان بالكوفه . فأكرمنى وأنس بى، ١٠ وأقمت عنده ثلاثة أشهر. فجرىٰ يوما ذكر دير حنّة، فقال ابن المدبر: والله إنى لأُحِبُّ أن أراه وأشرب فيه، فقد ذُكِر لى حُسنُه ! فأين هو من الحيرة ؟ فدلّه إسحاق بن الحسين العلوىّ عليه وقال له: فى هذه الأيام ينبغى أن نقصد، لأنها أيام ربيع ورياض مُعتمّة بالزهر، والغدران، والبادية بقربه، فلن نعدم أعرابيا فيصبحا بطير إلينا، ونحن فيه، فيهدى إلينا بيض نعام، ويجنى لنا الكمأة. فتقدّم ابن المدبر إلىٰ غلمانه بإعداد ما يُحتاج ١٥ إليه . وخرج وخرجتُ حتّى وافيناه . وإذا هو حسن البناء، والرياض محدقة به، ونهر الحيرة الذى يقال له الغدير بقربٍ منه . فضربت لنا خِيمٌ عنده . وخرج إلينا رهبانه، وحملوا إلينا ممـا عندهم من التُّحَف والأَلْطَاف . فأكلنا وجلسنا نشرب . وغنيته بشعر أبى نُوَاس المتقدّم . فبينا نحن كذلك، إذ اجتازبنـا غلامٌ حَسَنٌ، عارضه كأنه بدر علىٰ

غصن، معه مصحف من مصاحف النصارى، كامل العقل، ساحر اللحظ واللفظ. فشرب ابن المدبر على وجهه رطلا، وسقاه قدحا. واستأذنه الغلام فى النهوض، وقال: معى مصحف لا تتم للرهبان صلاة إلا بحضوره. وهذا وقت صلاتهم، وقد ضربوا الناقوس منذ ساعة. وأخذ عليه العهد فى الرجوع إليه وأمر له بمائة دينار. وعملت

٥ شعرا صنعت فيه صوتا. فما زال صوته طول مقامه. وهو:

فديتُ من مرّ بنا مسرعاً * يسعى إلى الدير بأسحاره!

خدمتُ ربَّ الدير من أجله * حتّى كأنّى بعض أحباره.

حذّرنى النارَ ولم يدرِ ما * فى القلب والأحشاء من ناره.

حيّرنى تفتيرُ أجفانه * وحلُّ عقدى عقدُ زنّاره.

(٢٣٥)

١٠ وأقمنا بمكاننا ثلاثة أيام، ثم عدنا إلى الكوفة وقد عملتُ فى تلك الأيام وغنّيت فيه:

وبالحيرة لى يومٌ * ويومٌ بالأكيراح!

إذا عزّ بها الماءُ * مزجْنا الراح بالراح!

وحكى الربيع عن بعض أهل الحيرة قال: كان فى دير حنّة خمار يقال له مرعبدا، موصوف بجودة الخمر ونظافة الآنية وملاحة الحانة. فحكى مرعبدا قال:

١٥ ماشعرتُ يوما وقد فتحتُ حانوتى وجلست إلى جانب الهيكل، إلا بثلاثة فوارس قد أقبلوا من طريق السماوة فى البرّ، حتّى وقفوا علىّ، وهم ملثمون بعمائم الخزّ وعليهم حُلل القصب. فسلّموا علىّ وأسمر أحدهم وقال: أنت مرعبدا، وهذا دير حنّة؟ قلت: نعم. قال: قد وُصفتَ لنا بجودة الشراب والنظافة، فاسقنى رطلا. فبادرتُ فغسلت يدى ثم نقرت الدّنان ونظرتُ أصفاها فبزلته. فشرب، ومسح يده وفمه

بالمندبل . ثم قال : آسـقنى آخر : فغسلتُ يدى وتركت ذلك الدَّنّ وذلك القَـدَح والمنديل ونفرت دَنًّا آخر . فلما رصيتُ صفاءه، بزلتُ منه رطلا فى قدح ،وأخذت مديلا جديدا . فناولته إياه فشرب كالأوّل . ثم قال : آسقنى رطلا آخر . فسقيته فى غير ذلك القدح وعير ذلك المندبل . فشرب ومسح فمه و يده . وقال لى : بارك الله فيك ! فمـا أطيبَ شرابَك وأنظفَك وأحسنَ أدبَك ! وما كان دأبى أن أشرب ٥
أكثر من ثلاثة أرطال . فلمـا رأيت نظافتك دعتنى نفسى إلىٰ شرب رابع ،فهاته ! فناولته إياه علىٰ ملك السبيل . فشرب وقال : لولا أسبابٌ تمع من بيتك لكان حبيبا إلىّ جلوسى يومى هذا فيه . وولّى منصرفا فى الطريق الذى بدا منه . ورمى إلىّ أحدُ الراكبَيْن اللذين كانا معـه بكيس . فقلت وحق النصرانية ! لاقبلتـه حتّى أعرف الرجل . فقال : هدا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ! وُصمتَ له ،فأقبل من دمشـق ١٠
حتّى شرب من شرابك ورأىٰ ديرك والحيرة . ثم آنصرف . لحللتُ الكيس فاذا هو أربعمائة دينار .

دير هند

دير هند[(1)] ـ (وهى بنت النعمان بن المنذر) بناه لهـا أبوها لتتعبّد فيه . فلما فرع

(١) أنظر البكرى (ص ٣٦٢) ؛ وياقوت (ح ٢ ص ٧٠٧) ، "والبلدان" للهمدانى (ص ١٨٣) ، وآبن العبرى (ص ١٧٢) ، "ونفح الطيب" (ح ١ ص ٣٢٩) . وهناك ديارات أخرى بآسم هند بعضها ١٥ يسمى بهند الكبرى و بعضها بهند بنت النعمان و بعضها بهند الأقدم و بعضها بنى هند . وآنظر التفاصيل عليهـا فى الأغانى (ح ٢ ص ٣٣ و ٣٤ ، ج ٨ ص ٦٤) ؛ والطبرى (سلسلة I ص ٢٤٩٤ ، سلسلة II ص ٦١٩ و ٦٢٠ و ١٨٨٢ و ١٩٠٣) ، وآبن الأثير (ح ٤ ص ١٨١ ، ح ٥ ص ٢٤٧) ؛ "والكامل" للمبرّد (ص ٢٦٦) ؛ وآبن الأثير (ج ١ ص ٣١٥) . وهناك دير آخر بآسم هنـد فى دمشق (ياقوت ح ٢ ص ٧١٠) . وقد تختلط هـذه الاسماء ببعضها ، ولكن البيانات والمواطن التى أوردتها هنا ٢٠ تسمح بتمام التمييز لمن يريد البحث عنها وآستقصاءها .

منه، خرجَتْ من قصر أبيها تُريدُه . فأقامت في الطريق سنة تنزل المضاربَ في نُزَهٍ وصيْدٍ . والمسافة بين قصر أبيها و بينه نحو الفرسخ . وشقّ له بشر بن مَرْوان نهرا من الفُرات . ولم يزل النهر يجرى حتّى خرب الدير .

وحكى أن النعمان كان يصلى به و يتقرّب فيه، وأنه علّق في هيكله خمسمائة قِنديل من ذهب وفضـــة . وكانت أدهانها في أعيـــاده من زنبق و بانٍ وما شاكلهما من الأدهان، و يوقدِ فيه من العود الهندىّ والعنبر شيئا يجلّ عن الوصف .

وفيما حكىٰ(١) الكلبىّ أن النعمان دخله في بعض أعيـــاده، فرأىٰ آمرأة تأخذ قربانا، أَخَذَت بقلبه . فدعا الراهب الذى قرّبها وسأله عنها . فقال: هى آمرأة حَكَمِ بن عمرو اللّخمىّ . فلمـــا آنصرف النعمان دعا عدِىَّ بن زيد، كاتبه . وأوقفه علىٰ الخبر وقال له : كيف الحيلة؟ فقال له : إذا كان بكرةُ عدٍ وحصر الناس البابَ، فابدأ به في الإذن وأجلسه معك علىٰ سريرك . ففعل النعمان ذلك وأذن للناس بعده . فجعلوا يتعجبون . وآنصرفوا . فقال النعمان لعدىّ بن زيد : قد فعلتُ ماأشرتَ به، فَمَهْ؟ قال : إذا أصبحتَ فآكسُه وآحملْهُ . ففعل . ثم قال : اِجعل حوائج العرب إليه . ففعل . ثم قال النعمان لعدىّ بن زيد : قد طال هذا! قال : إذا أصبحتَ، فإن عنـــدك عشر نسوة، فطلق أبغضهنّ إليك . ثم قل له : قد طابت نفسى لك بمـــا لم نَطِب به لولد ولا أخ . قد طلّقت لك فلانة، فتزوّجها . ففعل ذلك . وخرج وهو لابُسٌ من حُلَل النعمان، ولديه ماحمله عليه . فجلس وحكم بين العرب، وعدىّ بن زيد بالباب جالس .

---

(١) هذه الحكاية رواها أيضا في كتاب المحاسن والاضداد المنسوب للجاحظ (ص ٣٠٩ طبع ليدن) . وهناك تغيير في بعض الألفاظ .

فقال له اللخمىّ : ما أدرى ما أكافئ به الملك؟ فعل معى وفعل . فقال له عدىّ :
ما أقْدَرك علىٰ مكافأته ! قال : وما هو؟ قال : طلق ٱمرأتك كما طلق لك ٱمرأته . (٣٣٧)
قال : قد فعلتُ . فأنفذها إلىٰ النعمان . وفى ذلك يقول الشاعر :

عُلِّقْتها حُرَّةً حَوْراءَ ناعمـــةً * كأنها البدرُ فى داجٍ من الظُّلَمِ .
مافى البريَّة من أُنثىٰ تُعادِلهـا * إلا التى أخذ النُّعمانُ من حَكَمِ ! ٥

وقد ذكره أبو الفرج وقال : هند بنت النعمان صاحبة هـذا الدير، هى الحُرَقَة ،
وهى التى دخلت علىٰ خالد بن الوليد . وآخر أمرها معه أنه أمر لهـا بمـال ومعونة
وكسوه . فقالت : مالى إليه حاجةٌ . لى عبدان يزرعان مزرعة لى، أتقوّت بها ما يُمسك
رمق . وقد ٱعتددت بقولك فعلا و بعرضك نقدا . فٱسمع منّى دعاءً أدعو به لك، كنا
ندعو به لأملاكنا : شكرتْكَ يدٌ ٱفتقرت بعد غنًى، ولا ملكتْك يد ٱستغنت بعد فقر ، ١٠
وأصاب الله بمعروفك مواضعه !

قال : وهذا الدير يقارب دير بنى عبد الله بن دارم بالكوفة، مما يلى الخندق .

وحكى الشابشتىّ أن الحجاج قدم الكوفة فبلغه أن بين الحيرة والكوفة دير هند بنت
النعمان، وهى متمكنة من عقلها ورأيها . فانظر إليها فإنها تقيةٌ . فركب، والناسُ معه،
حتّى أتىٰ الدير، فقيل لهـا : هذا الأمير الحجاج بالباب : فٱطّلعت من ناحية الدير . ١٥
فقال لهـا : ياهنـدُ ! ما أعجبَ ما رأيتِ ؟ قالت : خروج مثلى إلىٰ مثلك . لاتغترَّنَّ
ياحجاج بالدنيا، فإنا أصبحنا ونحن كما قال النابغة لأبى :

رأيتُـــك من تَعْقِدْ له حبل ذمة * من الناس، يأْمَنْ سرجه حيثما ٱرتقى !

ولم نُمسِ إلا ونحن أذلّ الناس . وقلّ إناء امتـلأ إلا ٱنكفأ . فٱنصرف الحجاج

مُغْضَبا. وأرسل إليها مَن يخرجها من الدير، ويستأديها الخراجَ. فأُخرجت، ومعها ثلاث جوارٍ من أهلها. فقالت إحداهنّ:

خارجاتٌ يُسَقْنَ من دير هندٍ * مُعلساتٌ بِذلّةٍ وهَوانٍ!
ليْتَ شِعْرى! أأوّلُ الحَشْر هذا * أم محا الدّهرُ غَيْرَةَ الفِتْيانِ؟

٥ فشدّ فتىً من أهل الكوفة علىٰ فرسه. فاستنقذهنّ من رُسُل الحجاج. وتغيّب. فبلغ الحجاجَ شعرُها وفعلُ الفتىٰ. فقال: إن أتانا، فهو آمِنٌ؛ وإن ظفرنا به، قتلناه! فأتاه. فقال له: ماحملك على ماصنعت؟ فقال: الغيرة. فوصله وخلّاه.

وكان سعد بن أبي وقّاص حين فتح العراق، أتىٰ هندا، إلىٰ ديرها. فخرجت إليه وعرض عليها نفسه فى حوائجها. فقالت: سأحييك بتحية كانت ملوكنا تُحَيّاً بها

١٠ «شكرتك يدٌ ٱفتقرت بعد غنًى، ولا مسّتك يدٌ ٱستغنت بعد فقر، ولا جعل الله لك إلىٰ لئيم حاجةً، ولا نزع عن كريم نعمةً إلا جعلك سببا لردّها عليه!» قال: ثم جاءها المغيرة، لما ولّاه معاوية الكوفة. فاستأذن عليها. فقيل لها: الأمير علىٰ الباب! فقالت: قولوا له: من أولاد جبلة بن الأيهم أنت؟ فقال: لا. قالت: أفمن أولاد المنذر بن ماء السماء؟ قال: لا. قالت: فمن أنت؟ فقال: المغيرة بن شُعبة الثقفي.

١٥ قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتُكِ خاطبا. قالت: والصليبِ! ماجئتنى رغبةً فى مال، ولا شغفا بجمال. ولكن أردت أن تقول: نكحتُ ٱبنة النعمان. وإلّا فأىّ فخر فى ٱجتماع شيخ أعور وعجوز عمياء؟ اِذهب! فبعث إليها فقال: كيف كان أمركم؟ قالت: سأختصر لك الجواب. أمسينا وليس فى العرب أحدٌ إلّا وهو يرغب إلينا ويرهبنا، ثم أصبحنا وليس فى الأرض أحد إلا ونحن نرغب إليه ونرهبه. قال:

فما كان أبوك يقول فى ثقيف؟ قالت : آختصم إليه رجلان، أحدهما ينميها إلىٰ إياد والآخر ينميها إلىٰ بكر بن هوازن ، فقضى بها للإيادىّ ، وقال :

إنّ ثَقِيفًا لم تكُنْ هَوَازِنا * ولم تُناسِبْ عامرا ومازِنا!

(٢٣٩) قال المغيرة : أمّا نحن فمن بكر بن هوازن، فليقل أبوك ماشاء!

دير اللّجّ

دير اللُّجّ[1] ـ وهو بالحيرة، مما بناه النعمان بن المنذر. وهو من أنزه دياراتها وأحسنها بناءً : لما يُطيف به من البساتين. وكان النعمان يأتيه يتعبّدفيه، ويستشفى به فى مرضه. وفيه قيل : ٥

ياليلتِي أطْيِبْ بها ليـلةً، * لولم يَكُنْ قِصَرها الطِّيبُ !
بِتنـا بدير اللُّجِّ فى حانةٍ * شَرابُها فى الكاس مكْبوبُ.
يُديرها ظَبْيٌ هَضِيمُ الحَشَـا * يحبّــه الشُّبّان والشِّيبُ. ١٠
حتّى إذا ما الخمر مالَتْ بنَا * جرَتْ أمـــورٌ وأعاجِيبُ.
فمـا ترىٰ ظنّك فى شادنٍ * باتَ إلىٰ جانبـــه ذِيبُ.

وقد ذكره أبو الفرج، فقال : كان النعمان يركب فى كل أحد إليه، وفى كل عيد، معه أهل بيته خاصة من آل المنذر ومَن ينادمه من أهل دينه ، عليهم حلل الديباج المذهبة، وعلىٰ رؤوسهم أكاليل الذهب، وفى أوساطهم الزنانير المحلاة بالذهب المفصصه ١٥ بالجوهر ، وبين أيديهـم أعلامٌ فوقها صُلبانُ الذهب . وإذا قَضَوْا صلاتَهم، آنصرف إلىٰ مُسْتَشْرفه علىٰ النُّجُب . فيشرب فيه بقيــة يومه إلىٰ أن يُمسى، وخلع ووصــل وحمل، وكان ذلك أحسن منظر وأشرفه . وأنشد فيه قول الشاعر :

(١) انظر أيضا ياقوت (ج ٢ ص ٦٩١) ، والبكرىّ (ص ٣٦٦) .

سقى اللهُ دير اللجّ خيرا فإنّه * على بُعْده منّى إلى حَبيبُ!
قريبٌ إلى قلبى بعيدٌ مكانُه، * وكم من بَعيدِ الدارِ وهو قريبُ!

دير بنى علقمة(1) — وهو دير بناه علقمة بن عدِىّ اللخمىّ، بالحيرة . وفيه يقول عَدِىُّ بن زيد، وفيه غِناء :

٥ نادمْتُ فى الدير بَنِى عَلْقَما * عاطَيْتُهُم مشمولةً عَنْدَمَا!
كأنَّ رِيحَ المِسْك فى كأسِها * إذا مَزَجْناها بماءِ السَّما!

دير هند الأقدم(2) — وهى هندُ الكبرى بنت الحرث بن عمرو بن حجر، الملك، أم عمرو بن المنذر، الملك .

وحكى محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعىّ عن أبيه قال : دخلت مع يحيى
١٠ ابن خالد، لما خرجنا مع الرشيد، إلى الحيرة . وقد قصدها ليتنزه بها و يرى آثار آل المنذر . فدخل دير هند الأكبر . وهو على طَرَف النَّجَف : فرأى فى جانب حائطه شيئا مكتوبا . فدعا بسُلَّم فأُحضِر . وأمر بعض أصحابه أن يصعد إليه ، فيقرأه . فاذا فيه مكتوبٌ:

إنّ بَنِى المُنْذِر عامَ ٱنْقضَوْا * بحيثُ شاد البِيعَةَ الراهبُ،
١٥ تَنْفَح بالمِسْك ذَفَارِيهم * وعَنْبَرٌ يَقْطِبه القاطبُ.
والقَزّ والكَتّان أثوابُهم * لم يَجْلِبِ الصوفَ لهم جالبُ.

---

(1) سماه ياقوت والبكرىّ "دير علقمة" وآنظر كلام الأول عليه (ح ٢ ص ٦٨١) ، والثانى (ص ٣٦١) .

(2) أنظر البكرىّ (ص ٣٦٤) . وسماه ياقوت "دير هند الكبرى" (ح ٢ ص ٧٠٩) .

دير بنى علقمة

(٢٤٠)
دير هند الأقدم

والعِـزّ والمُلْك لهم راهنٌ * وقَهْوةٌ ناجُودُها ساكبُ .
أضْحَوْا وما يرجوهُمُ طالبٌ * خيرا ولا يرهَبُهُمْ راهبُ .
كأنّهـم كانُوا بها لُعْبَـةً * سار إلىٰ بَيْنٍ بهـا راكبُ .
وأصْبَحُوا فى طَبَقات الثّرىٰ * بعـد نَعيم لهـمُ راتبُ .
شرُّ البقايا مَن تَرىٰ منهمُ : * قُـلٌّ . وذُلٌّ جَدُّه خائبُ ! ٥

فبكىٰ الرشيد، حتّى جَرَت دموعه على لحيته . وقال : هذه سبيل الدنيا وأهلها ! وآنصرف عن وجهه ذلك .

قبة السنيق

قبّةُ السُّنَيْق[1] ــ وهى من الأبنية القديمه بالحيرة، على طريق الحاجّ . و بإزائها قباب يقال لها السُّكُورَة، جميعها للنصـارىٰ . وعند السَّعانين بها تَنزُّهٌ . يخرج فيه النصارىٰ من السكورة إلى القبة فى أحسن زىّ، عليهم الصلبان و بأيديهم المجامر . والقسوس ١٠ والشمامسة علىٰ نَغَم[2] واحد، متّفق فى الألحـان، إلىٰ أن يقضوا بغيتهم . ثم يعودون علىٰ هيئتهم .

(٢٤١)
دير إسحاق

دير إسحاق[3] ــ وهو بين حِمْص وسَـلَمِيّة . فى موضع حَسَن نَزِه، علىٰ نهرٍ جارٍ . وحوله كرومٌ ومزارعُ، إلىٰ جانب ضيعة صغيرة، يقال لهـا جَذْر . وهى التى ذكرها الأخطل فى قوله : ١٥

* عتّقتهـا حِمْصُ أو جَـذَرُ *

(١) أورده فى الأصـل بالشين المعجمة . (وآنظر تصحيحها عن ياقوت فى صفحة ٣١٥ المتقدمة أثناء الكلام علىٰ (دير الحريق) .
(٢) فى الأصل : نغمهم .
(٣) انظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٣) . ٢٠

وفيه قال أبو عبدالرحمٰن الهاشميّ السَّلَمانيّ، من أهل سَلَمِيَّة :

وافِقْ أخاكَ تَجِدْه خيرَ رفيقٍ، * إنْ كنتَ لستَ عن الصِّبَا بمُفِيقِ!

وإذا مررتَ بدير إسحاقٍ فقُلْ: * جادَتْكَ غيرُ سَحائبٍ وبُرُوقِ!

ديرٌ يُشَبَّهُ ماؤُه بهوائه * وهواؤُه بلَطَافةِ المعشُوقِ.

٥ وكتب أبو عبد الرحمن إلىٰ أحبه من دير إسحاق :

أَمَا طَرِبتَ لهذا العارضِ الطَّرِبِ، * أما رأيتَ الصَّبا والجوَّ في لَعِبِ؟

تعانَقَا فكأنّ القَطْرَ بينهما * من فضةٍ، وكأنّ الزهرَ من ذهبِ.

ونحن في دير إسحاقٍ ومَجْلِسُنا * يشكو مَغِيبَك، فاحضُرْهُ ولا تَغِبِ.

لِنجعلَ اليومَ عيدًا في مَلَاحتِهِ * ونقلبَ الهمّ بالأدوار في القُلُبِ.

١٠ وقال فيه :

سلامٌ علىٰ ليلةٍ بالدُّوَيْرِ : تقضتْ كزائرةٍ في الحُلُمْ!

أَتَتْنِيَ في طَيْلَسانِ الضياءِ * ولم تَتَقَنَّع سُور الظُّلَمْ.

يعارِضُ فيها ابتسامَ البروق * بُرُوقُ دِنانٍ بها تبتسِمْ.

وصفراءُ لم تُبْقِ إلّا النحيـ ـفَ منها الليالي وطولُ القِدَمْ،

١٥ تمزّقتها في ثيابِ الدجىٰ * إلىٰ أن تجلّى الدجىٰ للهرمْ.

نزلْنا بها وَسْطَ مكسُوَّةٍ * مَطَارِفَ من نَسْجِ أيدي الدِّيَمْ.

سقاني ابنُ قِسّيسها كأسَها * علىٰ زَوْرةٍ من حبيبٍ أَلَمْ.

(٢٤٢) وقال فيـــه :

أَنَظْمَا رِياضُ الديرِ من صَوْبِ ماطِرٍ . ولم أَقْرِ صيفَ الليلِ أجفانَ ساهِرِ ؟

وقلتُ : سقَى الصحراءَ بينَ عَواقِصٍ . ذوائبُهـا فى سَفْحِه ونواشـــرِ !

رحيمٌ بأطفـال العَـرُوس يضُمُّها . إذا ما آنثنت ضَمَّ الشَّفيقِ المحاذِرِ .

فكم قلتُ للساقِى ، وقد مح الندَى . بواطرَها : قُمْ هاتِهـا لأنُتَـاظِـرِ ! ٥

يحنّ إلى الدير آشتياقِى كأنّمـا . يُرينى الصِّــبا فيه بموقع ناظِرِى .

دير ميماس — دَيرُ مِيمَـاس[1] ـ وهو بين دمشق وحمص على نهر مِيمَـاس . وإليه نُسب . وهو فى رياض وبساتين ، وعليـه طواجن روميَّة . ويزعم رهبانه أن به شاهدا من الحواريين .

وحكَى العسقلانىّ أنه كان لديك الجنّ غلام يهواه ، وكان شديد الوجد به . فخدعه ١٠ قومٌ ومضَوْا به إلى دير ميماس ، وسقَوْه نبيذا . فبلغ ذلك الديك ، فقلق . وقال :

قُلْ لهضيمِ الكَشْحِ مَيّاسِ : اِرتَفَعَ العهدُ من الناسِ !

ماطاقةَ الآسِ التى لم تَمُدْ إلّا أذلَّتْ قُضُبَ الآسِ !

وثِقتَ بالكاسِ وشُرّابِها ، وحَتْفُ أمثالكَ فى الكاسِ !

فى دير مِيماسٍ ، وما تَعْدَ ما بين مُغيثِيــكَ ومِيمَـاسِ ! ١٥

لابأسَ مولاى على أنّها نهايةُ المَكروه والباسِ !

فاللهُ ودَعْ عنكَ أحاديثَهم * سيُصبِح الذاكِرُ كالناسى !

(١) انظر ياقوت (ج ٢ ص ٧٠٢) .

وحُكى ان أبا نُوَاس، لمـا دخل حمص مارًّا بها، دعاه فتًى من أدبائها إلىٰ دير ميماس. ودعا معه أشجعَ السُلمىّ. فجلسوا يشربون، وأبو نُوَاس يُنشدهم، له ولغيره. فقال أشجعُ:

صَبَّحتُ وجهَ الصَّبَاح بالكاس * ولم تَعُـفْنى مقالةُ الناسِ.
ونحن عِنْـد المُدام أربعةٌ * أكْرَمُ صَحْبٍ وخيرُ جُلّاسِ.
نُدِيرُ حِمْصِـيّةً مُعتَّقَـةً * علىٰ نسيم النِّسرينِ والآسِ.
ولم يزلْ مُطْرِبًا ومنشِـدنا[1] * أبو نُوَاسٍ فى دير مِيمَـاسِ.

٥

دير مُحَلّى[2] ــ وهو بساحل جيحان، قريب المصِّيصَة.

دير محلّى

وحكى أبو نصر البحوىّ أن أبا خالد، الكاتب، اجتاز بهذا الدير، ومعه ابن أبى زرعة الدمشقىّ الشاعر. قال: فرأينا من حسن رياضه، وتدفُّق مائه، وطيب هوائه، ونَضْرة أشجاره، منظرا حسنا. فقال ابن أبى زرعة: لقد حُظِر علينا أن نتجاوز هـذا الموضع ولا نشرب فيه حتّى نموت سكرا. فقلت له: ويحك! أنا مبادر فى مُهِمّ. فقال: ما فقدامَك أهمّ من هذا. وثنىٰ رجله، ونزل عن دابته. فنزلنا. ثم أتانا الرهبان بتحايا الورد والياسمين والتُفّاح. وأخرجوا إلينا شرابا عتيقا، فى نهاية الصفاء والرقة، فابتعناه منهم. وأقمنا يومنا هناك فى أنعم عيش وأحسنه. فلما أصبحنا، غَدَوْنا. فأنشدنى أبو زرعة لنفسه:

١٠

١٥

دير مُحـلَّى مَحَـلّةُ الطربِ * وصحنُه صحنُ روضـةِ الأدبِ.
والمـاءُ والخمرُ فيه قد سُبِكا * للصفو من فِضَّةٍ ومن ذهبِ.

(١) فى الأصل: ولم يزد مطربا ومنشدنا.

(٢) سماه ياقوت "دير المحلى" وانظر كلامه عليه (ج ٢ ص ٦٩٥).

لا ودموعُ العمام روّىذا * وتلك لم تُعتصر من العِنَبِ.
وورْده فى الغصون نَمَّنى * حُسْنًا وتُفّاحه يُبرّحُ بى.
فلا تَلُمْنى إذا حعلتُ إلىٰ * حاناته ماحَييتُ مُنْقَلَبى.
رضيتُ أن أغتدى بلا نَشَبٍ * ويغتدى وهو قد حَوىٰ نَشَبى.

دير مار مروثا

دير مارمروثا[(1)] ـ وهو دير صغير، بظاهر حَلَب، فى سفح جبل جَوْشَن، علىٰ نهر العُرجان.

وكان سيف الدولة محسنا إلىٰ أهله . وقلّما مرّ به إلا نزله، ووهب لأهله هِبَةً كثيرة. وكان يقول: رأيت أبى فى النوم يُوصِينى به.

وله بساتين قليلة ومباقل. وفيه نرجس و بنفسج و زعفران.

ويعرف بالبيعتين، لأن فيه مسكنين: للرجال والنساء.

قال الخالدىّ و إياه عنىٰ الصنوبرىّ بقوله:

ما بالُ أعلىٰ قُوَيْق يَنْشُرُ من * وشْيِ الربيع الجديد ماأَدْرَجْ
كأنّما احتيرت الفصوصُ له * بين عَقيقٍ وبين فَيْرُوزَجْ.
أما ترىٰ البيعتَيْنِ أُفرِدَتا * بمُرد الأُقْحُوان والمُزْوَجْ
أثوابه المُزْنُ كيف ما اتصلَتْ * ونارُه البرق كيف ماأَجَّجْ.

دير الرصافة

دير الرُّصَافة[(2)] ـ هو بالشام، قريبَ رُصَافة هشام بن عبد الملك. وموضعه حَسَنٌ. وفيه قيل:

(١) سماه ياقوت بالتأنيث "مارت مروثا" أى القديسة ماروثا . وانظر كلامه عليه (ج ٢ ص ٦٩١).
(٢) انظر البكرىّ (ص ٣٧٩) . وانظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٦١) .

نراك جَزِعتَ يا دير الرُّصافه * غداةَ تحوَّلتْ عنك الخِلافه!

فلا تجزَعْ وتُذْرى الدَّمع حُزنًا، * فإنّ لكلّ مجتمعيْن آفه!

وحُكى أن أبا نُواس مرّ به، وبات فيه . فلما رحل عنه، قال :

ليس إلا دَيْرَ الرُّصافـة ديرٌ * فيه ما تشتهِى النُّفوس وتهْوىٰ.

٥ بتُّـه ليـلةً فقضَّيْتُ أوطا * رًا ويومًا ملأتُ قُطْرَيْهِ لهوًا.

وقد ذكره أبو الفرج وقال : إن ٱبن حمـدون حكىٰ أن المتوكل لمـا أتىٰ دمشق، ركب يوما إلىٰ رُصافة هشام، يزور دوره وقصوره . ثم خرج فأتىٰ الدير، وهو من بناء الروم، حسن البناء، بين مزارع وأنهار . فبينا هو يدور، إذ بصُر برقعةٍ قد أُلصِقت فى صدره . فأمر بها أن تقلع ويُؤْتىٰ[1] بها . فقُلعت وإذا فيها :

١٠ أيا مـنزلا بالدير أصبح خاليًا! * تلاعَبَ فيـه شمْألٌ ودَبُورُ!

كأنّك لم تَسْكُنْكَ بِيضٌ أوانِسٌ * ولم تَتَبَخْتَرْ فى فِنائك حُورُ.

وأبنـاءُ أملاكٍ عَبَاشِمُ[2] سادةٌ * أصاغِرُهُم[3] عند الأنام كبيرُ.

إذا لَبِسُوا أدْراعهم فضراغمٌ * وإن لَبِسوا تيجانَهم فبُدورُ.

ليـالى هشام بالرُّصافـة قاطنٌ * وفيك ٱبنه يادير وهو أميـرُ

١٥ إذِ العَيْشُ غضٌّ والخلافة لَدْنَةٌ * وأنت طَريرٌ والزمان غَريرُ.

(١) فى الأصل : سرك . (بدون نقط) . وقد صححت بما يقتضيه المقام، بقدر الإمكان .

(٢) أى منسوبون إلىٰ عَبْد شمس . وفى ياقوت : عباشم وهو تصحيف .

(٣) فى ياقوت صغيرهُم . وهو أنسب

ورونقُك فيْنانٌ يذُوبُ نَضَارةً * وعيْشُ بنى مَرْوانَ فيك نَضِيرُ،
رُوَيْدَكَ إنّ اليومَ يتبَعُــه غَدٌ * وإنّ صُرُوفَ الدائراتِ تَدُورُ!

فلما قرأها المتوكل، ارتاع وتطيّر، وقال أعوذ بالله من شرّ أقداره! ثم دعا بالدّيرانيّ وقال: مَنْ كتب هذا؟ قال: والله لا أدرى، لأنى منذ نزل أمير المؤمنين هنا، لا أملك من أمور هذا الدير شيئا، يدخله الجند والشاكرية، وغاية قدرتى أنى متوارٍ فى قلّايتى. فهمّ بضرب عنُقه وإخراب الدير، فلم يزل به الفتح بن خاقان حتّى كفّ. ثم ظهر أن الذى كتبها رجلٌ من ولد رَوْح بن زِنْباع، صاحب عبد الملك، وأمه مولاةٌ لهشام.

دير حمطورا

دير حمطورا — هو فى شرقىّ طرابلس، فى جانب الوادى، الذى أسفل من طرريه والحَدَث.

وهو بناء فى سَفح الجبل، من ذلك الجانب، قُبالةَ الطريق السالك إلى طرابلس. وهو حصين جدّا، لا يُسلَك إليه إلا من طريق واحد، وظهر الجبل الذى له ممنع.

دير البنات

دير البنات[1] — وهو ديرٌ أبيضُ البناء، مشرفٌ على أرض طرابلس، له ذِكْرٌ.

حُكى أنّ الطّيبىّ أتاه فى يومٍ شُعشعت شموسُه، وأُترِعت كؤوسُه، وكان الفصل ربيعا قد استطال فيه النبات، وطَلّ الحسن تلك البنات، وفيهنّ كل عذراء تدهش المتحصّر، وتحيّر المتخيّر. وكان قد صحبه غلامٌ ذو عذار أخصب به البلد الماحل،

(١) ذكر المقريزى ديرين للبنات بالقاهرة وهما غير هذا الذى ذكره ابن فضل الله هنا. (انظر "الخطط" ج ٢ ص ٥٠٩ و ٥١٠).

وقذف موج الخدّ منه العبير إلى الساحل، وطافت عليه قطائع المدام، وأمن شائع الملام، وتقلّب بين غلامة وعلام، فقال :

ديرَ البناتِ الزُّهْرِ أنتَ المُنَى ! . وأنتَ منْ دُونِ الأماني المَرامْ !
لم أنسَ يوما فيك أذهبتُه، . بالله بل ذهّبتُه بالمُدامْ !
ونحن في غِرَّة أيّامِنا . والعيْشُ مثلُ الطّيفِ حُلْوُ المَنامْ .
والدَّوْحُ ماجَفَّتْ له زَهْرَةٌ . والروضُ طِفلٌ ماجَفاه الغمامْ .
وبيننا خُودٌ كشمس الضُّحى . وأغْيَدٌ قد فاق بدرَ التَّمام .
لولا نَباتُ الشَّعْر في خدّه * لم تدرِ أيُّ الأغيَدَيْنِ الغُلام .

ديركفتون — وهو ببلاد طرابلس، مبنيٌّ على جبل، وهو دير كبير، وبناؤه بالحجر والكِلس، في نهاية الجودة، وبه ماءٌ جارٍ، وله حوض كبير مملوء من شجر النارنج، يُحمل نارنجه إلى طرابلس، يباع بها، ويَرتفِق بثمنه الرُّهبان. وله مُسْتَشْرَفٌ مطلٌّ على البلاد والمزارع، ومنه مكانٌ يشرف، على بعدٍ، على البحر .

ولهذا الدير صيتٌ جائلٌ وسمعةٌ مذكورةٌ، وبه رهبان كثيرو العدد. والنصارى تقصده، وتحمل إليه النذورة . ويقصده كثير من أهل البطالة واللهو، للتمرج به والتنزه فيه .

وفيه يقول الطبّيّ :

أديرَ كَفْتُونَ تَكفي كلَّ نائبةٍ . من الهُمومِ وتَلْقَى كلَّ سرّاءِ !
من كلّ خَضْراءَ في الأشجار مائسةٍ . وكلِّ صَهْباءَ في الكاسات حمراءِ .
حللتُ في دير كفتونٍ فلا عَجَبٌ . إذ مُتُّ سُكْرا بحمراءٍ وخَضْراءِ !

(٢٤٦) دير القاروس

دير القاروس[(١)] ـ علىٰ جانب اللاذقية ، من شمالها . وهو فى أرض مستوية . وبناؤه مربع . وهو حسن البقعة .

وفيه يقول أبو علىّ حسن بن علىّ الغَزّىّ :

لم أنسَ فى القاروس يومًا أبيضا * مثْلَ الجبين يزينهُ ورعُ الدُّجىٰ!

فى ظل هيكله المَشيدِ وقد بدا * للعين معقود السَّكينة أبلجا .

واللاذقيَّـــةُ دونه فى شاطئ * بلُّوره قــد زَيَّنَ القَـــيْروزَجا .

ولدىّ من رُهْبانه متنمسٌ * أضحىٰ امرط جَمَاله متـرَّجا .

أحوىٰ أغنّ إذا تردّد صوتهُ * فى مَسْمَع ردّ ٱحتجاج ذوى الحجىٰ .

لاشئَ ألطفُ من شمائله إذا * حَثَّ الشَّمُولَ ولفظُه قد لجلجا .

فله وللـــيوم الذى قضَّيتهُ * مَعَـهُ بكائى لا لربعٍ قد سَجا .

دير فيق

دير فيق[(٢)] ـ وهو فى ظهر فيق ، بينها وبين بحيرة طبرية . فى لحف جبل يتصل بالعقبة ، منقور فى الحجر . وهو عامر بمن فيه وبمن يرد عليه . والنصارىٰ تقصده وتعظمه .

قال الشابشتى : ويُزعَمُ أنه أوّل دير عُمِل وأن المسيح (عليه السلام) كان يأوى إلىٰ ذلك الموضع الذى عمل به هذا الدير ، ويجلس إلىٰ ذلك الحجر . وكل من دخل من النصارىٰ ذلك الموضع ، كسر من ذلك الحجر : تبركا به . وعمل فى هذا الدير موضعٌ علىٰ ٱسم المسيح ، (عليه السلام) .

(١) أنظر "فتوح البلدان" للبلاذرى (ص ٣٥٧) .

(٢) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٨٤) .

قال: ولأبي نواس قصيدة، يذكر فيها هذا الدير ويخاطب فيها غلاما نصرانيا كان يهواه. منها:

بعمودية الدين العتيق، * بمر طبليطها، بالجاثليق!
تحجل قاصدًا ماسرجسان * فدير الشهار فدير عتيق!
وبالصلب اللجين وقد نصبت * وبالزنار في الخصر الدقيق!
وبالحسن المركب فيك إلا * رحمت تحيري وخفوق ريقي!
أما والقرب من بعد التنائي، * يمين فتى لفاتنه عشيق!
لقد أصبحت ربة كل بكر * وعبدًا مع حقائق والعقوق!

(٢٤٧)

دير الطور[1] — والطور جبل مستدير، متسع الأسفل، لا يتعلق به شيء من الجبال، وليس له إلا طريق واحد، بين طبرية واللجون، مشرف على الغور والمرج وطبرية، نزه، وفيه عين تنبع بماء غزير، والدير في القلة، مبني بالحجر، وحوله كروم كثيرة، يعتصرونها، ويعرف بدير التجلي، لأنهم يزعمون أن عيسى تجلى فيه لتلاميذه، بعد أن رفع حتى أراهم نفسه وعرفوه.

دير الطور

وللمهلهل بن يموت بن المزرع فيه:

مضيت إلى الطور في فتية * سراع النهوض إلى ما أحب.
كرام الجدود، حسان الوجوه، * كهول العقول، شباب اللعب.

(١) ذكره ياقوت باسم دير طور سيناء (ج ٢ ص ٦٧٥)، وهو بالشام، وهو غير المشهور قديما وحديثا في شبه جزيرة الطور باسم دير الطور (المعروف الآن باسم دير طور سينا) الذي سيأتي الكلام عليه باسم كنيسة [ودير] الطور في ص ٣٧٢.

فأىُّ زمانٍ بهم لم يُسَرّ * وأىُّ مكانٍ بهم لم يَطِبْ؟
أنختُ الرِّكَابَ علىٰ ديْرِه * وقضَّيْتُ من حقّه ما يجبْ.
وأنزلتهم وَسْطَ أعتابِهِ * وأسقيتُهُمْ من عَصِير العنبْ.
وأحضرتُهم قمرًا مُشرقا * تَمَلّ الغُصُونُ به فى الكُثُبْ.
تحثُّ الكؤوس بأفراحه * ومرْسُومِ أزْمالِهِ بالعَجَبْ. ٥
وما بين ذاك حديثٌ يَرُوق * وخوضٌ لهمْ فى فُنُون الأدَبْ.
فياطِيبَ ذا العيش لولم يَزُل * ويأحسنَ ذا السعدِ لو لم يَغِبْ!

وأنشد له الشاشتىّ فى نحو من مثل هذا الأرب، وقد دعا نوّار الربيع إلىٰ شرب ابنة العنب:

قد أبان لى الرياض من الزّهـ * ـر غريبَ الصُّنُوف والألوانِ. ١٠
وبَدَا النَّرجسُ المفتّحُ نَوْرُه * من جُفون الكافُور بالزَّعفرانِ.
وَوَقَف الطَّلُّ فى المحاجر منها * ثم ماسَتْ فكأنَّهُنَّ مثلَ الجُمانِ.
ياغلامُ اسقِنى فقد ضحِك الوقـ * ـتُ وقد تمّ طِيبُ هذا الزمانِ!



أَدِنِ مِنّى الدِّنانَ! صُبَّ الأبَاريـ * ـقَ! استحثَّ الكؤوسَ! صُفَّ القَنَانِى!
بادِرِ الوقتَ واغتَنِمْ فُرَص العيْـ * ـشِ ولا تَكذِبَنَّ فالعُمرُ فانِ! ١٥

وكذلك أنشد له قوله:

زمانُ الرِّياضِ زمانٌ أنيقْ * وعَيْشُ الخلاعةِ عيشٌ رقيقْ!
بهارٌ بهيرٌ به غيرةٌ * علىٰ نَرْجِسٍ وشَقيقٍ شَقِيقْ.

مَداهِنٌ يحمِلنَ طَلَّ النَّدىٰ * فهاتيكَ بِسبرٍ وهذى عقيقْ!
فبادِرْ بنا حادثاتِ الزَّمان * فوجهُ الحوادثِ وجهٌ صفيقْ!

وقوله فى مثله :

قد قُدِّمَتْ للسرور أثقالْ * وحَثَّ سُهرَ الصِّيام سُؤالْ.
٥ وأقبَلَ الليلُ لابسًا حُلَلًا * مِسْكيَّةً ما لهنَّ أذيالْ.
واهتزَّ عودٌ وحَنَّ من طَرَبٍ * شوقٌ وعَنَّتْ بالراحِ أرطالُ.
فاغتنِموا فُرصةَ الزَّمان ولا * تُفرِّطُوا فالزَّمانُ مُغتالْ!

دير المُصَلَّبة ـ وهو ظاهر مدينة القدس الشريف، فى سامتها تغرب. وهو دير رومىّ قديم البناء، بالحجر والكلس، مُحكَمُ الصنعة، مُونَق البقعة. فى بحيرة من أشجار
١٠ الزيتون والكروم وشجر التين، بإزاء قرية، تجرى على الدير بمرسوم السلطان.

دير المصلبة

وهذا الدير دخلتُ إليه ورأيته. وفيه صُوَرٌ بوابيه فى غاية من محاسن التصوير، وتناسب المقادير. وصعدتُ إلى سطحه، فرأيتُ له حُسنَ مُتنَزَّهٍ وسَعة فضاء. ورهبانه من الكُرْج.

زيارة المؤلف

وقد كان أُخِذ هذا الدير، وجُعِل مسجدا للسلمين، وأُعلِن فيه بالأذان وأقيمت
١٥ الصلاة. ثم أعيد ديرا للنصارى، وضُرب فيه بالناقوس وأظهرت فيه كلمة الكفر.
وتُوصِّل إلى هذا بكتاب أُحضِر من ملك الكرج، وأعانه عليه قوم آخرون.

صار مسجدا ثم ديرا

(٢٤٩)

ورأيت عند الحافظ العلامة أبى سعيد العلائى وعند سائر العلماء والصلحاء ببلاد القدس، من إعادته إلى النصارى، ما هو قذى عيونهم إلى أن يتخلّى، وشجى حلوقهم إلى أن يُستردّ.

نذر الموقف — وعلىّ لله نذر إن وصلت يدى إلى هذا لأردنّها حتّى يَرِدَ! ولهذا القصد، نشهد الله العظيم، قصدته.

أوقاف الدير — وحدثنى رهبانه أن على ديرهم وُقوفا فى بلادهم، منها حقول سائمة تُحمَل أثمانُ ساحيها إليهم، وأنه تجيء منها فى كل سنة قدرٌ جليل، وأنها تنفق فى مصالح الدير وابن السبيل.

٥

وفيه يقول أبو علىّ حسن الغَزّىّ:

يا حُسنَ أيامٍ قطعتُ هنيئةً بالدير حيث التّين والزّيتونُ!
دير المصلّبة الرفيع بناؤه تَندى عبيرَ ترابِه دارينُ!
فى ظلّ هيكلِه وأسرابِ الدُّمى مجلوّة والمرمرُ المسنونُ.
ومزنّرين إذا تلوا إنجيلهم وبعطفوا حمائمٌ وغصونُ.
عزلانُ وَحرة هم وبين جفونهم لأسودِ بيشة إن عرضنَ عرينُ.
نزعوا القلانسَ والمسوحَ فزخرفتْ منهن عن غُرَر الشموس دجونُ.
وسعوا بكاساتِ المدامِ وما دروا أنَّ للكؤوس الدائراتِ جنونُ.
فقضيتُ بينهم زمانًا لم يزلْ عندى إليه تشوّقٌ وحنينُ.
تلك المنازلُ قد سفحتُ مدامعى لا مصرُ فاطبةً ولا جيرونُ!

١٠

١٥

دير السيق — دير السِّيق[1] — وليّ البيت المقدس، على نَشْزٍ عالٍ، مشرفٍ على الغَوْر، غور أريحا. يطلّ على تلك البسائط الخضر ومجرى الشريعة. وبه رهبانٌ ظِراف أكياس.

(١) ذكره ابن أبى أصيبعة فى "عيون الأنباء" (ج ٢ ص ٢١٥).

ولا بأنيهم إلا قاصدٌ لهم أو مارّ فى مزارع الغور. تحتهمُ وفوقهم الطريق الآخذة إلى الكثيب الأحمر. وقبر موسى عليه السلام فى القبة التى بناها عليه الملك الظاهر بيبرس.

وفى هذا الدير ومشْتَرفه، وأطلال قلالِه وغرفه، قلتُ : (٢٥٠)

قصيدة المؤلف

٥ أرى حُسنَ دير السِّيق يزدادُ كلّما ... نظرتُ إليه والفضاءُ به نَضْرُ!

بنوه على نجْدٍ على الغَوْر مُشرِفٍ ... كنجْبِ ملِكٍ تحته بُسُطٌ خُضْرُ.

وأشرقَ فى سُودِ الغَمام كأنّما ... تَشقَّق لِلّلاعى خلالَ به الفجْرُ.

وقام على طَوْدٍ علىٍّ كأنّما ... مصابيحُه تحتَ الدُّجى الأنجمُ الزُّهْرُ.

وزفّتْ إليه الشمسُ من جَنْبِ خِدْرِها ... وناغاه جُنْحَ الليل فى أُفقه البدْرُ.

١٠ وألقى إليه الريحُ فضلَ عِنانِها ... وأخْفى عليها لا تُسَلُّ له عُذْرُ.

ولو كان كالنّسرين هان ارتقاؤه ... ولكنّه قد حُطَّ من دونه النّسرُ.

علا نهرَ ريحا والمجَرّةُ فوقه ... فمن فوقه نهرٌ ومن تحته نهرُ.

د. الدواكيس

دير الدَّواكيس ـ شرقيّ القدس. وهو دير حسن البناء، له بين النصارى سُمعة وذِكْرٌ، ولا أعرفُ بانيه، ولا وقفتُ له على اسم، ولا على السبب الذى سُمّيَ به بهذا

١٥ الاسم. غير أن له وقفا يعود منه على الرهبانِ السكّانِ حاملُ فائدةٍ ونفْع.

كثيرة مرور المؤلف به

وقد مررتُ به غيرَ مرةٍ فى أسفاري، وخرج إلىّ رهبانه بمسور ما عندهم. وفيه قلت :

أنخ بابســلٍ على دير الدوا كيس * وابصت إلى قرع هاتيك النواقيس!
واحبس مع العيس وى الركب فى طرب * طول الزمان ولا ترحل مع العيس!
وانظر مع الصبح هاتيك الشموس ضحًى * وخلّ عنك ربا طات النواميس!
واسأ من الدير خمرًا كلّها ذهب * كيلا تعــدّك فى حزب المفاليس!
وحلّ كلّ شحيــح كيف تنفعــه! * فكثّر الكيس فى الإنفاق للكيس! ٥
وانعم ولذّ بما قصّدت من وطــرٍ * وطر سرورًا إلى تلك الطواويس!

وقلت :

دير الدوا كيس أم ربض الطواويس * أم الشموس سما تلك الشماميس
مأوى المناسـب لكن بعد أو بهم * منه تعــدون فى حزب المفاليس!
فانزل به وأقم فيما تريد وقــل * إملأ كؤوسى وفرّغ عندها كيسى! ١٠
وافــدح زناد سرورٍ من مدامه * فهــذه النار من تلك المقابيس!

دير رمّانين[1] ــ قال الخالدى : هو بالشام، ولا أدرى فى أىّ ناحية هو منها ؛ ولكن قيــل إنه كبير حسن عامر . وروى أن عمر بن الخطــاب رضى الله عنه، قال : خرجت فى بعض أســفارى إلى الشام، فدخلت أنطاكية ، فبينا أنا فى بعض أســواقها، إذ قبض علىّ بطريق من بطارقتها ، ولم يكلمنى حتى أتى دارا فيها تراب ١٥ وجندل ، وإذا مســحاة وزنبيــل ، فقال : انقل هــذا من ههنا إلى ههنا ، بشــير فى ذلك بيده ، وتركنى ومضى . فتقــاصرت بى نفسى وخنقتنى العــبرة وقعدت،

(١) انظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٦٢).

فلم أعقِلْ شيئا . وكان أغلق عليّ باب الدار حين مضى . ثم عاد إليّ بعد ساعة .
وكان يوما شديد الحر . وإذا هو عريان، متّشِحٌ بسبنيّه يبينُ منها جميع بدنه . فلما
رأى التراب والجندل بحالهما، قبض عليّ وجَمَعَ يده وضرب بها لُغْدِي، ضربةً أفرح
بها قلبي . فقلت : ثكلتك أمُّك ، ياعمر ! ما هذا الاستخداء للعِلْج ؟ وأقبضُ عليه
٥ فأطرحُه تحتي وآخذ المسحاة . فأضرب بها رأسه، ضربةً فَلَقْتُ بها دماغه .
فمات . وبادرت هاربا من المدينة . وسرتُ من يومي وليلي ، فأصبحتُ ديرا ،
فدخلته . فلما رآني راهبه قال : أصقْف أنت ؟ قلت : نعم . وكنتُ قد أعْيَيْتُ ،
فاضطجعت نائما ماشاء الله . ثم أيقظني الراهب وقال : من أين أنت ؟ قلت :
من مكة . فصعّد نظرَه وصوّبه . ثم قال : ما اسمك ؟ قلتُ : عمر . فأخرج كتابا
١٠ عنده ونظر فيه ، وأعاد فيَّ مرّات . ثم وثب فقبّل رأسي . فقلت : ما حملك على
هذا ؟ فقال : هل ظهر عندكم رجل يَذْكُرُ أنه نبيٌّ ؟

وقد كان وقع لي شيء من خبر النبيّ ، صلى الله عليه وسلم . فقلتُ : قد سمعتُ بعض
الناس يذكر ما سألتَ عنه . فقال : اعلمْ أنك وحقِّ المسيح ستملك أكبر الأرض . وتُخرِج
هِرَقْل من الشأم . وتعلو عليها . فاكتبْ لي أمانا ، ولديري . فقلتُ : ياهذا ! ما أدري
١٥ ما تقول . فقال : هو ما أقوله لك . وأنت هو لا مَحالة . فجعلتُ أعْجَبُ منه وأدفع قوله ،
وهو يُلِحُّ عليَّ في سؤاله ذلك . فلما أطال . قلت : ما تريد ؟ فقال : كذا وكذا . وأتاني بقطعة
من أَدَم . فكتبت له ما أملاه عليّ من ترك الخراج والوَصَاة به . ولفّه مع كتابه ذلك .
وأكرم مثواي . وبكّرتُ غاديا من عنده . فأسرج لي حمارة وقال اركبْها . فإنك ما تمرّ
بدير، فيراها راهبه إلا أكرمك . وإذا بلغتَ آخر دير يلي بلدك ، فخلِّفْها عند سكّانه .
٢٠ وزوّدني وانصرفتُ .

ويقال إن عمر لما خرج إلى بيت المقدس، لقيه الراهب، وهو شيخ كبير، بكتابه وذكّره الأمر. فقال عمر: هذا كتبتهُ فى الجاهلية، وقد أتى الله بالإسلام. ولا يحلّ لى تضييع فَىْء المسلمين. ولكنّى أقاطعك على خراجك بما فيه مصلحةٌ لك ورفقٌ بك. فقال: قد رضيتُ. فقاطعه على ما فيه رفق به.

قال الخالدىّ: ويقال إن الرهبان يتوارثون الكتاب إلى وقتنا هذا، وإن الوُلاة تُمضيه لهم. ٥

دير هِزْقِل[1] — قال الخالدىّ: هو بالشام. ولا أدرى فى قرب أىّ مدينة هو. دير هزقل

وقد ذكره دعبل بن علىّ حين هجا أبا عبّاد، كاتبَ المأمون، فقال:

وكأنّه من دير هِزْقِل[1] مُفْلَتٌ حَنِقٌ يجُرُّ سَلاسِـــلَ الأقيادِ

وحكى المبرّد قال: دخلت دير هِزقل[1]. وسألت رهبانه: هل فيه مجنونٌ طيّبُ الكلام، يضحك أنا وصحبى منه؟ قالوا: هاهنا. وأومؤا[2] إلى إيوان مرتفع فى الدير. وقالوا[3]: هم هناك. فإن أحببتَ النظر إليهم فامضِ ولا تدنُ من أحد. ففعلتُ. ورأيت مراتبهم على قدر بلاياهم. وكان معى وقت دنوى منهم المتولى على أمورهم. فلما رأوه معى امتثلوا. ورأيت شيخا منهم على حصير نظيف، ووجههُ إلى القبلة، كأنه يريد الصلاة. ١٠

(١) فى ياقوت هِرقل بالزاى المعجمة. قال وأصله حزقيل فنقل الى هِزْقل. والذى فى نسخة الأصل عندنا بالراء المهملة. واعتمدت رواية ياقوت لأن وزن الشعر التالى تقتضى السكون. (وانظر كلامه عليه فى ج ٢ ص ٢ ٤ ٥، ٧٠٦). ١٥

(٢) فى الأصل "وأومى". فربما يكون أراد الراهب أو رئيس الرهبان].

(٣) فى الأصل "قال". [وانظر الحاشية السابقة].

فجاوزته إلى غيره. فقال: سبحان الله! أين السلام؟ مَن ترى المجنون؟ أنا أم أنت؟ فاستحييتُ منه وسلّمت. فقال: لو كنتَ بدأتنا، لأوجبتَ علينا حسن الرد. على أنا نعتذر لك أن للداخل على القوم دهشةً. اجلس، أعزك الله عندنا. وأومأ إلى موضع من حصيره ينفضه، كأنه يوسّع لى. وعزمتُ على الدنو منه، فمنعني قيّمهم. فوقفتُ أستجلبُ مخاطبته. فسألني. فقال: مِن أين أنت؟ قلتُ: من البصرة. قال: أتعرف المازني؟ قلت: نعم. قال: أتعرف الذي يقول فيه:

وفتًى من مازنٍ * سادَ أهلَ البصره
أمّه معروفةٌ * وأبوه نكره

قلت: لا أعرفه. قال: أفتعرف غلاما قد نبغ في هذا العصر، معه دينٌ، وله حفظٌ، وقد برّز في النحو، وصار يخلف صاحبه في مجالسه، يعرف بالمبرِّد. قلتُ: أنا عين الخبر به. قال: فهل أنشدك من غثّات شعره؟ قلت: لا أعرفه قال شعرا. قال: بلى، هو القائل:

حبّذا ماء العناقيـد بريق الغانياتِ!
بهما ينبتُ لحمي * ودمي أيّ نباتِ!
أيها الطالبُ شيئًا * من لذيذ الشهواتِ:
كُلْ بماء الورد تفّا * حَ الخدودِ الناعماتِ!

قلتُ: أما تستحيي من إنشاد مثل هذا الشعر في الدبر؟ فقال: سبحان الله، هل تستحيي أن تُنشد مثل هذا، حولَ الكعبة، دعْ عنك هذا. إني سمعتُ الناس يقولون في نَسَبه. ثمّ لم يزل بي حتّى عرفني. ثم قال: أحوجتني إلى الاعتذار إليك. ثم قام إلى

الصالحى . فرأيت القيد فى رجله قد شُدّت إلى خشبة فى الأرض . فأمِنْتُ غائلته . ثم قال لى : يا أبا العباس ! صُنْ نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع . فليس يتهيأ لك كلّ وقت مصادفة مثلى على مثل هذه الحالة الجميلة ! أنت المبرّد ! أنت المبرّد ! وجعل يصفّق . وقد أنفلت عِماه وتغيرت حليته ، فبادرتُ مُسرِعا ، وخرجتُ .

دير يونس (١) — حكى رجل من أهل أنطاكية قال : حدّثنى أبى قال . نزلتُ مع الفضل بن إسمعيل بن صالح بن عبد الله بن العباس فى دير يونس ، ونحن خارجون إلى ناحية الرملة . فرأى فيه جارية حسناء ، ابنة قَسٍّ كان فيه . فخدمته مدّة مُقامه ثلاثة أيام ، وجاءته بشراب صافٍ عتيق . فلما أراد الانصراف أعطاها عشرة دنانير ورحل . وقال فى طريقه :

عليك سلامُ الله يا دَيْرُ من فتًى ... بمُهْجته شوقٌ إليك طويلُ !
ولا زال من نَوْءِ السِّماكين وابلٌ ... عليك بما تَرْوَى ثَرَاك هَطُولُ !
تَعلُّك منها بُرهةً بعد نَهلةٍ ... سَحابٌ بأحمار الرياض كفيلُ !
إذا ما أرسادمعه كان منظر ... لها العيون الناظرين جميلُ .
كأنّ البروق الوامضات نحوه ... صفائحُ تِبْرٍ فى السماء تجولُ .
ألا رُبّ ليلٍ حالكٍ قد صدعته ... وليس معى غيرَ الحسام خليلُ .
ومشمولةٍ أوقدتُ منها الصُّحَى ... مَصَابيحَ ما يخبو لهنّ فتيلُ .
تُعلّلنى بالراح هيفاءُ غادةٌ ... يَحَال عليها للقلوب كفيلُ .

(١) انظر ياقوت (ج ٢ ص ٧١٠) .

نحولُ المَنايا منهنَّ إذا غدَتْ · مَلاحِظُها مِن القلوب تَجُولُ.
أيا ابنة قَسِّ الدَّيْرِ قلبي مُدَلَّهٌ · عليكِ وجسمي مذ تعدّت عليلُ!

وفيه يقول أبو شاس:

يا دير يونس جادتْ سرحَك الدِّيَمُ · حتّى تُرَى ناطرًا بالنَّوْر يبتسمُ!
٥ لم يَشْفِ في ناجرٍ ماءٌ على ظَمَأٍ · كما شَفَى حَرَّ قلبي ماؤك الشَّبِمُ.
ولم يحُلَّك محزونٌ به سقَمٌ · إلّا تحلَّلَ عنه ذلك السَّقَمُ.
أستغفر الله كَمْ لي فيك ذو غَنَجٍ · جَرَى عليَّ به في رَبْعك القلَمُ.

ويقول أيضا:

لا تعدِلَنَّ عن ابنة الكَرْمِ · يأبى فيها صِحَّةُ الجسمِ!
١٠ لو لم يكُنْ في شُرْبها فرَجٌ · إلا التخلُّصَ من يدِ الهَمِّ!

ويقول أيضا أبو شاس:

أعاذلَ ما عليَّ مِثْلي سَبيلُ · وعذلُك في المُدامة مستحيلُ!
ألبس مَطِيَّتي حَقْوَيْ غلامٍ · ورحلُ أمامي كأسٌ شَمولُ
إذا كانتْ بناتُ الكَرْمِ شُرْبي · وقِبلةُ وجهي الوجهُ الجميلُ.
١٥ أمِنتُ بذَيْنِ عاقبةَ الليالي · وهانَ عليَّ ما يقُل العَذُولُ!

دير بُصرى (١) — هو بالشأم. وقيل هو الذي كان فيه بَحِيرا الراهب.

حكى المازني، قال: نزلت بدير بصرى. فرأيت في رهبانه فصاحة، وهم عرب متنصّرة من طيّئ، من بني الصادر، أفصح من رأيت. فقلت لهم: مالي لا أرى فيكم

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٧).

شاعراً، مع فصاحتكم" فقالوا. والله! مافينا رجلٌ ينطق بالشعر، إلا أَمَةٌ لنا كبيرةُ السّن . فقلت: جيئوني بها . فجاءت، فآستنشدتُها . فأنشدتني لنفسها:

أبا رُفقــةً من آل بُصْرىٰ تحمّلتْ ، تَؤُمُّ الحِمىٰ لُقِّيتِ مِن رُفْقَةٍ رُشداً!

إذا ما بلغْــتُم سالمين فبلّغُــوا تحيةَ مَنْ قد ظنّ أنْ لاَ يرىٰ نَجْدَا .

وقولُوا: تركْـنا الصادِرِيّ مُكبَّلاً بكُلِّ هَوًى من حُبّكم مُضمِراً وَجْدَا . ٥

فياليتَ شعْري هل أرىٰ جانبَ الحِمىٰ وقد أنبتتْ أجراعُه بَقْلاً جَعْداً!

وهــل أرِدَنَّ الدهرَ ماءً وَقِيعَــةٍ كأن الصَّبا تُسْدي علىٰ مَتْنِه بُرْداً"

فوهبت لهـا دُرَيهماتٍ . وبتُّ في ديرهم وأكرموا ضيافتي .

دير الحمان دير الحَمّــان ـ وهو ديرٌ ببلاد أذرعات مبنيٌّ بالحجاره السُّود . علىٰ نَشْزٍ من الأرض . يُشرف علىٰ بركة العوّار وهو من البناء الرومىّ القديم . ١٠

زيارة المؤلف له أنتُ عليه في أسفاري غيرَ مرّةٍ . ورأيت مرّةً به غلاماً قد خرج من كنيسته، كأنه الظبيُ الكانِس . فقلت :

أشعار فيه يادَيرَ عزّةَ في رُبىٰ الحَمّــانِ دَرَّتْ عليكَ السُّحْبُ بالهَمَلانِ!

وسقَتْكَ كلُّ غمــامةٍ هتّـانةٍ . تحْو مواطـرُها علىٰ الكُثْبانِ!

لم أنسَ في اللذّات ساعةَ منزلٍ بُرباك فوق صَــفائحِ الغُــدرانِ! ١٥

والصبحُ نحتَ مُلاءةٍ مَرْقُومةٍ نُشرتْ عليـه غرائبُ الألوانِ .

وهناك كلُّ كحيلِ طرفٍ فاتنٍ تُعزىٰ لَوَاحظُه إلىٰ الغِــزْلانِ .

قمرٌ مَسيحىٌّ كأنّ جبينَــهُ بدرُ الدُّجى في النصف من شعبانِ .

في وجنتيه جَنِيُّ وَرْدٍ أحمــرٍ قــد سيّجوه بأخضرِ الرَّيْحانِ .

(٢٥٦)

ماشـدَّ زُنّارا له في بِيعـةٍ إلّا وحـلَّ عزائم الرُّهبانِ!
يَسقِي الشَّمولَ ولا كرمه بغيره سَكْرَى بها وبطرفه الفتّانِ!

دير صليبا (١) — ويعرف بدير السائحة . وهو بدمشق، مطلّ على الغوطة . ويليه من أبوابها، باب الفراديس .

٥ نزل دونه خالد بن الوليد، أيامَ محاصرة دمشق،

وهو في موضع نَزِهٍ، كثير البساتين . وبناؤه حسن عجيب .

وإلى جانبه ديرٌ للنساء، فيه رهبان ورواهب . وإيّاه أراد جريرٌ بقوله :

إذا تذكّرتُ بالدَّيرَيْنِ أرّقني صوتُ الدَّجاج وقَرْعٌ بالنّواقيسِ.

قال الخالديّ . ومما يدلّ على أنه يلي باب الفراديس، قول جرير في هذا الشعر :

١٠ فقلتُ للرَّكْب إذ حدَّ النَّجاءُ بهم : يا بُعْدَ يَبْرِينَ من بابِ الفَرادِيسِ!

وأسد فيه قول الآخر، وهو :

يادَيرَ بابِ الفَـرادِيسِ المهيِّجَ لي بَلابِلاً بقـلالِيـهِ وأشجـارِهْ!

لو عشتُ تسعين عاماً فيك مصطبحا لمـا قضى منك قلبي بعضَ أوطارِهْ!

وحُكي أن الوليد بن يزيد كان كثير المُقام في هذا الدير . يخرج إليه، ومعه حُرَمُه،

١٥ استحساناً له . وأنه كان يجلس في أيام مُقامه فيه في صحنه كلَّ يوم ساعةً من النهار، ثم يأكل ويشرب في مواضعَ منه : طيبةٍ حَسَنةٍ .

وحكى الخالديّ عن أحد مَن كان ينادمه، أنه دعا يوما بطعامـه، وأمرني بالغداء معـه، وحضر ندماؤه، وكان فيهم حُنَيْنٌ المغنّي . فنحن على المـائدة، إذ قال له :

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٤ ، ج ٥ ص ٢٠) . وقد ذكر ديرا آخر آسمـه "دير صلوبا" (ج ٢ ص ٦٧٤) .
٢٠

دير صليبا

باحُنَين! عنّتنى البارحةَ فى آخر المجلس ـ وقد أخذ الشرابُ منّى ـ بشعر صاحبكم، عيسى بن زيد، فلم أستكمل الطرب، لأجل سكرى . فأعده علىّ الساعةَ . قال: فأخذ حُنَين رِفافَه ووقّع عليها وغنّى:

بالْبَنَى أوقِدى النارا! إنّ من تهوين قد حارا!
رُبّ نارٍ بِتُّ أرمُقُها تقضَم الهِنْدىَّ والغارا! (١)
عِندها ظَبْىٌ يؤجّجها عاقدٌ فى الخَصْر زُنّارا!

قال : فطرب طربا عظيما، وأخذ رقافه، وقام وترك الغداء، وجعل ينقر عليها مع حُنَين . وأخذ كلّ من علىٰ المائدة رِفافه، وجعلوا ينقرون عليها مثلَه . ومضى يطلب باب الدهليز، وحُنَين والندماء حوله . والحاجب قد جلس ينتظر جلوسه . وقد حضر وجوه العرب . فلما رآه الحاجب علىٰ تلك الحال، صاح بالناس: الْحُرَمَ ! الْحُرَمَ ! آنصرفوا ! آنصرفوا ! آخرجوا . فقال له : ياأمير المؤمنين ! وفودُ العرب تنتظر جلوسك، وأنت تخرج إليهم علىٰ تلك الحال ! فقال: ثكلتْك أُمُّك! أُدخلْ . ودعا له برطلٍ . فحلف أنه ماذاقه قط . فقال: والله ! لتشربَنّ معى حتّى أسكر . ولم يزل يسقيه، حتى مات سكرا وآنصرف محمولا .

قلتُ : وهذا الدير اليومَ لاعينَ له ولا أثر، وإنّما صار دورا وأبنية ومساجد ومدارس . وهى بناحية محلّة حمام النحاس . والله أعلم .

وبهذه المحلة دارى التى بنيتُها ومساكنى . وهنّئتُها !

(١) أى العود الهندىّ وقضبان شجر الغار .

دير بونا

دير بونّا[1] — وهو يحاذي غوطة دمشق. ليس بكبير، ولا رهبانه بكثير. ولكنه في رياض مُشرفة، وأنهار مندفقة. ويقال إنه من أقدم دِيَرة النصارى. بُنِيَ بعد المسيح (عليه السلام) بقليل.

واجتاز به الوليد بن يزيد، فرأى حسنه وطيبه. فأقام فيه أياما في شُرب وقصف ومجون. وقال فيه:

حبّذا يومنا بدير بونّا حيث نُسقى شرابنا ونُغنَّى!
واستهانا بالناس فيما يقولو ن إذا خبّروا بما قد فعلنا!

قلت: وهذا الدير اليوم لا وجود له. قد أقفرت الأرض منه من رسم وطلل، ومضى وحادث كل دير بعده جلل.

دير سمعان

(٢٥٨)

دير سَمْعان[2] — قال الخالديّ: هو بنواحي دمشق، بالقرب من الغوطة، على قطعة من الجبل، يطلّ عليها. وحوله بساتين وأنهار. وموضعه حسن جدا. وهو من كبار الدِيَرة. وعنده دُفن عمر بن عبد العزيز بظاهره.

قلت: وهذا غلط من الخالديّ. وهكذا ذكره أبو الفرج. وغلِط أيضا. فإن هذا

(١) انظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٩).

(٢) أي Saint Siméon. وانظر الغابشتي (ساشاو II ص ١٣٦٠ و ١٣٦٢ ، ١٣٧١)؛ و "العيون والحدائق" (ج ٣ ص ٦٣)، و "التنبيه والإشراف" للمسعودي (ص ٣١٩)، و "مروج الذهب" له (ج ٢ ص ٦٧١ ، ج ٣ ص ١٣٩)، والمروزي (ص ١٣١)، وابن منقذ (ج ٢ ص ٣٦٨ و ٣٧٠)، وابن الأثير (ج ٥ ص ٤٢)، والبكري (ص ٧٥٢)، وياقوت (ج ٢ ص ٦٧١ ، ج ٣ ص ١٣٩). وانظر أيضا "مختصر الدول" لابن العبري (ص ١٩٨).

الدير فى قرية تعرف بالنقيرة من قبلىّ معرة النعمان. وبه قبر عمر بن عبد العزيز، مشهورٌ لا ينكر. وليس يُسمع بدمشق لهذا الدير باسم، ولا يُعرف لمكانه فى غوطته حصراء ولا نابسة.

عُدنا إلىٰ ما ذكره الخالدىّ. قال: ذكروا أنه دخله جريرٌ فى يوم عيدٍ، فرأىٰ النساء والصبيان يقبّلون الصليبَ ويسجدون لها، فقال:

٥

رأيتُ بدير سَمْعانٍ صليباً تُقبّله النَّــوادِنُ والظِّباءُ،
تُعظِّمه القُسوس وتحْتَويه فتَرْشُــفه ويحْضُنُها البكاءُ،
فقلتُ لهم: مه! هل غيرُ عودٍ تملّكه آعْوِجاج وآستواءُ؟

وذكر أن الوليد بن يزيد خرج متنزّهاً وبه. فأقام يصطبح ويغتبق معه ندماؤه

١٠

ومغنّوه. فخرج يوماً، عقِبَ سحاب، فنظر فى صحن الدير غدران ماء، فآستحسنها، ونزل علىٰ أكبرها وأكبرها ماء. وقال: والله! لا أبرح حتّى أشرب هذا كله، مزاجا لكأسى. وشرب حتّى نام. فقال بعض أصحابه لبعض: إن أقام حتى يفنىٰ الغدير، طال علينا مُقامنا. فجعلوا يحملون ماءه بالليل ويصبّونه فى الرمال. فخرج بعد يومين أو ثلاثة، فنظر إليه وقد فنِيَ ماؤه. فقال: أنا أبو العباس! وأمر بالرحيل إلىٰ دمشق.

١٥

ومما سمعته من والدى، لأحمد بن هلال، فى صفة دير سمعان، مما مدح السيّد الرضىّ لعمر بن عبد العزيز.

يا آبن عبد العزيز لو بكت العيــنُ فتًى من أميّـةٍ، لبكيتُكْ!
أنتَ نزّهتَــا عن السبّ والشّتْــم! ولو يُمكِنُ الجزاء لجزيتُكْ!
دير سمعانَ، لا عدتْكَ الغَوادِي! خيرُ ميْتٍ من آل مروانَ ميتُكْ!

وكان عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) تسبّب فى إبطال السب عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب (كرم الله وجهه) وأثبت فى الخطبة، موضعَ السبّ، "إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإِحسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى القُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ والبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ".

٥ وقد ذكر أبو الفرج أن صاحب دير سمعان دخل علىٰ عمر بن عبد العزيز بفاكهة يُطرِفُه بها فى مرضه. فقبلها منه، وأمر له بدراهم. فأبىٰ أن يأخذها. فما زال حتّى أخذها. وقال: يا أمير المؤمنين! إنّما هى من ثمر شجرنا. فقال عمر (رحمه الله) وإن كان من ثمر شجركم! ثم قال: يا صاحب دير سمعان! إنّى ميّتٌ من مرضى هذا. فحزِنَ وبكىٰ. ثم قال له عمر: بعنِى موضع قبرى من أرضك، سنةً، فإذا جاء الحَوْل، فآنتفع به. وهذا الذى حكاه أبو الفرج مؤكد لقولنا.

(٢٥٩)

دير مُرّان

دير مُرّان[(1)] — وهو بالقرب من دمشق، علىٰ تلّ فى سَفح قاسْيون وبناؤه بالجصّ الأبيض. وأكثر فرشه بالبلاط الملوّن. وكان فى هيكله صورة عجيبةٌ دقيقةُ المعانى. وقلاليه دائرة به. وأشجاره متراكبة. وماؤه يتدفّق.

وحُكى عن المبّرد أنه قال: وافيتُ الشأم — وأنا حَدَثٌ فى جماعةٍ أحداث — ١٥ لأكتُبَ الحديثَ وألقىٰ أهل العلم. فآجتزتُ بدير مُرّان. فأحببتُ النظر إليه.

(1) أنظر الطبرى (سلسلة II ص ١٢٧٠ و ١٧٩٢)، و "الأغانى" (ح ٦ ص ١٩٥، ح ٧ ص ٥٥، ح ١٦ ص ٣٣)؛ و "العيون والحدائق" (ح ٣ ص ١٢ و ١٣٧)؛ واليعقوبى (ح ٢ ص ٢٧٢ و ٣٤٩)؛ والبكرى (ص ٣٦٢)، وابن الأثير (ح ٣ ص ٣٨١، ح ٥ ص ٢١٥، ح ٦ ص ٣٧٦)، وخصوصا ياقوت (ح ٢ ص ٤٠٧ و ٦٩٦، ح ٣ ص ٥٥٥ و ٧٧٧، ح ٤ ٢٠ ص ٤٨٠ و ٦٠٤).

فصعدناه، فرأيت منظَرا حسنا . و إذا فى بعض بيوتِه كهلٌ مشدودٌ حسن الوجه عليه أثر النعمة . فدنونا منه وسلَّمنا عليه فردّ السلام . وقال: مِن أين أنتم، يا فِتيان؟ قلنا: من أهل العراق . قال: بأبى ! ما الذى أقدَمَكم هذا البلدَ الغليظَ هواؤه، الثقيل ماؤه ، الجُفاةَ أهلُه . قلنا : طلبُ الحديث والأدب . فقال : حبَّذا ! أتنشدونى أم أُنشدكم ؟ قلنا: بل أنشِدْنا . فقال : ٥

اللهُ يعلَمُ أنني كَمِدُ ✻ لاأستطيع أبُثُّ ماأجِدُ!

روحَان لى: رُوحٌ تقسَّمها ✻ بلدٌ وأُخرىٰ حازها بلَدُ!

وأرىٰ المُقيمةَ ليس ينفعها ✻ صبرٌ وليس يصونُها جَلَدُ!

وأظنّ غائبتِي كشاهدَتِى ✻ بمكانِها تجدُ الذى أجدُ!

ثم أُغمِىَ عليه . فأفاق فصاح بنا فقال : أتنشدونى أم أُنشدكم؟ قلنا: بل أنشِدْنا. فقال : ١٠

لمّا أناخوا قُبيْل الصبح عِيرَهمُ ✻ ورحّلوا، فثارَتْ بالهوىٰ الإبِلُ.

وأبرزَتْ من خِلالِ السَّجْف ناظرَها ✻ ترنُو إلىّ ودمعُ العين منهمِلُ.

فودَّعتْ ببنانٍ خَلْقُهُ عَنَمٌ، ✻ فقلتُ: لاحَمَلَتْ رِجلاكَ! ياجَمَلُ:

وَيْلى من البَيْن ماذا حلَّ بِى وبها ✻ من نازحِ الوَجْد! حلَّ البينُ فارتحلوا! ١٥

إنّى علىٰ العَهْد لم أنقُضْ مودّتَهم! ✻ فليتَ شعرِى، لطُول العهد ماقَعَلُوا!

فقال له فتًى من المُجّان الذين كانوا معى : ماتوا . قال فأموت؟ فقال له: مُتْ . (٢٦٠) فتمطّى وتمدّد . وما برِحْنا حتّى دفنّاه.

وللصنوبريّ فيه، من شعر يقوله :

أمرّ بدير مُرّان فأحيا * وأجعل بيت لهوى بيت لهبا.
صفت دُنيا دِمشق لمصطفيها، * فليس يُريد غير دِمشق دُنيا!
مُظلّلةٌ فواكههن أبهى * وأنضر في بواطِرِنا وأهيا!
فمِنْ نُفّاحة لم نَعـد خدّا، * ومن رُمّانة لم تَعْـدُ ثديا!   ٥

وقد ذكره أبو الفرج وقال: هو على تلعةٍ مُشرفة على زعفران ورياضٍ حسانٍ. نزله الرشيد وشرب فيه . ونزله المأمون بعده . وكان الحسين بن الضحّاك مع الرشيد، لما نزله، فأمره أن يقول فيه شعرا، فقال :

يا دير مُرّان، لا عُرّيت من سكنٍ! * قد هِجْت لى حَزَنا، يا دير مُرّانا!
حُثّ المدام فإن الكأس مُتْرَعةٌ * مما يَهيج دواعي الشوقِ أحيانا!   ١٠

وأمر عمرو بن بانة، فغنّى فيه لحنين .

وحُكى عن إبراهيم الموصليّ أنه قال : مرّ الرشيد بدير مُرّان فاستحسنه ونزله . وأمر أن يؤتى بطعام خفيفٍ . فأُتى به، فأكل، وأُتى بالشراب والندماء والمغنّين . فخرج إليه صاحب الدير، وهو شيخٌ كبيرٌ هَرِمٌ . فوقف بين يديه، ودعا له، واستأذنه في أن يأتيه بشيء من طعام الديارات . فأذن له فأتاه بأطعمة نظافٍ، وإدامٍ في نهاية   ١٥
الحسن والطّيب . فأكل منها أكثر أكلٍ . وأمره بالجلوس، فجلس معه يحدّثه، وهو يشرب . إلى أن جرى ذكر بني أُميّة، فقال له الرشيد: هل نزل بك أحدٌ منهم ؟ قال : نعم . نزل بي الوليد بن يزيد، وأخوه الغَمْرُ . فجلسا في هذا الموضع، فأكلا وشربا وغُنّيا . فلما دبّ فيهما السكر، وثب الوليد إلى ذلك الجُرْن فملأه وشربه، وملأه

(٢٦١) وسقىٰ أخاه، الغَمْرَ . فما زالا يتعاطيانه، حتّىٰ سكرا، وملآ لى دراهم . فنظر إليه الرشيد، فإذا هو عظيم لا يقدر علىٰ أن يُقِلّه، ولا يقدر علىٰ أن يشرب مِلأه . فقال : أبىٰ بنو أُمَيَّة إلَّا أن يَسبِقوا إلىٰ اللذات سبقا لا يجاريهم أحدٌ فيه . ثم أمر برفع النبيذ، وركب من وقته .

قلتُ : والناس فى آختلافٍ : أينَ كان دير مُرَّان" فمن قائل إنه كان بمشارق السَّفح، نواحى برزَة . والأكثر علىٰ أنه كان بمغاربه ، وأن مكانه الآن المدرسة المعظمية، وأما الذى كان بمشارق السَّفح ، فهو دير السائمة المسمّى دير صليبا . وقد ذكرناه . ٥

دير صيدنايا — وهما آثنان : أحدهما يقصده النصارىٰ بالزيارة . هو فى دِمْنَةِ القرية . والآخر علىٰ بُعْدٍ منها، مشرفٌ علىٰ الجبل، شماليّها بشرق . وهو دير مار شربين ويُقصَد للتنزه . من بناء الروم بالحجر الجليل الأبيض . وهو دير كبير . وفى ظاهره عين ماء سارحة . وفيه كُوًى وطاقاتٌ تُشرف علىٰ غُوطة دمشق وما يليها، من قبليّها وشرقها . وفيها ما يطلُّ علىٰ بواطن ما وراءَ ثَنِيَّة العُقاب . ويمتدّ النظر من طاقاته الشماليّة إلىٰ ما أخذ شمالا عن بعلبكّ . ١٠ دير صيدنايا

وأما الذى فى القرية(١)، فمن بناء الروم بالحجر الأبيض أيضا . ويُعرف بدير السيّدة . وله بستان . وبه ماءٌ جارٍ، فى بِركة عُمِلتْ به . وعليه أوقافٌ كثيرة . وله مَغَلَّاتٌ واسعة . وتأتيه نذورٌ وافرة . وطوائف النصارىٰ، من الفرنج، تقصد هذا الدير وتأتيه للزيارة . ١٥

(١) فى الأصل . "وفى قرية صيدنايا دير" . وقد كتب المؤلف فوق الكلمتين الاوليين كلمتى . "أما الذى" لتصحيح السياق المتقدّم . ولكنه فاته أن يضرب علىٰ تلك الكلمات الاربع .

رواية المؤلف بشأنه

وكنتُ أراهم يسألون السلطان فى أن يُمَكِّنهم من زيارته . وإذا كتَبَ لهم زيارةَ قُمامةَ ولم يكتُبْ معها صيدنايا، يُعاودون السؤال فى كتابها لهم . ولهم فيها مُعتقَد .

والنصارى تزعمُ أنَّ بها صدْعا يقطُرُ منه ماءٌ، يأخذونه للتبرّك . ويدَعُونه فى أوانٍ لِطافٍ من الزُّجاج ، ويكسونها من فاخر الثياب . ولهم فيه أقوالٌ كثيرة . وسمعتُ ٥ نصرانية، كانت معروفة بينهم بالعلم، تقول: إن ذلك المـاء إذا أُخِذ علىٰ ٱسم شخص، وعُلِّق فى بيته ثم ٱزداد مقـداره عما أخذه، دلَّ علىٰ زيادة ماله وجاهه، وإذا نَقَص، دلَّ علىٰ نقص ماله وجاهه وقُرب أوان موته .

(٢٦٢)

تحقيقه بشأنه

ورأيتُ هذا المـاء، وله دُهنية تُشبه الشِّيرَج أو الزيت الصافى، وليس بهما .

وجاءت مرّةً كُتُبُ ريدفرس (١) وكتب الأذفونش (٢) علىٰ أيدى رسلهم. ومما سألوا ١٠ فيها تمكينُ رُسُلِهم من التوجّه إلىٰ صيدنايا للتبرك بها . فأجاب السلطان سؤالَهم وحَمَلَ الرسلَ علىٰ خيل البريد إليها .

ومما قلته فيه .

شعره فيه

فى جانبِ الدَّيْرِ لنا مَـنْزِلُ * ومَنْهَـلٌ عَذْبٌ به نَنْهَـلُ .

وشادنٌ قـد جاءنا أحْـوَرٌ * فى كَفّهِ كأسٌ له تُشْـعَلُ .

١٥ وروضـةٌ تُشرِف أنهـارُها * قدشَقّها فى وَسْطها جَدْوَلُ .

ومُطْـرِبٌ تُطْـرِبُ ألحانُه * كأنّه إسحـاقُ أو زَلْـزَلُ .

قَـدُونكَ الراحَ ففى دَنِّهـا * شَهْدٌ وفى الطَّعْم بها فُلْفُـلُ .

وافىٰ بهـا فى الكأسِ لٰكنّها * عَذْراءُ مِن خُطَّابهـا تَخْجَلُ .

(١) أى ملك فرنسا : Re de France .

٢٠ (٢) أى ملك إسبانيا وٱسمه عند الاسبانيين Alphonse ‏Ildefonse .

دير شق معلولا

دير شَقّ مَعْلُولَا ــ وهو باطن جُبَّة عسال، وهو بناء رومىٌّ بالحجر الأبيض، مُعلَّق بِسَفْحٍ، وبها صَدْعٌ فيه ماء ينقط، نحوَ الذى بصيدنايا. ويأخذه النصارى للتبرك، معتقدين فيه نحوَ اعتقادهم فى الآخر، وإنّما الاسم للذى بصيدنايا.

دير بلوذان

دير بَلُوذان ــ وبناؤه قديم بديع الحسن، وافر الغلّة، كثير الكروم والفواكه والماء الجارى، بقرية بَلُوذان، وهى محاذيةٌ لكفر عامرٍ، تُطلُّ من مُشْتَرَفِها على جبّة ٥ الزَّبَدانِّى، ببلاد دمشق، وبه رُهْبان نِظاف، وغلمان من أبناء النصارى ظراف.

مرور المؤلف عليه

مررتُ عليه، ونزلت إليه، ورأيتُ به غلاما يفوق الظبْىَ حُسنا، ويشبه البدر أو أسنى، بخصر نحيل، وطَرْف كحيل، قد قطع الزنّار بين خصره وردفه، ونفث السحر بين جفنه وطرفه، ثُمَّ ما كان بأعجلَ ممّا استتر بدره، ولاح ثم خَفِىَ فجره، فقلت فيه : ١٠

شعره فيه

حبَّذا الديرُ من بَلُوذَانَ دارًا * أىُّ ديرٍ به وأىُّ نَصَارىٰ !
فيهمُ كُلُّ أحْوَرِ الطرْف أحْوىٰ * فائقِ الحسنِ فى حَياءِ العَذَارىٰ !
وغلامٍ رأيتُه كهِلالٍ * مابَدَا للعُيُون حتّى تَوارىٰ !
نَفَوَامٍ إذا تمايل نَشْوا * نًا فألحاظُ مقلتيْه سُكارىٰ !
ياحلِ الخَصْر حلَّ عقدَ اصطبارى * عندما شَدَّ خَصْرِه الزُّنّارا ! ١٥
قبلَ رُؤْياه ما رأيتُ غزالًا * بات يسْقى من مَرْشفَيْه العُقَارا !

٢٦٣
دير نجران

دير نجرانَ (١) ــ وهو باليمن، وتسميه العرب كعبةَ نجران، وهو لبنى الحارث بن كعب، وسيأتى ذكره فى موضعه.

(١) أنظر البكرى (ص ٣٧٦) ؛ وأنظر ياقوت (ج ٢ ص ٧٠٣).

و يقال إن بناءه أعجبُ بناء وأحسنُه ، على نحو عمارة غُمدان ، القصر المشهور . كان محجوجا . وبه الراهبان اللذان ذكرهما بعض شعراء العرب ، في قوله :

أياراهبَيْ نَجْرانَ ، مافعلَتْ هندُ؟ * أقامتْ على عهدِى؟ وأنّى لها عَهْدُ؟
إذا بعُدَ المشتاقُ ، رثَّتْ حِبَالُه . * وما كُلُّ مُشْتاقٍ يُغيرُه البُعْدُ!

٥ ولهذين البيتين غِناءٌ حَسَنٌ .

وقد ذكره أبو الفرج الاصبهانى وقال : إنه كان لآل عبد المَدَان ، سادةِ بنى الحارث . قال : وكان أهلُ ثلاثة بيوتٍ من اليمن نصارى ، يتبارَوْن فى البِيَع وزِيِّها وحسن بنائها : آل المنذر بالحِيرَة ، وغسّان بالشام ، وبنو الحارث بن كعب بنجران . فتكون دياراتهم فى المواضع الكثيرة الشجر والرياض والغُدْران ، الشامخة

١٠ البناء . ويجعلون آلاتِها من الذهب والفضّة ، وستورَها من الديباج . و يجعلون فى حيطانها الفسافس ، وفى سقوفها الذهب . وكان بنو الحارث على ذلك ، إلى أن جاء الإسلام وفى كعبتهم هذه قال الأعشى :

وكعبةُ نَجْرانَ حَتْمٌ عليْــكِ حتّى تُناخِى بأبْوابِها!
نَزُور يَزيدَ وعبدَ المَسِيح * وقيسًا ، وهُمْ خَيْرُ أربابِها!

١٥ إذا الحَبَرَاتُ تَلَوَّتْ بهم[1] * وجرُّوا أسافِلَ هُدّابِها ،
وشاهدُنا الجُلُّ[2] والياسَمِيـنُ والمُسْمِعات بقُصّابِها[3] ،
و بربطُنا مُعْمَلٌ دائبٌ[4] ، * فأىُّ الثلاثة أزرى بها؟

(١) غلط طابع الأغانى فى حرف هذا الشطر (ج ١٠ ص ١٤٢) .
(٢) أى الورد .
٢٠ (٣) فى الأصل : تقصّى بها .
(٤) فى الأصل : سير بطنا .

قال: وفى هذا الشعر غناء حَسَنٌ أخذه جحظة عن بنان.

ولهذا الدير أخبارٌ كثيرةٌ، ليس هذا مكانها.

بيعة أبى هور

بِيعة أبى هُور[1] — وهى بسَرْ باقُوس. عامرةٌ برهبانها، مُثْرِيَةٌ بفضّة قناديلها وذهب صلبانها. كثيرةُ القَلاَلِى، مُذْهَبَةٌ بالوقود جُنْحَ الليالى. ولها أعيادٌ مقصودةُ الأوقات، مُنتظَرَة الميقات.

(٣٦٤)

حكىٰ الشابشتىّ أن به — علىٰ ما ذكره أهله — أعجوبةً. وهى أنه من كانت به خنازيرُ وقصد هذه البِيعة للمعالجة، أخذه رئيسها وأضجعه. وجاءه بخنزير وأرسله علىٰ موضع العلّة. فيلحس الخِنزير موضع الوجع جميعَه، ويأكل الخنازير التى فيه، لايتعدّى ذلك إلىٰ الموضع الصحيح. وإذا نُظف الموضع، ذَرّ عليه من رَماد خِنزير فَعَلَ مثلَ فعل الأوّل من قبلُ، ومن زيت قِنديل البِيعة فيبرأ. ثم يؤخذ ذلك الخنزير فيُذبح، ويُحرق، ويُعَدّ رماده لمثل هذه الحالة.

وقال: وهو إلىٰ الآنَ كذلك، كما ذكروه. قال: ولهذه البِيعة دَخْلٌ عظيم ممن يبرأ من هذه العلّة. وفيه خلقٌ من النصارىٰ.

دير يحنس

دير يُحَنِّس[2] — وهو بسنهور، من أعمال مصر. وهو عامر برهبانه، ناضرٌ بسُكّانه. قال الشابشتىّ: وقد ذكر بعض المتقدّمين أنه إذا كان يومُ عيده، أخرج الرئيس

(١) وتسمى دير أبى هور، ودير سرياقوس. أنظر كلام ياقوت (ح ٢ ص ٦٤١)، والشابشتى (ورقة ١٣٤)، والقزوينى (ص ١٣١).

(٢) أنظر ياقوت (ح ٢ ص ٧١٠).

الذى فى الدير الشاهد فى تابوته . ويسير التابوت على وجه الأرض، فلا يقدر أحد يمسكه ولا يحبسه، حتى يرد البحر فيغطس فيه، ويرجع إلى مكانه .

وقال: كذلك قول المتقدمين على أنه على هذه الحالة .

قلت: وهذه حكاية مكذوبة، لا صحة لها . تعقيب للمؤلف

٥ وإنما الذى بلغنى، وأنا بمصر تلك المدد الطويلة، أنه إذا كان أوان تحرك النيل، يخرج تابوت، يقال إن فيه إصبع الشهيد، ويرمى فى البحر . وذلك لوقت معلوم، يسمونه عيد الشهيد . ويكون الذى يرميه بعض أعزاء كبراء القبط . عادة كتب أسمعها، لا تتغير . ويظن القبط أن رمى الإصبع سبب الزيادة . وإنما هو بمشيئة الله وقدرته .

١٠ دير مريحنا[1] — وهو على شاطئ بركة الحبش . قريب البحر، إلى جانب بساتين الوزير، وهى التى أنشأ بعضها تميم بن المعز وأنشأ به مجلسا على عمد . وقريب هذا الدير عين ذهبت بها الرمال . دير مريحنا

قال الشابشتى: وهذا الموضع من معادن اللعب والشرب والطرب، نزه فى أيام النيل، وزيادة البحر، وامتلاء البركة . وكذلك هو فى أيام الزرع . لا يكاد يخلو من

١٥ المتنزهين . وقد ذكرته الشعراء . وفيه قال ابن عاصم:

يا طيب أيام سفحت مع الصبا … طوع الهوى فيها بسفح المنظر!
فالبركة الغناء فالدير الذى … قد هاج فرط صبابتى وتفكرى!
فاحثث كؤوسك يا غلام وأعفنى … فلقد سكرت وخمر طرفك مسكرى!

(٢٦٥)

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٧٠١) .

وأرى السُّرَّتا في السماء كأنّها ✻ تاجٌ تفصَّل جانباه بجوهرِ!
فاشرب على حُسْنِ الرياض وغنِّنى ✻ وانظُرْ إلى الساقى الأغنّ الأحْوَرِ!
فلعلَّ أيامَ الحياة قليلةٌ ✻ ولعلّنى قدَّرتُ مالم يُقْدَرِ!

دير نَهْيَا[1] — ونَهْيا بالجيزة، وديرها هذا من أطيبها موضعا، وأجلها موقعا، عامر برهبانه وسكّانه .

وله فى النيل منظرٌ عجبٌ، لأنّ الماء يحيط به من جميع جهاته، ويزيد فى حسن مُتنزّهاته . وإذا تصرّف الماء أظهرت أرضُه غرائبَ النُّوّار، وعجائبَ الزهور المشرقة الأنوار . وله خليجٌ بستان أنسباتَ أرقم، وعليه شطوطٌ كأنّها بالديباج تُرْقَم .

وقال الشابشتى[2]: وهو متصيَّدٌ ممتعٌ. وأنشد فيه لابن البصرى :

أتَنْشَطُ للشُّرب ياسيِّدى، ✻ فيومك هذا دقيقُ الدُّروزْ؟
فعندى لك اليومَ مَشْوِيَّتان ✻ سرقتُهما من دَجاج العَجُوزْ!
أتَنْشَطُ عندى على نُقْتَين، ✻ على لَوْزَتين، على قَطْر مِيزْ؟
ونقصدُ نَهْيَا وديرًا لها ✻ به مَنْبِتُ الورد والمَرْزَجُوزْ؟
ونشرَبُ فيها بِرِطْلٍ وجامْ ✻ وطاسٍ وكأسٍ وكُوبٍ وكُوزْ؟
فعندى حَنْفٌ رَخِيمُ الدَّلال ✻ نَشا فى النَّعيم ولُبْس الخُزُوزْ!

(١) انظر المقريزى (ج ٢ ص ٥٠٤) ، وياقوت (ج ٢ ص ٧٠٤)، والشابشتى (ورقة ١٢٩). وانظر أيضا أبو صالح الأرمنى فى تاريخه "أخبار من نواحى مصر وإقطاعها" الذى طبعه المستشرق الانكليزى إيفت Evetts وترجمه إلى الانكليزية، بمدينة اكسفورد سنة ١٨٩٥ (ص ٧٧ — ٨١) .

(٢) وفى الشابشتى: ابن المصرى. وانظر المقريزى (ج ٢ ص ٥٠٢)، وابن أبى أصيبعة (ج ٢ ص ٨٩) ، وياقوت (ج ٢ ص ٦٨٥) ، والشابشتى (ورقة ١٢٤) .

دير القصير

دَير القُصَير[1] - هو فى أعلىٰ الجبل ، علىٰ سطح قُبَّةٍ من بلاد الفتح[2] . وهو حسن البناء ، نَزِهُ البقعة . وله بئر منقورة فى الحَجَر .

(٣٦٦)

وفى أعلاه غرفة بناها خُمارويه بن طُولُون ، تُطلُّ من كل جهة . وكان كثير الغِشْيَان لهذا الدير .

٥ والطريق إليه من جهة مِصْرَ صَعْبٌ ، ومن قبلته سهْلٌ .

وإلىٰ جانبه صَوْمَعَةٌ ، لاتخلو من حَبِيسٍ .

وإلىٰ جانبه قرية تُعرف بشهران . يقال إن أمّ موسىٰ (عليه السلام) منها ألقته فى التابوت ، فى البحر .

وبها دير آخر يعرف بدير شهران . وهو المعروف الآن بشعران[3] .

١٠ قال الشابشتى : ودير القصير أحد الديارات المقصودة ، والمتنزهات المطروقة : لحسن موقعه وإشرافه علىٰ مِصرَ وأعمالها . وفيه يقول محمد بن عاصم المصرىّ :

إنَّ دَيْرَ القُصَيْرِ هاج ٱدّكارى ❊ لَهْوَ أيامِنا الحِسانِ القِصَارِ!

وكأنّى إذ زُرتُه بعد هَجْرٍ ❊ لم تكن من منازِلى ودِيارى ،

إذ صُعُودِى علىٰ الحِمار إليه ❊ وٱنحدارِى فى المُنْشَآت الجوَارى ،

١٥ (١) ضبطه هنا فى الأصل (بالفتح كأمير) . وفى ياقوت القُصَير . (بالتصغير) . وقد عاد المؤلف فيما سيجىء من الأنساب فضبطه بالتصغير . وعلىٰ ذلك ضبطها الشابشتى . وانظر أيضا ما ذكره أبو صالح الأرمنىّ (ص ٦٢ و ٦٥) .

(٢) الذى فى الشابشتى هو " فى أعلى الجبل علىٰ سطح فى قلته " أما قول ابن فضل الله "سطح قبة من بلاد الفتح" فهو من عنده . ولعل هناك تحريفا من الناسخ . فإنى لاأدرى مايريد بقوله "بلاد الفتح" هنا .

٢٠ (٣) هذه البيانات نقلها ابن فضل الله عن الشابشتىّ باختصار .

منزلًا لستُ مُحصِبًا مابقلبي * ولنفسي فيــهِ من الأَوْطَـارِ!
مـنْزِلًا من عُلُوِّهِ كسَمَاءٍ * والمَصَابيـحُ حـوْلَه كالدَّرارى!
كم شَرِبْنا علىٰ التَّصاوير فيـه * بِصِـــغَارٍ محثُـــوثةٍ وكِبارِ!
صُورةٌ من مُصَوِّرٍ فيه طَلَّتْ * فِتنــةٌ للقُــلُوب والأبصـارِ!
لا وحُسْنِ العَيْنينِ والشَّفَةِ اللَّــمياءِ منهـا وخـــدِّها الجُلَّنارِ!
لا تخلَّفْتُ عن مَزَارِىَ ديرًا * هِى فيه، ولو نأَى بى مَزارى!
فسقَى الله أرض حُلوان فالنجــ * ــد فديرَ القُصَــيْرِ صوبَ العُشار!
كم تنبهتُ من لَذَاذة نومى * بنَعِــير الرُّهْــان فى الأسحـارِ!
والنواقيسِ صائحاتٍ تنادى: * حىَّ يانائمًا[1] عــلىٰ الأسْكارِ!

وقال ٱبن ظافر: مضيتُ أنا والشهابُ يعقوب ٱبن أخت نجم الدين (يعنى ٱبن مجاور) والقاضى الأعزّ المؤيد[2] فى جماعة من أصحابنا إلىٰ الدير المعروف بالقصير إيثـارًا لنظر تلك الآثار، فلما تنزهنا فى حسـن منظره[3] تعاطينا العمل[4] فيه علىٰ عادة الشعراء[5] الذين قطعوا طريق الأعمار، بطروف الأعمار، وضيَّعوا العيْنَ والعقَار، فى تحصيل العيْنِ والعُقَار . فقال الشهاب :

(١) هذه القصيدة فى كتاب الشابشتى تتألف من ٢٧ بيتا . وقد ترك ٱبن فضل الله منها ١٥ بيتا .

(٢) فى بدائع البدائه صفحة ١٢١ : الأعز بن المؤيد رحمه الله .

(٣) فى بدائع البدائه زيادة . وقضينا الوطر من نظاره .

(٤) فى بدائع البدائه : القولَ .

(٥) فى بدائع البدائه . جريا على عادة خلعاء الظرفاء ، وظرفاء الادباء ، ومُجّان الشعراء ، الذين نبذوا الوقار بالعراء ، فقطعوا طريق الأعمار بطروق الاعمار .

سقى اللهُ يومى بدَيْرِ القصير * قَصيرَ العَزالِى طَويلَ الذُّيولْ !
مَحَـلٌّ[1] إذا لاح لى[2] لم أقِفْ * بصَحْبى علىٰ حَوْمَلٍ فالدَّخُولْ .

فقلتُ :

فكَمْ فيه من قَمَرٍ فى دُجًى * علىٰ غُصُنٍ فى كَثيبٍ مَهِيلْ !
بِودٍّ صحيحٍ وطَرْفٍ سَقِيمٍ[3] * ورُوحٍ خفيفٍ ورِدْفٍ ثقيلْ !

فقال الأعزّ :

قطعتُ به العَيْشَ معْ فِتْيَةٍ * صِباحِ الوُجُوه كِرامِ الأُصُولْ !
بكلِّ كريمٍ قَصيرِ المِرا * ءِ حازَ المَعَالِى بباعٍ طَويلْ !

فقال الشهاب :

إذا مَسَّه سلَّ سيفَ المُدامْ ، * فكم من سَليبٍ وكَمْ من قَتيلْ !

فقال الأعزّ :

وكم من خَليعٍ كريم الفِعالْ ، * يُجَدِّد بالجُود غَيْظَ البخيلْ !

فقلت :

يوافيه ذا ذَهَبٍ جامِدٍ ، * فيُفْنِيه فى ذائبٍ للشَّمُولْ !

ثم صنع الشهاب[4] :

علىٰ عُمْرِ القَصيرِ قطعتُ عُمْرى[5] * وصُنتُ خَلاعتِى وأزلتُ وَقْرى !

---

(١) بالأصل صفحة ٢٦٦ : محلا . وقد اعتمدنا على البدائع .

(٢) لى ، غير موجودة بالاصل . وأخذناها عن البدائع .

(٣) فى البدائع : بلحظ صحيح وجفن سقيم .

(٤) زاد فى البدائع : على غير هذا الروى والورد فقال .

(٥) فى البدائع : قصرت [وهى أحسن] .

فقال الأعزّ :

ولم أسْمَــعْ لعَمْرُكَ[1] قولَ زيدٍ ، إذا ما لامني أو قَوْلَ عمرِو!

فقلت :

ظَفِرنا فيــه من شَفَةٍ وكأسٍ ، بمَشْرُوبَيْنِ: من ريقٍ وخمرِ!

فقال الشهاب :

ودافَعْنا يَمِــينَ الرأيِ فيــه[2] ، بمَظْلُومَيْنِ: من خمرٍ وحَصْر!

فقال الأعزّ :

كَسَوْتُ به الكُؤوسَ البِيضَ حُمْرًا ، من الفُمْصِ[3] آسْتَزَيْناها بصُفر!

فقلتُ :

وظَلْتُ بمأزِقٍ للهــو أتْلُو ، بهَزِّ البِيض فيه عِناقَ سُمْرِ!

دير شعران

دير شَعْرانَ[4] — هو في حدود طُرَا، من صواحي القاهرة القبليّة، في لحف الجبل الأحمر، المعروف بالمُقَطَّم. وبناؤه بالحجر واللِّبن . وعليه نخل. وبه جماعة من الرهبان. وهو من ديارات اليعاقبة .

(٢٦٧) حُكى أن السرّاج الورّاق مرّ عليه، فنزل به . فرأى به جماعة من أوِدّائه على راح تَقْــدَح لهم أقداحُها، وتُهــدى إليهم أفراحُها . وكان السرّاج قد طُفِئت فتيلتُه من

(١) في الذخائر : لعمري .
(٢) « « : الدين .
(٣) أي القُمُص .
(٤) انظر أيضا في خطط المقريزي (ج ٢ ص ٥٠١) ، وانظر ما أورده أبو صالح الأرمني (ص ٦٠ و ٦٣) .

شُعْلة ذلك اللّهب، ونَكِرَتْ قافيتَه صُفرة ذاك الذهب . فأتاه بها الساقى فردّها ، وواصلته فى الكاس فصدّها . هذا حين نكّس الكِبَر صَعدتَه، وأنهد العمرُ مُدَّتَه . وذكر بُجلسائها فقدَ إخوانه، ودَهابَ زمانه . فلامه من حضر إذ صدّ الكاس، وقال : أمالكَ أسوةٌ بهؤلاء الجُلّاس؟ فقال :

٥ عَجِبَ السافِي لرَدّى القَدَحا ۞ ولأمْرٍ فى التَّصَابى فَدَحَا!

وأتانا يَحْبُنا كأسِهِ ۞ حيثُ جِئنا ديرَ شَعْران ضُحَى.

قلتُ : يأقُرّةَ عينى رُبّما ۞ غُضَّ طَرْفٌ بعد ما قد طَمَحا!

لم أكُنْ أوّلَ وَلْهانٍ سَلَا ۞ لا ولا أوّلَ نَشْوانٍ صَحَا!

أشربُ الراح أُرَجّى فَرَحًا ۞ فيُتيح الحظُّ منها تَرَحا!

١٠ سوءُ حَظّى لو رَمىٰ الصبحَ دَجَا ۞ أو رمىٰ ليلَ عِذارٍ وضَحَا!

وخُمولٍ مُنْطِقٍ بالشّتْمِ لى، ۞ مَنْ أرىٰ دَهْرِى له مُمْتَدِحا؟

زاد فى سَبّى إلىٰ أن خِلْتُه ۞ شهد الله به قد سَبَّحا!

أنا ما ذَنْبِى لَحَا الله آمْرَأً ۞ لامَ فى التَّوْبة مِثْلِى ولَحَا!

يانَديمى أنت للرّاح فدَعْنِى ۞ أنزَحُ الدمعَ إلىٰ أن نُزِحا!

١٥ هِىَ أوقاتٌ وكلٌّ آخذٌ ۞ من صَفا أوقاتِهِ ما سَمَحا!

حُكى أن السرّاج الورّاق وأبا الحسين الجزّار خرجا فى عهد صِباهما، والشباب أعقد حُباهما، يريدان النزهة. فوجدا غلاما زامرًا، يُمَنّى منه اللقاء، ويجمع فيه الغصن والورقاء . يتلفّت بصفحة القمر المنير، ويُطرب كأنما زمرُه مما أوتِىَ آل

داودَ من المزامير . فلقتاه إليهـما لأمر،وظنّا أنه سنُليبنه لهما الخمر . فأتيَا به دير شعران ،وصَعِدا إليه،ووجدا راهبا يصدَعُ حُبُّـهُ الفؤاد،ويطلعُ قمره ولا شئ احسن منه فى ذلك السواد . فراد سرورُهما بحصول الزامر والراهب،وأيقنا ببلوغ المآرب . فلما حميت فيهما سَوْرَة الحُمَيَّا،وظن كلٌّ منهما أنه قد حُصّل له فراشُه وتهيّا،فَطِنَ الزامر والراهب لمرادهما فتركاهما ومضيا قبلَ النام،وتركاهما وكلٌّ واحد منهما يشكو صحيحا لايام . فقال السراج :

فى فَخّنا لم يَقَعِ الطـائرُ: * لا راهبُ الدير ولا الزامرُ!

فقال أبو الحسين الجزار :

فَسَعْدُنا ليس له أوّلٌ، * ونَحْسُنـا ليس له آخِرُ!

فقال السراج:

فالقلْبُ فى إثرهما هـائمٌ،

فقال الجزار :

والقلبُ من أجلهما حائرُ!

وحُكى أن السَّراجَ الورّاق كان يغشى راهبا بدير شعران وافرَ العقل ، كاملَ الفضل .فخرج إليه فى جماعة من أهل الأدب وشعبانُ قد بقىَ علىٰ أقلّ من نصفه، وبدره قد أخذ بفهقر إلىٰ خامـه.وشهرُ رمضانَ قد آنَ له أن تُغَلَّ فيـه شياطينُ الأنام،ويُحتَمَ فيه علىٰ الأفواه بالصيام.فألفَوا الراهب وقد لبس مِسْحهوساح،وعزل الدير فما هبّت فيه رائحة راح . فلما رأوا أن دَيْنَ رمضان قد حان حلول أجله، وأنّ وجه الدير الوقاحَ مادتْ فيه من الخمر حُمرةُ خجَـلِهِ، خافوا أن يأتى الصيام،وما

تشعشع سوىٰ قنديل سَحُوره الذى بان. ولا مُلِكَ مُدامُ يأتى منه أوائل وَرْدٍ فى أواخر شعبان. فندب السِّرَاج إليه راهبا من شَباب الدير ليبتعه، وكتب معه:

أبلغ الفاضلَ الرئيسَ السَّلامَا، . شَقَّ عن زَهْرِهِ الصباحُ كِماما!

قُلْ له: أيُّها الحكيمُ الذى فى . دِين عيسىٰ قد بَرْهنَ الأحكاما!

كم رقَبْناك كالهلال إلىٰ أن . لُحْتَ للناظرين بَدْرًا تَماما!

يا أبا المِلَّةِ المَسيحيّة ارحَمْ . مَعْشرًا مُذْ ظَعَنْتَ عنهم بَتامىٰ!

فُطِمُوا من رَضاعِ كأسِ الحُمَيَّا . وهى أنكىٰ للرُضَّعِين فِطاما!

واستحلُّوا وضعَ الصليبِ عنِ الرا . ووق من بعد حَمْلِه أعواما!

عَدِمُوا راحة النُّفوس من الرا . ح، فداركْ بالأنفُسِ الأجساما!

وأطالوا حَبْسَ المُدامةِ فى الدَّ . نّ* و يكفِى حبسُ المُدامة عاما!

ودعا الديكُ للصَّبوح فهَبُّوا . كالمحبِّين لا يَعُونَ المَلاما!

فاسقِهم من سُلافةٍ نطردُ الهمّ* . وعجِّلْ لهم بذاك اهتماما!

وعسىٰ قائلٍ بِقولِ لِحَظِّى . ونَصيبى: أطلتَ فى ذا الكلاما!

كذبَ المدَّعِى وآخِرُ شَعْبا . ن يُنادِى الصيامَ الصِّياما

دير البغل[1]. هو سمالىّ دير شعران. و بناؤه مثل بنائه فى لِحْف جبل المقطّم. وعليه نخلٌ. و به جماعة من الرهبان العاقه.

قالوا: وسمِّىَ بدير البغل لأنه كان به بغلٌ لسَقْىِ الماء، تعوّد هذا وألِفَه. وكانوا إذا أطلقوه، أتىٰ مورد الماء، وهناك مَن يملأ عليه. وإذا حمله أتىٰ الدير بالماء.

(١) انظر ما أورده أبو صالح الأرمنىّ (ص ٦٣).

خرج إليه السّراج الورّاق مع أبي المُفَضَّل بن العسّال في جماعة من أهله، وأقاموا به أياما في لهو، يجزون أعطاف الزّهو . وكان بالدير غلام لايتعدّاه أمَلُ المقترح، ولايحاكى دوائلَ عيونه الا الرحس المصبح . فألفه السراج الورّاق وهو إلى وصل منه محتاج . فلما عادوا، قال السراج يذكر أيامه و يمدح أبا المفضّل، ويذكر شيئا كان عليه به قد تفضّل :

أَحْبَابُكَ من عارضٍ في حدّه لاحا . رَيْحانةٌ جاورَتْ من رِيقه راحا،
وما كساه الشّذَا المِسْكِيُّ بينهما . حتّى حَلَا من خضيب الخدّ تفّاحا،
عَنِى رأَتْه بدير البَغْل في مَلَاٍ * قد قام فيهم مع الأسحار نوّاحا،
مقرطَق تَرَكَ النُّدمان من بابه . صَرْعَى وقد حثّ أحداقا وأقداحا،
عاطيْته كأسها والشُّهْب ماجَنَحتْ . إلى مَغَارِبها والدّيكُ ما صاحا،
والنّجم حيرانُ لولا ما رفعتُ له من كأسها نحتَ جُنْح الليل مِصْباحا،
حتّى إذا أذهبَ الصّهباءُ خُطْوَتَهُ * ورحّلتْ يدُه عن راحِه الراحا،
وباتَ طَوْعِى فلم أزدَدْ على قُبَلٍ * إذ لا أبيتُ لبابِ العار فتّاحا،
أغالِبُ النفسَ عمّا تشتهى كرمًا . جِدًّا فلا تحسَبَنِّى ثَمَّ مزّاحا،
وقد يَرُوقُك لفظى الحُلْوُ لاسيّما * إذا لَقِيتُ بنى العسّال مَدّاحا،
القوم جادُوا ولم أسأل، وهم منحوا * وما غَشِيتُهُمُ والله مُمْتاحا!
وشاد مجدُهُمُ بيتًا بيتٍ له * طَرْف المَجَرّة مما طال طَمّاحا!
من كلّ أزهرَ لولا في تطلُّعه . مطالعُ الصُّبْح! زادَ الصبحَ إيضاحا،

صَحِبتُهم نحوَ دير البَغلِ مطلبُنا * صهباءُ جرّتْ بطوفِ الليل فانزاحا.

أبا المُفضّل، لم أبلغْ مَداكَ ولو * طارحتُ في مَذهب الشعر الطِّرِمّاحا!

إنْ رُمتَ إخفاءَ ما تُعطي فقد نطق الـ * ـمعروفُ عنك بما تُخفي وقد باحا!

لا تَبْغِ للجودِ كِتمانًا فتظلمَه * إنا رأينا نَسيمَ الجودِ فَوّاحا!

٥ دير طَمْويه[1] ـ ويُعرف المكانُ الآن بطمّوه، وهو في الجانب الغربي، بإزاء حُلوان. والدير راكبٌ على البحر. تحفّ به الكروم والبساتين والأشجار. وهو عامر الأوطان. آهل بالرهبان. وحين تحصرُ الأرض يكون بين بساطَيْن من البحر والزرع.

دير طمويه

قال الشابشتي: وهو من المتنزهات المذكورة، والمواضع الموصوفة. وأنشد فيه

١٠ لابن عاصم قولَه:

واشربْ بطمويه من صهباءَ صافيةٍ * تُزري[2] بخمر قرى هِيتٍ وعاناتِ!

على رياضٍ من النُّوّار زاهيةٍ * تجري الجداولُ منها بين جنّاتِ!

مازلا كنتُ[3] مشغوفا بها كَلِفا * وكنَّ قِدْماً مواخيري وحاناتي،

إذ لا أزال مُلِحًّا بالصَّبوح على * ضرب النواقيس صَبًّا بالديارات.

١٥ (١) وانظر أيضا في خطط المقريزي (ج ٢ ص ٥٠٤)، وياقوت (ج ٢ ص ٦٧٤)، الشابشتي (ورقة ١٣١) وانظر أيضا ما أورده أبو صالح الأرمني (ص ٨٥).

(٢) في الأصل: تروى. وفي الشابشتي: ىرى. هكذا بغير نقط.

(٣) هذه رواية الشابشتي. والذي في ابن فضل الله "إني وإن كنت" وقد فضلت الرجوع إلى رواية الشابشتي لأن ابن فضل الله اختزل من هذه القصيدة ثلاثة أبيات، ولأن خبر هذه الجملة الشرطية التي مال

٢٠ إليها لم يرد.

كنيسة الطور

كنيسة الطُّور[(١)] ـ قال الشابشتى: وهذا الطُّور هو طورسينا، الذى صَعِقَ عليه موسى، عليه السلام. والكنيسة فى أعلى الجبل. مبنيّةٌ بحجر أسود. عرض حصنه سبعة أذرع. وله ثلاثة أبواب من الحديد. وفى غربيّه باب لطيف. وقدّامَه حجرٌ لَقِمٌ. إذا أرادوا رفعه رفعوه، وإذا قصدهم متعلّب أرسلوه، فانطبق. فلا يعرف أحدٌ مكانَ الباب. وداخلها عينُ ماء، وخارجها عينٌ أخرى. ٥

قال: وزعم النصارى أن بها من أنواع النار الحديدةَ التى كانت ببيت المقدس: يَقِدُون[(٢)] منها فى كل عشيّة السراج. وهى بيضاء ضعيفة الحرّ، لا تُحرِق. ثم تقوى إذا هم أرادوا أن يوقدوا منها.

وهو عامر بالرهبان. فلا يخلو من أحد من أهل البطالات للتفرّج فيه والتبرّك ـ على رأيهم ـ به. ١٠

وهو من الديارات الموصوفة والأماكن المقصودة. وممن وصفه ابن عاصم. قال فيه:

يا راهبَ الدَّيْر، ماذا الضوءُ والنُّورُ ... فقد أضاء بما فى دَيْرِك الطُّورُ؟
هل حلَّتِ الشمسُ فيه دُونَ أبْرجِها ... أو غُيِّبَ البدرُ عنه فهو مستورُ؟
فقال: ما حلَّه شمسٌ ولا قمرٌ ... لكن تُقَرَّب فيه اليومَ قُوْرِيرا! ١٥

(١) وانظر المقريزى (ح ٢ ص ٥١٠). والشابشتى (ورقة ١٣٣). وياقوت (ح ٢ ص ٦٧٥ و ٦٧٦). والقزوينى (ص ١٣١). وكلهم يسمى هذه الكنيسة باسم "دير الطور" وشعر ابن عاصم الوارد فى المتن يشهد بهذه التسمية. وهو غير دير طور سينا الذى سبق الكلام عليه باسم دير الطور.

(٢) صوابه يوقدون لأن "وقد" لازم ويتعدى بالهمزة. وقد جاء بعد سطر على الصحة.

دير طرا

دير طُــرَا[1] ـ وموقعه قبليّ القرافة ومصر. يلي بركة الحبش و بساتين الوزير. يقصده أهل مصر للفرجة والتنزه . و يُؤْتىٰ إليه علىٰ ظهر البرّ والنيل . وله إشرافٌ علىٰ النيل . ولا يخلو من قَصْف وشرب . ولأمراء الديار المصرية إليه إفضاء في الفضاء ومنتهىٰ الركوب . وفيه أقولُ :

شعر المؤلف فيه

٥ يومَ طُــرَا وديرِهــا * وما أَتىٰ من خَيْرِها!

وأبيضٍ من يومهــا * وأحمــرٍ من مَيْرِها!

مُدامةٌ تَسْرِى بنــا * مُجِــدَّةً في سَيْرِها؟

(٢٧٢)

لم أَنْسَ هِيفَ نخلها * و يومَنا في حَــيْرِها ،

وأَكْلَنا من حُوتِهــا * ووَحْشِها وطَــيْرِها!

١٠ هــذا إلىٰ فاتنــةٍ * مَليحــةٍ في دَيْرِها ،

فلا تَقُلْ لِي : غيرُها ، * ما أَرَبِي في غَــيْرِها!

---

(١) وانظر المقريزيّ (ج ٢ ص ٥٠١) .

الديارات السبع

الديارات السبع (1)

وهي في الوجه البحري، وهو سُفليّ ديار مصر. ممتدّة غربا على جانب البرّيّة القاطعة بين بلاد البُحَيْرة والفيّوم.

مرور المؤلف على بعضها في أيام السلطان الناصر

مرّرْنا على بعضها في الصحبة الشريفة الناصريّة. وهي في رمال مُنْقَطعةٍ، وسباخ مالحةٍ، وبرارٍ مُعْطِشة، وقِفارٍ مُهْلِكة. وشرب سكّانها من جفاراتٍ لهم. وهم في غاية من قَشَف العيش وشَظَف القُوت.

ويحمل النصارى إليهم حلائل النذور والقرابين، وتحفهم بكرائم التُّحَف.

وتتخذ كتبةُ القبْط وخَدَمُ السلطان منهم خاصةً، أياديَ معهم، ليكونوا لهم ملجأً من الدولة، إذا جارت عليهم صُرُوفُها.

ولم أعلم فيها(2) أخبارا فأذكرها ولا أشعارا فأُطرِف بها، وإنما ذكرتها لشهرة اسمها وبُعْد صيتها.

الدير الأبيض

الدير الأبيض(3) — وهو دير جليل البناء، أبيض كما سُمّيَ، عليه رونقٌ. قد بُنِيَ

(1) هي المشهورة الآن بوادي النطرون، وقد زرتها في سنة ١٨٩٤ ميلادية.

(2) في الأصل «فيهم».

(3) ويعرف بدير «بو شنوده». وانظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤١)، وقد اقتصر على القول بأنه في الصعيد وأنه يقال له «دير الأبيض». وقد ذكر أن بأزائها ديرا آخر بهذا الاسم في جبل مطل على تلك المدينة [المعروفة الآن باسم أورفا] وأن ناقوسه متى ضرب يسمع بها. وانظر أيضا ما أورده أبو صالح الأرمنيّ (ص ١٠٤ إلى ١٠٦)، وقد سماه «دير بو شنوده» وقال إنه بإخميم، على جبل يسمى أدريبه.

بالحجر الأبيض، وزُيِّن في أبنيته، ووُسِّع في قدر أفنيته . وهو غربيّ النيل، في طَرَف الحاجر المُطِلّ على المزدرَع، فيما يقابل إخميم . وله إشرافٌ على بسائط تلك الزروع، وسوارح تلك المواشي . وبإزائه نخلٌ خاصٌّ به .

وصف المؤلف له

ويجرى من النيل خليج طويل المدى، كأنه السيفُ النقيّ من الصدى، ينتهى

٥ إلى مَلَقةٍ منسعه، وبركة فيها أمداد المياه مجتمعة، شرقيّ الدير، يفصل بينهما الطريق، ويطلّ على هذه المَلَقة رابيةٌ عليه، قد تكونت من فَضَلات التُّرَع المحفورة والجسور المستجدّة .

لا يُرى مثلُ نزاهته فى زمن الشتاء والربيع : يتضاحك فى جَنَباته النُّوّار، وتخضَرّ فيه شِفاف الزروع، وتكثر فيه مصايد الطير، ويكون من الحُسْن فى غاية تملأ البصر،

١٠ وتزيد على الخبر . ومررنا به صحبةَ السلطان ونزلنا على تلك الرابيه . وأشرفتُ على البركة وفيها قاربٌ يصادُ فيه السمك . ومرّت الأطلاب مُزَيَّنَة الترك[1] وجياد الخيل . فسُئِلتُ أن أعمَلَ فى مثل هذا شيئا، على رسم ما يقال فى الديارات، فقلتُ :

(٢٧٣)

أرجوزة طويلة للمؤلف فيه

١ يومٌ لنا بالدَّيْر، دير الأبيض . قد انقضى وطيبُه لم ينقضِ .

٢ قد جئتُه فى العسكر المنصورِ . فغَلّق الأبوابَ كالمحصورِ .

١٥ ٣ ونزل الرُّهبانُ بالدنّوس . منه إلى قراره الدَّمّوس .

٤ واطَّلَعَتْ نحوى هُناك رابيهْ . تأهَّفُ على الوِهاد آبيهْ .

٥ قد خضعَتْ من جانبيها الوُهُدُ . كأنها فوقَ الصُّدور نَهْدُ .

(١) يظهر أنه سقط كلام من الأصل . فإن كلمة "مزينة" جاءت فى آخر الصفحة، وكلمة "الترك" جاءت فى أوّل الصفحة التالية . ور بما كانت الجملة هكذا ومرت الأطلاب مزينة "بأسنان" الترك وجياد الخيل .

٦ كأنّما تطلُبُ منِّى المأْنى * هذا وقد ولّى زمانُ المَشْتى .
٧ وللربيع مُذْ أتى آعتِدال . وللنَّسيم بينَه آعتِلالُ .
٨ والشمسُ قد دبَّ بها السَّقامُ واليومُ لم يبقَ له مُقامُ .
٩ والليلُ قد هيَّأ صفَّ عَسْكرِهْ * وإنّما معروفُه فى مُنكَرِهْ .
١٠ والجوُّ فى ردائِه المُصَنْدَلِ . والأرضُ تُذْكى باشعالِ المَنْدَلِ . ٥
١١ ومُجْمَرُ الشَّمسِ فيها مُوقَدُ . وشُعَلُ النّهارِ فيها تُوقَدُ .
١٢ وزَهَرُ الفول آدَّعى بالحقِّ . شبيهَ أذنابِ الدَّجاجِ البُلْقِ .
١٣ وزَهَرُ الكتّان كالبَنَفْسَجِ . ومثلُه لولا ذكىُّ الأَرَجِ ،
١٤ تَبْدو علىٰ أعطافه الترافَهْ . ذو هَيَفٍ فى شكْلِه ظَرافه .
١٥ كأنّه فى مائه المترجرجِ . زَبَرْجَدٌ رُصِّعَ بالفَيْروزَجِ . ١٠
١٦ وسائرُ الزرعِ بِشاقٍ خُضْرِ . وبعضُها لها طِرازُ نَهْرِ .
١٧ والنخلُ حولَ الدير كالعرائسِ مَجْلُوَّةً فى فاخرِ المَلابسِ .
١٨ كأنه مستمرًّا فى هِمّهْ صفٌّ وقوفٌ حولَه فى الخِدْمَهْ .
١٩ وثَمَّ من باقى مدودِ النيلِ . ماءٌ شبيهُ الصارمِ الصَّقيلِ .
٢٠ وافَتْ إليه خُلُجٌ مُفرَّقَهْ * وآجتمعَتْ جمعُها فى مَلْقَهْ : ١٥
٢١ دائرةٍ قَوْراءَ مثلِ الأفقِ تأوى بها حيتانُها فى نَفَقِ .
٢٢ صافيةٍ كمثلِ عيْنِ الدِّيكِ . فى غابة الصِّفْصافِ والسَّمرْبِكِ .
٢٣ قد ولِعَتْ فيها الرياحُ بالطُّرَرْ فشوّشَتْها ثم سالَتْ كالغُرَرْ .
٢٤ فسيحة الأرجاء كالميدانِ . تشُقُّها سوابحُ الحيتانِ .

(٢٧٤)

٢٥ فيها من الأسماك أشتاتٌ تُرىٰ . تأخذ من أنواعهنّ العنبرا.

٢٦ فيها من البُلطيّ والبُنّيّ . آكلُ كالرُّطَبِ الجَنيّ.

٢٧ والبركةُ الفيحاءُ فيها قارِبُ * وهو صارٍ للشباكِ صاربُ.

٢٨ يجري به قاربُهُ على نفَسْ وهْوَ بهِ في الماءِ بارِيّ الفَرَسْ.

٢٩ كأنّما أُجرِيَ به جوادا . أسرعَ في الركضِ وما تمادىٰ.

٣٠ كأنّه إذا أراد المَركَبَا * صِلٌّ من الحيّاتِ يرقى عقربا.

٣١ يُسيِّرُ الحيتانَ وسْطَ الماءِ . كأنّها النجومُ في السماءِ.

٣٢ يأتي إليها بأصاليل الخُدَعْ . لأجلِ ما يأخذُ منها ويَدَعْ.

٣٣ ولم يزلْ بحقّهِ في الحركهْ * حتى أنّهُ يُلقي عليها الشَّبَكَهْ.

٣٤ وكُلّ ما يُريدُه يَصطيدْ * بازرعها آن لك الحصيدْ.

٣٥ وعَنَّ لي سِرْبُ مَهًا حآذِرُ أحداقُها نصُّ ما نُحاذِرُ.

٣٦ أقمارُ تُرْكٍ فوقَ شُهْبِ الخيلِ وبينَها أدهمُ صافي الذَّيْلِ.

٣٧ جئتُ حتى صرتُ فوق الهضْبَهْ . وعاينتْ عسايَ تلكَ الحَلْبَهْ.

٣٨ ويالها من حَلْبَةٍ لا تُلحَقُ . تَكْبو وراءها الرياحُ السُّبَّقُ!

٣٩ كأنّها أُفْقٌ حوىٰ أقمارًا قد طَلَعوا في أفقِها نهارا.

٤٠ من نَسْلِ خاقانَ وجنسِ التُّرْكِ قد عوّدوا ألحاظَهم بالفتْكِ.

٤١ كم فيهمُ من ساحرِ الأجفانِ . قبْسيّ حدّ طرفُهُ يمانِي!

٤٢ للهِ إنْ جرّد أسيافَ الحَدَقْ وبدّد الدماءَ في الخدِّ الشَّفَقْ!

٤٣ فيها مِلاحٌ للعِناقِ خُلِقُوا . ما برزوا للعينِ حتى عُشِقُوا.

٤٤ وميْدُ الأغصانِ ثمَّ تستبِقْ * طوْرًا تُخلَّى ثُمَّ طورًا تعتنِق.

٤٥ أغصانُ بانٍ أمْ هُمُ غِزلانُ * أوِ الشُّمُوسُ بلْ هُمُ الوِلدانُ.

٤٦ قد ركِبُوا صوافِنَ السَّوابِقِ * وٱفترقوا لٰكن فؤادَ العاشِقِ.

٤٧ منهمْ فتًى يهتزُّ كالرُّدَيْنِى * مَنْ لِى منهُ لو قضَيْتُ دَيْنِى

٤٨ قد أسرجَ الغمامَ بالهلالِ * مُطهَّمًا فى صِبغةِ الليالى. ٥

٤٩ نفرُقُ شطْرَىْ وجهِهِ بغُرَّهْ: * كآبةٌ فى وسْطِها مَسَرَّهْ.

٥٠ أدهمُ منه فى السِّباقِ قد بَدَرْ * ليْلٌ ولٰكن فوقَ عِطْفَيْهِ قمَرْ.

٥١ مُمَلْمَلُ الضُّلْعِ رحيمُ الدَّلِّ * أربَدُ منه للهوى مُعَلِّى.

٥٢ لهُ من العُجْبِ حُفونُ مُطْبقهْ * وٱقتى من العُيُونِ الضَّيِّقهْ.

٥٣ لم أرَ مثلَ ثغرِهِ إذ ضحِكا * لقد حكاه البرقُ لٰكن ماحكَى. ١٠

٥٤ بدرٌ ولا تفضحُ لى أسماؤُهْ * ذو ترَفٍ يكاد يجرِى ماؤُهْ.

٥٥ مالِى وما للراحِ أو للأكْؤُسِ * إذ حلَّ لى سدَ القَبَاءِ الأطلسِ!

٥٦ وبانَ من ثيابهِ المُجرَّدْ * كأنه من فِضّةٍ تُنقَدْ.

٥٧ ويا أُخَىَّ إنْ قضيْتُ نحْبا * دعْنِى أموتُ فى هواهُ حُبّا! (٢٧٦)

٥٨ أهوِنْ بدمعٍ مقلتَىَّ الصَّبِّ * وقد عشِقْتُ صَبيًا نُصْبِى! ١٥

٥٩ ما الموتُ فى هواهُ إلَّا مَحْيا * أومُتُّ عِشْقًا فبهِ كنتُ أحْيا!

٦٠ لمَّا أتانِى من بعيدٍ ووقفْ * قمتُ له لِلَثْمِ أقدامٍ وكَفّْ.

٦١ وكانَ قد حانَ غُروبُ الشمسِ * وطلَعَ البدرُ كمثلِ التُّرْسِ.

٦٢ وظلْتُ ألهيهِ بٱشتغالِ السَّمَرْ * لعلَّ للذى فعلْتُه ثمَرْ.

٦٣ وقلتُ هذا مَنْزِلٌ نَزِيهُ * ليس له فيما هنا شبيهُ.
٦٤ يا مرحبًا شرّفتَ هذا المَوضِعَا * وجئتنا والبدرَ في وقتٍ معًا!
٦٥ فلو نزلتَه هناك أو هنَا * عمَّ بقُربك السرورُ والهَنا.
٦٦ فانزِلْ بنا واقعُد قريبًا ساعَهْ * ولا تخَفْ من واضحِ الشَّناعَهْ.
٦٧ فلانَ لي جانبُه ثمّ ابتسَمْ * وفاحَ لي طِيبُ رِضاهُ ونَسَمْ.
٦٨ وقال لي أقِمْ حوالَيْنا الحَرَسْ * وانحطَّ لي كالسَّهمِ عن ظهرِ الفرَسْ.
٦٩ فقال: ما تقول في ذا إنْ مَسَكْ * هذا لنا أوجابَ من هذا السَّمَكْ"
٧٠ ونُوقِدُ النارَ له لنُقلَى * ومَنْ أتى مُزاحِمًا في المَقلَى.
٧١ ونأكُلُ السَّلُّورَ والشَّبُّوطَا * والفرخَ والمَسْلُوخَ والمسْمُوطَا.
٧٢ هذا وما نضمّ أكنافُ السَّفَرْ * وما تكون منه ألطافُ السَّفَرْ.
٧٣ فقال لي: دونَك ما تُريدُ! * فكان عِندي بالّلقاء عِيدُ.
٧٤ هذا وكُنّا قد أمَرْنا الطّاهِي * بأخذِ تلك الجُملةِ الزَّواهي.
٧٥ فأتقنَ الجميعَ بالتنظيفِ * وزانَها في الوضعِ والتصفيفِ.
٧٦ وحَطَّ عن أجسامِها الحَوَاشِنَا * وأظهرَ الجَمَالَ والمَحَاسِنَا.
٧٧ واقتدَحَ النارَ من الزِّنادِ * مثلَ اصطكاكِ البَرْقِ في العِهادِ.
٧٨ يطيرُ من جانبِها شَرَارُ * هل منه للرُّمّانةِ انتثارُ.
٧٩ يُؤَرِّثُ المُوقِدَ جُلَّ نارِ * كأنّها شُبَّتْ بجُلَّنارِ.
٨٠ وبعدَ هذا صفَّفَ المَقالِي * وكلُّنا نُحِبُّ ذاكَ الفالِي.
٨١ وسكَبَ الدّهانَ في الطِّنجيرِ * كمثلِ بسْطِ الطَّلِّ في الغديرِ.

٨٢ ثُمَّ قَلَى فى الطاجن الأسما كا * لولا قليلٌ لقَلَى السِّما كا.
٨٣ ونضَّدَ الصُّحونَ ثمَّ صففا * سبائكًا من النُّضار قد صفا.
٨٤ أعادَها بعدَ اللُّجَيْنِ عَسْجَدَا * صفَّرَ ألوانًا لها وَوَرَّدَا.
٨٥ وجاء بالملح وبالأبزارِ * سكارجا تروق للأبصارِ.
٨٦ مصفوفةً لنا على مقدارِ * كدِرْهَمٍ صُفَّ إلى دينارِ.
٨٧ وصَبَّ من أطايب الأَصْلاصِ (١) * حفائنًا مسدودةَ العِفاصِ.
٨٨ من حامِضٍ مُطَيَّبٍ ومُزِّ * وغيرِ ذا من كُلِّ حمض يجزى.
٨٩ ونضَّدَ البُقولَ فى الأطباقِ * مثلَ الحَريرِ لُفَّ فى الأوراقِ.
٩٠ ووَضَعَ الكِماحَ والرُّقاقا * حتّى استدار حولَها نطاقا.
٩١ وجاءَ بالفُقّاعِ والمشْروبِ * يَهُمُّ فى الكِيزان بالوُثوبِ.
٩٢ ومنْهُ فى إنائه مسكوبُ * كأنَّه من ذَهَبٍ مصبوبُ.
٩٣ وقَرَّبوا الحَلْواءَ مِلْءَ الجامِ * كمثلِ قُرص الشمس بالتَّمامِ.
٩٤ فقام لى وزْنُ سروري وقَسَطْ * لأنَّ مَنْ أحبَبْتُهُ قد انْبَسَطْ.
٩٥ ومدَّ عندى يَدَهُ ثُمَّ أَكَلْ * ثُمَّ تنقَّلنا بمنهوب القُبَلْ.
٩٦ فكَمْ أصَبْنا منه ما أردنا * ولو نشاء بعدَ هذا زِدْنا!
٩٧ ثم أدَمْنا حمدنا والشكرا * وهْوَ بما جاد علينا أدرى.
٩٨ ثم أتانا الطَّستُ والغَسُولُ * كأنّه عنبرٍ مجبولُ.
٩٩ ثم تلاه الطِّيبُ والمِنديلْ * ياحبَّذا ماحَمَّه الرسولُ.

(١) جمع صلصة. (معربة عن اللاتينية والطليانية Salsa وعند الفرنسيين Sauce).

١٠٠ حتى إذا ما نزل السلطانُ * واشتغل الغوغاء والغلمانُ.(١)

١٠١ ونام كلُّ مستكنًّا في الخِيَمْ . ونكَّر الآفاقَ جلبابُ الظُّلَمْ.

١٠٢ وأمِنَ الراهبُ والقسّيسُ * وانشق عن موتاهمُ الناووسُ.

١٠٣ وأوقدوا في البيعة القِنديلا . ورجّعوا المِزمارَ والإنجيلا.

١٠٤ وزيّنوا الهيكلَ بالقُربانِ . وصففوا الشُّموعَ والقناني. ٥

١٠٥ وسكبوا الصهباء في الإبريقِ * صفراءَ أو حمراءَ كالعقيقِ.

١٠٦ وصبّها في الكاس مثلَ اللَّهبِ . ممتدّة مثلَ شريط الذهبِ.

١٠٧ يسعى بها مُقرْطَقٌ مُزَنَّرُ شبهُ الغزال الخشِف أحوىٰ أحورُ.

١٠٨ من فتيةٍ داموا علىٰ الإنجيلِ . مَنْ لى بهم لو أنّهمْ من جيلي.

١٠٩ وبعضهم دبَّ له عِذارُ : كأنّه من صدّه اعتذارُ. ١٠

١١٠ وفيهمُ ذاك الغزال النافرُ . خليفةُ المِلاحِ وهو الظافرُ.

١١١ لما بدا منه الصّباح السافرُ تستّر الليلُ فقيل الكافرُ.

١١٢ أو بنتُ قسّيس عليها مِسْحُ . كالليل قد أقبل فيه الصبحُ.

١١٣ بمعصَمٍ فيه دَلالٌ وترَفْ . كأنّه من ماءِ خدَّيْها اغترفْ.

١١٤ فاتنةٌ من الظِّباء العينِ قد ناصبت بدينها لِديني. ١٥

١١٥ ماذا أقول في بديع صُنعها . والبدرُ في الظلماء حشوُ دِرعها؟

١١٦ غصنٌ رطيبٌ دبَّ فيه الراحُ ومِن جَنَىٰ خُدودها التفّاحُ.

١١٧ آفةُ كلِّ مسلمٍ وكافرِ . وفتنةٌ في أوّلٍ وآخرِ.

---

(١) لم يرد جواب الشرط ، إلا أن يكون مقرونا بالواو في الأبيات التالية.

١١٨ ياما جَرىٰ مِنها و ياما يَجْـرِى * مِنَّا ومِنْهـا من بُكًا وهَجْـرِ!

١١٩ قَدْ هدَتْ عنَّا عيونُ الناسِ * ثُرْتُ به في غفــلةِ الحُرَّاسِ.

١٢٠ وقلتُ، قُمْ حتّى نَروحَ في الغَلَسْ * في خُلْسةٍ، فأطيبُ العيشِ الخُلَسْ!

١٢١ فالدَّيرُ قد آن له أن يُفْتَحا * وكان قد أُغْلِقَ عمدًا من ضُحىٰ.

١٢٢ قُما إليـه تحت سِتر الليـلِ نوازعًا نَرْمِى علىٰ سُــهَيْلِ. ٥

١٢٣ وقـد علا هيكلَه القِـنديلُ * كأنّه لرأســه إكليــلُ.

١٢٤ وثَمَّ في الديرانـا صَــدِيقُ منهمـكٌ في السُّـكْرِ لا يُفيقُ.

١٢٥ لكنَّهُ نخوفه قـــد كانا * ماتشرب الصَّــهْباء حتّى الآنا.

١٢٦ وعنـــده جميـعُ ماتطلبُــهُ * وصــوتُ أوتارٍ له تُطرِبُهُ.

١٢٧ وهْـــوَ إذا تبطَّن الشُّــلاوه * لم نســتطعْ ملبحهُ حِلاوَهْ. ١٠

١٢٨ لأنه عرَّف كلَّ راهبــه * بمكره أنَّ الحباه داهبـــه.

١٢٩ وكلُّ ما نريد منـــه يحصُلُ * وَفْقَ المُنى مسارعًا يستعجلُ.

١٣٠ فانهضْ وقُمْ وطِبْ ولا تُونّى * وافتلْ بمـا شئتَ سِوىٰ التجنّى!

١٣١ فهم بنا انهضْ ودَعِ العذالا! * كم دا القُــعودُ هٰكذا كُسالىٰ!

١٣٢ لِنغـنم الصِّــحّه والفَـرَاغا * ونشربَ العُمْرَ لنـا ما انساغا! ١٥

١٣٣ ولم أزلْ بِهِ بِهِ حــتّى نَزَلْ * شاباشْ لِي! صِدْتُ الغَزالَ بالغَزَلْ!

١٣٤ خدعتُــه فانطاع لِي الغُـلامُ * وكان ما قد كان، والسلامُ!

١٣٥ وبتُّ مسرورا بذاك الحشْفِ * وفوق ما وصَفْتُ منه المخفِى.

١٣٦ وكان لى غُلَـيِّمٌ طـريفُ * حُلْوُ الكلام فَكِهٌ خفيـفٌ.

(٢٨٠)

١٣٧ جميعُ ما يقوله مُجُونُ * ما كان مثلُه ولا يكونْ.

١٣٨ حديثُه ليس عليه من حَرَجْ * لما به الفالُ وقد سُمِّى فَرَحْ.

١٣٩ قلتُ له : كأنى ممن نَدِمْ * لأجل ذاك الطبي لما أنْطَعِمْ.

١٤٠ ويحكَ لِمْ أطعمتَ هذا ذا السمكْ! * فقال : لولاه لما كان أمسَكْ!

١٤١ جعلتُه لصيده كالفخ * لأجل ذا أبصرتَه مُسْتَرْخِى.

١٤٢ يا شاطرَ البلاد أنت الفهِمُ * فعلتَ ما لا تستطيع الأسْهُمُ!

١٤٣ لاشكَّ قد أتقنتَ علم السِّحرِ * وصِدْتَ صيدَ البَرِّ بعد البحرِ!

ومما قلتُه فيه :

وبالديرِ يومٌ أبيضٌ لِى كأسيهِ * وقد طَلَعَتْ من جانب الدير أقمارُ.

١٠ وقد جُلِيَتْ فى الكأس صهباءُ مُزَّةٌ * تَكَشَّفَ منها فى الدُّجُنَّةِ أستارُ.

وبالدير دَيْرانيَّةٌ بَرَزَتْ لنا * فتمَّ لنا فيها حديثٌ وأسمارُ.

جَلَتْها كأنَّ الطُّورَ جانبُ كأسِها * وإلَّا رُبَى دَارِينَ من دُونِها دارُ.

وقلتُ :

ولم أنْسَ بالدير يومًا لنا * وعيْشُ السُّرور به يُنْتَهَبْ!

١٥ فقصَّصَ أبكارَه بالُّلجَيْنِ * ومَوَّهَ آصالَه بالذهبْ!

وكأسُ المُدَام علينا تطوف * بحمراءَ صافيةٍ كاللَّهَبْ.

يطوفُ بها من بَنَاتِ القُسُو * سِ باحلةُ الكَفِّ ليستْ تَهَبْ.

مُبَتَّلَةٌ بين رُهْبانِها * لألحاظِها فى حَشَانا رَهَبْ.

مسيحيَّةٌ طَلَعَتْ فى المُسُوح * كصبحٍ أطَلَّ وليلٍ ذَهَبْ.

(٢٨١)

وقد عاب عنّا عِيانُ الرقيبِ وجاد الزمانُ بما قد وَهَبْ.
فرَشْــفُ اللَّمَىٰ خُلَسٌ بيننا وعضُّ الخُــدُود لدينا نُهَبْ.

دير ريفــة

دير ريفــة[1] ــ وهو بصعيد مصر، فوق سيوط، لا ببعيد، على الجبل الغربىّ المطلّ على ربعه.

وهناك عدّة ديارات، المشهورُ أكبرها، والبقية كالقلالى.

وهو من الأبنية القــديمة المحكمة. ولأهله رزق من أطيــان تُزرع وتستغلّ. جارية بتواقيع السلاطين، ثابتة فى حساب الدواوين. وهو دير مذكور، وله أخبار، وفيه حكايات وأشعار.

يُحكى أن شاعرا مغربيا، يُعرف بابن الحدّاد، مرّ به وهو مُصــعِد إلى قوص، ليحُجّ من جهة عَيْــذاب، فى البحر. فرأى ديرانيّة اسمها نويرة. كأنما أذكاها فى قلبه نَظَرُها، وشبّها فى جوانحه من خدودها المُحَمَّرة نَضَرُها. فألقى عنــدها عصا سفره، ولَوَىَ عندها منتهى ما يُؤَمّل من ظَفَرِه[2]. وترك الحجّ كأنّه ما تعنّى له من أقصى بلاده، ولا نوى[2] إليه السفر فى رحلته وزاده. وقال فيها:

ورأتْ حشوى مِن نُوَيْرَةَ كاسمها نارا تُصَــلُّ، وكُلُّ نارٍ تُرْشِدُ!
والمــاءُ أنت، ولا يصحُّ لقابِضٍ! والنارُ أنتِ، وفى الحَشَا تتوقَّدُ!

(١) سماه أبو صالح الأرمنى "دير ريفة وأذرنكة" وأنظر كلامه عليه (ص ٩٤ و ١١٣). وقد ذكر المقريزى ديارات كثيرة باسم أذرنكة (ج ٢ ص ٥٠٦).

(٢) أثبت فى الأصل لفظة "إلا" بين السطور فى الموضعين. [وعليه تكون الضمير عائدا على الدير الذى يدور عليه الكلام. أما على عدم الزيادة فعائد على الحج.]

ولما طال مُقامه ، وقفتْ عليه وسألتْ عن سبب إقامته فقصّ عليها الخبر، ونصّ العبَر . وأعلمها[1] أنه إنّما أتىٰ ليحُجّ ، فلما رآها أقام ، وبطلّب مايعالج به السَّقام . فقامتْ غيرَ مُتباطيه ، ووثَبَتْ كالظبية العاطيه . وظنّتْ أنه لم يُصَبْ ، وأنه مدّ لها شَرَكه ونَصَبْ . فلما رأىٰ ماراَب من شُمورها[2] ، وإعراض ظبيتها الأدماء وسُرعة نُفورها ، أسال عَبْرته ، ووالىٰ حَسْرته . ثم قال :

حديثُكِ ما أحلىٰ ! فزِيدِى وحدِّثي * عن الرشإ الفَرْدِ الجمالِ المثلِّثِ[3] !
ولا تسأمِي ذِكْراه ، فالذِّكْرُ مُؤْنِسِي * وإن بَعَثَ الأشواقَ من كلِّ مَبْعَثِ .
أحقًّا وقد صرَّحتُ مابِيَ أنه * تبسَّمَ كاللاهِى بنا المُتَعبِّثِ ؟
وأقسَمَ بالإنجيل إنِّى لَكاذِبٌ * وناهيك دمعى من مُحِقٍّ ومُحْنِثِ !

ورآها يوما بين صواحبها ، كما أطلَعَتْ ليلةٌ القَمَرَ بين كواكبها . فلما دنا منهنّ للحديث تنحتْ ، وبَخِلتْ عليه بكلامها وشَحّتْ ، فقال :

وبَيْن المَسيحيّات لِي شامِرِيَّةٌ * بعيدٌ علىٰ الصَّبِّ الحنيفيّ أنْ تدنُو !
مُثَلِّثَةٌ قد وحّد اللهُ حسنَها * فَثَنَّى من قلبي بها الوجدُ والحُزْنُ !
فطَيُّ الخِمارِ الجَوْنِ حُسْنٌ كأنَّما * تَجَمَّع فيه البدرُ والليلُ والدُّجْنُ !
وفي مَعْقِد الزُّنّار عَقدُ صَبابتى : * فمِن تحتِه دِعْصٌ ومِن فوقِه غُصنُ !

ثم إنه صارت لاتراه إلّا احتجبت ، وهيهات للشُّموس أن تُحجَبَتْ . فزاد بها بِلْباله ، وعظُمَ اختباله . فلما كان يوم عيد من أعياد النصارىٰ ، طلعتْ تلك الدُّمىٰ ،

(١) في الأصل : وأعلمه .
(٢) في الأصل "سمورها" بالسين المهملة . ولا معنى لها هنا على الاطلاق . لذلك صححت بالشين المعجمة ليكون المعنى انه رأى انها تنظر اليه شزرا .
(٣) ضبطها في الأصل بفتح اللام . والصواب الكسر ، لأنه يشير الى الديرانية التي تقول بالتثليث . يشهد بذلك البيت الثاني من القصيدة التالية . وقد وردت كلمة "مثلثة" في الأصل مكسورة اللام .

كأنجم السما ، و برزت تلك الدَّيْرانيَّة فى أترابها ، وخرجت كالصَّباح المسفر من وراء حجابها . فوقف عليهنّ وقال :

عَسَاكِ بحقِّ عِيسَاكِ ... مُرِيحَة قلبىَ الشاكى!
فإنَّ الحسن قد ولَّا ... كِ إحيائى وإهلاكى!
وأوْلَعنِى بصلبانٍ ... ورُهبانٍ ونُسَّاكِ!
ولم آبَ الكنائسَ عن ... هوًى فيهنَّ ، لولاكِ!
فهل تدرينَ ما تقضى[1] ... علىَّ عَيْنَىَّ عيناكِ؟
وما يذكيه من نارٍ ... بقلبى نورُكِ الداكى؟
تحجَّبَ سَنَاكِ عن بَصَرى ... وفوق الشمس سِيماكِ؟
وفى الغصن الرطيب وفى الـ ... ـقنا المرخَّ عِطْفَاكِ!
وعند الروض خدَّاكِ ... وفى زَهْرَاه رَيَّاكِ!

(٢٨٣)

الحانات

وكان سوى هذه الديارات حاناتٌ بمواضعَ شتَّى . لها أخبار ، وفيها أشعار ، وأشهرها ما نذكره هنا ونلحقه من الديارة بأمثاله ، ونضيفه منها إلى أشكاله ، وهى :

حانة الطائف

حانة الطائف ــ كانت فى الجاهلية . وكان خمَّارها يُسمَّى ٱبن بُجْرَه . وكانت قُريشٌ وسائر العرب تقصده ، فتشربُ فى حانته ، وتمتارُ منه وتحمل إلى أوطانها ، وتورد أحباءها موافرَ إبله لتصرِّف أعطانها . وفى ٱبن بُجْره يقول أبو ذؤيب :

فلو أنَّ ما عند ٱبنِ بُجْرَةَ عندها[2] ... من الخمر لم تَبْلُلْ لَهَاتِى بناطلِ!

---

(١) فى الأصل : تقصيه . (٢) الجرعة .

فتلك التى لا يُذهِبُ الدهرُ حُبَّها * ولا ذكْرَها ما أرْزمتْ أُمُّ حائِلِ! (١)

وإنّ حديثًا منكِ لو تبذُلِينَهُ * جَنَى النَّحلِ فى ألبانِ عُوذٍ (٢) مَطافِلِ (٣)!

مَطافِيلَ أبكارٍ حديثٍ نتاجُها * يُشَابُ بماءٍ مثلِ ماءِ المَفَاصلِ (٤)!

لعَمْرِى! لأنتَّ (٥) البيتُ أُكرِمُ أهلَهُ * وأجلِسُ فى أفيائِهِ بالأصائلِ (٦)!

حانة بنى قُرَيْظَة — وكان خمّارها فى جوارِ سَلامِ (٧) بن مِشْكَم. وكان عرْزًا مبيعا. ولما انصرف أبو سُفيان بن حَرْب من غزوه السَّوِيق، نزل على ابن مِشْكَم، فأكرمه واحتبسه عنده ثلاثة أيام، وبعث إلى جاره الخمّار، فابتاع كلَّ ما فى حانوته، وسقاه أبا سفيان ومَن معه من قريش. فقال أبو سفيان:

حانة بنى قريظة

(٢٨٤)

(١) وفى المثل: "لا أفعله ما أرزمت أم حائل". والإرزام صوت تخرجه الناقة من حلقها لا تفتح به فاها. أورده اللسان فى مادة (رزم). والحائل ولد الناقة ساعة تلقيه إذا كان أنثى، وأمها أم حائل. كذا فسره صاحب اللسان فى مادة (ح ول) وكذلك أورده الميدانى فى مجمع الأمثال.

(٢) جمع عائذ. وهى الناقة الحديثة النتاج.

(٣) « مُطفل. وهى الناقة الصغيرة الأطفال [والمراد أن لبن الأبكار أطيب].

(٤) « مِفصَل. وهو منقطع السيل فى الجبل. [والمراد طيب هذا الماء لأنه يجرى فى رضراض]. [ومعنى البيتين أن حديث المحبوبة — لو سمحت به — هو الشهد ممزوجا بأطيب الألبان وأصفى المياه].

(٥) وردت فى الأصل بكسر التاء اشارة الى المحبوبة. ولكنها بالفتح فى الديوان الذى بخط المرحوم الامام محمود الشنقيطى المحفوظ بدار الكتب المصرية (رقم ٦ ش. أدب). وهو الصواب لأن الشاعر انتقل الى الكلام على بيت محبوبته. ومن البعيد على مثل أبى دؤيب أن يجعل محبوبته بيتا يجلس فيه بالأصائل ويكرم أهله.

(٦) قد نقل ابن فضل الله هذه الأبيات عن أبى دؤيب، وقدّم فيها وأخر وحذف ما حذف. وهى واردة على ترتيبها المستقيم فى ديوان الشاعر (رقم ٦ ش. أدب). فالأول والثانى هنا هما آخر القصيدة. وبين الرابع والخامس هنا بيتان أغفلهما ابن فضل الله.

(٧) نص جمهور العلماء على أنه بتشديد اللام. ولكن بعضهم قال به بالتشديد وبالتخفيف.

سـقاني ورواني كُمَيتًا مُدامةً (١) ... على ظمإٍ منّي، سَلَامُ بن مِشْكَمِ!
تَخَيرتُه (٢) أهلَ المدينـة واحدًا ... لِحِلْفٍ (٣) فلم أَغْبَنْ ولم أَتَنَـدّمِ! (٤)

حانة هجر

حانة هَجَر ـ وتُعرف بحانة رَيْمان . وهي مذكورة. وقال فيها الراعي النُّمَيْرِيّ:

وصَهْباءَ من حانوتِ رَيْمانَ قد غَدَا ... على ولم يَنظُرْ بها الشَّرْقَ (٥) صابِحُ (٦)،
تَنَصّر (٧) عنها اليـومَ كأسٌ رويّةٌ (٨) ... وبَرْدُ العَشَايَا والقِيانُ الصّوادِحُ.
وبِتْنا على الأنماط، والبيضُ كالدُّمَى ... تُضِيءُ لنا لَبّاتِهِنَّ المصابِحُ.
إذا نحنُ أنزفْـا الخوابِيَ، عَلّنا ... مع الليـل ملثومٌ من الفار طافِحُ.

(١) رواية ابن هشام "على عجل" . وهى التى يعينها سياق الواقعة .

(٢) فى الأصل : تحيره أهل . ويمكن قراءتها "تخيرتُه أهل" ويكون المعنى تخيرته من أهل المدينة الخ. أما الرواية القديمة الصحيحة التى أوردها ابن هشام فى السيرة النبوية عن ابن اسحق . فهى : "إلى تخيرت المدينة" . وهذه الرواية يؤيد صحتها وصدقها أبو ذر الخشنى فى شرحه لها الذى طبعه صديق العلامة الدكتور برونل الألمانى فى مطبعة هندية بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ (سنة ١٩١١ م) فقد قال الشارح ص ٢١٠ مانصه "قوله إلى تخيرت المدينة واحدا . أراد من المدينة فحذف حرف الجر وأوصل الفعل" .

(٣) فى الأصل : سـواد . وفى الأغانى : سواهم . وكلتا الروايتين لا يستقيم بهما المعنى بل يكون فى التركيب تعسف واضطراب وتفكك وارتباك . لذلك اخترت رواية ابن هشام وهى غاية فى الوضوح والبيان .

(٤) رواية ابن هشام : فلم أندم ولم أتلوم . وأنظر الأبيات كاملة على اختلاف الروايات وتضاربها فى الأغانى (ج ٦ ص ٩٩ طبع بولاق) وفى سـيرة ابن هشام (ص ٥٤٤ طبع جوتنجن) . وقد أورد ابن فضل الله البيت الثانى فى مكان الأول وجعل الأول فى محل الثانى .

(٥) أى لم ينتظر شروق الشمس .

(٦) الصابح ساقى الصبوح . قال فى اللسان (ج ٣ ص ٣٣٤ س ١٩) واصطبح القوم شربوا الصبوح وصبحه يصبحه صبحا وصبّحه : سقاه الصبوح . وفى معجم البلدان "صايح" (ج ٢ ص ٨٨٩ طبع ليبسك)، وهو غلط .

(٧) أهمـل وضع النقط فى الأصل . ولعل المعنى أن الكأس الروية وبرد العشايا والقيان كل هذه تنصر أى تنئ عن تلك الصهباء .

(٨) فى الأصل : كأس رويه [بكسرتين تحت الحرف الأخير]

حانات الحيرة ـ وهى أربع حانات :

حانة عون

حانة عَوْنٍ ـ وكان عَوْنٌ ظريفا، طيّب الشراب، نظيف الثياب . وكان فتيان الكوفة يشربون فى حانوته، ولا يختارون عليه أحدا . وشَرِب عنده ليلةً أبوالهندىّ الشاعر، حتّى طلع الفجر وصاحت الديوك، على أنه يصبح يومَ شكٍّ . فقيل إنه
٥ من رمضان . فقال :

شربتُ الخمرَ فى رَمَضانَ حتّى * رأيتُ البدرَ للشّعرى شَريكا!
فقال أخى : الديوكُ منادياتٌ! * فقلتُ له : وما يُدرِى الدُّيوكا؟

حانة دومة

حانة دَوْمَةَ ـ وعن أبى عُبَيدة قال : مرّ الأُقَيْشر بخَمّارة فى الحيرة، فقال لها دومة . فنزل عندها، وٱشترى منها شرابا . ثم قال : لها جَوِّدى لى الشرابَ
١٠ حتّى أُجَوِّد لكِ المديح . ففعلتْ . فأنشأ يقول :

أَلَا يادَوْمَ، دام لكِ النعيمُ! * وأسمرُ ملْءُ كفِّكِ مستقيمُ،
شديدُ الأَسْرِ يَنْبِضُ جانباه * يُحَمُّ كأنه رجلٌ سقيمُ،
يُرَوِّ به الشرابُ فيزدهيه * وينفخُ فيه شيطانٌ رجيمُ!

(٢٨٥)

قال : فظنّت الخمارة أن هذا مدحٌ، فسُرّتْ به وزادته فى الشرب. وقالت : ماقال
١٥ فىّ أحدٌ أحسن من هذا .

حانة جابر

حانة جابر ـ قال ٱبن الصَّلصال : كان أبو نُوَاس بأنى الكوفة، يزورنى . وكان يأتى بيت خمّار بالحيرة، يقال له جابر : لطيف الخِلقة، نظيف الثياب، نظيف الآلة، يُعتِّق الشراب سنينَ . فقدِم علينا مرّةً، وقد نهاه الأمين عن الشراب . فسأل عنى، فقيل : هو بالحيرة . فوافانى، وفى يدى شيء من شراب جابر، عجيب الحسن والرائحة .

فقال لى: ياأبا جعفر، لايجتمع هذا والهمّ فى صدرٍ واحدٍ! قال: وكان شديد العُجْب بضرب الطُّنبور[١]. وكان إذا جاءنى جمعتُ له ضُرَّاب الطنابير. وكانت الكوفة معدنهم. وكان يسكر فى الليلة الواحدة سَكَراتٍ. فوجهتُ بجمعٍ له منهم جماعة، وأحضرته شيئا من ذلك الشراب. فقال لى: ألم تعلم ماحدث علىّ؟ قلت: وما هو؟ قال: نهانى أمير المؤمنين عن الشراب وتوعّدنى عليه! ٥

ثم أنشدنى قصيدته التى فيها:

أيُّها الرائحانِ باللَّوْمِ، لُومَا * لا أذوقُ المُدامَ إلّا شَمِيما!

إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ قوله:

فكأنّى وما أُحَسِّنُ منها قَعَدِيٌّ يُحَسِّنُ التَّحْكِيما[٢].

كلَّ عن حَمْلِهِ السِّلاحَ إلىٰ الحر بِ فأوصى المُطِيقَ ألّا يُقِيما. ١٠

فقلتُ له: أقِمْ معنا كما حكيتَ من نَقْلِ القَعَدِيَّة[٣]. قال: أَفعلُ. وصرنا إلىٰ حانة خَمّار. فقلتُ شعرا ذكرتُ فيه ماقاله لى وأنشدتُه إياه. وهو قولى:

عَتَبَتْ عليك محاسنُ الخمرِ، أم غيَّرَتْكَ نوائبُ الدَّهرِ؟

(١) الطُّنبور والطِّنبار من آلات الطرب، ذو عنق طويل وستة أوتار، معرب تنبور (أصله دُنْبَه بَرَه أى ألية الحمل. سمى به على التشبيه). وقد انتقل هذا الاسم الى سائر اللعاب على بعض تنوع فى الآلة. ١٥

(٢) أورد هذا البيت فى "تاج العروس" فى مادة (ق ع د) ويستفاد من كلامه أن القَعَدة قوم من الخوارج قعدوا عن نصرة الامام علىّ بن أبى طالب، وأن الذى يرى رأيهم يسمى "قَعَدِيّا". وهم يرون التحكيم حقا، لكنهم قعدوا عن الخروج على الناس. والبيت فيمن يأبى أن يشرب الخمر، وهو يستحسن شربها لغيره

(٣) أى كما يفعل القعدية من الاقتصار على تحسين الشرب ومدح الخمر وأوصافها التى تلذذها للشاربين.

فَصَرَفْتَ وجهَكَ عن مُعَتَّقةٍ ، تمتزُّ عن دُرٍّ وعن شَذْرِ،
يسعىٰ بها ذو غُنَّـةٍ غَنِجٌ متكحّل اللَّحَظات بالسِّحْرِ،
ونَسِيتَ قولَكَ حينَ تمزُجُها ، فترُ لكَ مثلَ كواكبِ النَّشْر[1]:
"لا تحسَبَنَّ عُقارَ خابيةٍ ، والهمَّ يجتمعانِ فى صَدْر!"

(٢٨٦)

٥ فقال: هاتِها و كذا وكذا من أمِّ الأمين! ومدّ يده، فأخذ القَدَح وشرب معا، ثم شخَص إلى الأمين. فقال له: أين كنتَ؟" قال: عند صديق الكُوفى. وحدّثه الحديث. قال: فما صنعت، حين أنشدك الشعر؟" قال: شربت، والله! يا أمير المؤمنين. قال: أحسنتَ وأجملتَ، فأشخَصْ حتّى تحمل إلىّ صديقك هذا. فقدم إلىّ فحملنى إليه. فلم أزل معه حتّى قُتل.

حانة شهلاء

١٠ حانة شَهْلاء ــ وكانت يهودية من أهل الحيرة. وحُكى أنّ الأُقَيْشِر كان يألفها، وكان يشرب فى دارها. فجاءه شُرْطىّ فدقّ البابَ، فقال: آسقنى وأنت آمنٌ . فقال: والله! ما آمنك، وهذا النقب فى الباب، فأنا أَسْقيك منه . فوضع له أُنْبوب قَصَبٍ فى النقب، وصب فيه النبيذ من داخلٍ، والشُرْطىّ يشرب من خارجٍ. فقال الأُقيشر:

سأل الشُرْطىُّ أن نَسْقِيَهْ، فسَقَيْناه أُنْبوبَ القَصَبْ،
١٥ إنما لِقْحَتُنا خابيــةٌ، وإذا ما مُزِجتْ كان العَجَبْ،
لَبَنٌ أصفرُ صافٍ طعمُهُ نَنْزِعِ الباسُورَ من عَجْب الذَّنَبْ.
إنَّما نَشْرَبُ من أموالِنا، فاسألوا الشُرْطىّ ماهذا الغَضَبْ"

(١) فى الأصل النشر مع كسر الياء . ولعله محرّف .

حانات العراق ـ وهى أربع حانات :

حانة طيزناباذ

حانة طِيزَنَابَاذَ (١) ـ وكان خمّارها سرجس . وحكىٰ سليمان بن نوبخت قال : حججت وآستصحبت أبا نُوَاس، بعد آمتناع منه ونفار . وشرط علىّ أن أتقدم معه الحاجّ إلىٰ القادسية، فنقيم نشرب بطِيزَنَابَاذَ . فنزل علىٰ خمّار كان بألفه، فشرب يومه وليلته . ثم آنتبه بقول :

٥

وخمّارٍ أنختُ إليه ليلًا * قلائصَ قد ونينَ من السِّفارِ

فزَجّمَ ، والكرىٰ فى مُقلتيه كمخمورٍ شكا ألمَ الخُمارِ :

"أبِنْ لى كيف صِرتَ إلىٰ حَرِيمى ، ولونُ الليلِ ملتبِسٌ بِقارِ"

فقام إلىٰ العُقار فسدّ فاها وعادَ الليلُ مُسْوَدَّ الإزارِ .

١٠

ثم جلس يشرب . فلم يزل كذلك حتّى ورد علينا أوائل الحاجّ . وحجّوا . ثم عادوا . فرحلنا معهم إلىٰ بغداد، علىٰ أننا كنا حُجّاجا معهم .

حانة قطربل

حانة قُطْرَبُّلَ ـ وكان خمّارها ابن أذين .

حكىٰ أبو السُّبل البُرْجُمِىّ قال : آجتمعت بأبى نُوَاس فى الونختبة . فسلّمتُ عليه، وسألته عن خبره ، وتحدّثنا طويلا . ثم قال : أتساعدُنى حتّى نَمضىَ إلىٰ موضع طيّب" قلت : أين هو" قال : قُطْرَبُّلَ . فقلت : ضاقت الدنيا حتّى نسافر" فقال لى : إن هناك خمّارا ظريفا، لَبِقا، مساعدا، عنده شراب عتيق وغلمان صِباحٌ . فآمض

١٥

(١) طيزناباذ موضع بين الكوفة والقادسية علىٰ حافة الطريق علىٰ جادّة الحاجّ . كان من أنزه المواضع محفوفا بالكرم والشجر والحانات والمعاصر . وكان أحد المواضع المقصودة للّهو والبطالة . وهو الآن خراب، ولم يبق به إلا أثر قباب يسمونها "قباب أبى نواس" . ويقال إن معنى اسمها عمارة الضيزن . (انظر ياقوت فى الجزء الثالث من معجم البلدان) .

٢٠

بنا. فمضيتُ حتّىٰ أتىٰ حانة خمّار. فقال لى: أتعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا ابن أَذين الذى أقول فيه:

اِسقِنِي يا ٱبنَ أَذِينِ * من شَرَابِ الزَّرَجُونِ! (١)
اِسقِنِي حتّىٰ تَرىٰ بى * جِنّةً غــيرَ جُنُونِ!
عُتِّقتْ فى الدَّنِّ حتّىٰ * هى فى رِقّــةِ دينى!
ولنــا ســاقٍ عليه * جُبّةٌ من ياسَمِينِ (٢) (٣)!

قال: فأقمنا عنده ثلاثة أيام، فى أنزه موضع ومع أكْيَس خادم، ثم ٱنصرفنا.

حانة الشَّطّ — قال حَمْــدُ بن حَمْدون: كان الواثق يحبّ المَوَاخير، وما قيل فيها، وما غُنِّيَ به فى ذكرها. فعقد حانتين: إحداهما فى دار الحُرَم، والأخرىٰ على الشطّ. وأمر بأن تُختار له خمّار نظيف، جميل المنظر، حاذق بأمر الشراب، ولا يكون إلا نصرانيـا من أهل قُطْرَبُّل. فأُتِيَ بنصرانىّ، له ٱبنان نظيفان مليحان وٱبنتان بهذه الصفة. فجعلهم الواثق فى الحانتين، وضمّ إليهم خَدَما وغِلْمانا وجوارِيَ روميّة، وأخدم النّساء حانة الحُرَم، والرجالَ حانةَ الشطّ. ونقل إليهما طرائف الشرب، وفرشهما من فرش الخلافة، وعلق عليهما الستور، وجعل فيهما الأوانى المُذْهَبَة والدنان المدهونة. فكانتا أحسن منظرٍ وأبهاه.

فلما فرغ منهما، أمر بإحضار المغنّين والجلساء، ولم يَدَعْ أحدا يصلح من ضُرَّابِ الطنابير إلا أحضره. وحضروا. وخرج الخمّــار، هو وأولاده معــه، عليهم الأقبية المُسَهَّمَة، وفى أوساطهم الزنانير المحلّاة، ومعهم غلمــان يحملون المكاييل والكيزان

(١) كلمة فارسية مركبة من "زَر" أى الذهب ومن "گون" أى اللون.
(٢) فى رواية: بيدى. والسياق يعيّن هذه.
(٣) هو المشموم المعروف. وأصل اللفظ مصرى قديم "أسمى" ثم انتقل الى الفارسية فالعربية فاليونانية فالآرامية فالتركية فالكردية فالرومية فالأرمنية فسائر اللغات الإفرنجية.

والمَبَازِل[1] فى الصَّوانى . وأُخرِجَتْ تلك الدنان المُدْهَنَة، وقد طُيِّنَت رؤوسها تطيينا نظيفا، يعبق منه الطيب . فأقيمت بإزاء المجلس الذى كان فيه جالسا، فبُزِلَتْ، كما يفعل فى الحانات وجعل يُؤتَى بالأقداح، فيذوقها و يعرض ذلك على الجلساء . فيختار كلٌّ منهم ما يشتهيه . فأخذ دَنًّا . و يجىء إلى الخمّار و يكال منه بمكيال فى إنائه، كما يفعل فى المواخير . و يعود إلى موضعه فيجلس . و يوضع على رأس الحضور أكاليلُ الآس وما أشبهه من الرياحين . فكان أحسن يوم رأيتُه .

فشرب الواثق شربا كثيرا وأمر للخمّار بألف دينار، ولزوجته بألف دينار، ولكل واحد من أولاده بخمسمائة دينار . ولم يبرح أحدٌ منّا إلا بجائزة سنيّة .

وحكى الحسين بن الضحاك فى حكاية له أن الواثق قال له : هل لك فى حانة الشَّطّ؟ قال : فقلت إى والله يا أمير المؤمنين . فقام إليها فشرب هناك وطرب . وما ترك أحدا من الجلساء والمغنين والحَشَم، إلا أمر له بصِلَةٍ . وكان من الأيام التى سارت أخبارها، وذُكرت فى الآفاق .

فلما كان من الغد، غدوت عليه فقال : أنشدنى يا حسين شيئا، إن كنتَ قلته فى يومنا هذا الماضى . فأنشدته :

يا حانةَ الشَّطِّ قد أكرمتِ مثوانا، عُودِى بيومِ سُرورٍ كالذى كانا!

---

(١) جمع مِبْزل وهو المثقب أى الآلة التى تثقب بها الدنان والبراميل ليسيل ما فيها . و يسمون هذه الآلة أيضا . (١) أسوب ، (٢) بازل ، (٣) صنبور ، (٤) بثيون [تعريبا لكلمة يونانية] . والمبزل الذى نحن بصدده تُتخذ عادة من الخشب . وهو معروف عند أهل هذا الشأن . و يسمى عند الفرنسيين Canelle و Canette و Cannule . وهذه الأسماء الثلاثة الافرنكية هى أيضا مستعملة فى اللغة الفرنسية عند الجراحين بمعنى المبزل فى الاصطلاح الطبى العربى . و Canelle هى الأكثر استعمالا عند الكتّابين الفرنسيين .

وقد أورد المؤلف لفظة «المبزل» فى استخراج الخمر من الدنان (أنظر ص ٢٦٦ س ٩ ، وص ٣٠٩ س ١١ ، ص ٣٢١ س ١٩ ، وص ٣٢٢ س ٢) .

[لا تُفقَدِنا دُعابات الإمام ولا طِيبَ البطالة إسراراً وإعلانا.[1]]

ولا تَخَالُعنا[2] فى غير فاحشة إذا تَطَرَّبَنا الطُّنبورُ أحيانا.

وسَلْسَلَ الرِّطلَ عمروٌ ثم عمَّ بها الشُّقْبا فالحقَ أخرانا بأولانا.

سَقياً لعيشك من عيشٍ خُصصتَ به دونَ الدُّنا كرمٍ لذات دُنيانا!

٥ قال: فأمر لى الواثق بصلةٍ سنيّة مجدّدة، واستحسن الشعر، وأمر أن نغنّى فيه.

حانة خُوَيث حانة خُوَيث ـ وتُعرف بحانة بَزيع، وهو خادم المتوكل.

وكانت عزيزة لا يعرض لها أصحاب المعاون[3]. وكانت حسنة البناء، مؤزَّرة مسقّفة بالساج. وإلى جانبها بستانٌ نزهٌ حسنٌ لبَزيع. وكان يتخذ فيها آلة الشراب. وكان فيها خمّار يهودى، لا يبيع إلا شرابا مختارا سريّا، لا يبايعه أحدا من العامة

١٠ والوضعاء. وكانت حانته لنزه الخاصة والسَّراة من الناس. وكانت موصوفة بالحسن والنظافة. (٢٨٩)

وفيها يقول عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن الزيات (وكان قد دعاه بَزيع إليها، ومعهما حَنَيْن الخادم، وكان نهاية فى الحسن، وحَسَنَ الغناء):

سقانا بَزيعٌ[4] والسِّماكُ مُشَرِّقٌ ونجمُ الثُّريّا فى السماء مُحلِّقُ،

١٥ كُمَيتاً كأنّ المسكَ حَشْوُ كؤوسها بها الشَّملُ مجموعٌ وما يتفرّقُ.

سُلافةَ كرمٍ أخلصَ الدهرُ لونها يُضىءُ لها الليلُ البهيمُ ويُشرِقُ.

(١) نقلنا هذا البيت عن الأغانى (ج ٦ ص ١٩٧ طبع بولاق) ليتضح المعنى ويستقيم سياق البيت بعده.

(٢) فى الأصل: إذ لا تخالعنا (ولا معنى له مع هذا التحريف ولذلك صححنا عن الأغانى).

(٣) أى الذين يطلبون المعونة، أى الضرائب والخراج.

٢٠ (٤) إسم الساقى المذكور قبلُ.

وقلت لجنّى : هلمّ فعنّى ! * "أرقت ، وماهذا السهاد المؤرّق؟"
فغنّى غناء حرّك القلب حسنه * ولما يحرّكه الشراب المصفّق!

حانة سجستان

حانة سجستان ـ حكى أن أبا الهندى ، لما ضرب عليه البعث إلى سجستان ، كان يلزمها ويشرب عندها مع نديم له . فشربا يوما حتى سكرا وناما . فلمّا هبّ هواء السّحر ، انتبه أبو الهندى ، والزقّ مطروح ، قد بقى فيه شطر الشراب . فأقامه ٥ وصبّ منه فى كأس ، وجاء إلى نديمه يحرّكه وقال :

تصحّح بوجه الراح والطائر السّعد * كميتا وبعد المزج فى صفة الورد!
تضمّنها زقّ ازبّ كأنه * صريع من السّودان ذو شعر جعد .
ولمّا حللنا رأسه من رباطه * وفاض دمًا كالمسك أو عنبر الهند ،
وجدناه فى بعض الزوايا كأنّه * أخو قرّة يهتزّ من شدّة البرد . ١٠
أخو قرّة يبدى لنا وجه صفحة * كلون رقيق الجلد من ولد السّند .

حانات الشام ـ وهى اثنتان :

حانة عزاز

حانة عزاز ـ وكانت بتلّ عزاز .

حكى إسحق ، قال : كنت مع الرشيد ، حين خرج إلى الرّقّة ، فدخل يوما لشرب مع النساء ، فخرجت ومضيت إليه ، فنزلت عند خمّارة هناك ، لها زوج قسّ ، ولها ٥ منه بنت ، لم أر مثلها قطّ جمالا ، ولا مثل بنتها . وأخرجت إلىّ شرابا لم أر مثل حسنه وطيب ريحه وطعمه . فأجلستنى فى بيت مرشوش فيه ريحان غضّ . وأخرجت (٢٩١) بنتها تخدمنى كأنها خوط بان ، أو جدل عنان : لم أر أحسن منها قدّا ، ولا أسهل

خدّا، ولا اشرف وجها، ولا أبدع طَرْفا، ولا أحسن كلاما ، ولا أتمّ تماما . وأقمت عندها ثلاثا، والرشيد يطلبُنى، فلا يقدِر علىّ . ثم آنصرفتُ . فذهبَتْ بى رُسُله إليه . فدخلتُ عليه، وهو عصبانُ . فلما رأيتُه ، خَطَرْتُ فى مِشيتى ورقصتُ (وكانت فى رأسى فَضْلةٌ قويّةٌ من السكر) وغنّيْتُ فى شعرٍ قلتُه فى بيت الخمّاره صنعت فيه . وهو :

إنّ قلبى بالتّلّ، تلّ عَزَازِ، * عند ظَبْيٍ من الظِّباءِ الجوازى
شادنٌ يسكُنُ الشّآم وفيه * مَعَ شكل العِرَاق ظَرْفُ الحجازِ
يا لَقَومى[1] لِبنتِ قَسٍّ أصابتْ * منك صَفْوَ الهوىٰ واستَجازى!
حَلَفَتْ بالمسيح أن تُنْجِزَ الوعْد، وليستْ تَهُمّ بالإنجازِ!

قال: واللحن فى هذا الشعر خفيف رَمَلٍ بالوُسْطىٰ . قال إسحق : فسكن غضبه ، ثم قال لى : ويحك ! أين كنتَ؟ فأخبرتُه فضحك وقال : عُذْرٌ ، والله! وإنّ مثل هذا لَطَيِّبٌ، إذا آتفق . أعِدْ غِناءَك ! فأعدتُه . فأُعْجِبَ به ، وأمرنى أن أُعيده ليلتى كلها ، أعيده أبدا ، ولا أغنّى أنا ولا غيرى سواه . وأمر المغنّين بأخذه . فما زلت أغنّيه ويشرب عليه إلى الغداه . ثم آنصرفنا . فصلّيْتُ ونِمْتُ . فما آستقررتُ جيدا حتّى وافانى رسول الرشيد، يأمرنى بالحضور . فركبْتُ ومضيتُ . فلما دخلتُ إذا أنا بابن جامع يمرّغ علىٰ دكّان فى الدار ، لعابه النبيذ والسكر عليه . فقال لى : أتدرى لِمَ دُعيتَ؟ قلت : لا . قال : بنصرانيتك الزانيه ، عليك وعليها لعنة الله! فضحكتُ . فلما خرج إلينا الرشيد، أخبرته بالقصة .

(١) فى الأصل : يالقوم .

وضحك وقال : صدق . أعيدوه جميعا ، ولا تغنوا غيره . فإنى آشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتمونى . فغنّيناه جميعا يوما كلّه ، حتّى نام فى موضعه ، سُكْرًا . ثم آنصرفنا .

حبابة هشيمه

حانة هُشَيْمَةَ — وكانت بدمشق . وكانت تخدُم الوليد بن يزيد فى شرابه وتتولّى آتّخاده له . وكان يقال إنه لم يُرَ أعرف منها به، ولا ألطف آلةً وصنعةً، ولا ألبق فى الخدمه .

وقد ذكرها يزيد فى شعره إذ قال :

قد شربنا وحَتَّ الزُّمّاره ، فاسقِنِي بالْبَذَيْخ بالقَرْقاره !
من شرابٍ كأنّه دمُ جِنْفٍ عَتَّقَتْهُ هُشَيْمَةُ الخمّاره .
اسقِنِى ! اسقِنِى ! فإنّ ذُنوبى قد أحاطَتْ فما لَهَا كَفّاره !

وعُمِّرَتْ حتى أدركت الرشيد وماتت فى أيامه . ماتت يومَ مات الكسائى (1) [النحوى] والعبا[س بن الأحنف الشاعر . فصلى] المأمون عليهم .

ق ٢٩١ ب

وها قد ذكرنا ما آتّصل بنا علمه، ووقع إلينا خبره، وبه تم الفصل السادس . وهو آخر فصول الباب الأوّل من القسم الأوّل .

ولله الحمد وبه التوفيق !

(1) هنا سقط المخلد ... أو المصوّر الفوتوغرافى على كلمات وحروف فأكملناها مراجعة البواقى من حروفها على رواية الأغانى (ج ٥ ص ٤٦) . وانظر فيه طريف الرواية بمناسبة صلاة المأمون عليهم .

تصويبات و تصحيحات

لما وقع فى نسخة الأم　　لما وقع أثناء الطبع

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٣٩	٢	أورد الناسخ "العجاجة" من أسماء الغبار . والصواب "العجاج" . أما العجاجة فهى الإبل الكثيرة العظيمة . وهذا وذاك عن كتب اللغة .
٥٤	٩	فى الاصل "حاقولى" . ولعله يريد "خافونى" . وانظر "نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر" للدمشقى المعروف بشيخ الربوة .
٥٨	٦	"باش بالق". معناه عنـد الترك "المدائن الخمس" . وعلى ذلك جرى اليونان فى قولهم Pentapole (أى المدائن الخمس) فى تسمية احدى المدائن الشهيرة بناحية . قة ، وهى التى اختزل العرب اسمها فجعلوه "أنطابلس" .
		ألْ بالق . معناه بالتركيـة "المدينة الحمراء" لأن ألْ معناه الأحمر . وهى باكين عاصمة الصين .
٦٢	٦	جبل "قُعَيْقعان" يسمى الآن "الجبل الهندى" . وبه مدرسة عربية فى موضع مستشفى صغير ، كان للترك قبل الحرب العظمى .
٦٦	١٣	القرينة وسـياق الكلام يوجبان تغيير كلمة "البحر" بكلمة "الجبل" . ذلك لأن المؤلف لم يذكر قط بحرا مشبها بتفصيل « السراويل » . وانما ذكر (فى ص ٤٨ س٥ و ٦) جبلا بهذه الصفة ، وهو الذى يرجع اليه الكلام .
٦٨	٥	الكلام على البحيرتين يقتضى التثنية . ولذلك يجب إصلاح "منها" الواردة فى الأم بـ"منهما" .
٧١	٩و١٩	Trismégiste [ومعناه عند العرب "المثلث بالنبوة والحكمة والملك" . واللفظ اليونانى يدل على المثلث بالكبرياء .]

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٧٧	١٠	الأَنْحَر . (بضم ففتح) .
٧٨	٢١	Pont-Euxin
٨٢	١	الأُرْدُنّ (بضم أوّله وثالثه وسكون ثانيه وتشديد رابعه) .
٨٣	٨	الدهاك (بالكاف فى آخره لا باللام) . كما فى س ٦ ص ٢٢٩
٨٤	٢	البُتَّم (بضم فتشديد) جبال مشهور بتركستان .
٨٥	٥	أشار المؤلف الى مدينة «لوقر» فى الصين . هكذا كتبها الناسخ بهذا الرسم فى نسخة الأم ، وفى نسخة آياصوفيا . وأكبر ظنى انه يشير الى مدينة «لوقين» التى وصفها ابن فضل الله بنصه هذه المدينة فى الجزء الثانى من "مسالك الأبصار" (ص ٣٣٦ فتوغرافية) فقال : "ومدينة لوقين ، وهى مدينة حسنة على ضفة جور عذب ، تدخله المراكب . وهذه آخر حدّ بحر الهند من جهة الشرق" . وقال ابن خرداذبه : "لوقين وهى أول مراقى الصين ..." وكثيرا من العرب استعملوا "مراقى" (بالقاف) مثل البلاذرى والبكرى والادريسى وابن جبير وابن خلدون ، كما أشار اليه دوزى فى "تكملة المعجمات العربية" وأنا أضيف عليه المقريزى (ج ٢ ص ١٤٠) وإن كان هو أيضا استعملها بالفاء فى صيغة المفرد (مرفأ) عند إيراده الجملة بعينها فى مكان آخر (ج ١ ص ١٤٠) ولا شك أنهم استعملوا "مراقى" فى مقابلة قولنا الآن "إسكله" عن (Scala) أى "سُلّم" و"مرقاة" . وقد سبقه المطرزى الى تصحيف الفاء قافا كما أشار اليه دوخويه فى "فتوح البلدان" للبلاذرى .
٩٣	١٩	المره . [وردت فى الأصول براء مهملة . ويكون معنى المَثَل انه شرب المُرّ . وإذا أعجمنا الحرف فيكون أنه شرب المزة أى الخمر فيها حموضة . وإنى آسف لعدم تمكنى من مراجعة نسخة صحيحة من كتاب ابن عساكر] .
٩٨	١٥	"الأساطيم" الواردة فى نسخة الأم ، هى بلا شك من أوهام الناسخ . وربما صح لنا فهم الاستشهاد بالمثل العربى "أساء سمعا فأساء جابة" ويزيد عليه "وأساء كتابة" . وربما كان بعضهم يملى عليه «الأساطين» فسمعها بميم فى آخرها ، فكتبها كذلك . والمقام يعين

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		« الأساطين » جمع أسطوانة . وانظر " الإعلام بأعلام بلد الله الحرام " (ص ٥٣ و ٨٦) و " أخبار مكة للازرقي " (ص ١٦٤)، كلاهما طبع العلامة وستنفلد الألماني . ولما كان الكلام يدور على السواري والعمدان، فلا معنى مطلقا في هذا المقام للاسطام الذي يدل فقط على المسعار لحديدة المفطوحة يُحَرَّك بها النار، أو الحديدة التي تكون في طرف السهم حيث يُعلّق الحجر الذي يرمى به المنجنيق (انظر عن الاسطام القاموس وشرحه، ومفاتيح العلوم) .
١٠٢	٢	وكَسَوْنا ... الذّى ...
١٠٧	٣	أُسطوانة (بضم أوّله) .
١٣٦	١٢	أُبَيّ (بضم أوّله وفتح ثانيه وتشديد آخره) .
١٤١	٥	الصخرة والأعمدة . والحائط [أي أن الحائط هو أول كلام جديد] .
١٤١	١٩	التخريج الظني الذي في هذا السطر غير صواب منى . ولذلك يجب حذفه . وكلمة "ابذارية" وربما تكون انبذارية — وان كنت سعيت كثيرا وبحثت طويلا لمعرفة أصلها على غير طائل — تدل على نطاق من الرخام البارز، وبعضه متصل بالبعض الآخر على دائر الجدران الاربعة، كما شاهدته بعيني حين زرت الحرم المقدسي لأحل بنفسي بعض البيانات الواردة في هذا الكتاب، وأخصها الانبذارية هذه . وما قصيت الوطر فيما يتعلق بهذه الكلمة، لشيء سوى امتناع النظر تركيها وحاطها . وكانت رحلتي الى فلسطين لهذا الغرض في شهر يونيو سنة ١٩٢٣
١٥٧	١١ و١٧	قال ابن فضل في نسخة الأم أثناء كلامه على السور الشمالي للمسجد الأقصى ان المدرسة الكريمية « جارت ما أمامها من الاروقة بحائطين غربية وشرقيه » . وقد صححتُ « جارت » بـ « جاورت » لأنه محال أن تكون المجاراة من الشرق الى الغرب معا . وقد نبهت على لفظ الأصل في الحاشية . لكني راجعت فيما بعد نسخة آياصوفيا، فرأيت فيها "حازت" . بالحاء

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		المهملة والزاى . ولعل هذا هو الاقرب للصواب ، اذا جعلنا « الدال » بدلا من « الزاى » . فتكون المدرسة «محاذية» لما أمامها من الأروقة ، شرقا وغربا .
١٥٨	٧	وبخدّه (بالخاء المعجمة) .
١٦١	١٧	يُنْزَلُ (بضم فسكون ففتح).
١٧٥	١٤	سكمان بن أرتبك (هكذا بالباء المفردة التحتية فى الأصل) . صوابه سكمان [أوسقمان] بن أرتق بن إيلغازى . ولعل اسم أبيه كان فى أول الأمر "أرتيك" ثم عربوه فقالوا "أرتق" . فيجب التصحيح .
١٨٤	٩	حران الكروم . هكذا ورد فى نسخة الأم عند الكلام على بناء قبة مسجد دمشق . فقد أشار المؤلف الى أنهم حفروا لأركانها حتى بلغوا الماء ثم ألقوا على الماء جران الكروم . ولكن جران لا معنى لها . وقد وردت "جراز" فى كتاب «مطالع البدور» أثناء كلامه على هذا الموضوع ، فى النسخة المطبوعة وفى أخرى مخطوطة «بخزانتى الزكية» . ولا يتجه المعنى مطلقا مع كل هذه التصحيفات والتحريفات . فرجعت الى "المخصص" فرأيت فيه "دجران" و"حفان" فى باب الكلام على الكرم . ولكن "دجران" تدل على الخشب الذى يتخذ تعريشة للكروم ، وأما "حفان" فهى قضبان الكرم نفسه أى "عقل العنب" على ما يقول العامة الآن فى مصر . فارتضيت هذه الكلمة الأخيرة . لأن هذه القضبان من شأنها حبس الماء وطمه ، فتكتمه وتمنع نفوذه الى أساس البناء الذى ينام فوقها . ومن أجل ذلك ، سعيت لتحقيق هذه الكلمة عن نسخة معتمدة لابن عساكر ، ولكن بلا طائل ، لعدم وجود أثر صحيح لها بخزائن مصر . فاضطررت لمراجعة الطبعة التى مسخها بعضهم وشوّهها وخلط كلامه بكلام مؤلفها وبتر منها ما بتر ، ووصلت به الجُرأة على العلم وعلى الأمانة ، بل عدمُ التهذيب الى إبرازها للناس بهذه الحالة مع نعتها بـ "تهذيب تاريخ ابن عساكر" . فوجدتُ الكلمة التى نحن بصددها "جفان" . فحمدت الله على عدم

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		وصول التشويه والتحريف والتصحيف والمسح والغلط الى هذه الكلمة كما وصل الى غيرها مما لا يعد ولا يحصى . وعلى ذلك يجب تصحيح كلمة "جران" بكلمة "جفان" .
١٨٩	٣	بينها (بدلا من) بينهما الموحوده بصيغة المثنى فى نسخة الأم [اللهم إلا أن يقال أن "بينهما" هى للفصل بين "الاقناء المفقودة" من جهة وبين "العمد" من جهة أخرى . وفيه تعسف] .
٢١٣	١٢	بصنعة القوط . [وبمثل ذلك يصحح الهامش]
٢١٦	٦	لم يَعدُ [هذا الضبط أفضل]
٢١٧	١٣	المُعينى (بضم الميم لا فتحها . نسبة الى معين الدين ، من رجالات الدولتين النورية والصلاحية) .
٢١٧	١٤	سرية "تُبْنَى" بالساحل من أعمال الرملة . هكذا ورد اسمها فى الأصل بالتاء المثناة الفوقية وبصيغة المبنى للمجهول . والصحيح أنه بالياء آخر الحروف "يُبْنَى" . وهى فى عصرنا هذا من أعمال غزة . وقال ياقوت إنه بُليدٌ قرب الرملة فيه قبر صحابى ، يقول بعضهم هو قبر أبى هُريرة ، وبعضهم يقول قبر عبد الله بن أبى سرح . أما تُبْنَى ، فهى على ما فى ياقوت بلدة بحوران من أعمال دمشق . قال النابغة : فلا زال قبرٌ بين تُبْنَى وجاسم ✲ عليه من الوسمىّ جُود ووابل فينبت حَوذانا وعوفا منوّرا ✲ سأتبعه من خير ما قال قائل والبيت الأول وحده رواه المخصص (ج ١٥ ص ١٩٣ عما أنشده سيبويه ، ولكنه جعل "طلّ" بدل "جود" . وهو أفضل .
٢١٨	١	فى الأصل : "وقيل إن مدينة دقيانوس ويقال إن مدينة دقيانوس هى طليطلة" . تخيلت أن الكلام فيه تكرار . لذلك حذفت الجملة الأولى ، أثناء الطبع ، ونبهت على ذلك فى الحاشية . بيد أننا اذا وضعنا "إنها" بدل "إن" الأولى لاستقام الكلام تماما . اذ يكون على هذه الصورة : "وقيل انها مدينة دقيانوس ، ويقال ان مدينة دقيانوس هى طليطلة" .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		وذلك لأن بعض المؤرخين يقولون إن أبسس (أفسس) Ephèse هي مدينة دقيانوس، مضطهد أصحاب الكهف، وبعضهم يقول إنها طُليطلة بالأندلس .
		وللمحقق هـذا الكتاب بحث واسع باللغة الفرنسية عن " الكهف والرقيم " من الوجهتين التاريخية والجغرافية، وعن جميع الاماكن التي زعم أهلها انهما بها .
٢١٨	١١	قرية "إرْبِل" تعرف في أيامنا هذه باسم " إرْبِد " بالدال المهملة في آخره . وهي الآن من أعمال جبل عجلون التابع لحكومة شرق الأردن العربي . وكانت في أيام الحكومة العثمانية عاصمة لقضاء عجلون . وبها مسجد وسراي (بنيت سنة ١٨٨٤) . ومناخها طيب، ولها مستشرف بديع على الصحراء، يمتد شرقا لغاية بادية الشام ويطلّ من الجنوب والجنوب الشرقي على جبل عجلون بغاباته التي يتكاثف فيها شجر البلوط العتيق . وفي ساحتها حوض يملأه المطر ، فيستقي منه أهلها، على طول السنة . وهي قائمة على موقع المدينة القديمة " أربلا " (Arbela) . وسكانها قبل الحرب العامة زهاء ١٣٠٠ نسمة، وهم الآن أكثر عددا .
		وإنما جعلها الاتراك " إربد " بالدال المهملة للتمييز بينها وبين مدينة " إربل " الشهيرة بأرض الموصل (Erbil, Arbil, Arbelles.) . كما فعلوا في حمص التي بطرابلس الغرب فسموها خُمْس، وكما فعلوا بمدينة نصيبين بولاية حلب فسموها نِزِّيب، تمييزا لها عن نصيبين التي بالعراق .
٢١٨	١٦	سيلون . تعرف الآن عند أهل فلسطين باسم "سيلة الظهر" .
٢١٩	١١	كفر بربك (بالباء الموحدة) . لا كما وردت في نسخة الأم بالتاء الفوقية : "كفر تربك" . وهي قرية بفلسطين .
٢٢٣	١١	سُوبَل [وهو أيضا "شُوبَل" الذي تسميه التوراة "توبال قاين"] .
٢٢٣	١٥	منوشهر [وهو "موچهر" عند الفرس والترك] . وليس متوشهر (بالتاء) كما في نسخة الأُم .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٢٢٤	٣ ، ٦	أورد الناسخ اسم ذلك الفرس مرتين متواليتين هكذا : سوراسف [بسين مهملة فى أوّله فوقها ضمة] . وصحته على مايسميه العرب "بوراسب" وأما الفرس فيسمونه : لُهراسب .
٢٢٦	٢٠	روى المؤلف عن البكرى الاندلسى ان للصابئة بيتا بحرّان فى باب الرقة يعرف بمعلنيشا . ورأيت الرجوع الى علم صديق العلامة الفاضل الأب أنستاس الكرملى ، المعروف بالتحقيق والتدقيق فى مثل هذه الموضوعات . فتكرم وأفادنى بما نصه : كلمة مصحفة من "معلنيثا" . وهذه منحوتة من الإرمية ... وتقرأ (*) (بيت عَلْوَاثا) أى هيكل الاصنام . وقد أكد لى بعض علماء الصابئة الحاليين ان هذا الهيكل وارد ذكره فى كتبهم باسم "بعلنيثا" ويعنى أيضا محل الضحية أو المحرّقة و بيت الصنم الأعلى . اهـ .
٢٢٩	٥	فى الأصل "السمد" سود . والواجب حذف هذا الحرف لتكون الإشارة الى "السد" أى سد يأجوج ومأجوج . وذلك ماتحتمه الموقع الجغرافى . لأن بلاد الخطا فى شمالى الصين ، وأما السند فهى شرق الهند . وشتان ما بينهما ! فلايمكن أن يكون صنم الخطا المحجوج اليه الذى فى نهاية الشرق المتشامل ، قريبا من بلاد السند . يؤكد ذلك ما أورده المؤلف نفسه فى ص ٤٧ س ١٦
٢٢٩	٩	الغُزّية [يشير إلى بلاد الغز] .
٢٢٩	١١	أرض الأزير . هكذا ورد فى نسخة الأم . وقد أكثرت من البحث عن هذا الأزير ، فلم أهتد اليه . وعندى انه محرف عن الغدير ، لنهر هنالك تكلم عليه المؤلف (ص ٢٨٥ س ١١ وص ٢٨٦ س ١) .
٢٣١	٧	مدينة جُرَش . هكذا ضبطها فى نسخة الأم بضم الجيم . وهو غير صواب ، اللهم إلا فيما يتعلق ببلد باليمن . أما الذى نحن بصدده وهو المدينة الأثرية التى يتكلم عنها المؤلف ، والتى هى الآن تابعة لامارة الشرق العربى فيما وراء الأردُن . ، فهى جَرَش (بفتح أوّله وثانيه) ولا يزال أهل تلك الجهات ينطقون بالاسم على هذا الوجه ، لا فرق فى ذلك بين الخاصة والعامة .

(*) رسم الاب الفاضل حروف هذه الكلمة باللغة الإرمية ، وقد اضطررت لاهمالها ، مع الاسف الشديد ، لعدم وجود شىء منها فى دور الطباعة بمصر .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٢٣٤	٧	فى الأصل . "وتثنى تثنى" . أهمل الناسخ التاء الثانية فى صدر الكلمة الأولى . فيجب التصحيح هكذا . "وتَتَثَنَّى تَثَنِّىَ" .
٢٤٤	٧ ، ٥	أسراب (بالسين المهملة) جمع "سرب" للقناة فى جوف الأرض . ووضع النقط فى نسخة الأم فوق الشين المعجمة غلط .
٢٤٥	١١	Ceuta
٢٤٥	١٣	Port-Vendres
٢٤٨	١١	رواية " القانص " : وَشَا كُرَّجٍ وجلاجله . [والكُرَّج : الحلى . والوشى ، معروف]
٢٥٤	١٧	وكانا . (لا : كانوا)
٢٥٨	١١	فى الأصل : " فوجه اليها عشرين دنا شرابا ومائة دجاجة وعشرين حَمَلا وسابح فاكهة " فأولا — كلمة " اليها " يجب جعلها " الينا " كما يحتمه السياق . لأن الكلام عن رجلين ، أحدهما جحظة وهو الحاكى للقصة والمتمم للرواية عن نفسه وصاحبه . وثانيا — كلمة " سابح " عليها فى نسخة الأم نقطة من المداد جعلتنى أتخيل أن المؤلف ضرب عليها بالقلم . فلذلك أهملتها فى الطبع ، لا سيما وانى لم أفهم لها معنى وقتئذ . لكن الأمانة أوجبت على المراجعة عنها والتدقيق فيها . وقد وجدت أن صاحب القاموس أشار فى مادة (د ب ح) الى أن " الدُّبَج " هى " الغرائر السود " أى الجوالق والركايب . فتكون الفاكهة حينئذ من النواشف أى من نوع النُّقل . ويكون ابن فضل الله قد أراد الرجوع عن جمع الجمع (سابح) لعدم وروده ، فضرب على الكلمة ثم سها عن وضع الكلمة الواردة فى كتب اللغـة ؛ أو يكون أراد أن يضع بدلها كلمة " أطباق " وهى التى استعملها هو فى ترجمة الآمر بأحكام الله ، إذ مر برجل من أهل مصر

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		واقف على بستان له فاستسقاه . فلما شرب، قال الرجل : أطعمتنى فى السؤال يا أمير المؤمنين . وطلب منه النزول عليه، وقدم له ولجيشه أشياء كثيرة تجل عن الوصف، منها مائة طبق فاكهة .
		هذا واستعمال الأطباق للفاكهة معهود أيضا فى بغداد . فقد روى المؤرخون وأهل الأدب أن عبد الملك بن صالح أهدى لهارون الرشيد فاكهة فى أطباق خيزران، وسماها فى كتابه إلى الخليفة "أطباق القضبان" احتشاما من تسمية الشىء باسمه . لأن أم الرشيد كان اسمها الخيزران (انظر مطالع البدور ج ٢ ص ٣٦) .
		على أن كتاب بغداد قد استعملوا الكلمة التى نحن بصددها . فقد ورد فى كتاب الموشى (طبع ليدن، ص ٩٤) ما نصه "والنبانيج المصدة بأنواع الرياحين" ووردت فى نسخة أخرى : البرانيج . وعندى أنها مصحفة عن نبابج و نبابيج
٢٦٦	١٤	الْعُمْر (بضم أوله وسكون ثانيه، بمعنى الدير الكبير) .
٢٦٧	٢	الزنانير . أوردها الناسخ بهذه الحروف فى قول الشاعر :
		"وبهار مثل الزنانير يحدو * فى زهر الحيرى والحوذان"
		وأنت تعلم أن البهار لا يُشبَّه بالزنانير بل بالدنانير . فقد روى المؤلف نفسه (فى صفحة ٢٠١ س ١٨) قول الصلاح الصفدى :
		وبالأرض من حبها صفرة * فما تنبت الأرض إلا بهارا
		كما روى قول الخالدى (ص ٢٩٥ س ٩)
		وقد نقّط الزهر خد الربى * بدرهمــه وبدينــاره
		ونضيف إلى ذلك قول أبى نواس :
		زهرة عند زهرة عند أخرى * كاقتران الدينار بالدينار

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		وعلى ذلك يجب تصحيح "الزنانير" بـ "الدنانير" .
		اللهم الا اذا قيل ان الشاعر أراد "الزنابير" لنوع من الدباب ، صغار ، تكون فى الحشوش ، أى المواضع التى يذهب الناس اليها فى البساتين و بين مجتمع النخيل ، لقضاء الحاجة . وذلك بعيد وغير مقبول . ولقائل أن يذهب الى انه أراد "الزنابير" أى تلك الدبابات اللساعة المعروفة باسم الدنابير . فهى برقشتها ما قد يسوغ معه مثل ذلك الرأى . ولكنى أوثر "الدنانير"
٢٦٧	١٢	تُرانا ... نُنَغِّصُهُ .
٢٧٠	١٧	أورد الناسخ البيت هكذا
		ونعيم بوصل من كنت أهوى - قد تبدلته بؤس العتـاب
		والذى أراه أنه أراد "الغياب" بالعين المعجمة والياء آخر الحروف . لأن الشاعر يقابل به ما كان له من نعيم الوصـل . لقد كان يصح أن نقترح كلمة "العذاب" ولكن الشاعر استعملها فى البيت التالى لتاليه . فضلا عن أن "العتاب" لا "بؤس" فيه . وقد يجوز أن يكون اراد "العقاب" لما وقع عليه من الظلم .
٢٧١	٧	يُرْمَ بَنِى الرَّجَوَانِ . (هذا هو الضبط الصحيح) .
٢٧٨	٤	بِقُطْرُبُّلَ . (هذا هو الضبط الصحيح) .
٢٨٠	١٧	قُفْصَّة [بضم القاف ، اسم لقرية بين بغداد وعكبرا ، مشهورة بحاناتها وخمورها الجيدة] .
٢٨٢	٣	أكثرت البحث والتسآل عن أصل لفظة "ماشوش" . فلم أظفر للآن بطائل . وقد أفادنى العلامة الاب أنستاس الكرملى ان ما رواه الشابشتى هو خرافة . ولا مانع عندى من الانضمام الى رأيه الرشيد ، ليس فيما يتعلق بليلة الماشوش ، فى دير الخُوَات فحسب ، بل فيما ينسبه عامة الناس أيضا مما يضارع هذه الأشنوعة الى الدروز بلبنان وحوران ، والى الانصارية والنصيرية (أتباع

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		الشيخ نصير) بولاية حلب وحاصة ساحية انطاكية ، والى الاسماعيلية المتوطنين ساحية القدموس بقصاء قلعة المرقب من بلاد سورية .
٢٨٣	٣	الَصبوح (بفتح الصاد) .
٢٨٥	٦	جَناحا (بالنون) .
٢٨٦	٨	عندى أن الأصوب رواية البيت هكذا : بريــــة شـــتواتها * بحرية فيها المصايف فان الناس يتطلبون الاصطياف بجوار البحار ، كما هو مألوف منذ قديم الزمان .
٢٨٧	١٦	ورد فى الأصل : "يحوز العيس أبو الهندى" مع وضع كسرة تحت العين المهملة . ولا معنى لذلك . بل لابد أن يكون الصواب "يجوز العيش أبو الهندى" . والرجل على ماعرفنا به صاحب الأغانى (ج ٢١) والنويرى (نهاية الأرب ج ٤ ص ٤٥ فتوغرافية) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس ابن شبث بن ربعى اليربوعى . كان من المستهترين بشرب الخمر . حج مع نصر بن سيار فقال له نصر : إنك بفناء بيت الله الحرام ، ومحل حرمة ! فدع الشراب ! فما هو إلا أن زال عنه صاحبه ، حتى وضع الشراب وحمل سكى ، و يقول : رضيع مدام فارق الراح روحه فظلّ عليها مستهلّ المدامع أديرا علىّ الكأس ، إنى فقدتها كما فقد المفطوم درّ المراضع ! ومرّ به نصر بن سيار ، وهو يميل سكرا ، فقال له أفسدت شرفك ! فقال لولم أفسد شرفى ، لم تكن أنت اليوم والى خراسان . (وانظر ص ٣٩٦ من هذا الكتاب ، و ص ٢٢ من "حلبة الكميت" طبع بولاق)
٢٨٨	١١	وقَـــدْرِ

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٢٨٨	١٩	ودارتُ نُجبُ الأبطا ـ ل مَحَتْ بحُلى الشُرب هكذا فى الأصل "الأبطال". ولاشك أن ذلك باطل، ومن هفوات الناسخ. لأن المقام يمس الشرب بـ "الأرطال" التى دارت على الندمان دورا حثيثا يشابه سير الساق السريعة الخطية. ويجوز أن يكون الشاعر أراد الأبطال أى أقداح الخمر. وذلك أقرب لرسم الحروف، ولكننى أتمسك بـ "الأرطال" لا سيا وان المؤلف قد استعمل هذا اللفظ فقال "فشربنا بالأرطال" (ص ٢٧٨ س ٣)؛ "فاسقنى رطلا" (ص ٣٢١ س ١٨، ص ٣٢٢ س ٣ – ٦)
٢٨٩	١	على أوجه أعمـار على قُضُب على كُثُب هكذا كتب الناسخ. ولا معنى للأعمار هنا. بل هى "أقمار" ياسيدى. وعلى ذلك يجب رواية البيت على "الوجه" الآتى. على أوجُـهِ أقمـارٍ . على قُضُبٍ على كُثُبِ
٢٩١	١٢	تُراك (بالراء المهملة بضم التاء، بمعنى هل ترى نفسك") .
٢٩١	١٣	أُلْقِى (بضم أوله وكسر ثالثه) .
٢٩٢	٣	فأجْراها (بسكون الجيم) .
٢٩٢	١٠	عوارب (بالمعجمة) . لا (عوارب بالعين المهملة) .
٢٩٥	١٨	نُشط السمسم .. ... تَبَسَّطق صحون آس وخيريات تفاح سقطت كلمة من الشعر لم يكتبها الناسخ ولعلها "النسرين" أو ما على هذا الوزان. فتكون رواية البيت على هذا المثال . نُشط السمسم والنِّسرين تُنْبَسَطُ ق * صحون آس وخيريات تفاح والله أعلم .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٣٠١	١٦	(*) الطيبوث . لفظة إرمية ، وهي بلسانهم ... (وتلفظ طيبوثا بثاء مثلثة فى الآخر) . وهى عند نصارى اليعاقبة أصحاب دير القيارة : " مادة تسوى أو توجد من زيت قد صلى عليه مطرانهم وباركه ، وقد أضيف اليه شيء من الماء وقليل من تراب رفات أحد الأئمة فى القداسة . وكان الحق فى تعريبها الطيبوت بتاء مثناه فى الآخر . لكن العرب عربوا ما كان على وزن فَعَلُوت بفتح الأول والثانى بتاء مثناه ، فقالوا : ملكوت وجبروت وعظموت وسلكوت . وعربوا ما كان على فَعْلُوت باسكان الثانى بثاء مثلثة فى الآخر فقالوا : ناعوث وراعوث وطيبوث . وقد خالفوها ، لناسوت ولاهوت ، وحيوت ، و ياقوت . (للاب أنستاس الكرملى)
٣٠٤	٣	نِسرين (بكسر النون) .
٣٠٨	١٥	زُنّاره (بضم الزاى) .
٣١٠	٩	" عُمْر عسكر " . هذه رواية ابن فضل الله . وقد قلت فى الحاشية ان ياقوت سماه " عمر كسكر " باسم البلد . ولمعرفة الحقيقة فى عصره الحاضر ، استفهمت من المحقق المدقق الأب أنستاس الكرملى ، فكتب لى : لم يكن عُمْر من الاعمار باسم عُمْر عسكر وانما هو عُمْر كسكر (بكافين مفتوحتين يتوسطهما سين مهملة وفى الآخر راء مهملة) . والعُمْر كلمة إرمية معناها الدير الواسع ، يكون للرهبان . اهـ
٣١١	١	النَّخَب (بفتح النون والخاء المعجمة) ، بمعنى معاطاة الشراب بين الندامى .

(*) أهملت رسم الحروف الإرمية التى كتبها لى الأب الفاضل ، لعدم وجود شيء منها بدور الطباعة فى مصر .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٣١٨	١٦	كتب الناسخ :
		وربة وعاء : ذى يزول بها * سقم السقيم ، وذا يُجلىٰ به البصر
		وأنا أظن أن المعنى يستقيم تماما ، إذا غيرنا الضمائر ، وروينا البيت على الوجه الآتى :
		وتُربة وعاء . ذا يزول به سقم السقيم ، وذى يُجلىٰ بها البصر
		لأن العاء مزيل للسقم ، ولأن التربة جعلها الشاعر كالإثمد الذى يُجلىٰ به البصر .
٣٢٢	٥	أديك (بكسر الدال) .
٣٢٢	٢٠	الأسماء بعضها ببعض (لا بعضها) .
٣٢٦	١٧	روى المؤلف عن أبى الفرج الأصفهانى أن النعمان بن المنذر كان بعد قضاء الصلاة فى دير اللج ، ينصرف الى مستشرفه على النجب .
		فيفهم من ذلك أنه كان يركب النوق السريعة أو الأفراس الكريمة الى ذلك المستشرف . وهو كلام قد يكون وجيها ، لولا ما فيه من الابهام فيما يتعلق بتعيين المكان ، ولولا أنه لا معنى لأن يكون مستشرف الملك من البعد عن قصره بحيث يحتاج الى النجب للوصول اليه .
		ومن الأسف ، إنى لم أعثر على كتاب الديارات لأبى الفرج ، لتثقيف هذه الكلمة (النجب) . والحكاية غير واردة فى الأغانى .
		وإنى أتخيل انها محرفة عن (النَّجَف) .
		وذلك لقرب النجف من الحيرة عاصمة النعمان ، ولأنه أرض عالية ، فيكون المستشرف فوقها .
		وهو ما يليق بالملك كما سيأتى بيانه .

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		ذلك أن الحيرة صغيرة البقعة، وكل دياراتها حول النجف وبعضها راكبة عليه، وكل آثار بني المنذر على طرفه (ص ٣٢٧ س ١٠، ١١ وص ٣١١ س ١٤ و٣١٧ س ١١ من هذا الكتاب). وفضلا عن ذلك، فقد ذكر المؤلف أن ديارات الأساقف تشرف على النجف وعلى الظهر كله، وأن الصعود إليها يكون من أسفله في خمسين درجة الى سطح أفيح فيه الخورنق والسدير (أنظر ص ٢٨٥ — ٢٨٦ من هذا الكتاب وانظر ديارات الأساقف في معجم ياقوت).
٣٣٨	٣	أعنابه (بالنون في وسطه). هذا هو الصواب، وليس: أعتابه، كما في نسخة الأم. كيف لا، والمصنف قد عرفنا عن كثرة الكروم حول ذلك الدير؟ أما جلوس الندمان بين الأعتاب، فلا محل له من الاعراب، فضلا عن أن هذا الجمع سقيم لا يستعمله إلا العامة. ومثل ابن فضل الله قد كان يقول ”العتبات“.
٣٤٣	١٢	الثياب ”السَّبَنِيّة“ منسوبة لبلدة ببغداد. وهي أُزُر سودٌ للنساء. وهي حرير فيها أمثال الأترج. وتجمع على ”سباني“.
٣٤٦	١	شُدّ (بصيغة المذكر المبني للمجهول اشارة الى القيد). وليس شُدّت، كما في نسخة الأم
٣٤٦	١٢	يعلّك منها نزهة بعد نزهة سحاب بأخبار الرياض كفيل على أن السحاب لا يتكفل إلا ”بإحياء“ الرياض، لا بأخبارها. والأخبار — إن صح التعبير بها — إنما تكون من شأن النسيم. لذلك يجب وضع ”إحياء“ بدلا من ”أخبار“ الواردة في نسخة الأم.
٣٥٨	٥	جنة الزبداني: وهي حديقة كبيرة جدا بالقرب من دمشق ولا تزال يانعة، ومنها تصدر الفواكه الكثيرة الى مصر وغيرها. وغلط الناسخ في الأم إذ جعلها ”جبة“ بالباء المنقوطة بواحدة). أما جبة عسال، فالباء ثاني الحروف، كما في الأصل.

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٣٦٢	٩	ممتع (بغير نون بعد التاء) إشارة الى كثرة الصيد فيه .
٣٦٣	١	قال أبن فضل الله إن دير القُصير الكائن بين مصر القديمة وحلوان على "سطح قُبَّة من بلاد الفتح" .
		وقلت فى الحاشية إنى لا أدرى ما يريد بقوله " بلاد الفتح" . وأما الآن أظن أنه قد يكون مراده "الفج" . فقد استعملها المؤرخون فى ذكر الطريق بين الفسطاط وبين عين شمس . قال الكندى فى كتاب الولاة والقضاة (طبع لوندرة ، ص ٢٨٣) : " واقبلوا إلى الفسطاط ، فعسكر محمد بن تكين من بركة المعافر إلى الفج" . وهذه البركة هى التى عرفت ببركة الحبش ، على ما ذكره المقريزى فى الخطط ، فى كلامه على البرك .
		وذلك الدير يعرف الآن باسم دير العريان .
٣٦٣	١٦	هو أبو صلاح الارمنى (لا أبو صالح كما كتبته أنا غلطا) .
٣٦٥	١٦	عُمْر (بضم العين ، بمعنى الدير الكبير) .
٣٧٥	١١	"ومرت الاطلاب مزينة الترك" . هكذا وردت هذه العبارة فى نسخة الأم .
		وقد عقبت عليها فى ذيل الصفحة بما يفيد احتمال سقوط كلمة « بأبناء » لتكون الجملة هكذا "مزينة بأبناء الترك وجياد الخيل" .
		بيد أنى بعد إنعام النظر ، أتخيل أن الناسخ غير كلمة « البرك » (لأنه لم يفهمها) بكلمة « الترك » . و البرك كلمة تركية كانت فاشـية الاستعمال بمصر ، على عهد المماليك . ومعناها السلاح . وكثيرا ما يستعملها المؤرخون لذلك العهد . و يكون المعنى أن " الاطلاب مرت مزينة أسلحتها وخيلها الجيدة " . و الطُّلْب (بضم الطاء) جماعة من الجنود يكونون فى خدمة الأمير .
٣٨٠	٩	الكُماج (بضم الكاف لا كسرها) . نوع من الخبز كان معروفا بمصر ، ولا يزال مستعملا بصعيدها وفى بلاد فلسطين ، ولا سيما بلد الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام .